

تنبيه الأنام

على ما في كتاب الدر من المواعظ والأحكام

تأليف

أبي العباس الرهوني التطواني

(1288 - 1373هـ / 1871 - 1953م)

دراسة وتحقيق

ذ. الحسن بوفسيمي

1440هـ / 2018م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

تنبيه الأنام

على ما في كتاب الدم من المواعظ والأحكام

تأليف

أبي العباس الرهوني التطواني

(1288 - 1373هـ / 1871 - 1953م)

دراسة وتحقيق

ذ. الحسن بوفسيمي

1440هـ/2018م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

عنوان الكتاب : تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام
المؤلف : لأبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني
[1288-1373 هـ / 1871-1953م]
المحقق : د. الحسن بوقسيمي
الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الطبعة الثانية : 1439 هـ/2018م
الإيداع القانوني : 2009MO2141
ردمك : 978-9954-05159-7
حقوق الطبع محفوظة للوزارة
الإخراج الفني والطباعة: مطبعة الأمنية الرباط - حسان
8 زنقة مولاي رشيد الرباط - حسان
الهاتف : 05 37 20 75 83 الفاكس : 05 37 20 75 89

تنبيه الأنام
على ما في كتاب الله
من المواعظ والأحكام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الواهب لمن شاء ما شاء، المُمْهِلِ برحمته مَن أساء، المنزل على عبده خيرَ الشفاء، عَلا سبحانه فقهَر، وملك فقدَر، وبطن فخبَر، خلق فسوّى، وقدّر فهَدى، وبسَط الرّزقَ منه جودا، جعل العلومَ نامية غير متناهية؛ إذ قال في محكم تنزيله: ﴿وقل رَبِّ زِدْنِي عِلما﴾[1]، وقيَّض لهذه الأمة -على مرِّ الأزمنة والعصور- مَن يُحيي لها سُننَها ويُجدِّدُ لها ما به عصمة أمرها.

والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمد سيّد الأنبياء، المنقذ بسنّته مِن رغاب النفوس والأهواء، الشّافع لأمّته يوم العرض والقضاء، فهو صلى الله عليه وسلم طبّ القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور البصائر وضياؤها، بيّن للناس ما نزِّل إليهم مِن ربهم، وترك لهم من هَدْيِهِ ما ينجيهم في دنياهم وآخرتهم، هَدى الأمّة، وكشف الغمّة، ورَفع الهمّة.

وصلى الله على آله وصحبه الذين اتبعوه، وآووه ونصروه، ونشروا النور الذي أخرجهم به من ظلمات الغواية إلى رحاب الهداية، وعلى تابعيهم الذين يصلحون عند فساد الناس، ويُحْيُون سنّة الهادي النبراس.

أما بعد، فلولا فضل الله جل وعلا ما زكا من المسلمين من أحد، ومن رحمته تعالى أن شرع لنا من الدين ما به نجاتنا من كل كرب، بعد أن جعلنا بعدْل قضائه وبليغ حكمته أصنافا مختلفين وأطوارا متباينين؛ حتى نأتلف

---

[1] سورة طه الآية 111.

بالاختلاف ونتفق بالتباين، عبر عمارة الأرض وإقامة ما شرعه سبحانه من السّنن والفرض.

فشرعُ الحكيم الرحيم أساس حياة البشر السعيدة وعماد مسيرتها ومقصود خطواتها ومخططاتها، وقد أكمل لنا ديننا وأتمّ علينا نعمته في قرآنه المجيد وسنة مصطفاه الحبيب صلى الله عليه وسلم، ولا تتمّ نعمة الله على العبد إلا بامتثال أمر ربّه وأمر نبيّه واجتناب نهي ربّه ونهي نبيّه، والعلمُ هو السبيل الوحيد الموصل إلى إتمام العبد نعمة ربه عليه، وعندنا - نحن المسلمين- العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أسمى مراتب العلم، بل لا يكمل ولا يتمّ العلم إلا بهما أو تحت نور إرشادهما.

وعليه فعلم التفسير من أجلّ ما خُدِمَ به كتابُ الله تعالى منذ نزوله إلى اليوم، وخِدْمة كتاب الله المجيد غير مقتصرة على السابقين دون اللاحقين؛ إذ أنزله الله رحمة للعالمين، وما أحوجنا اليوم - أكثر من أيّ وقت آخر- إلى إعادة القراءة والتدبر والتفهم لكتاب الله العزيز، وإعادة التخريج والتنقيح لكل ما يتعلق بتراثنا التفسيري قصد الإبقاء على الصالح ليُفادَ منه والتنبيه على الهالك ليُصْرَفَ عنه، وإضافة النافع متى احتجنا -أو اضطررنا- إليه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه المسألة تتعيّن بشدّة خصوصا إذا تعلق الأمر بالمقلين في التأليف والتصنيف ومنهم المغاربة.

قسم الدراسة

المحور الأول: عن المؤلَّف

إن مخطوط "تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام -ج 1-" لأبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني، تعرّض فيه لتفسير سورة الفاتحة، اختصره من عِدّةٍ من تفاسير الأئمة الأعلام اجْتَمَعتْ عنده، ومات رحمه الله تعالى قبل أن يتمّ اختصار تفسير بقية سور القرآن غير الفاتحة.

قمت بتحقيق هذا المخطوط تحقيقا علميا متخصصا، والتقديم له بما يناسب.

المبحث الأول: مضامين الكتاب المحقَّق

في كتاب "تنبيه الأنام" ما يلي:

المطلب الأول: مقدمة اشتملت على خمسة وعشرين فصلا تدور محاورها حول مباحث في علوم القرآن للترغيب في كتاب الله جل وعلا علما وعملا:

ففي الفصول الثلاثة الأولى ترغيب المسلم في ربط حياته الخاصة بكتاب الله تعالى تلاوة وتدبرا وتعلما وامتثالا له والتزاما به.

وفي الفصلَيْن الرابع والخامس ما يحبّب إلى النفوس تعليم القرآن وتفسيره، وما يرهّب من القول فيه بالهوى ومطلق الرأي.

وتطرَّقتْ أغلبُ الفصول المتبقية -من الفصل السادس إلى الفصل الثالث والعشرين- إلى المباحث المحققةِ للشروط العلمية الواجبِ توفرُها في المفسر من معرفة المكي والمدني وباقي أنواع التنزلات الأخرى، وكذا أسباب النزول وكيفياتِ الوحي وإنزاله وجمعِه وترتيبه، ومعرفةِ السور والآيات وما يتعلق بها من قراءات ورسم وكلمات وحروف، وكذا حملة القرآن ورواته والمصنفين فيه.

وفي ختام هاته الفصول المقدمات - في الفصلَيْن الرابع والعشرين والخامس والعشرين- تجلية لمبادئ علم التفسير؛ إذ هي الممهّدات المباشرة لتطبيقه، وكذا الاستعاذة؛ إذ هي الشروع الفعلي له.

المطلب الثاني: خمسة عشر فصلا تُعنى بالبسملة من حيث شكلها ومبناها ومضمونُها ومعناها وأسرارُها وإشاراتُها، وذلك بدءا بالإعراب والتصريف والاشتقاق ومعاني الكلمات، ومرورا بالحديث عن الاختلاف في قرآنية البسملة وحُكمها في الصلاة وحُكم الابتداء بها، وانتهاء بالتطرق لأسرار الافتتاح بها والعلوم المشتملة عليها وأسرار كلماتها عند المحققين وعلماء الكلام، وختاما بفصل في الرحمة يوضح إحاطة رحمة الله تعالى بالمخلوقات حفظا وإنجاء وشفاء ومغفرة وإكراما وهداية وطهرا باطنيا، في الدنيا والآخرة:

ففي الفصل الأول إعراب مركز لألفاظ البسملة.

وفي الفصل الثاني بيان الاختلاف في تصريف ألفاظها واشتقاقها بتركيز كذلك، لدرجة أن المؤلف لم يزد على قوله في (الرحمن الرحيم): "صفتا مبالغة من الرحمة" ص 101.

وفي الثالث أوجه معاني ألفاظها وما يترتب على بعضها من أحكام عقدية والاختلاف فيها وفي تعليلاتها.

وفي الرابع بيان أصلها باختصار شديد.

وفي الخامس الاختلاف في قرآنيتها في المذاهب الفقهية المعتمدة لدى المسلمين مع سرد مختلف الحجج والأدلة النقلية والعقلية، وما ترتب عليه أيضا من أحكام عقدية.

وفي السادس الاختلاف في حكمها في الصلاة وأدلة كل فريق فقهي فيها.

وفي السابع بيان دليل الأمر بالابتداء بالبسملة واختلاف أحكامها باختلاف مواضع ذكرها ومسائلها باختصار شديد.

وفي الثامن كشف أسرار الافتتاح بها في التعلق والتحقق.

وفي التاسع الإشارة إلى إمكان استخراج أعداد لا حصر لها من علوم الفاتحة والبسملة.

وفي العاشر كشف أسرار التعبير ب"اسم" المتجلية في اسم الله الأعظم الباطني المضاف إلى سلطان الأسماء: اسم الله الأعظم الظاهر.

وفي الحادي عشر بيان أن (الرحمن الرحيم) وإن اختلف معناهما فهُمَا واحد عند المحققين، وبيان بعض أسرار الجمع بين أسماء الله الثلاثة المذكورة في البسملة.

وفي الثاني عشر بيان فضائل ذكر البسملة والسؤال بالرحمن الرحيم.

وفي الثالث عشر حديث عن (الرحمن الرحيم) في علاقتهما بما أودعه الله تعالى من رحمة في مختلف مخلوقاته جل وعلا ليَعتبرَ بها قارئ البسملة.

وفي الرابع عشر ما يستخرجه علماء الكلام من علوم تتعلق بأسماء الله سبحانه من خلال قراءتهم للبسملة.

وفي الخامس عشر تجلية لبعض آثار رحمة الله تعالى من خلال البسملة ماديا ومعنويا، دنيا وأخرى.

المطلب الثالث: حديث عن سورة الفاتحة يشمل **قسميْن**: قسما هو عبارة عن خمسة فصول، وقسما هو عبارة عن تنبيهات بلغت عشرين تنبيها:

بالنسبة لقسم الفصول تحدث أبو العباس الرهوني في الفصل الأول منها عن سبب نزول الفاتحة والاختلاف فيه.

وفي الفصل الثاني عن أسمائها وتبيين أسباب تسمياتها.

وفي الثالث عن فضلها، وذلك انطلاقا من نصوص شرعية وتحليل ما اشتملت عليه من علوم هي أمهات لِما فصله القرآن الكريم في باقي سوره غير الفاتحة.

وفي الرابع عن إعرابها، وذلك بذكر أوجه الخلاف فيه وفي تعليلاته.

وفي الخامس عن معاني سورة الفاتحة، أي ما يتعلق بحروفها وألفاظها وعباراتها، مع إثبات ما اختلف فيه بأدلته وحججه، وموازنة بعض الألفاظ بمعاني ألفاظ قريبة منها - كالحمد والمدح والشكر مثلا-، والأحكام العقدية المترتبة على الاختلاف في تلك المعاني، وإيراد بعض القراءات القرآنية المجلية للمعنى.

وبالنسبة لقسم التنبيهات:

ففي التنبيه الأول إفادة الفاتحة التوحيد من خلال الاستدلال على وجود الإله وعلى استحقاقه للحمد.

وفي الثاني وجوب الشيخ المربي نظرا لا شرعا.

وفي الثالث بيان علاقة الفاتحة بأحوال العبد من خلال الخير والشر - والفاتحة دالة على غلبة الخير على الشر- والأحكام المترتبة على ذلك.

وفي الرابع الفروق الحاصلة بين الحمد والمدح والشكر.

وفي الخامس سر التعبير بـ (الحمد لله) دون "أحمد الله ".

وفي السادس "ال" (الحمد لله) وفضل هذه الجملة.

وفي السابع فضل (الحمد لله).

وفي الثامن موجبات الحمد وسر التعبير به ومقامه.

وفي التاسع: "(الحمد لله) كلام تام في نفسه لا يحتاج إلى إضمار".

وفي العاشر دواعي وجوب شكر المنعم والاختلاف في ذلك.

وفي الحادي عشر: "الموجود: إما واجب لذاته أو ممكن لذاته".

وفي الثاني عشر الفروق الحاصلة بين تربية الله تعالى وتربية غيره من الخلق.

وفي الثالث عشر: وجوه تربية الله للعبد غير المتناهية، وذلك بواسطة رعاية ما في الأرض والسماء وتسخيره لمصالح العبد.

وفي الرابع عشر تجلية دواعي اختصاص الله بالحمد والعبادة، واهتمام القرآن بعلوم الأنفس والآفاق - أي علوم الغذاء - أكثر من الأحكام الشرعية - أي علوم الدواء -، لتُسْرَدَ بعد ذلك "مسائل من التربية" في تسع مسائل توضح بجلاء شمولية لفظ التربية لجميع ما يخضع للزيادة والنمو من خلق الله تعالى من الإنسان وغيره، ومسائل التربية المذكورة هي:

المسألة الأولى عن الذرة وتربية حبوبها في سنابلها.

الثانية عن تربية حبة القمح.

الثالثة عن تربية التمر في النخلة.

الرابعة عن اللؤلؤ في البحر.

الخامسة عن تربية الجنين في بطن أمه.

السادسة عن تربية الولد باللبن.

السابعة عن التربية الطبية؛ حيث مراعاة الصحة أفضل من استعمال الدواء.

الثامنة عن التربية في المدارس والتعليم، وأن أصلها مخ الإنسان مع تكامل أدوات السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

التاسعة -وهي آخر مسألة في التنبيه الرابع عشر- عن "تربية الله للعقول الكبيرة بعلم المنطق لإدراك العلوم العالية"؛ حيث الحديث عن "العالمين" بالتطرق لأجرام وكواكب العالم العلوي والسفلي وأقسامها ومذهب القدماء والمحْدَثين واختلافهم فيها؛ لأن مسائل هذا الفن ظنية، والاختلاف في هذا التعليل كذلك، وربط العلوم الكونية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مع الإشارة إلى العوالم الإلهية الملائكية، وسَوْق الأدلة الشرعية على أخبار العوالم العلوية والسفلية.

وفي التنبيه الخامس عشر فوائد مستنبطة من سورة الفاتحة، ومنها التداخل والتمايز الحاصلان بين الرحمة والنقمة، وكذا خصائص الرحمة الإلهية وانتفاع المخلوق بها وعلاقتها بالتربية من خلال تكامل الرحمة والشدة، وبيان العلاقة بين الملك والقدرة، ووسطية الصراط المستقيم، وصفات الربوبية، ومميزات قِسْمَي الفاتحة وغير ذلك.

وفي السادس عشر اشتمال الفاتحة على الإشارة إلى ما ورد من علوم في القرآن الكريم وتعليل ذلك.

وفي السابع عشر: "المقارنة بين فاتحة الكتاب وفواتح البلغاء وأصحاب المعلقات"؛ فالوحي يولي الأهمية للأمور العامة ويتعالى عن الجزئيات ومحقرات المقاصد، بينما فواتح قصائد كبار الشعراء ورؤساء

صناعة البلاغة ونظم الكلام تركز على آثار الديار وفراق الأحبة وذكر السهر والخمر، ولا تخرج عن دائرة المداعبات الغرامية والأنات الشوقية وما إلى ذلك.

وفي الثامن عشر نسْخ مدح المحسنين والملوك بالفاتحة التي قرّرتْ اختصاصَ الحمدِ والعبادة بالله جلّ في علاه.

وفي التاسع عشر حكم الفاتحة في الصلاة ومذاهب العلماء الفقهية المختلفة فيها بأدلتها وحججها.

وفي العشرين والأخير أحكام التأمين الفقهية وأسراره من موافقة تأمين الملائكة ومغفرتِه الذنوبَ الصغائر، واختلفوا في الكبائر منها.

لذا كان هذا الكتاب بحق تفسيرا لغويا علميا إشاريا فقهيا.

المبحث الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه وقيمته العلمية

المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى مؤلفه

إن تأليف الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني لكتابه "تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام" مسألة واضحة وضوح الشمس في ضحاها؛ نظرا لما صرح به هو في أول صفحة من كتابه قائلا:

"... وبعد فيقول العبد الفقير الحقير الجاني أحمد بن محمد الرهوني التطواني: ... في مختصر لطيف سمَّيْتُه: تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام".

ويؤكد هذا عدة أمور هي:

- ذِكرُ كتابه هذا ضمن مصنفاته عند مَن ترجموا له كما سبق ذكره في مطلب: "آثاره العلمية" من المحور الثاني ص 52.

- قول تلميذه محمد داود: "... أما في هذه السنوات الأخيرة فقد قلتْ دروسُهُ واقتصر في الغالب على دروس التفسير والحديث، وخصوصا في الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان"[2].

- أن الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة الحسني التطواني -غفر الله له وجازاه خير الجزاء- أخبرني بمنزله بتطوان في 2 شوال 1423 أن الفقيه الرهوني كان لديه "مشروع" تفسير القرآن الكريم لكنه لم يكمله.

ومما كان يَعِدُ به المؤلف في بعض فصول مقدمة شرحه هذا لسورة الفاتحة ما يلي:

قوله في الفصل السادس في المكي والمدني من السور والآيات: "وسنبين ذلك إن شاء الله في محاله اللائقة به" ص 110.

وقوله في الفصل السابع في الحضري والسفري: "لخ [أي إلى آخره] مما يأتي أيضا إن شاء الله" ص 111.

---

[2] على رأس الأربعين 100/1، وكان الاقتصار على القرآن والحديث دراسة وتأليفا في آخر العمر من عادة أغلب علماء الإسلام رحم الله الجميع.

وقوله في الفصل الثالث عشر في معرفة أسباب النزول: "وسنبين ذلك بحول الله وقوته في محاله، والله القوي المعين" ص 115.

وقوله في الفصل السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سوره: "أما أسماء السور فستأتي إن شاء الله في كل سورة ...، وقد ذكر الآيات التي فيها هذه الأسماء، ثم ذكر وجه التسمية بكل واحد منها مما يأتي إن شاء الله في مواضعه اللائقة به" ص 125.

- أن الرهوني في كتابه هذا ينقل عن بعض شيوخه الذين أثبتناهم في مطلب: "دراسته وشيوخه" من ترجمته في مبحث سابق، وعلى رأسهم أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري (ت 1343) وذلك في ص 172 و270 و200، وهو عمدته في جل العلوم -إلى جانب شيخه محمد بن جعفر الكتاني-، كما نقل عن شيخه في طريقته الصوفية أحمد التجاني وذلك في ص 102 و250.

- أن خطه -المتوسط- الذي كتب به كتابه هذا هو نفس الخط الذي كتب به كتابه "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" مثلا.

- أن طريقة كتابته لمصنَّفه هذا هي نفس الطريقة التي كتب بها "عمدة الراوين"، من ذلك مثلا إثباته لسنوات وفاة الأعلام الوارد ذكرهم في كتاباته، وتركه لفراغات: الظاهر أنه كان ينوي تداركها بملئها بما يناسبها من معلومات.

المطلب الثاني: قيمة الكتاب وفائدته

تأليف الكتب صناعة وفن وعلم:

فهو **صناعة**؛ لأنه ألصق ما يكون بالجانب المادي العملي الحِرَفي المِهني:

ففي سورة الأنبياء -80-: (وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأسِكُمْ)، وفي سورة النمل -88-: (صُنْعَ اللهِ الذي أتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ).

وفي اللسان - صنع-: "صَنَعَه ...: عمِله ...، والصِّناعة: حرفة الصانع، وعمَلُهُ: الصَّنعة، والصناعة: ما تستصنع من أمر ...، ورجل صَنيع اليدين وصِنْع اليدين - بكسر الصاد-: أي صانع حاذق".

وكانت حرفة الوراقة من وظيفة كثير من العلماء قديما حيث كان انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها تقوم مقام الطباعة في عصرنا اليوم؛ وقد ترجم ياقوت الحموي -الذي كان ورّاقا- لكثير ممن احترف هذه الوظيفة في كتابه "معجم الأدباء"[3].

وعليه فمرتكز الصناعة الحذق والإتقان، وغايتها الانتفاع.

وهو **فنّ**[4]؛ لأنه ألصق ما يكون بالمنحى الشكلي الجمالي، والإسلام اهتم بالشكل اهتمامه بالمضمون؛ لأن الشكل مسوق لخدمة المضمون والمبنى بريد المعنى والمَظهر دالّ على المَخْبَر والظاهر وعاء الباطن، والأدلة على ذلك كثيرة متعددة تتجلى مثلا في الأحكام الشرعية المتعلقة باللباس وأحكام الطهارة البدنية والأحكام المتعلقة بأشكال الجلوس والوقوف والمشي وإقامة الصفوف وإلقاء التحية والآداب العامة والخاصة في شتى ضروب العبادات الفرْضية منها والنفلية التي أرْشدَتْ إليها نصوص القرآن والسنة.

والفن مرتكزه ضبط الشكل وتهذيبه، وغايته ترويح القلب وصقل العقل وصفاء الباطن.

---

[3] وهو في عشرين جزءا قال في مقدمته: "... وجمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليّ مِن أخبار النحويين واللغويين والنّسّابين والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين **والوراقين المعروفين والكتّاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعيّنة** وكل مَن صنّف في الأدب تصنيفا أو جمع في فنه تأليفا ..." 48/1 و49.
هذا وقد خصص ابن النديم "الفن الأول من المقالة الأولى في وصف لغات الأمم من العرب والعجم **ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها**" في الفهرست ص6- 32.

[4] رجل مِفنّ: يأتي بالعجائب، وامرأة مِفنّة. والفنَنُ: الغصن المستقيم طولا وعرضا.
وفي قوله تعالى: (ذواتا أفنان) -الرحمن 48- فسره ابن عباس وغيره: ذواتا ألوان من الفاكهة، وقال مجاهد: الأفنان الأغصان. والواحد منها: فنّ وفنَن.
وفي الحديث المرفوع: "يُحشَرُ الناسُ ما بين السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين، في خلق آدم وحُسْن يوسف وقلب أيوب، مكحّلين ذوي أفانين" أي أولي شعور وجُمَم، شبَّه الخصلة من الشعر هنا بالغصن. انظر اللسان: فنن، وتفسير القرطبي 116/17.
والحديث أخرجه الطبراني عن المقدام بن الأسود مرفوعا في المعجم الكبير 604- 256/20، قال في مجمع الزوائد: كتاب البعث، باب كيف يحشر الناس 334/10: "رواه الطبراني وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف، وفيه توثيق لين".

وهو **علم**؛ لأنه ألصق ما يكون بالمجال المعنوي، فهو قوام الحياة: (وَعَلَّمَ آدَمَ الاسْماءَ كُلَّها)[5].

وهو السبيل الأوحد لعقل الأمور: ﴿وَتِلكَ الاَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلا الْعالِمونَ﴾[6].

والمؤدي إلى ارتقاء الدرجات: ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَن نشاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذي علم عَليم﴾[7]، ﴿يَرْفَعِ اللّهُ الذينَ آمَنوا منكُمْ وَالذينَ أوتوا العلمَ دَرَجاتٍ﴾[8]، وحتى غير الإنسان - من الطيور والحيوانات- يصبح لها شأن وتترتب على تصرفاتها أحكام شرعية بفعل العلم والتعليم: ﴿قُلْ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَما عَلَّمْتُم منَ الجَوارِحِ مُكَلِّبينَ تُعَلِّمونَهُنَّ مِمّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ، فَكُلوا مِمّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُروا اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ﴾[9].

والمُحصِّل لخشية الله جل وعلا: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ﴾[10]؛ فالخشية "تكون مِن عِظم المَخْشِيّ وإن كان الخاشي قويا، فهي خَوف يَشوبه تعظيم، والخوف مِن ضعف الخائف وإن كان المَخوفُ أمرا يسيرا"[11]

وهو الموصل إلى الحق والنجاة والفلاح: ﴿وَأوتينا العِلمَ مِن قَبْلِها وَكُنّا مُسْلِمينَ﴾[12].

ومرتكز العلم الخبرُ الصادق والقلبُ السليم، وغايته سعادة الدارَيْن.

وهذه الثلاثة - الصناعة والفن والعلم- متناسقة متكاملة.

هذا وقيمة التأليف تقاس بالمادة العلمية المكوِّنة للكتاب، وبالمنهج المتبع في سرد معلوماته، والأغراض والمقاصد التي يَتوخّى المؤلف

---

[5] سورة البقرة الآية 30.
[6] سورة العنكبوت الآية 43.
[7] سورة يوسف الآية 76.
[8] سورة المجادلة الآية 11.
[9] سورة المائدة الآية 5.
[10] سورة فاطر الآية 28.
[11] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص 204.
[12] سورة النمل الآية 42.

الوصولَ إليها من خلال تأليفه، وهذا ما سنفصل الحديث عنه بحول الله وقوته في المبحث الآتي عن منهج الكتاب:

فبالنسبة **لمادة الكتاب العلمية** فهي تتنوع عموما بتنوع مجالات الحياة وحسب اختلاف وتعدد حاجيات الإنسان.

وفيما يخص **كتاب أبي العباس الرهوني** هذا فالذي يُكسبُه مكانة وقيمة هامتين أن مادته العلمية في مجال المواعظ والأحكام[13] المتعلقة بكلام ربّ الأرباب من قريب ومن بعيد، الموضِّحة شمولية الخطاب الرباني لجميع مجالات حياة الإنسان.

ومادة الكتاب العلمية الموظفة في مجالي الوعظ والاستنباط منها:

- ما يهتم بالجانب العلمي النظري التأصيلي التقعيدي، وخصوصا علوم القرآن المشتملة على قواعد التفسير وأصوله التي لابد منها في عملية تفسير كتاب الله تعالى والتي أولاها العلماء عناية خاصة وأفردوها بالتأليف والتصنيف، والنظرُ التأصيلي التقعيدي يدل على خبرة صاحبه وتمكنه من ناصية العلم بإلمامه بجزئيات الأمور وفروعها وردّها إلى كلياتها وأصولها، وهذه أعلى درجة يمكن الوصول إليها؛ ولهذا عزّ وجود الخبراء في عموم الناس، قال تعالى: ﴿ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[14] ﴿فاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾[15].

---

[13] ورد الحديث عن الموعظة بتصاريفها في القرآن المجيد 25 مرة، والقرآن موعظة للناس جميعهم مَن التزم منهم بتعاليمها وإرشاداتها شُفِيَ وهُدِيَ ورُحِمَ: (يا أيُّها النّاسُ قَدْ جاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن ربِّكُمْ وَشِفاءٌ لِمَا في الصُّدور، وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمومِنينَ) يونس 57، وكذلك: (وَلَوْأَنَّهُمْ فَعَلوا ما يوعَظونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثبيتاً، وَإذاً لآتَيْناهُم مِن لدُنَّا أجْراً عَظيماً، وَلَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقيماً) النساء 65- 67.

أما الأحكام فمنها العقدية والخلقية والعملية، أو هي أحكام العبادات وأحكام المعاملات، والقرآن مليء بها كلها والسنة مبيِّنة لها، والعلماء هم المؤهلون لاستنباطها وتبيينها للناس: (وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسولِ وَإلى أولي الامْرِ مِنْهُمْ لعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنبِطونَهُ مِنْهُم) النساء 83؛ فالله تعالى يقول: (لِكُلّ جَعَلْنا مِنكُمْ شِرْعة وَمِنْهاجاً) المائدة 48، وأمَرَ رسولَهُ قُدوَتَنَا بقوله: (ثمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَريعَةٍ مِنَ الامْرِ فَاتَّبِعْها) الجاثية 18.

[14] فاطر 14.

[15] الفرقان 59.

- ومنها ما يهتم بالجانب العملي التطبيقي التجزيئي التفريعي الممثل في كشف معاني وخبايا وأسرار كتاب الله العزيز الذي (لا ياتيهِ الباطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلفِهِ)[16]، والذي لم يفرِّطْ من شؤون الخلق جميعا من شيء[17]، والذي طبيعته أنه تبيان لكل شيء[18].

فالحياة جزئيات وتفاصيل وتفريعات ولابد من الاهتمام بها كلها وإلا تاه الإنسان وضل إن لم يتوفر على الشرعة والمنهاج المدققيْن في تفاصيل حياته بعدل وإحسان، إذ الجبل مكوَّن من الحصى، ولأن الجزئيات بانضمام بعضها إلى بعض تصبح كليات والإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر والعياذ بالله.

هذا وما جُعل النظري إلا لأجل التطبيقي؛ فالعلم يراد منه العمل وفي هذا تحقيق للكمال الإنساني، وما غاية التدريب والتعليم والتمرين في الحياة كلها إلا التطبيق وممارسة المهن العملية والصناعات المختلفة وما إلى ذلك، وإلا أصبحت جميع المؤسسات لغوا باطلا.

- ومنها ما يهتم بالجانب الظاهري من علومنا الممثل في اللسان العربي المبين[19] الذي يعدّ من مرتكزات مقوماتنا وهوّيتنا وهو الترجمانُ عن ذاتنا ووجهتنا وأداةُ تواصلنا وتوحيدنا[20]، بل اللسان العربي الذي أنزل

---

[16] سورة فصلت الآية 41.

[17] (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام 39.

[18] (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين) النحل 89.

[19] (وإنَّهُ لتَنزيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الامينُ عَلى قلبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنذِرينَ، بِلِسانٍ عَرَبيّ مُبينٍ) الشعراء 192- 195.

[20] إن الدول والأمم التي تحترم نفسها لا تنفتح في برامجها التعليمية والتربوية على لغات غيرها من الأمم إلا بعد ضبط أبنائها للغة بلدهم وأصالة قومهم، ولم يحارب الاستعمار البغيض - وإلى اليوم- برامج "القرويين" اعتباطا؛ تلك القرويين التي كان يُطلِقُ عليها الأجانبُ عباراتٍ مثل "السوربون المغربية"، مهّد الاستعمار للقضاء عليها بإطلاق نعوت قدحية لها مثل وصْفِ الماريشال ليوطي لها بأنها "البيت المظلم" ووَصْفِ آخَرَ لمدينتها فاس بأنها "المدينة المجرمة"، وأجهز عليها بفرض "إصلاحات" منذ بداية عهد ما سمِّي بالحماية سنة 1330هـ 1912م، وبالضبط في عهد المولى يوسف، ومن تلك "الإصلاحات" محاولة تخفيض عدد العلماء إلى اثني عشر من مجموع ما يناهز السبعين عالما آنذاك، بعد أن كانوا مائتي عالم -قادوا حركة التمرد على توقيع الحماية- وقت اقتحام الجيش الفرنسي لمدينة فاس وتسببه في الأحداث الدامية لمدة ثلاثة أيام في عهد المولى عبد الحفيظ.
ومن ضمنها إنشاء المجلس العلمي الذي **فرض** فيه المستعمر أن يكون رئيسه **بالتعيين** -لا بالانتخاب كما اقترحه العلماء-؛ فكان أول مجلس علمي تحت رئاسة محمد الحجوي بالتعيين في جمادى = =

الله به القرآن هو السبيل الوحيد لعقلنا الأشياءَ مطلق الأشياء، قال تعالى: ﴿الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ،إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[21] ﴿حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ،إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[22].

والمؤلف اهتم بشكل لافت للنظر بمباحث اللسان العربي المعجمية والتركيبية والبلاغية؛ ذلك أن هذا من عادة علمائنا ومن طبيعة الاشتغال بكتاب ربنا، ويتأكد هذا الاهتمام خصوصا إذا علمنا أن أصل المغاربة بربر اختاروا الإسلام عن طواعية بترحيبهم بالمولى إدريس الأول، فهم أحوج ما يكونون إلى ضبط لغة القرآن إذ هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من عجمتهم ولفهمهم عن الله خطابه لخلقه.

- ومنها ما يهتم بالجانب الباطني من علومنا الممثل في مقاصد القرآن مِن سَوْق عباراته وجمله وقصصه وحكاياته، فإذا كان هدف اللسان العربي التفهم لمعنى القرآن، فإن هدف علم المقاصد والإشارات التعبد بمقتضى كلام الله الخبير؛ إذ لا يمكن ألبتة الاستغناء بأحدهما عن الآخر، فلا يستقيم أحدهما إلا بضبط الآخر، بل الأول منهما مسوق لأجل تحصيل الثاني، فتعلُّمُ معاني القرآن "هو المقصود الأول بتعليم حروفه"[23].

وأهمية علم باطن الشرع الحنيف تتجلى في كل ما يمكن جَنيُهُ من ثمار الشريعة واستجلابُه مِن دُرَرها واستحلابُه مِن دِرَرها، وذلك فيما يتعلق إما بحل مشكل أو تحسين عيش إلى غيرهما مما يسهم في تقويم حياة الإنسان مطلق الإنسان.

وبالنسبة **للمنهج** فتنوُّعُهُ عموما خاضع لطبيعةِ التأليف وغايتِه: ذلك أن منهج الشرح والتفصيل غير منهج الاختصار والتركيز، وغير منهج

= = الآخرة سنة 1332هـ ماي 1914م، وبحضور المقيم "مارسي" والقبطان "ميلي" في جلسته الافتتاحية التي كانت تحت رئاسة الخليفة السلطاني محمد المهدي شقيق السلطان المولى يوسف.
ومن ضمنها تأسيس "مجلس أعلى" بالرباط تحت رئاسة المولى يوسف تُناطُ به شؤون القرويين.
ومن ضمنها إنشاء مجلس لتأديب العلماء والطلبة صدر في ظهير مؤرَّخ في 15 المحرم 1352هـ 10 ماي 1933م في عهد محمد الخامس. انظر جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس 742/3- 745 و758.

[21] سورة يوسف 1 و2.

[22] سورة الزخرف 1 و2.

[23] الفتاوى 403/13.

الوصف والحكاية، وغير منهج التقويم والنقد والتصحيح، وغير منهج الجدل والمناظرة وهكذا.

وبين المادة العلمية والطريقة المصوغة بها تأثيرٌ وتأثرٌ؛ فالمنهج عمل عقلي لوضع المعلومات المناسبة في المقام المناسب وفقَ الغرض المناسب، وعلومُ الشرع لا يُخاطَبُ بها إلا المكلف العاقل، وبعقلِ المكلفِ للخطاب الشرعي تصير تلك العلوم واقعا بين الناس، وقد اختلفت الزوايا والجهات التي نظر من خلالها المكلفون العقلاء لعلوم الشرع الحنيف، مما جعل أبا العباس الرهوني يفطن لهذا ويستحضر المناهج المتعددة في شأن كتاب الله العزيز التي جمعتها علوم الظاهر والباطن ليصوغ مادته التفسيرية لكلام رب العالمين، وأكثر أمور الشرع يختلف اختلافَ تنوع وتخصص لا اختلافَ تضادّ وتنافر، ولا يُلجَأ مثلا إلى الترجيح حالة التعارض إلا إذا تعذر الجمع بين الأدلة ومختلف الأقوال، وهذه مكانة لا تنبغي إلا لجهابذة العلماء العارفين.

أما **أغراضه ومقاصده** فهي عموما على "سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي:

إما شيء لم يُسبَق إليه فيخترعه.

أو شيء ناقص يتمِّمه.

أو شيء مغلق يشرحه.

أو شيء طويل **يختصره**[24] دون أن يُخِلّ بشيء من معانيه.

---

[24] "الإيجاز: وهو تجريد المعنى من غير رعاية للفظ الأصل بلفظ يسير.

... الاختصار: تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنى" موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للأزهري ص161.

"والاختصار معناه: ضمّ بعض الشيء إلى بعض بقصد الإيجاز، والغرضُ منه: إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة. قال النووي: اختلفت عبارات الفقهاء في معنى المختصر، فقال الإسفراييني: حقيقة الاختصار ضمّ بعض الشيء إلى بعض، ومعناه عند الفقهاء: ردّ الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير، وقيل: هو إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى، وقال خليل: هو ما دلّ قليله على كثيره، وسمّي اختصارا لاجتماعه ودقته، وفي اللسان: اختصار الكلام إيجازه، والاختصار في الكلام: أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى" محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي لعمر الجيدي ص 131 و132.

= =

أو شيء متفرِّق يجمعه.

أو شيء مختلط يرتبه.

أو شيء أخطأ فيه مصنِّفُه فيصلحه"[25].

وكتاب الرهوني هذا يندرج ضمن قسم المختصرات، وقد صرح هو بنفسه بهذا في مقدمة كتابه حين قال:

"لما عزمتُ على المذاكرة مع الإخوان في الله في محكم آيات كتاب الله، واجتمعتْ عندي عدّةٌ من تفاسير الأئمة الأعلام، تشوَّفتُ **لتلخيص** ما يمكن منها في مختصر لطيف سميته: تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام".

وقد **أخبرني الشيخ بوخبزة** في 2 شوال 1423 بمنزله بتطوان، أنه كان من عادة الفقيه الرهوني إذا أنهى تدريس كتاب ما -في أي فن من الفنون- أن يعمد إلى اختصاره، والشيخ بوخبزة المذكور كان من الذين يترددون على دروس الرهوني بالمسجد الجامع بحومة العيون بتطوان كما أخبرني هو بذلك أيضا.

ويمكنني القول: إن قيمة المختصَر تتجلى في المقصد المسوق له **أصالة** وهو تيسير مادة الكتاب -أو الكتب- المدروسة لدى طلاب العلم، وذلك من خلال اختصار عباراتها دون الإخلال بمعانيها، حتى إذا ما رَجَعَ إليها الطالبُ تذكَّرَ بذاك المختصر كلَّ ما درسه من علوم في ذلك الكتاب على يد شيخه، قال الرهوني في كتابه هذا - ص 46- بعدما سرد أحد عشر قولا في تأويل الأحرف السبعة: "انظر بقية الأقوال [أي الأربعين] في الإتقان [للسيوطي] وما قيل فيها".

وبعد اختصاره لما ورد من أدلة على عدم قرآنية البسملة في "حاشية أحمد ابن الخياط على شرح محمد الفاسي لنظم ألقاب الحديث" قال في ص 120: "فانظر بسط ذلك في الحاشية المذكورة تقف على الحق ببرهانه".

= = وفيه أيضا: "ولعل أول مَن تصدى لاختصار المؤلفات الفقهية هو الفقيه أبو محمد عبد الله ابن عبد الحكم المصري (ت214/829) الذي اختصر كتب أشهب، ومن هذا التاريخ بدأت فكرة المختصرات تلوح في الأفق".

[25] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - المقدمة- 35/1.

فالمختصرات[26] "تُجعَل **تذكرة لرؤوس المسائل** ينتفع بها المُنتهي للاستحضار، وربما أفادت بعضَ المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة"[27].

وهذا يُجَلي لنا جانبا من جوانب المنهج المتبع لدى علماء الإسلام في تدريس الطلاب العلومَ الشرعية، والمتمثل في المتابعة التربوية والتلقينية بهدف تعميق استيعاب المباحث العلمية لدى التلاميذ ليصبحوا خير خلف لخير سلف.

ولاختصار الكتب فوائد[28] -تأتي **تبعا** لا قصدا- منها:

- حفظ أصول المصنفات التي يَضيع أكثرُها بشتى عوامل الضياع، وأغلب العلماء يعتمدون في تآليفهم على عشرات بل مئات المصنفات المتنوعة، فمثلا مما اعتمده الرهوني في مختصره هذا تفسير: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وهو غير مفقود طبعا، قال الثعالبي في مقدمته: "فإني جمعتُ لنفسي ولك في هذا **المختصر** ... المهمَّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدتُه فوائدَ جمّة مِن غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة...، وذلك قريب من مائة تأليف".

وكذلك إتقان السيوطي النقالة الجمّاعة قال في مقدمته -1/7 و8-: "وغالب هذه الأنواع [أي أنواع علوم القرآن] فيها تصانيف مفردة وقفتُ

---

[26] وهي الصنف الأول من بين أصناف المدوَّنات المنحصرة "من جهة المقدار في ثلاثة أصناف: الأول مختصرات ...، والثاني: مبسوطات تقابل المختصر؛ وهذه يُنتفع بها للمطالعة، والثالث: متوسطات؛ وهذه نفعها عام" كشف الظنون 35/1.

[27] المرجع السابق.

[28] "الاختصار في هذه المرحلة [أي أوائل القرن الثالث الهجري] له طابع خاص يختلف شكلا ومضمونا عما آل إليه الوضع في **العصور المتأخرة**: على أن الاهتمام بهذه الظاهرة ما لبث أن تطوّر مع مرور الزمان نتيجة تقاعس الهمم عن تحصيل المبسوطات والتعامل مع المطوَّلات من جهة، وقصور الفقهاء عن الابتكار والإبداع من جهة ثانية، حتى إذا أزفت مرحلة إغلاق باب الاجتهاد ازدادت سوءا بحيث ركن الناس إلى الخمول الفكري واقتصروا على ما وجدوه مدوَّنا لدى الأقدمين مكتفين به ...، كان من الطبيعي أن يظهر في الناس بعضُ المتنوِّرين يتصدَّون لنقد هذه الطريقة والتنديد بهذا المنهج العقيم، ينقصون من قيمة هذه المختصرات ويحذرون من الاعتماد عليها ... ويصدّون الطلبة عن قراءة المختصرات الصعبة، وكان أول مَن تصدّى لنقد هذا المنهج: الحافظ أبو بكر ابن العربي ... والفقيه المحدث عبد الحق الإشبيلي ... والفقيه اليزناسي... وأبو عبد الله المقري... وشيخه الآبلي... وأبو إسحاق الشاطبي... وأبو العباس القباب الفاسي... والمؤرخ ابن خلدون" محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ص 131- 134.

على كثير منها، ومن المصنفات في مثل هذا النمط ...، وهذه أسماء الكتب التي نظرتُها على هذا الكتاب و**لخّصتُه** منها:

فمن الكتب النقلية ...، ومن جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى، ومن كتب القراءات وتعلقات الأداء ...، ومن كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب ...، ومن كتب الأحكام وتعلقاتها ...، ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة ...، ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع ...، ومن كتب الرسم ...، ومن الكتب الجامعةِ ...، ومن تفاسير غير المحدِّثين ..."، ومثل هذيْن النموذجيْن كثير متعدد.

- التنبيه على أصول المصنفات بواسطة المختصرات الدالة عليها، فكم من مصنَّف بُعِث من جديد لمّا اطُّلِعَ على مختصر له، فبُحِث عنه وأُخْرِجَ محققا مكشّفا مدروسا.

- تعديد نسخ الكتب -ولو بالاختصار-، خصوصا قبل اكتشاف الطباعة وتطوُّر مجال النسخ، وذلك لتعميم الفائدة وتقريب العلم من عموم الناس.

وعلى الرغم من ذلك الاكتشاف وهذا التطور فنحن نعاني مرّاتٍ للعثور على كتاب ما مخطوطا كان أم مطبوعا !.

- الاستفادة الحاصلة للعالِم الذي يقوم بعملية الاختصار؛ إذ تتوسع معارفه وتترسخ علومه ويُلِمّ بشتى أصناف العلوم والفنون، قال في كشف الظنون -38/1- وهو يتحدث عن أقسام المصنِّفين وأحوالهم:

"... ومنهم مَن جمع وصنَّف للاستفادة لا للإفادة فلا حجر عليه، بل يُرغبُ إليه إذا تأهَّل".

المحور الثاني: عن المؤلِّف[29]

المبحث الأول: أبو العباس الرهوني الإنسان

المطلب الأول: نسبه ونشأته

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن النجار الرهوني التطواني، والدته هي السيدة آمنة بنت عبد الله مامي التطواني.

أصل عائلته من مدشر "اغبالو" أحد مداشر قبيلة الأخماس السفلى حول مدينة شفشاون، تبعد عن تطوان بنحو 60 كلم، كانوا يُدعَوْن ببني النجار.

أما *نسبتهم الرهونية*:

فقد رحل أحد أجداده -وكان فقيها- إلى قبيلة "رهونة" وطال مقامه بها حيث شارط في أحد مساجدها، فلما رجع إلى قبيلته قالوا له: الفقيه الرهوني، وكان هذا في القرن الثاني عشر الهجري؛ ولذلك تُنوسِيَ لقبهم الأول.

لذا لا صلة لمؤلفنا بالرهوني مُحَشّي خليل لا في المنشإ ولا في النسب؛ فهذا من قبيلة "رهونة" قرب وزان، وتوفي سنة 1230 رحمه الله تعالى[30].

---

[29] انظر: "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" للرهوني -صاحب الترجمة- بتحقيق د جعفر ابن الحاج السلمي 1/16- 30.
ونسخة أخرى منه مخطوطة -الجزء التاسع والعاشر- في بعض المكتبات الخاصة.
و"على رأس الأربعين" لمحمد داود -تلميذ الرهوني- 1/98- 110.
و"تاريخ تطوان" له أيضا 1/50- 60.
و"الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (1331- 1376هـ/ 1912- 1956م" لإدريس خليفة 2/519- 536.
و"الأعلام" للزركلي 1/253.

[30] بل إن مؤلفنا يَعتمِد عليه ويَستدِلّ به كما ورد في كتابه "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" المخطوط 10/84: = =

والسيد الحسن الرهوني -جد المؤلف- ولد بقبيلة الأخماس ثم انتقل إلى مدينة شفشاون حيث تزوج من أهلها فولد له بها السيد محمد *والد المؤلف*، والسيد محمد هذا -الذي كان يشتغل بالتجارة في الصوف وغيرها، وكان صالحا ذاكرا *متبعا لطريقة الشيخ محمد ابن عيسى الصوفية*- انتقل من شفشاون إلى تطوان وتزوج من أهلها ليولد له بها الفقيه المؤلف رحم الله الجميع.

ولد الفقيه أبو العباس بتطوان زوال يوم الأربعاء 18 جمادى الأولى سنة 1288 (غشت 1871م)، وذلك في أواخر عهد السلطان المولى محمد ابن عبد الرحمن (1859- 1873م)، أي بعد أزيد من سبع سنوات من عودة أهل تطوان إلى بلدهم عقب جلائهم عنها بسبب الحرب المغربية الإسبانية (1859- 1861م)، وترعرع في عهد السلطان المولى الحسن (1873- 1894م).

لم يحدثنا أبو العباس الرهوني عن طفولته وشبابه، والظاهر أنه عاش حياة مستقرة في كنف والِدَيْن صالِحَيْن يَرْعَيانِه، وكان نجيبا في دراسته مُقبلا عليها.

للفقيه الرهوني أخوان شقيقان أصغر منه سنا هما: الحاج عبد السلام وهو الأوسط، والحاج محمد وهو أصغر الإخوة وصهر محمد داود تلميذ الرهوني، ولهم أخت واحدة هي والدة الفقيه العدل محمد طنانة.

تزوج الرهوني لما كان عدلا في ديوانة تطوان سنة 1317 (=1900م) بالسيدة أم كلثوم بنت الحاج العربي مارتيل، وهي زوجته الوحيدة وأم جميع أولاده.

وللفقيه ولد واحد هو الحاج أحمد -كان أمينا بديوانة تطوان-، وعدة إناث إحداهن زوجة الفقيه أحمد اللواجري، وأخرى زوجة الفقيه العدل محمد العطيطار، وأخرى زوجة السيد محمد الصردو.

= ="... ومن ديباجة حاشية **العلامة الرهوني** (ت 1230) على الزرقاني (ت 1099) بعد ذكره فضل العلم وأنه مقرون بالعمل والإخلاص ما نص المراد منه: بشارة للضعفاء مثلي ...".

المطلب الثاني: شخصيته ومكانته

قال محمد داود: "مِن أظهر أوصاف الفقيه الرهوني **السرعة والاندفاع والطموح** ...، يطالع كثيرا ليزداد معرفة واطلاعا ...، فهمَّتُه عليا تأبى الوقوف عند حد محدود، وذلك هو السر في مغامراته التي تنجح أحيانا وتفشل أخرى.

وهو **جريء** لا يتردد في أعماله وأحكامه ...، وقلما يقرأ حسابا للعواقب، وربما لحقته بسبب ذلك إذايات... .

وفي الفقيه **كرم وسخاء** يصل أحيانا إلى حد الإسراف، وهو **شديد الحب لآل البيت** ...، ولو كان الفقيه مقتصدا لجمع ثروة عظيمة... .

ومن أخلاقه ... **الحِلم وصفاء القلب**[31]، ولقد طالما رأيناه لا يعفو فقط عمن يسيء إليه، بل ينسى الإساءة ويقابل صاحبها بالإحسان... .

وهو **متواضع** ... فأكله عادي ولباسه بسيط ...، كانت له بغلة لازم ركوبها حتى ماتت، وربما ركب الحمار إذا لم يجد مركوبا غيره.

ومن أوصافه **سرعة فهمه وحِدَّة ذهنه وقوة ذاكرته**... .

ومنها **جلده وصبره** على العمل المتوالي:

فمثلا في سنة 1338 كان وزيرا للعدلية وكان يؤلف كتابه "شرح الزقاقية"، ومع ذلك كان يلقي دروسا أربعة في كل يوم ...، وكنتُ أحضر تلك الدروس كلها ...، بل كان في بعض الأحيان يلقي خمسة دروس في

---

[31] "وله اعتقاد كبير في أهل الخير والصلاح، وربما ظن الخير فيمن لا حظَّ له فيه، وربما اعتقد الصلاح في أشخاص يعتقد الناس فيهم خلاف ذلك، وربما بالغ في أوصاف يطلقها بدون حساب على أناس يرى غيرُه أنهم لا يستحقونها، وذلك ما يَعُدّه بعضهم ناحية ضعف في الفقيه" على رأس الأربعين 108/1.

وفي تاريخ تطوان لمحمد داود 159/19: "أما شيخنا أبو العباس الرهوني رحمه الله فكان له اعتقاد كبير في الشيوخ والأولياء والصالحين، وبذلك كان يندفع اندفاعا يكاد يكون غير محدود في احترامهم وتعظيمهم والثناء عليهم".

وقد أورد تقي الدين الهلالي في "كتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة" بعضا من هذا كما سياتي في المطلب الرابع: ابتلاؤه ومحنته.

أقول: هذا من ثمار تربيته الصوفية التي ترى أن النظر إلى الخلق يكون "بعين الوجود لا بعين الحكم والقضاء"، كما ورد في قسم التحقيق ص 133 حيث علقتُ عليه هناك بما مفاده أن جهتي "الوجود والحكم متكاملتان غير متنافرتين".

اليوم ...، زيادة على أعماله في الوزارة واشتغاله بتأليف كتابه في تاريخ تطوان"[32].

والرهوني **"لم يكن غافلا تماما عما كان يجري في العالم من نهضة،** ولاسيما في المشرق وأوروبا، ولا عما كان يجري من تحول فكري وطني دستوري في فاس يمثله رجال الزاوية الكتانية، وفي طنجة وتمثله الصحافة الوطنية.

بيد أنه **اختار أن يكون مثقف المخزن** لا مثقف الحزب الوطني، على الرغم من علاقته الموطدة بالزاوية الكتانية وبرجالها ...، خدم المخزن وزيرا، وهادن الدولة الإسبانية الحامية وجاملها في كتاباته ومواقفه، وسكت عن الحركة الوطنية المغربية البدوية والحضرية، وإن كانت علاقته بالزعيم الأستاذ عبد الخالق الطريس ظلت دائما طيبة... .

بيد أنه **لم يخلُ من الدعوة إلى الإصلاح** - كما تشهد كتاباته- إصلاحِ الفلاحة والتعليم، وإلى التقنيات المعاصرة في الصناعة، وإلى ترك بعض البدع في الدين والعادات الاجتماعية[33]، لكنه **لم يكن صاحب مشروع واسع** للنهضة والإصلاح[34]"[35].

أما فيما يتعلق *بمكانته وقيمته الخُلقية والعلمية* فتظهر جلية واضحة من خلال مباحث هذه الترجمة، وخصوصا دراسته وإجازة الشيوخ له وآثاره العلمية ووظائفه.

---

[32] على رأس الأربعين 105/1 و106.

[33] "كانت للفقيه مواقف شريفة في محاربة البدع التي كانت معهودة لدى بعض المنتسبين لبعض الطرق الصوفية، فهو أول من جاهر من العلماء بإنكار شذخ الرؤوس وأكل الهوام واللحوم النيئة وتخصيص الليالي للرقص والشطح واستحضار الجان والتدجيل بذلك على المرضى المغفلين، وكذلك كان ينكر اجتماع الأحداث والنساء على حلق الآلة والسماع والذكر في الزوايا، وغير ذلك من المنكرات ..." على رأس الأربعين 108/1.

[34] بل ما قدمه في هذا المجال كان خدمة للاستعمار، يقول تلميذه محمد داود:
"إن الفقيه قد وضع قوانين ونظامات ومهّد السبيل لمشاريع وإصلاحات، وقدّم للحكومتين [أي الفرنسية والإسبانية] خدمات قابلها المستعمرون بما لا يخرج عن عادتهم [أي النكران والعزل]" على رأس الأربعين 109/1.
أقول: الحديث عن هذه المسألة من الأمور النسبية الإضافية؛ فالرهوني من بين ما تقلده من مناصب منصب رئاسة اللجنة الرسمية لإصلاح التعليم الإسلامي - كما سياتي في وظائفه-، ثم هل يمكننا الحديث بارتياح عن "مشروع واسع للنهضة والإصلاح" في ظل الاستعمار والتبعية والاستبداد والفتن والحروب وضيق العيش!؟

[35] عمدة الراوين المحقق 25/1.

المطلب الرابع: ابتلاؤه ومحنته

مما ابتُلي به الفقيه الرهوني أنه عُزل من مهامّه مرارا:

فكان عزله من وظيف وزارة العدلية في محرم 1342- غشت 1923، قبل وفاة المولى المهدي بن إسماعيل العلوي بشهرين، وذلك "عقب خطبة ألقاها بجامع الباشا[45]؛ فاتّهَمَتْهُ السلطة الإسبانية بأنه تعرض فيها للسياسة ودعا المسلمين فيها إلى الجهاد لإعادة مجد الإسلام؛ فعُزل من وظيف الوزارة، وحملت عليه بعض الجرائد الإسبانية حملات شعواء حتى **طالب بعضها بإعدامه**، وكان ذلك أيام الحرب الريفية"[46] زمن الخطابي الذي كان في غاية بأسه.

بيد أن هذه المحنة لم تدم طويلا؛ ففي "فاتح ذي الحجة 1342- 1924 قلد وظيف قاضي القضاة، وفي محرم 1343 زيد أيضا وظيف قاضي عاصمة تطوان.

وفي سنة 1345- 1926 أُخِّرَ عن وظيف القضاء بتطوان، ثم أخر عن وظيف قاضي القضاة في ربيع الثاني 1353- 1934"[47]، وهذا العزل له ناتج عن غضب الخليفة المولى الحسن بن المهدي عليه كما مر بنا في مسألة: "وظائفه ومهامه" في المطلب السابق.

عزل الرهوني وظل خاوي الوفاض؛ لأن سخاءه وأخلاقه لم تكن لتسمح له بتسخير مكانته الوظيفية لتكديس الأموال، مما جعل محبّيه وتلاميذه ينتقدون عزله حتى كتب تلميذه محمد داود في مجلة السلام قائلا:

"من الواجب علينا أن نصرح بأن شخصا كالعلامة الرهوني في علمه الغزير ونباهته الممتازة؛ لمِنَ الخسارة الكبرى لهذه المنطقة بقاؤه منزويا في بستانه، ومن الواجب -إن كان لا يزال في الدنيا إنصاف وعدل- أن

---

[45] "ألقاها بتطوان في موضوع الجهاد عام 1342هـ- 1923م ...، فقررت إعفاءه من منصبه وفرضت عليه الإقامة الإجبارية في بيته ...، وهكذا يبدو أن هذا الفقيه - الذي عمل في الدوائر الحكومية ومارس أعمالا إدارية وتدخّل لدى الدوائر الاستعمارية- كان يحب وطنه ويغار عليه ..." الحركة العلمية والثقافية بتطوان 524/2.

[46] على رأس الأربعين 104/1.

[47] على رأس الأربعين 104/1.

يُستغلّ علمُ الشيخ ومقدرته: إما بوظيف شريف يناسب مقامه، وإما بالتدريس للعموم، فتنتفع به الأمة وترتوي من علمه الفياض.

وإننا بهذه المناسبة نُبْدي كامل استيائنا من إهمال الموظفين المسلمين البؤساء، وعدم وجود قانون يحمي حقوقهم.

ونصرح بأن من العار الكبير على أية حكومة أن يخدمها امرؤ نيفا وعشرين سنة ثم يكون جزاؤه العزل بدون إبداء سبب ولا دفع معاش حتى إنه لولا علوّ في الهمّة وعزّة في النفس لأصبح يتسوّل لِيقوتَ نفسه وعياله.

ويا لعظيم الأسف! فهل هكذا ستكون نهاية كل من يترك أعماله الحرة ويتقدم لخدمة الحكومة؟"[48].

بسبب هذه الانتقادات تداركت الحكومة موقفها من الفقيه الرهوني؛ فأسندت إليه وظيفة شيخ العلوم في 1353- نوفمبر 1934.

وفي محرم 1355- أبريل 1936 عيِّن مفتشا للتعليم الإسلامي، ثم رئيسا للمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي في شوال 1355- يناير 1937.

وفي نفس الشهر والسنة عيَّنه الإسبان -بتوسّط الخليفة نفسه- رئيسا للوفد الرسمي للمنطقة الخليفية للحج، وذلك **استرضاء للمغاربة** خلال حربهم الأهلية (1936- 1939)، واضطر الرهوني "إلى استرضاء الإسبانيين في مهمته هذه؛ فزار إسبانيا بالطيارة وطاف في أرجائها، وزار المجاريح المغاربة الذين أصيبوا في الحرب الأهلية الإسبانية، قبل أن يركب الباخرة إلى "جدة"... .

وفي أثناء الحج اتصل اتصالا رسميا -باسم المغرب الشمالي- بالملك عبد العزيز ابن السعود وبادله الهدايا. ثم رجع بحرا إلى المغرب مرورا بإيطالية حليفة إسبانية التي نزل في عاصمتها ...، دُعِيَ ثانية إلى إسبانية فرجع إليها ليقدم مضطرا باسم المغرب فروض الطاعة إلى الدولة الإسبانية"[49].

---

[48] الحركة العلمية والثقافية بتطوان 522/2.

[49] عمدة الراوين المحقق 24/1.

ولتأكيد ذلك قال عنه الحسن ابن عبد الوهاب العلمي الحسني[36]:

"... والذي نعرف عنه مباشرة وبواسطة شيوخنا أنه سريع الإدراك، له اطلاع واسع على الفقه المالكي، **ومشاركة كبيرة** في علوم الآلة وغيرها، فصيح اللسان، كثير التأليف، سلس العبارة مع ذكاء نادر وفهم ثاقب وروح خفيفة، لا تُملّ مجالسه، مع حلم وكرم لم نشاهده في غيره، مع قيام الليل بالصلاة والأذكار"[37].

وقال عنه إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني الحسني[38]:

"... علامة دهره وفريد أوانه وعصره، الفقيه البارع المفتي، الغوّاص العلامة **المشارك المطلع**، رجل العلم والحلم والكرم والنبل ..."[39].

بل هناك مِن الشعراء مَن مَدَحَهُ، قال الرهوني:

---

[36] ولد سنة 1324 هـ وتقاعد من مهمة مستشار بمحكمة الاستئناف بفاس سنة 1392هـ، انظر إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصر لابن الحاج ص 83- 87.

[37] عمدة الراوين المحقق 16/1.

[38] 1328- 1391هـ ، انظر ترجمته في إسعاف الإخوان الراغبين ص59- 63.

[39] عمدة الراوين المحقق 18/1.

هذا وإن مشاركة الرهوني في شتى العلوم واطلاعه الواسع على مختلف الفنون خاصية امتاز بها كثير من المغاربة الأعلام؛ فإن "أقطاب التصوف كانوا في نفس الوقت جهابذة الفنون والعلوم ...،[حتى قيل:] لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن، وهم: محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة، ومحمد بن أبي بكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء، وعبد القادر الفاسي الذي تبلورت في عهده الطريقة الفاسية، وغالب فقهاء إفريقيا - كما قيل- تلامذته.

وقد قيل في العربي ابن أبي المحاسن الفاسي: إن به ختم علماء المغرب، وكذلك والده وعمه أبو زيد الذي أفاض أبو العباس المقري في وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوا عن علماء المغرب؛ فشبهه بالجنيد، كما شبهه غيره بالسيوطي لوفرة علمه... .

ومن قضاة فاس الصوفيين كذلك أيام بني مرين أبو سعيد الأصولي الكبير محمد بن علي الكزولي ...، ومن العلماء الصوفيين كذلك ابن البنا الحيسوبي المراكشي ...، ومحمد المرغيثي خاتمة المحدثين وإمام أهل عصره في الأدب والطب، وعبد الله بن يعقوب السملالي خاتمة علماء جزولة، وعبد الله بن أبي بكر بن يحيى المغربي الجزولي نزيل الإسكندرية الذي انتهى إليه علم الفرائض في عصره، ومحمد الحلفاوي الذي كان يُعينُ أبا عنان المريني بالضرب على أيدي المعتدين، أخذ التصوف عن يعقوب الزيات الفاسي" الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب: مقال لعبد العزيز بنعبد الله بمجلة "البينة" عدد 7، ص96 و97.

"ولما افتتحتُ تدريس "مرشد" ابن عاشر (ت 1040) بالجامع الأعظم من طنجة أنشدني الشريف الأديب شاعر طنجة سيدي عبد الله بن محمد بن الهاشمي حفيد العلامة الرهوني (ت 1230) رحمه الله -مِن بنتِه- ما نصّه:

أيـــا مَـــن رَامَ إدْراكَ المَعـــالي ... وإحْـرازَ العُلـومِ مِـنَ الرِّجـال
إذا رُمـــتَ العُلـــومَ فلُـذ بـــشهْم ... تفـــرَّدَ بـــالمُروءَةِ والكَمـــال
هُوَ المَوْلى الرّهـوني ذو المَزايـا ... سَـليلُ المَجْـدِ مَحْمـودُ الفَعـال
هُـوَ البَحْـرُ المُحـيطُ بِكـلِّ عِلْـم ... وَمُخْـرجُ الجَـواهِرِ واللآلـي
فريـدُ العَـصْر مَـن ساسَ البَرايـا ... بِلـــينٍ وانتظـــام واعْتِـــدال

.....

أسَـيِّدنا الرّهـوني قـدْ سُـررْنا ... بدَرْسِـكَ للعُلـوم بِحُـسْن حـال
هَنيئـا يـا أبـا العبّـاس مِمّـا ... أفـاضَ اللهُ فيـكَ مِـنَ النَّـوال
وَأخْـلاقٌ زَكَـت واللهُ يَـدْري ... بأنَّـكَ للـوَرى كَنْـزُ الجَمـال
وَكيْـفَ وَأنْـتَ مِـن آلٍ كِرام ... وَصِيتُك في جَميع الكوْنِ عالي

انتهت وهي لطيفة؛ لأن الشعر كما قيل: أعذبُه أكذبُه، إذ لا أعْلمُ في نفسي خصلة مما مدحني به إلا أني أقول: اللهم اجعلني فوق ما يظنون واغفرلي ما لا يعلمون...

ووجّه لي العلامة الأديب السيد محمد الشنقيطي كتابا مصحوبا بقصيدة هي قوله:

أهَـلْ لِلوَصْـلِ مَطْلٌ أو وَفاء ... وَهَلْ يَبْدو إلى المُضْني الشّفاء
وَلَيْتَهُ إلـى روحـي سَبيـلٌ ... فَتُحْييني فَقَدْ عَظُمَ البَـلاء
لقدْ عِيلَ اصْطِباري بَلْ خَلاصي ... وَمـا حيلـي إذا عَزَّ اللقـاء

ألا فافصِلْ مُريدَ العَدْلِ واعْطِفْ بعَطْفَتِكُم بها يَبْدو الرَّجـــاء
رَعاكَ اللهُ لا تُبْدي عَـــواري لأقْوام بِأجْمَعِهِمْ رِعَـــاءُ

.....

مَلاذي (أحْمَدُ) مَنْ قدْ سَعِدْنـــا بطلعَتِهِ وَدامَ لنـــا الهَنـــاء
هُوَ ابْنُ الرّهوني ذو القَدْر العَلِيّ ونورُ اللهِ ليْسَ لـهُ خَفـــاء
هُوَ النّبْراسُ يُبـــدي للمَعالـــي تفوزُ إذ هَداكَ لهُ السَّنـــاء
تكامَلَ مَجْدُهُ أنَّـــى يُضاهَـــى وَدامَ لهُ الصُّعودُ وَالإجْتبـــاء

.....

حَوى كُلَّ الفَخار بـــلا ارْتيـــابٍ عظيمَ القَدْرِ عَظّمَهُ السّـــواء
غَدا نورَ الهُداةِ وَنورَ عِـــلـــم وَبَحْرا ليْسَ تنْقلهُ الـــدِّلاء

.....

أيا شيْخَ الشُّيـــوخِ أتـاكَ عَبْـــدٌ فبَشِّرْهُ حَتّى يَنْمُوَ النَّمـــاء

.....

بشيْخِكَ أحْمَـــدَ فارْحَـــمْ مُحِبّـا عَراهُ مِن مَحَبَّتِكُمْ بُكـــاء
وَها هُـــوَ في رحابِكُمُ يُنـــادي أهْلَ الوَصْلِ مَطْلٌ أوْ وَفـــاء
فقُلْ يـا شيْـخُ لا تخْشـــى هَدْيـا فَحَضْرَتُنا إلى المُغْنِي ارْتِقاء

انتهت، وهذا الشيخ هو ابن أخت العلامة الشيخ الخضر الجَكَني الذي هو أحد شيوخ السلطان مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الحسن العلوي حفظه الله...

وكتب لي الأديب الشاعر الناثر سيدي محمد الفلاوي الفاسي أحد كتاب دار النيابة بطنجة في عيد أحد أعوام 1327/ 1329 قوله: (حسن النشيد بتهاني العيد):

طُيورُ الأنْسِ في رَوْضِ التَّدانـــي غَدَتْ تَشْدُو بِألحانِ التَّهانـــي
وَألويَـــةُ البَشائِـر خافقـــاتٌ عَلى مَغْنَى المَسَرَّةِ وَالأمانـي

وَشمسُ العيدِ قدْ بَزغَـت تُهنّـي الرّهوني صاحبَ الشّيَم الحِسان
حَليفُ الفَضلِ أحْمدُ مَن تَحَلـى بعِقْدِ عُلومِه جِيدُ الزَّمـان

... ووقعت بيني وبين ابن عمتي المرحوم الفقيه الأديب الشريف سيدي أحمد بن الحاج محمد التليدي المتوفى في ذي الحجة عام 1322... مراجعة كتابية أفضت إلى صدور إذاية منه لي في كتاب ...، فكتب لي كتابا وشفعه بأبيات ونصه: ... بباب حضرة الحِبّ الصديق والأخ الرفيق، رفيع الهمة وسَمِيّ الأخلاق، طيّب النشأة وسليم الأذواق ...، العالم الزاهر المحقق الباهر، الأديب العفيف الأريب اللطيف ...،إنني لازلتُ ألحّ على سيادتك في استحضار عفوك وجودك ...

فيا سيِّدي دَلْوي ببابكَ مُطْـرَحٌ يُنادي بإعلانٍ: ألا هَلْ تَرَى صَفْحا
وزدْني مِنَ الإحْسانِ ما أنْتَ أهْلهُ وَقلْ سَيِّدي: إنّا فتَحْنا لـكَ فتْحـا
تأمَّلتُ في تِلكَ الجَريمَةِ إذْ جَرَتْ فألفَيْتُها لما أضرّت بنا نُصْحـا
وَقدْ أَلْزَمَتْنِي لا مَحالـةَ تَوْبَـةٌ نَصُوحٌ بها أرْجو مِنَ اللهِ أن تُمْحى

.....

أَلِفْناكَ فاضِلا كَثِيرَ سَمـاحَـة ولازلتَ مِثلَ ما أَلِفْنا فَتىً سَمْحـا

... وكتب لي الفقيه العلامة الأديب الصوفي سيدي عمر... الرياحي ... ما نصه:

سُرورٌ فاتِـحٌ للعِـزِّ بـابـا وقـدْ مَلأ الأباطِـحَ والهِضابـا

.....

فتِطْوانُ لقدْ أبْصَرْتُ فيهـا هُمامـا شامِخـا فـذّا مُهـابـا
هوَ المَوْلى الرّهوني ذو المَعالي زَكا باللُّطْفِ إرْثا وَاكْتِسابـا"[40].

[40] إلى آخر الأبيات، وكل هذا في كتابه عمدة الراوين المخطوط 170/10- 177.

المطلب الثالث: وظائفه ومهامه

بعدما رجع أبو العباس الرهوني من فاس إلى تطوان اشتغل بالفتوى والعدالة في سماط العدول[41] سنة 1315 (= 1897)، ثم في ديوانة تطوان من ربيع الأول 1316 إلى رمضان 1317 (= 1900).

وفي السنة التي تليها -1318- رشحه القاضي التهامي أفيلال لفرض النفقات وغيرها، وكان يُحضِره مع الأعضاء في مجالس العلماء المنعقدة للحكم في النوازل الكبرى.

وفي 1319 عيِّن عدلا بديوانة مدينة الجديدة.

وفي 1320 عاد للتدريس والعدالة والفتوى بتطوان.

وفي 1324 (= 06- 1907) عيِّن كاتبا مع نائب السلطان بطنجة الحاج محمد الطريس، وخلال إقامته بطنجة درس عدة كتب وأحدث خطبة الجمعة بزاوية محمد الحاج (بوعراقية)، وشارك في تأسيس الجمعية الخيرية[42] والمدرسة الإسلامية التي عيِّن مدرِّسا فيها بأمر السلطان، ثم مستشارا شرعيا وقاضيا للاستئناف، وكاتبا أول بدار النيابة المذكورة.

وفي 1331 (= 12- 1913) حينما نُشِرَت الحماية الأجنبية على المغرب ودَخلَ الاستعمارُ الإسباني تطوان، ونُظمت الحكومة الجديدة بها برئاسة الخليفة السلطان المهدي بن إسماعيل العلوي، وَلِيَ الفقيهُ الرهوني وزارة العدلية، إلى أن أعفِيَ منها في محرم 1342 (= 1923) بعدما اتهمه الإسبان بتحريض المسلمين على الجهاد في خطبة جمعة أقامها في جامع الباشا، مع العلم أن المجاهد الخطابي كان في غاية بأسه آنذاك.

وفي شهر ذي الحجة 1342 قلد وظيف قاضي القضاة بالمنطقة الخليفية، وفي محرم 1343 زيد وظيف قاضي تطوان الذي عُزل منه في 1345، وفي ربيع 1353 أخِّر عن وظيف قاضي القضاة.

---

[41] هو مكان يُخصص للعدول لخدمة الناس، وقد كان كذلك في مدينة فاس قرب جامع القرويين ولا يزال محافظا على الاسم نفسه إلى الآن.

[42] ولعله أول إسهام في العمل الجمعوي بالمغرب.

أما في محرم 1355 (= 1936) فعيِّن مفتشا للتعليم الإسلامي ليُعفَى منه في شوال من نفس السنة.

كما عيِّن رئيسا للمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي في شوال 1355 (= 1937)، قال تلميذه محمد داود: "ولا زال شاغلا لهذا الوظيف حتى الآن (سنة 1358هـ 1939م)"[43].

وقد عُزل من جميع المناصب التي وَلِيَها؛ وذلك راجع إلى فتويَيْن متناقضتيْن صدرتا عنه، علق تقي الدين الهلالي على ذلك بما يلي:

"... فقال [أي الخليفة الحسن بن المهدي للمقيم العام الإسباني وهو الحاكم الأعلى آنذاك]: أنا أحكم عليه بالعزل من جميع المناصب الدينية والعلمية والدنيوية، ولو قدرتُ على أكثرَ مِن هذا لحكمتُ عليه به؛ فعُزل من الإمامة والخطابة والوعظ والشهادة ولم يبق له شيء إلا منصبا واحدا وهو رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى؛ لأن هذه لم تكن بيد الخليفة بل كانت بيد المستعمرين الإسبانيين، ولكن الإسبانيين لما رأوا الخليفة قد عزله من جميع المناصب التي في يده عزلوه هم أيضا من رئاسة المجلس الإسلامي"[44].

هذا وشارك الفقيه الرهوني في مجامع ولجان علمية وأدبية؛ فكان:

- خليفة رئيس المجمع العلمي بتطوان ورئيس تحرير مجلته "الإصلاح".
- رئيس الوفد الممثل للمنطقة الخليفية المشارك في مؤتمر المستشرقين بالرباط.
- الخطيب العربي الأول بالأسواق الأدبية بسبتة.
- رئيس اللجنة الرسمية لإصلاح التعليم الإسلامي.
- عضو كثير من لجان فض القضايا والمشاكل والبت في الأحكام.

---

[43] على رأس الأربعين 104/1.

[44] كتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة ص 55- 57.

- وعدم اطمئنان الدوائر الاستعمارية له وعزلهم إياه من وظائفه بين الفينة والأخرى لدرجة فرض الإقامة الجبرية عليه، بل مطالبة بعض الجرائد الإسبانية بإعدامه، وكذا إرغامه على تقديم فروض الطاعة إلى المستعمر بدولته إسبانية.

- وسخائه وكرمه المنقطعي النظير لدرجة أنه لم يكن يوفر لنفسه ما يجده حالة ضيق عيشه.

-وإبائه وترفعه عن تسخير وظائفه وسلطته الرسمية لتجميع الأموال وتكديسها.

- بالإضافة إلى تربيته الصوفية التي تلقاها والتي ترى أن منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالحال أكثر مما يكون بالمقال؛ ذلك أن الصوفي ينظر إلى الخلق بعين الوجود لا بعين الحكم والقضاء ويبحث في ما يحصل به الكمال ويتقوى به اليقين.

- وعدم تحريكه ساكنا حالة عزله من مهامه -إما اعترافا منه بالخطإ إن كان الأمر سلبيا كإصداره فتويين متناقضتين، وإما رِضاءً بمصيره النابع من اقتناعه بما قام به إن كان الأمر إيجابيا كإلقائه خطبة جهادية-، ذلك أن تلاميذه ومحبيه هم الذين كانوا يقيمون الدنيا ويقعدونها انتصارا له وعطفا عليه.

- وانعزاله وحيدا بعيدا عن الخلق متفرغا للذكر والعبادة متوجها إلى الله الحليم الغفار الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه:

كل هذا يجعلنا نتريّث في إصدار أحكام متسرعة في شأن الفقيه الرهوني، وإلا فليلجإ المرء إلى قاعدة يضبط بها أحوال الناس ليخرج من الإشكال، وهي: مَن كان فضله أكثرَ مِن نقصه وُهِبَ نقصُه لفضله؛ ذلك أنها أساس ضبط أعمال الناس يوم العرض الأكبر:

﴿ونضع الموازينَ القسطَ ليوم القيامةِ فلا تُظلمُ نفس شيئا، وإن كان مثقالَ حبّة مِن خردَل أتينا بها، وكفى بنا حاسِبين﴾[57].

---

[57] الأنبياء 47. ولِنتقرّبَ أكثرَ من هذا الضبط يتعيّن القيام ببحث يتتبّع ويُحصي جميع أعمال ومواقف الفقيه ثم عرضها على ميزان الشرع وتحكيم فقه الأولويات، مع التنبّه إلى ما هو من قبيل المختلف فيه ليُعطاه مكانته اللائقة به وحتى لا يقع الخلط والالتباس بين ما يُعدّ خطأ وما يعدّ عمدا، وبين ما يعدّ خدمة وما يعدّ خيانة، وما إلى ذلك.

المطلب الخامس: وفاته

قال محمد داود: "لقد كانت وفاة أستاذنا الرهوني رحمه الله في بستانه الواقع في حومة "الطَّوابل" وسط البساتين الواقعة بضواحي تطوان، مساء يوم الإثنين ثالث عشر ربيع الثاني عام، 1373 موافق 21 دجنبر 1953.

ودفن بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء في الزاوية العيساوية التي بحومة العيون من تطوان بعد الصلاة عليه في مصلى باب المقابر، وإن ما عند الله لهو خير وأبقى، وعلى شيخنا الفقيه الرهوني من الله الكريم الرحمة والرضوان"[58].

وقد ختم حياته رحمه الله بالتضامن مع مجاهدي شمال المغرب حين وقع معهم على وثيقة تجديد البيعة للملك محمد الخامس كما سبق قبل قليل، وكان ذلك قبل وفاته بثمانية أشهر تقريبا.

المبحث الثاني: أبو العباس الرهوني العالم

قال الرهوني: "وأما مذهبي: ففي ***العقائد*** مذهب سيدي أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه؛ إذ هو الذي رويتُه عن أشياخي السابقين ما بين قراءة وإجازة.

وأما في ***الفقه***: فمذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله سيدنا مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه وأرضاه"[59].

---

[58] تاريخ تطوان 58/1.

[59] عمدة الراوين المخطوط 31/10.

المطلب الأول: دراسته وشيوخه

الفرع الأول: *في تطوان*

في نحو الخامسة من عمره دخل الرهوني مكتب الفقيه أحمد شابّو وبه قرأ ما تيسر من القرآن، ثم انتقل إلى مكتب الفقيه المأمون بن عبود -من سنة 1295 إلى سنة1304- حيث حفظ القرآن برواية ورش في سبع ختمات، وكذا بعض المتون.

وفي سنة 1300 شرع في قراءة الدروس العلمية؛ فكان **أول شيوخه** في العلم هو الفقيه *القاضي محمد بن علي عزيمان* إذ قرأ عليه كتاب "المرشد المعين" لابن عاشر، ثم استرسل في حفظ المتون وحضور الدروس المعتمدة في ذلك العهد، فقرأ العلوم الآتية:

- النحو: بكتاب الآجرومية بشرح الأزهري، والألفية بشرح المكودي.
- الفقه: بالمرشد المعين، ومختصر خليل بشرح الدردير، والرسالة بشرح أبي الحسن، والتحفة ولامية الزقاق وهما بشرح التاودي.
- التوحيد: بالمرشد المعين بشرح ميارة، والرسالة بشرح أبي الحسن.
- الحديث: بكتاب الشمائل المحمدية للترمذي، وصحيح البخاري بشرح القسطلاني، والموطإ بشرح الزرقاني.
- البلاغة: بالاستعارة بشرح البوري.
- المنطق: بكتاب السلم.
- السيرة النبوية: بهمزية البوصيري بشرح بنيس، والبردة بشرح الأزهري.
- الحساب: قرأه على الحاج أحمد داود والد صاحب كتاب "على رأس الأربعين".

فكان ***من شيوخه بتطوان***:

أحمد بن الطاهر الزّوّاقي[60] -وهو عمدته في النحو والفقه-.

---

[60] 1277- 1371هـ ، ترجمته في كتاب: على رأس الأربعين لمحمد داود 1/89- 97، والحركة العلمية والثقافية بتطوان 2/500- 515.

ومحمد بن محمد الأبار[61] -وهو عمدته في النحو-.

والتهامي أفيلال[62] (ت 1339) -وهو عمدته في الفقه والحديث-.

ومحمد بن علي عزيمان (ت 1313).

ومحمد المفضّل بن محمد أفيلال الحسني العلمي[63] (ت 1304).

ومحمد بن أحمد البقالي (ت 1336)[64].

ومحمد بن أحمد النجار الأنصاري (ت 1320).

ومحمد بن محمد غيلان.

وعبد الله بن عبد الرحمن لوقش.

ومحمد بن عمر أسنوس (ت 1315).

والمختار ابن القاضي العلمي (ت 1332).

وعبد القادر بن عبد الواحد الفاسي.

ومحمد بن محمد برهون الغماري (ت 1330).

والعباس بن عبد الرحمن ابن مرزوق الغماري (ت 1330).

ومحمد بوتفاح الودراسي (ت 1362).

وأحمد[65] بن محمد داود وهو والد تلميذ الرهوني محمد داود[66]، وقد عَزَّاه الرهوني في والدته آمنة بنت عبد الله الدليرو لمّا توفيت بقصيدة هذا مطلعها:

ليس الحِمامُ بمفلت شخصا فلا حزن إذا سام المحب حِمـــام[67]

---

[61] ت 1337هـ ، ترجمته في على رأس الأربعين 127/1- 131.

[62] انظر اسمه ونسبه في على رأس الأربعين 111/1 ضمن ترجمة ابنه محمد.

[63] في على رأس الأربعين 173/1 و174 ترجمة لابنه الفقيه الحسن بن مفضل أفيلال.

[64] ترجمته في على رأس الأربعين 132/1- 134.

[65] ترجمته في على رأس الأربعين 138/1- 145.

[66] 1318- 1404هـ ، انظر مذكراته عن حياته وشيوخه وتلاميذه في كتابه: على رأس الأربعين، وترجمته في إسعاف الإخوان الراغبين ص146- 150 وفي الحركة العلمية والثقافية بتطوان 575/2- 584.

[67] انظر عمدة الراوين في تاريخ تطاوين المخطوط 162/10.

قال محمد داود -ابن المُعَزّى-: "هي من الشعر العادي"[68].

الفرع الثاني: *في فاس*

كانت الرحلة إلى فاس من أسمى غايات طلاب العلم، كما هو التشرف بالانتماء إلى علماء القرويين بواسطة التحمل والإجازة.

لذلك بعدما سافر شيخه أحمد الزواقي إلى طنجة، قرر أبو العباس الرهوني مع رفاقه الرحلة إلى فاس، فخرج من تطوان يوم 21 ربيع الأول سنة 1309 (= أكتوبر 1891) -وعمره يبلغ عشرين سنة- ولم تكن الطرق حينذاك معبدة، فركب *بهيمة مع الحمار* ولم يصل إلى فاس إلا *بعد مسير أربعة عشر يوما*.

سكن الرهوني في مدرسة الصفارين طيلة مدة إقامته بفاس، ورافقه في السكنى والمعيشة محمد ابن عبد الوهاب رحم الله الجميع.

ثم شرع في حضور الدروس العلمية بجامع القرويين، تلك الدروس التي قرأ معظمها على الشيوخ بتطوان، لكن في الإعادة إفادة بتصحيح المعارف وتعميقها وازدياد التبصر بطرق التدريس المتنوعة، وترسيخ الحفظ والفهم، ومن تلك العلوم:

- الفقه: مختصر خليل بشرح الخرشي والزرقاني وبناني، والتحفة ولامية الزقاق وهما بشرح التاودي.
- النحو والتصريف: الألفية بالمكودي وبالموضِّح - أي ابن هشام في توضيحه-، ولامية الأفعال بشرح بحرق.
- الأصول: جمع الجوامع بشرح المحلي.
- الحديث: البخاري بشرح القسطلاني، وصحيح مسلم والموطأ.
- السيرة: الهمزية بشرح بنيس، والشمائل بشرح جسوس، والشفا للقاضي عياض.
- التوحيد: السنوسية بشرح المؤلف، والمرشد بشرح الشيخ الطيب.

---

[68] على رأس الأربعين 103/1.

- المنطق: السلم بشرح بناني.

- البلاغة: التلخيص بمختصر السعد وبالمطول.

- مصطلح الحديث: منظومة الفاسي، ورسالة الوضع للعضد بشرح السمرقندي، والخزرجية بشرح الزموري.

فكان ***من شيوخه بفاس***:

محمد بن جعفر **الكتاني** (ت 1345)[69].

وأحمد بن محمد **ابن الخياط الزّكّاري** (ت 1343)[70].

وهما عمدته في جل العلوم.

و أبو عبد الله محمد بن التهامي الوزاني (ت 1311)[71].

وعبد الملك بن محمد العلوي الفيلالي الحسني، المعروف بالضرير (ت 1318)[72].

ومحمد بن عبد السلام كنون (ت 1329).

ومحمد بن قاسم القادري (1259- 1331)[73].

وأحمد بن الجيلالي الأمغاري (ت 1352)[74].

ومحمد بن حرازم الصنهاجي -المنبوز بماني- (1260- 1320)[75].

ومحمد التهامي بن المدني كنون (1239- 1331)[76].

وعبد السلام بن أحمد الهواري الفاسي (1258- 1328)[77].

---

[69] ترجمته في عمدة الراوين المخطوط 3/9- 83.

[70] ترجمته في على رأس الأربعين 219/1- 221.

[71] ترجمته في الأعلام 65/6.

[72] ترجمته في الأعلام 164/4.

[73] ترجمته في عمدة الراوين المخطوط 94/9- 125.

[74] ترجمته في عمدة الراوين المخطوط 125/9- 130 وعلى رأس الأربعين 222/1 و223.

[75] "الملقب بين أصحابه لكثرة تحقيقاته في جميع المعاني بماني" عمدة الراوين المخطوط 130/9- 155.

[76] ترجمته في عمدة الراوين المخطوط 155/9- 161 و180- 194.

[77] ترجمته في المرجع السابق 161/9- 163.

قال محمد داود: "ورأينا الفقيه -مدة إقامته بطنجة- يتصل به الفرنسيون ويستخدمونه فيقدّم لهم خدمات جُلى لا يعرفها من الناس إلا المقربون.

ثم لما رجع إلى بلده تطوان استخدمه الإسبانيون، **وكانوا معه كالجو**: صحو حينا وأمطار وزوابع أحيانا.

نعم إن الفقيه قد وضع قوانين ونظامات ومهّد السبيل لمشاريع وإصلاحات، وقدّم للحكومتيْن خدمات قابلها المستعمرون بما لا يخرج عن عادتهم.

وفي أيام الإقبال أفضى الفقيه بتصريحات وأثبت في "تاريخه" فقرات أظن أنه لو راجعها أيام الإدبار لعمد إلى القلم الأحمر وتدارك ما يمكن تدارُكُهُ بالمحو والتشطيب، وياحبذا لو فعل حرصا على سمعته بين الأجيال المقبلة التي قد تَعُدّ علينا كلماتِنا، وقد تحاسبنا على النقير والقطمير.

ألا إن ذلك كله بالنسبة **لحسنات الفقيه** وفوائد تاريخه وجليل أعماله كنقطة في بحر أو كلف في بدر، والكمال لله"[50].

كل هذا صادف نزول الشيخ محمد تقي الدين الهلالي بتطوان[51] خلال الأربعينات -عقب الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا التي كان يشتغل في إذاعتها العربية- حيث كان يدعو للسلفية ويهاجم الطرقية[52]، فكان من سوء حظ الرهوني أن يُبْتلى بهذا الرجل الشديد المغالاة في كراهة الصوفية والإنكار عليهم، سبَّب ذلك في حصول مهاجاة بينهما أدت إلى السِّباب والقول الفاحش العنيف؛ كان أهل تطوان يَرْوُونَها ويَسْمرون بأحاديثها، وسجَّل بعضَها تقيّ الدين في كتابه: كتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، "الذي هو من أبرز ما كتب عن التيار السلفي بالمغرب لهذه الفترة"[53].

---

[50] على رأس الأربعين 109/1.

[51] وذلك "في شهر آذار -مارس- من سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى، ... إقامتي بتطوان ونواحيها وقد استمرت من ربيع 1942 إلى صيف 1947، ...الاستعمار الفرنسي كان قد نفاني من وطني الجنوب [أي سجلماسة بجنوب المغرب] ومن الجزائر وتونس أيضا" كتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة ص 30 و37 و40.

[52] من كتبه: الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء: 1397- 1977.

[53] الحركة العلمية والثقافية بتطوان 338/1.

ومن وجهة نظر تقي الدين الهلالي أن الرهوني "لما أحس بالاستقلال ضاقت عليه الأرض بما رحبت ...، فدخل بيته واختبأ فيه إلى أن مات، وقد قلتُ في هجوه قصيدة ولكني لم أنشرها إلا بعد أن تولى الاستعمار"[54].

فلم يضع حدا لهذا غير العزل الذي مُنِيَ به الفقيه الرهوني؛ قال محمد داود:

"وإني وأنا في العقد السادس من عمري وقد انتقل شيخي الرهوني إلى عفو الله ورضاه، بعد أن **قضى السنوات الأخيرة من عمره منبوذا من أصحاب السلطة والجاه**، مُبْعَدا عن الوظائف العملية، منزويا في بستانه خارج تطوان بعيدا عن الخلق، منقطعا إلى الله ..."[55].

هذا وقد استطاع الرهوني **أن يخرج من عزلته السياسية** لمّا كان في طليعة العلماء الذين وقعوا على وثيقة تجديد البيعة للملك محمد الخامس المؤرخة بخامس شعبان 1372- 29 أبريل 1953 والتي أعدّها الوطنيون الشماليون عندما شعروا بأن الفرنسيين يدبِّرون مؤامرة لإبعاد الملك عن عرشه، وهي المؤامرة التي نفذها الفرنسيون يوم 20 غشت 1953م.

وكأني بالفقيه الرهوني يحاول الانتصارَ لنفسه بهذا الإجراء، ويُخرج بعضَ ما يُكنّه من حبّ لبلده وأهل بلده وكُرْه للاستعمار، والنَّيْل منه بأيّ شكل من أشكال النيْل ولو بالسعي في غيظه بضد ما يحبه ويرضاه.

وعليه فإنْ كان ولابدّ من التماس الأعذار لفقيهنا[56] إزاء مواقفه التي لم تتمحض نحو الخيانة الصريحة، وهي في أقبح الأحوال تخدش صورته العلمية ومكانته الخلقية فأقول:

إن ما سبق ذكرُه من أحداث ومواقف حدثت للرهوني من أمثال:

- إلقائه خطبة يحثّ فيها على الجهاد -وهو يَعْلَمُ حينها أن الإسبانيين كانوا في ضيق شديد مِن هجمات المجاهدين الرّيفيين والجبليين الذين كانوا يحاصرون تطوان وهم في غاية بَأسِهم تحت إمرة الخطابي رحم الله الجميع- كان ذلك سببا في عزله من مهامه الرسمية.

---

[54] كتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة ص 98.

[55] تاريخ تطوان 57/1. وعلة انزواء الرهوني في بستانه هنا هي غير علة اختبائه في بيته بحسب الهلالي المذكورة قبل قليل.

[56] أقول هذا وأنا أعلم أن هذا الأمر نسبي إضافي: فمَن كان من المتعاطفين مع الشيخ يرى أن ما يَشينه لا يُعتدّ به أمام ما أسداه من خدمات جلى وما توفر عليه من أخلاق عليا، ومَن كان خصما له مختلفا معه يحاسبه على النقير والقطمير عقديا وأخلاقيا وسياسيا وما إلى ذلك.

والعباس بن أحمد التازي (ت 1337)[78].

وعبد العزيز بن محمد بناني (ت 1347)[79].

وعبد الرحمن بن القُرْشي الفيلالي.

وجعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني (ت 1323)[80].

والمهدي بن محمد الوزاني (ت 1342)[81].

وأكثرهم تأثيرا فيه هما محمد بن جعفر الكتاني -صاحب السلوة-، وأحمد ابن الخياط رحم الله الجميع.

هذا دون أن ننسى ما كان يقتنيه الرهوني لمكتبته الخاصة من مختلف الفنون يخوّل له الاطلاع الموسوعي والمعرفة الشمولية المتكاملة، قال تلميذه محمد داود:

"*وفي مكتبته اطلعت لأول مرة* في حياتي على الكتب القانونية والجغرافية، وعلى المجلات العلمية والأدبية، وفيها أيضا رأيت لأول مرة أيضا صور بعض ملوك المغرب وغيره، ورسوم أشخاص تاريخيين لم يكن أحد يعرف عنهم شيئا مذكورا"[82].

المطلب الثاني: إجازة الشيوخ له

أجاز أبا العباس الرهوني مجموعة من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم، منهم أحمد ابن الخياط وأحمد بن الجيلالي والكتانيان ومحمد بن قاسم القادري وعبد العزيز بناني ومحمد بن حرازم الصنهاجي والمهدي الوزاني.

وقد أثبت الرهوني في كتابه "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" - الجزء التاسع: مخطوط-[83] نصوص استجازاته لأساتذته ونصوص إجازاتهم له، نورد هنا بعضها وهي كالآتي:

---

[78] ترجمته في المرجع السابق 163/9- 165.

[79] ترجمته في المرجع السابق 165/9- 170.

[80] ترجمته في المرجع السابق 2/10 وما بعدها وفي الأعلام 122/2.

[81] "الشهير في فاس وغيرها من الأقطار المغربية بالفقيه الوزاني" عمدة الراوين المخطوط 170/9- 179.

[82] على رأس الأربعين 106/1.

[83] والمحقق جعفر ابن الحاج السلمي لمّا يصلْ بعدُ إلى هذا الجزء في عملية تحقيقه له؛ فالموجود منه في السوق الآن -جمادى الأولى 1426 = يونيو 2005- هو الجزء الرابع فقط.

- *نص استجازة الرهوني لمحمد بن جعفر الكتاني* وقد ضمَّنها طلبه منه أن ينوب عنه في طلب الإجازة من والده جعفر الكتاني رحم الله الجميع:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حمدا لمن جعل الاشتغال بالعلم من أشرف البضاعات والرحلة في طلبه من أعظم الطاعات ... .

وبعد فمن المقرر المعلوم لدى الخصوص والعموم أن طلب العلم فريضة على كل مومن، مشفق على نفسه بلقاء ربه موقن ...، قرأتُ عليه الخلاصة...وشفاء القاضي عياض على التمام، وبعض صحيح البخاري... .

أستشفع إليه بجده سيد المرسلين وإمام المتقين في أن يمنّ على هذا الحائر الولهان... بالإمداد من أنواره الساطعة الباهرة وأسراره الخفية الظاهرة، **والإجازة** في جميع مقروءات سيدي ومسموعاته ومؤلفاته وموضوعاته -من معقول ومنقول وفروع وأصول- **إجازة تامة شاملة مطلقة عامة**، موشيا طرازها بأعلام أسانيد الأئمة الأعلام، مع الإذن فيما لسيدي الإذنُ فيه من الأذكار... .

وأطلب من سيدي -دام عُلاه وتزيّنت الدنيا ببهجته وحلاه- **أن ينوب عني في طلب الإجازة من والده** شيخ جماعة الإسلام وعمدة أهل الظاهر والباطن في الأحكام ...، وقد قرأتُ على شيخِنا والدِكم ... الأربعين النووية بوساطتكم ..."[84].

- *نص إجازة محمد بن جعفر الكتاني* للرهوني:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، أحمدُ الله الذي جلّ إحسانه وعظم امتنانه، وبه كل فضل يُستجاز، ولحقيقة القبول مجاز ... .

أما بعد فإن العلم أيمن مطلب وأسنى مأرب ...، وقد وفق الله أقواما لخدمته ... فهجروا في طلبه لذيذ المنام ... .

[84] عمدة الراوين في تاريخ تطاوين المخطوط 9/10-17.

وإنّ ممن وفقه الله تعالى لسلوك هذا المسلك حتى ذاق من لذيذ ذلك المدرك: السيدَ الفاضلَ الباهرَ الكاملَ ذا الأفهام الدقيقة والغوص على المعاني الرقيقة ... أبا العباس سيدي أحمد بن محمد الرهوني التطواني، فقدِمَ على هذه الحضرة الفاسية من بلده تطوان -أمنها الله تعالى من مكر العدو وكيد الشيطان- فتفيأ في ظلال معارفها، واقتطف من أزهار لطائفها...، ولازمني وغيري في عدة فنون، وأخذ بجملة من الشروح والمتون ... .

ولما حنّ حنينَ الفحل إلى عطنه وأراد الرجوع لوطنه، التمس مني أن أجيزه فيما قرأ علي، وانتمى من الأوضاع وغيرها إليّ، وفي الأذكار والأدعية حتى تكمل له بذلك الأمنية، فأسعفته بطلبته وحققتُ حسن رغبته، وإن كنتُ لست من أهل هذا المجال ولا ممن يُعدّ من أولئك الرجال ...، فقلت مستعينا بالله معتمدا على فضله وعلاه:

أجزتُ الفقيه المذكور والهمام المشكور بكل ما تجوز لي أو عني روايتُه أو تُنسَب إلي درايته -من مقروء ومسموع، ومروي وموضوع، ومعقول ومنقول، وفروع وأصول- **إجازة تامة بَتْلة**[85] **عامة**، بشرطها المقبول عند أهل النظر، والمعتبر لدى علماء الأثر: من الضبط والتحري وأن يقول فيما لا يدريه: لا أدري، فإنها نصف العلم، بل ثلثاه، كما أفصح به مَن دَراه، وقد أجازني بذلك شيوخ أعلام وأفاضل عظام: كشيخنا الوالد - أطال الله بقاءه- وشيخنا الفقيه البياني الأصولي المنطقي المحدث أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد البنّاني ... .

وأجزتُه أيضا بما أجازوني به من الأدعية الشريفة والأذكار المنيفة، والطرق والأوراد والأحزاب الكفيلة بالمراد، وأوصيه وإياي بالتقوى والتثبت في الفتوى ...، وأعهد إليه أن لا ينساني من صالح دعواته، في خلواته وجلواته، رعيا للفتوة وأداء لبعض من الأبوة... .

قاله بفمه ورَقمَه بقلمه يوم الخميس حادي وعشري صفر الخير عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف: عبيدُ ربه وأسير كسبه محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس الكتاني غفر الله ذنبه ..."[86].

---

[85] "البَتل: القطع، بَتله يَبْتِلهُ ويَبتُله بَتْلا، وبَتَّله فانبتل وتبتّل: أبانه من غيره.
ومنها قولهم: طلقها بتّة بَتلة ...، وكذلك صدقة بَتلة: أي منقطعة من مال المتصدق بها، خارجة في سبيل الله ...، امرأة مُبَتَّلة - بتشديد التاء مفتوحة-: أي تامة الخلق ...، والبَتْل: تمييز الشيء من غيره" اللسان: بتل.

[86] عمدة الراوين المخطوط 17/9- 20 .

- *إجازة الشيخ جعفر الكتاني* للرهوني:

"... وبعد، فيقول العبد الفقير المذنب الحقير الجاهل القصير، والد المُجيز أعلاه جعفر بن إدريس الكتاني - لطف الله به ومنحه دار التهاني-:

قد **أجزتُ** المُجازَ أعلاه بكل ما تصحُّ لي روايتُه أو تُنسَبَ إليَّ درايتُه - من منقول ومعقول وفروع وأصول- **إجازة تامة مطلقة عامة**، على الشرط المعروف والمَهْيَع المألوف ..."[87].

هذا وقد أعقب الرهوني إجازة جعفر الكتاني له بذكر أسانيد محمد بن جعفر لبعض الكتب: الموطإ وصحيح البخاري وصحيح مسلم وشمائل الترمذي وجامعه وشفاء عياض والأربعين النووية[88].

- *إجازة محمد بن قاسم القادري* للرهوني:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله ...، وبعد فيقول العبد الفقير الفاني محمد بن قاسم القادري الحسني:

إن الفقيه النبيه الحبيب الزّكيّ النزيه، أبا العباس سيدي أحمد بن سيدي محمد الرهوني ممن عُنِيَ بطلب العلوم وحضور مجالسها جادّا في استفادتها ...، فحينئذ طلب مني الإجازةَ فأقول والله المسؤول والمأمول:

قد **أجزتُ** الفقيه المذكور في كل ما تصحّ عني روايتُه وتُنسب لي درايتُه -من معقول ومنقول وفروع وأصول، وفي كل ما لي مِن مؤلَّف وتقييد وكتابة- **إجازة مطلقة عامة** بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر..."[89].

- *إجازة أحمد بن الجلالي الأمغاري*:

"... ولما كان الأخ الجليل - المتحلي بالوصف الجميل- أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الرهوني الأصل، التطواني الدار والقرار ...، فقلت مستعينا بالله -وما توفيقي إلا بالله-:

---

[87] المرجع السابق 20/9 و21.
[88] المرجع السابق 21/9- 27.
[89] المرجع السابق 97/9 و98.

قد **أجزتُ** السيد المذكور في مسائل الدين ووسائله وفروعه وأصوله ومنقوله ومعقوله **إجازة شاملة عامة مطلقة** بشرْطِها المعتبر وقيْدِها المقرر، وبالتثبت وبذل المجهود في التحري، وأن يقول فيما ليس له دراية: لا أدري، فإنها جُنّة العالم ووقايته، وأن يُراجعَ عند التوقف في المسائل..."[90].

- *إجازة محمد بن حرازم الصنهاجي* للرهوني: في عمدة الراوين 133/9.

- *إجازة عبد العزيز بن محمد البناني* له: في المرجع السابق 166/9.

- *إجازة المهدي الوزاني* له: في 174/9[91].

المطلب الثالث: آثاره العلمية

رجع أبو العباس الرهوني من فاس إلى تطوان سنة 1315 (=1897) ليبدأ مرحلة جديدة من حياته العلمية المليئة بالمسؤوليات الجسام حيث قام بالتعليم والوظائف والتأليف والكتابة.

الفرع الأول: تدريسه

اشتغل في بادئ الأمر بالتدريس، وذلك بمساجد تطوان: كجامع لوقش وسيدي أبي جيدة والجامع الكبير وجامع المُصَيمدي وجامع العيون، بل في بيوت الطلبة كذلك.

قال تلميذه محمد داود:

"وقد لبث الفقيه الرهوني ملازما للتدريس عدة سنين صيفا وشتاء ليلا ونهارا، فكان أحيانا يلقي درسيْن في اليوم، وأحيانا تبلغ دروسه خمسة ما بين اليوم والليلة، أما في **هذه السنوات الأخيرة** فقد قلت دروسُهُ **واقتصر في الغالب على دروس التفسير والحديث**، وخصوصا في الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان.

---

[90] المرجع السابق 127/9 وما بعدها.

[91] هذا ولأبي العباس الرهوني في 21/10 وما بعدها من عمدة الراوين المخطوط: "خاتمة: في **الأوراد** التي أخذناها ...".

ودروس الفقيه الرهوني نفاعة يستفيد منها المبتدئ والمنتهي، وإذا استثنينا شيخ الجماعة سيدي أحمد الزواقي حفظه الله، فإن **جميع علماء تطوان** وأدبائها ورجال القضاء والفتوى والعدالة والصحافة إنما هم **تلاميذ للفقيه الرهوني** أو تلاميذ تلاميذه[92].

وأنا شخصيا لبثتُ ملازما لدروسه سبعَ سنوات كاملة، لم أتخلف عن أي درس فيها إلا لعذر قاهر، وما قرأتُ على أحد من شيوخي قدرَ ما قرأتُ على الفقيه الرهوني؛ وذلك لإكثاره ومواظبته و**مشاركته** وطول باعه حفظه الله"[93].

"أذكر فيه الرجلَ الشهمَ الذي له عليَّ من الفضل ما لا أعُدّه ولا أحصيه، الرجلَ العالمَ المشاركَ الذي هو أستاذي الأول في مختلف العلوم، خصوصا في هذا "التاريخ" الذي أعُدّ الفضلَ الأولَ فيه راجعا إليه وإلى إرشاداته وتوجيهاته وإفاداته، رحمه الله وجزاه أحسن الجزاء على اعتنائه بي وبرفقائي من رجال العلم والمعرفة"[94].

ولأبي العباس الرهوني في التدريس ***أسلوب*** "بسيط مفيد لا يتقيد فيه بنغمة خاصة ولا يمل منه طالب:

يلقي درسه بالعربية الفصحى، وربما مزجها أحيانا بعبارات عامية لتفهيم العوام وضعاف الطلبة.

وقد امتازت دروسه العلمية بمزجها بالفوائد الأدبية والتاريخية، واستطراده للمسائل وتحريره لها، وقد أعانه على ذلك تضلعه [من][95] مختلف العلوم واطلاعه الواسع على كتب الأدب والتاريخ ومطالعته للصحف وتتبعه لحوادث العصر.

وهو لا يأنف من مخاطبة بعض تلاميذه أثناء الدرس، فيسأل هذا وينبِّه ذلك وينكت على الآخر، وقد يملي حكايات مختلفة ويأتي بنكت مضحكة تُفرِّج عن الطلبة وتهيِّئهم لتلقي أصعب الدروس بشغف ونشاط.

---

[92] ومع الأسف لا نتوفر على مرجع فيه ذكر لتلاميذ أبي العباس الرهوني.

[93] على رأس الأربعين 100/1.

[94] تاريخ تطوان 56/1 و57.

[95] في النص: في، والصواب ما أثبته.

... هو الذي **كوَّن في تطوان أول جماعة من الطلبة المتنورين** الذين لم يقتصروا على معرفة قواعد النحو والفقه والجمود عليهما، وأنا أول مَن يعترف بأن للفقيه الرهوني فضلا كبيرا في توجيهي إلى ناحية المشاركة في العلوم وخصوصا الحديثة منها.

... فكان من حين لآخر إذا فرغ من الدرس يدعونا للذهاب إلى داره، فنذهب وننفض كتبه وننظم خزانته، ونقضي الساعات المتوالية في الاطلاع على ما فيها ...، بل **يُتحِف الكثيرين منا بكتاب** أو كتب يُهديها للطالب.

... كان لي في أيام قراءتي الأولى عليه ولوع بنَسْخ تآليفه الصغيرة وتقاييده، فقال لي يوما في إدارة وزارته وأنا في السادسة عشرة من عمري:

متى تأتيني أنت أيضا بتأليف لك آخذ أنا أيضا منه نسخة لي، حاولْ فإن الأمرَ سهل على مثلك، وإن لك من المواهب ما يضمن لك النجاح. فخجلتُ ..."[96].

الفرع الثاني: مؤلفاته وكتاباته

على الرغم من أن جهودا حميدة بُذلت في علم الفهرسة، إلا أن صعوبة ضبط مؤلفات العلماء ومصنفاتهم لا تزال قائمة، خصوصا المطبوع منها، وللرهوني **لائحة طويلة من المصنفات** والكتب في النحو والصرف والبلاغة، والسيرة والمناقب والتراجم، والفقه والنوازل والمنطق، والتاريخ والكلام والأدب، **يغلب عليها طابع الاختصار**.

فقد كان رحمه الله ميالا إلى تبسيط العلوم وتيسيرها ووضع شروح سهلة غير مطولة ولا معقدة لمختلف الكتب والمصنفات لدرجة أنه رحمه الله تعالى نظم أشعارا مختلفة في أحكام متعددة ومسائل متفرقة، ذكر بعضها في كتابه "عمدة الراوين"[97].

وهذا نتيجة طبيعية لملازمته التدريس وشغفِه به واهتمامِه بالنشء والتلاميذ، مع العلم أن الهوامش والتعليقات والتقييدات والشروح والحواشي المتنوعة والمتشعبة والمطولة من آفة علومنا الإسلامية؛ ذلك أنها تنفِّر

---

[96] على رأس الأربعين 106/1 و107.

[97] انظر النسخة المخطوطة 165/10 وما بعدها.

طالب العلم بكثرة الاستطرادات والتعقيدات اللفظية والشكليات البيانية الصارفة له عن صلب العلم[98].

وللرهوني مؤلفات عدة منها المخطوط ومنها المطبوع:

فمن المخطوط[99]:

- إتحاف المحب الفاني بمختصر سيرة مولانا أحمد التجاني: أثبته في كتابه "عمدة الراوين"، وقد لخصه من كتاب "بغية المستفيد لشرح منية المريد" للعربي السائح، ومنية المريد: منظومة لأبي العباس أحمد بن بابا العلوي.
- إعلام الأنام بحقوق آل البيت الكرام.
- التحقيق والإفادة في حكم الرجوع عن الشهادة.
- تحرير المقال بمنة الواحد المتعال في مسألة الكسب وخلق الأفعال.
- تحرير النظر.

---

[98] على الرغم من حديثنا عن سلبيات وآفات علومنا الإسلامية من هذا الجانب، فإن للمختصرات والشروح والحواشي فوائد لا تنكر، منها:

- حفظ ما اندرس من مصنفات بإعادة كتابتها مختصرة.
- جمع شتات العلم في الموضوع الواحد وتحقيق التكامل فيه بجمع ما قيل فيه هنا وهناك.
- شرح الغوامض وتيسير ما صعب لإفادة الطلبة والمهتمين؛ والتبيينُ مهمة الرسل عليهم السلام والعلماء ورثة الأنبياء.
- صقل الفكر بالمناقشات والردود والتعليقات العلمية المؤدية إلى اكتساب مهارات الحجاج والإقناع العلميّن؛ فلو عمدنا مثلا إلى مادة "القول" فقط بتصاريفها في القرآن الكريم - من غير التفات إلى مرادفاتها ولا ورودها في السنة المطهرة- لوجدنا أنها وردت فيه ألفا وسبعمائة وواحدا وعشرين (1721) مرة؛ إذ هي أساس الحوار والجدال والتواصل، والقرآن ذهب في هذه المسألة إلى أبعدَ مما يتصوره المرء؛ ذلك أن الله تعالى فسح المجال للشيطان أن "يقول" ويحاجج ليبيِّن له تعالى زيفَ أقوالِه وباطلَ ادعاءاتِه.
- التمكن من معرفة الحق -أو الاقتراب منه- من خلال الاطلاع على متعدِّد الآراء والأدلة؛ فالله خلق الناس يكمّل بعضهم بعضا في شتى مجالات الحياة والجانبُ العلميّ أولاها.
- وانظر أيضا "إنما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة ..." في البرهان في علوم القرآن للزركشي 14/1. وانظر فوائد المختصرات في المطلب الثاني من المبحث الثاني من المحور الثالث الآتي في هذه المقدمة.

[99] قال محمد داود في تاريخ تطوان 57/1: "قيل لي قبيل وفاته: **إن الحاجة لسد رمقه ورمق عياله ولتسديد بعض ديونه قد اضطرته لبيع جميع كتبه**، حتى نسخته الوحيدة من تاريخه وهي التي كتبها بخطه في عشر مجلدات"؛ لذا من الصعوبة بمكان أن نعثر على أغلب مخطوطاته في الخزائن العامة.

- تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام: وهو موضوع بحثنا في هذه الرسالة.

- الجواهر الثمينة في تحرير مسألة أولاد مدينة: وهو في مسألة من باب الهبة.

- حصول الألفة لقراء التحفة: وهو حاشية على تحفة ابن عاصم.

- ختم شفاء القاضي عياض.

- خُطَب: مُثبَت بعضُها في كتابه "عمدة الراوين".

- ديوان شعر[100].

- رسالة في تراجم الخلفاء الأربعة.

- رسالة في حكم الهجرة، قال في "على رأس الأربعين" 102/1: "لم تتم".

- رسالة في حكم قاتل نفسه.

- رسالة في ليلة القدر.

- الفوائد الحسنة والتنبيهات المستحسنة.

- كشف الأزمة في الأيمان اللازمة.

- منظومة في الفرائض وشرحها.

- مختصر "الأزهار العاطرة الأنفاس" لمحمد بن جعفر الكتاني: أثبته في "عمدة الراوين".

---

[100] قال الرهوني: "وأما ما قلتُه من الشعر فاعْلَمْ أني لستُ ممن يحسن قرض الشعر على الطرْز الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر لحكمة، ... على أني قلتُ من الشعر الموزون الذي ليس له من اسم الشعر إلا وزنُه... .

وهو نوعان: نوع هزلي دعا إليه حمقُ الصبا وصبابة الجهل، وربما كانت عليه مسحة من الحُسْن الشِّعري ...، ونوع جدّيّ من مدح أو تهنئة أو تعزية أو توسل أو رغبة ..." عمدة الراوين المخطوط 138/10.

قال تلميذه محمد داود: "ولعل ذلك تواضع منه ...، إلا أن غالِبَ شعره من النوع الذي تغلب عليه القواعد الصناعية وتنقصه الروح الشعرية الطبيعية التي تُطلِق الشاعرَ على سجيته..." على رأس الأربعين 102/1.

- مختصر "بلوغ القصد والمرام ببيان بعض ما تنفر منه الملائكة الكرام" لمحمد الكتاني: أثبته في "عمدة الراوين".

- مختصر الدرر البهية: في "عمدة الراوين".

- مختصر "فتح العليم الخبير بتحرير النسب العلمي باسم - أو بأمر- الأمير": في "عمدة الراوين".

- مختصر "طلعة المشتري في النسب الجعفري" لأحمد بن خالد الناصري: في "عمدة الراوين".

- مختصر مقدمة القسطلاني لإرشاد الساري على صحيح البخاري.

- مختصر رحلة أبي سالم العياشي.

- مختصر تأليف محمد بن قاسم القادري في المقلد.

- مختصر فهرسة محمد القادري[101]: في عمدة الراوين.

- مختصر "النجاة بفضل الله من الكفر والآثام بتعلم العقائد وأخذها مما جاء به الرسول عليه السلام" لمحمد القادري: في "عمدة الراوين".

- مختصر "الدر المكنون في التعريف بالعلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون" لمحمد المشرفي: في عمدة الراوين.

- مختصر "الكشف والبيان لما يرجع للمكلفين من عقائد الإيمان" لمحمد بن جعفر الكتاني: في عمدة الراوين.

- مختصر "نظم المتناثر في الحديث المتواتر" لمحمد الكتاني: في عمدة الراوين.

- مذاكرة إخواني برسالة ابن أبي زيد القيرواني، قال محمد داود في "على رأس الأربعين" 101/1: "لم يكمل".

- منن الفتاح الجليل بشرح مختصر خليل، قال في على رأس الأربعين 101/1: "مطول لم يكمل".

- النشر الطيب في شرح أرجوزة الشيخ الطيب: وهي شرح لمنظومة الطيب ابن كيران في الاستعارة.

---

[101] قال الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة الحسني التطواني محافظ خزانة تطوان العامة السابق وناسخ مخطوط عمدة الراوين -هامش 110/9-: "اختصار فهرسة القادري وهي مطبوعة".

- نصح المؤمنين بشرح قول ابن أبي زيد "والطاعة لأئمة المسلمين": وهو رسالة في الإمامة الكبرى.

ومن المطبوع:

ما يتعلق بالقرآن والسيرة:

- اغتنام الثواب والأجر في فضائل ليلة القدر: طبع في 19 صفحة بتطوان في 1352- 1933.

- فضل الكريم المنان على قارئ القرآن، تطوان: 1352- 1933، في 21 صفحة.

- تحفة الإخوان بسيرة سيد الأكوان: المطبعة المهدية بتطوان.

- حلل الديباج المُطرَّزة بقصة الإسراء والمعراج: المطبعة المهدية بتطوان: 1352- 1932.

وما يتعلق بالعقيدة والفقه والمنطق:

- مختصر "شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم من الذنوب والآثام" لمحمد بن جعفر الكتاني: أثبته في "عمدة الراوين" و"الرحلة المكية".

- الغنيمة الكبرى بشرح مقدمة السنوسي الصغرى: المطبعة المهدية بتطوان: 1354- 1934.

- نتائج الإحكام في النوازل والأحكام، نشر الحسن ابن عبد الوهاب في 3 أجزاء، مطبعة الأحرار بتطوان: 1361- 1942.

- هداية المسترشد لفهم نظم المرشد: وهو شرح مختصر لنظم المرشد المعين لابن عاشر في عقيدة الأشعري والعبادات على مذهب مالك، المطبعة المهدية بتطوان: 1344- 1925، في 74 صفحة.

- حادي الرفاق إلى شرح لامية الزقاق: وهو شرح منظومة الزقاق في الفقه والقضاء، وناظمها هو علي بن قاسم التجيبي (ت 912- 1506)، طبعت أجزاؤه الستة الصغيرة -ومجموعها 529 صفحة- بمطبعة إديطوريال إسبانو أفريكانا بتطوان: ما بين 1346 و1349.

- حواشي على بهجة التسولي: بالاشتراك مع أحمد بن محمد السلوي وأحمد الزواقي، تخريج: الحسن ابن عبد الوهاب، في 3 أجزاء بالمطبعة المهدية بتطوان: 1372- 1953.

- جريان القلم بشرح السلم: وهو شرح لمنظومة أبي زيد عبد الرحمن الأخضري في المنطق، المطبعة المهدية بتطوان: 1354.

وما يتعلق بالتاريخ والرحلات:

- عمدة الراوين في تاريخ تطاوين[102]: صنَّف الجزء الأول منه عام 1343 كما في تاريخ تطوان لمحمد داود 51/1، وقد بدئ في تحقيقه من طرف الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي، وفي نشره من طرف كلية آداب تطوان وجمعية تطاون أسمير ابتداء من 1419- 1998.

- تقريب الأقصى من كتاب الاستقصا: لخص فيه كتاب الاستقصا للناصري، مطبعة إديطوريال إسبانو أفريكانا بتطوان: 1346.

- الراحة الإنسانية في الرحلة الإسبانية، أو الحلة السندسية في الرحلة الإسبانية: وفيه رحلته إلى الأندلس ضمن الوفد المغربي المشارك في الرواق المغربي بمعرض إشبيلية التجاري، جريدة "الإصلاح" ابتداء من العدد 364: 1348- 1930.

- الرحلة المكية: وفيه وصف لرحلته للحج الذي بعثته إليه حكومة المنطقة آنذاك رئيسا على وفده، وذلك على حسابها الخاص سنة 1355- 1937، منشورات معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، مطبعة الأحرار بتطوان: 1941، في 248 صفحة.

---

[102] قال محمد داود وقد خصص مبحثا خاصا لهذا الكتاب: "... وكتابه في تاريخ تطوان يختلف تمام الاختلاف عن كتاب السكيرج [وعنوانه: "نزهة الإخوان" لعبد السلام سكيرج (ت 1250) في جزأين لا يقل عدد أوراقه عن 250] سواء في حجمه أو فصوله أو أسلوبه، ويصح أن يوصف بأنه موسوعة ...، كتاب مشحون بالفوائد التاريخية التي انفرد بها، ولولاه لانطمست معالمها وانقطع خبرها ...، أذكره فأذكر فيه شيخي الجليل ... أستاذي الأول في مختلف العلوم، خصوصا في هذا التاريخ الذي أعُدّ الفضلَ الأولَ فيه راجعا إليه وإلى إرشاداته وتوجيهاته وإفاداته.
... هذا وإن تاريخ شيخنا الرهوني وإن كان كبير الحجم غزير المادة جامعا مانعا، إلا أني رأيتُ أن هناك أشياء كثيرة لم يقف عليها، ونواحي متعددة لم يتعرض لها، وحوادث اختصر القول فيها اختصارا وقد وجدتُ مجال القول فيها فسيحا ...، وكتابي هذا لا يُغني عن كتاب أستاذنا الرهوني ...، إنّ كلا من الكتابيْن متمم للآخر؛ لأن لكل باحث مجالا، والفضل للمتقدم على كل حال، والكمال إنما هو للكبير المتعال" تاريخ تطوان 50/1- 60.

- اللؤلؤ الحطيب من كتاب نفح الطيب: تلخيص كتاب نفح الطيب للمقري، مطبعة إديطوريال إسبانو أفريكانا بتطوان: 1346.

وما يتعلق بعلوم الآلة:

- تسهيل الفهوم لمقدمة ابن أجروم: في 38 صفحة، المطبعة المهدية بتطوان، ط 1: 1340، وط 2: 1350- 1931.

- رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة: وهو شرح مختصر مفيد لألفية ابن مالك، المطبعة المهدية بتطوان: 1350- 1931.

- منهل الوُرّاد في شرح لامية المَجراد: أي في الجمل، تطوان: 1350- 1931، في 29 صفحة.

- مِنَحُ الكريم المِفضال بشرح لامية الأفعال: وهو شرح مختصر للامية الأفعال لابن مالك، المطبعة المهدية بتطوان: 1350- 1931، في 53 صفحة.

وما يتعلق بالخطب والمقالات:

- خطب: منشورة في الصحافة.

- مقالات متنوعة في الصحافة.

قال محمد داود: "ولقد **كانت خزانة الفقيه** الرهوني في بعض الأوقات **أكبرَ خزائن تطوان** وأحسنها؛ فمند عشرين سنة لم تكن بتطوان خزانة أخرى تضاهيها سواء في كثرة الكتب أو في تنوع موضوعاتها، غير أنها وإن لم يَنقصْ عددُ مجلداتها - بل ربما زاد- إلا أنها **الآن فقدت امتيازها** بما قام به أخيرا بعض الأفراد من تنظيم خزائن واسعة تحتوي على نفائس الكتب ونوادرها"[103].

وفي "تاريخ تطوان" ما يلي: "... قضى من أفضل أيام عمره -ما يزيد على عشرين سنة- متقلدا لوزارة العدلية، بل قيل لي قبيل وفاته: إن ***الحاجة لسدّ رمقه ورمق عياله ولتسديد بعض ديونه قد اضطرته لبيع جميع كتبه***، حتى نسخته الوحيدة من تاريخه وهي التي كتبها بخطه في عشر مجلدات"[104].

---

[103] على رأس الأربعين 107/1.

[104] 57/1.

المبحث الثالث: أبو العباس الرهوني المتصوف[105]

المطلب الأول: دواعي اختيار الرهوني التصوف

قال محمد داود:

"وقد كان الفقيه منذ شبابه متمسكا بالطريقة الدرقاوية، إلا أنه بعد رجوعه من فاس أخذ الطريقة التجانية[106]، ولازم كثيرا من أورادها المختلفة، وهو شديد الحب للشيخ مولاي أحمد التجاني ولأصحابه[107]، مع تعظيمه لجميع الشيوخ واحترامه لجميع الطرق الصوفية، ويُعرف ذلك بما في كتابه "عمدة الراوين" عن شيوخ الطرق وأصحاب الزوايا والصلحاء بتطوان"[108].

---

[105] قال الرهوني في تأليفه "فيما تلزم معرفته من العقائد والعبادات والآداب" ما يلي:
"باب التصوف: التصوف نوعان: **معاملة** مع الله، وهو واجب على كل مسلم، و [بياض]؛ وهو نتيجة المعاملة، و**موهبة** من الله على العبد بمقتضى قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين)[العنكبوت 69]، وفي الحديث: من عمل بما علم أورثه الله علمَ ما لم يكن يعلم.
فأول واجب في الأول التوبة ...، ثم التقوى ..." عمدة الراوين المخطوط 104/10.

[106] قال الرهوني وهو يتحدث عن صاحبه وإلفِه الحسن بن محمد العمراني الفاسي:
"... وكانت بيني وبينه صحبة وألفة **منذ كنا درقاويين إلى أن صرنا معا تجانيين**، وسكن معنا بطنجة مدة، ثم بتطوان مدة أخرى، ثم رجع إلى طنجة وسكن بها إلى أن توفي رحمه الله عشية الخميس 13 قعدة الحرام عام 1341هـ" المرجع السابق 47/10.
هذا وقد بُنِيَت الزاوية التجانية "بتطوان في حدود عام 1320- 1902م، بناها الفقراء المنتسبون إليها بالضريح المبني على السلطان المولى إبراهيم العلوي بزنقة المقدم، وقد وسَّعوها بعد ذلك على حساب بعض الدور المجاورة التي اشتريت لهذا الغرض... .
وقد انتمى إلى الطريقة التجانية من أهل الفقه والاشتغال بالعلم أشخاص أفراد منهم: الفقيه أحمد الرهوني، والفقيه محمد الفرطاخ، والفقيه القاضي محمد اللبادي، والأستاذ المدرّس عبد السلام بلقات، والفقيه الأديب البشير أفيلال، وممن عرف من أهل هذه الطريقة أحمد اللواجري ومحمد بن عجيبة مقدم الزاوية" الحركة العلمية والثقافية بتطوان 188/1 و321.

[107] من مؤلفات الرهوني:
إتحاف المحب الفاني بمختصر سيرة مولانا أحمد بن محمد التجاني: مخطوط أثبته في عمدة الراوين.
وإعلام الأنام بحقوق آل البيت الكرام: مخطوط.
وخطبة مطولة في مناقب شيخه أحمد التجاني: ألقاها بمناسبة زيارة محمود بن البشير بن محمد الحبيب نجل أحمد التجاني لزاوية تطوان، مطلعها:
"الحمد لله الذي جعل نبينا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء، وشيخنا سيدنا أحمد التجاني خير الأولياء ..." عمدة الراوين المخطوط 113/10- 120.

[108] على رأس الأربعين 108/1.

تساءل الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي الذي بدأ في تحقيق كتاب "عمدة الراوين" قائلا:

" لا ندري ***لماذا اختار الرهوني التصوف***، ولا لماذا اختار الطريقة التجانية دون غيرها حتى صار عالمها الكبير في تطوان والمنافح المتعصب عنها، ولاسيما لمّا هاجمها وهاجمه تقي الدين الهلالي الوافد على تطوان بُعيْد الحرب العالمية الثانية"[109].

وللإجابة عن هذا أقول:

إذا علمنا أن والد المؤلف كان متبعا لطريقة الشيخ محمد ابن عيسى الصوفية -كما مر بنا في بداية هذه الترجمة-، وعلمنا أن أغلب شيوخ الرهوني متصوفة، وأن أكثرهم تأثيرا فيه صاحب "سلوة الأنفاس" محمد ابن جعفر الكتاني، وكذا أحمد ابن الخياط، إذا علمنا هذا خفّت حدة التساؤل عن دواعي اختيار الرهوني للتصوف.

أما عن *التزامه بالطريقة التجانية* ***دون غيرها*** فإن الرهوني يذكر تفاصيل ذلك في أواخر كتابه "عمدة الراوين"[110] حيث قال:

"وأما **طريقي ومذهبي في التصوف**: فقد كنتُ منذ نشأتُ أحِبُّ طرق أهل الله كلها، وأعتقد بركة الصالحين وأزورهم، ولما رجعتُ من فاس لصلة الرحم مع الأهل في صفر عام 1311 وجدتُ حضرة القطب سيدي الحاج عبد القادر بن العارف بالله سيدي أحمد ابن عجيبة عامرة في تطوان ونواحيها، والناسُ يدخلونها أفواجا؛ فحُبِّبَ إليّ الدخولُ فيما دخل فيه الناس رجاءَ حصول النفع، فذهبتُ إليه وأخذتُ عنه ورْدَه المبارك، وهو بعد الفاتحة ...، ومِن نعم الله عليّ أني لم أتركه أبدا حتى تلقنتُ غيرَه كما ياتي، كما صرتُ أحضر مجالسَ ذكره وتذكيره... .

---

[109] عمدة الراوين - المحقَّق- 25/1.

[110] والمحقق جعفر ابن الحاج السلمي لمّا يصلْ بعدُ إلى هذا الجزء في عملية تحقيقه له؛ فالموجود منه في السوق الآن -شوال 1429 = أكتوبر 2008- هو الجزء السابع فقط.

ثم إني -مدَّةَ إقامتي بفاس- كنت أذهب لزاوية سيدي محمد بن إبراهيم[111] التي بزنقة الرطل من فاس وأذكر مع أصحابه ...، وكنتُ في ذلك تابعا لشيخنا المرحوم مولانا أحمد ابن الخياط الحسني (ت 1343) رحمه الله ورضي عنه... .

وبقيت على تلك الحال حتى رجعتُ لبلدتي **وتزوجتُ**، واستمررتُ على وردي الشاذلي وأحزابه إلى عام 1322: إذ **وقف عليَّ مناما** شريف بقالي -اسمه أحمد، أعرفه ويعرفني- وأنا جالس في أول البلاط الأول الموالي لصحن جامع القرويين عند القوس الذي يخرج منه لخاصة العين ...، وقال لي وهو واقف عند رأسي: يقول لك الشيخ مولاي عبد السلام -أو شيخ مولاي عبد السلام، لا أحقق أيَّ اللفظين قال-: **قم تأخذ طريق سيدي أحمد التجاني** -رضي الله عنه ونفعني به آمين-.

فاستيقظتُ من نومي وصرت أتأمل فيمن آخذ عنه هذا الطريق الأنور، إلى أن ذهبتُ إلى طنجة بقصد التفسح وصلة الرحم مع بعض الأحبة، بينما أنا بها إذ ورد من الديار الحجازية المباركة شيخي وعمدتي وسندي الولي الصالح العلامة الناصح شمس الدين مولانا **محمد بن مولانا جعفر الكتاني** نفعنا الله به، فلقيته وسلمت عليه، ونزل في غرسة الولي الصالح النور اللائح أبي عبد الله سيدي محمد الحاج أبي عرّاقية رضي الله عنه، وصرتُ أتردد عليه كل يوم أتمتع به وبمذاكرته وأنواره.

فلما كانت صبيحة يوم السبت رابع ربيع الثاني عام 1322 وجدتُ معه خلوة فقصصتُ عليه رؤياي، **وطلبتُه في تلقيني الطريقة** المذكورة، وقد كان أذن لي لدى إجازته في جميع ما له الإذنُ فيه من الأذكار والطرق: من شاذلية ودرقاوية وخلوتية ونقشبندية وسنوسية وكرزازية وناصرية ومغرادية وريسونية وغيرها، وهي نحو الأربعين طريقا كما ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته بأورادها وأذكارها العامة والخاصة، الليلية والنهارية، الصباحية والمسائية.

ووعدني بالإجازة في جميع ما ذكر وغيره كتابة عند حلوله بالحضرة الإدريسية، فحمدتُ الله وشكرتُهُ على هذه النعمة العظيمة والنفحة الربانية.

---

[111] هو فاسي كان درقاويا، كما في عمدة الراوين المخطوط 46/10.

وتجردتُ حينئذ للورد التجاني بالخصوص مقتصرا عليه صباحا ومساء، وشرعتُ في مطالعة "الجواهر" و"الرماح"[112] وغيرها، وأذكر مع الإخوان في زاويتهم بتطوان، إلى أن ذهبتُ لطنجة في أواخر الحجة عام 1322 أيضا فلقيتُ بها المقدمَ البركة العلامة سيدي الحاج **أحمد ابن قاسم جسوس الرباطي** المتوفى برباط الفتح في عام 1332[113]، **فطلبتُ منه الإذنَ في الطريقة التجانية أيضا** بسنده إلى سيدنا الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

فلقنني إياها وشرط عليَّ شروطها المعلومة فالتزمتُها، وهو تلقّنُها من الخليفة الكبير الولي الشهير سيدي ومولاي العربي السايح (ت 1309)[114] - رضي الله عنه ونفعنا به- بسنده إلى الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به، وصافحني بما صافحه به الخليفةُ المذكور الذي صافحه الولي الصالح سيدي محمد بن فَقيرَة المكناسي الذي صافحه سيدُنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به، الذي صافحه سيدُ الوجود ومنبع الكرم والجود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم:

فكان بيني وبينه صلى الله عليه وسلم في المصافحة أربع وسائط بسيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وازددتُ حينئذ غرقا في بحار الفضل والكرم، وأصابتني حرارة عظيمة لم تبرد عني حتى ركبتُ البحرَ.

ولما كنتُ عازما على هذه السفرة أشار عليّ مقدم الزاوية التطوانية الشريف الجليل سيدي محمد بن عبد الله بن عجيبة بالقدوم للزاوية، فلما قدمتها وفرغنا من وظيفة عصر الجمعة أخرج ورقة فيها **إجازة الخليفة** شيخنا العلامة سيدي **الحاج مَحمد** -فتحا- **كنون إمام الزاوية الفاسية**، فيها

---

112 هما كتاب: "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني" لعلي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي (ت 1333).
وكتاب: "رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم" لعمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي، انظرهما ضمن مصادر التصوف الطرقي في حديثي عن منهج الكتاب في الفصل الثالث الآتي.

113 هو أحمد بن قاسم جسوس، فاضل من أهل الرباط، كان أديبها في عصره وله نظم كثير، وكتبه مخطوطة عند أسرته، توفي سنة 1331هـ 1913م. الأعلام 199/1.

114 هو أبو حامد محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقي العمري، نزيل الرباط وأديبه في عصره، كان شيخ الطريقة التجانية، متفقها عارفا بالحديث والعربية، من كتبه "بغية المستفيد من منية المريد"، توفي سنة 1309هـ 1892م. الأعلام 265/6.

تقديمي على تلقين الإخوان للأذكار اللازمة بشروطه، والمذاكرة معهم في "بغية" مولاي العربي السايح وغيرها، ونصها:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد **أجزتُ** الفقيه الأجلّ العلامة سيدي أحمد الرهوني التطواني في تلقين ورد سيدنا ومولانا الشيخ أبي العباس التجاني ووظيفته وذكر الهيللة عشية الجمعة لكل مَن طلبه مِن المسلمين ...، بعد عرضه عليه **الشروط** التي لابد منها وإيناسه منه قبولها وهي:

عدم زيارة الأولياء أحياء وأمواتا، وترك غيره من الأوراد المنسوبة للمشايخ **وغيرهما** مما هو مذكور في "البغية" وغيرها.

وكذا **أجزتُه** أيضا في مطالعة كتب الطريقة وتدريس "البغية"، وأوصيه بتقوى الله تعالى؛ والله ينفعه وينفع به آمين.

وكتبه محمد كنون وفقه الله.

وكان هذا التقديمُ بطلب من المقدم ابن عجيبة السابق من غير شعور مني ولا طلب، فحمدتُ الله عز وجلّ، وعَددْتُ ذلك من كرامات سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه وعطفته علينا[115] وقبوله لنا ولله الحمد وله الشكر.

ولما اطلع على ذلك الخليفة البركة سيدي **عبد الله بن الحاج الشنكيطي** -الملقب بالفيضة- كتب تحته ما نصه:

أذنتُ لهذا السيد فيما أذِنَ له فيه السيد الحاج محمد كنون فوق... .

وكان هذا الكتْبُ ببرج دار البارود من طنجة وقت سفره للحج، وذلك في حدود عام 1326... .

وكذا **تلقنتُ** هذا الطريق الأنور من المقدم البركة سيدي **محمد ابن عجيبة** المذكور في حدود عام 1340"[116].

---

[115] في اللسان - عطف-: "وعَطَفَ عليه يَعْطِف عَطْفا: رجع عليه بما يَكرَهُ، أو له بما يريد، وتعطَّف عليه: وَصَلهُ وبرَّهُ ...، وعَطفْت عليه: أشفقت ...، وتعطَّف عليه: أشفق".

[116] عمدة الراوين المخطوط 31/10- 38.

المطلب الثاني: من التزاماته الصوفية

وبعد هذا التفصيل في دواعي التزامه بالطريقة التجانية ذكر الفقيه الرهوني نصَّ **إملاءِ** شيخِه **محمد بن جعفر الكتاني** عليه **أسرارَ الاسم الأعظم**، وذلك يوم الأربعاء 14 جمادى الأولى عام 1325 بقبّة روض المخزن الذي بقصبة طنجة، ثم قال:

"ثم نهاني عن إفشائه وأمرني بحرق البطاقة التي كتبتُهُ فيها، أو برَمْيها في البحر، ففعلتُ الثانية، كما نهاني عن ذكره ما دمتُ موظفا في إدارة المخزن، وكنتُ إذ ذاك كاتبا بدار النيابة السعيدة.

فبقيتُ على هذه الحال مدة، ولما لقيتُ سيدي عبد الله الفيضة وأذنَ لي فيه ولم يشترط عليّ هذا الشرط، رأيتُ أن لا بأسَ بذكره[117]؛ لأن انتظار الخروج من الخدمة مع المخزن ربما يستفرغ العمر وأبقى محروما من التبرك بذكره مع ما فيه من الفضل العظيم"[118].

- ثم أردف الرهوني كلَّ هذا بذكر **شيوخه ومَن لقيهم في التصوف**.

- وفي 50/10 وما بعدها من عمدة الراوين المخطوط: "وأما **أذكاري وصلواتي**..."، ومما ورد فيه ما يلي:

"... فبقيتُ على ذلك [أي أوراد وأذكار وصلوات وأدعية ذكرَها] مدة ثم تركتُ ذلك، وخصوصا عند الدخول في الطريقة التجانية؛ فإني اقتصرتُ في الصباح والمساء على الورد والوظيفة المتقدِّميْن ... مع زيادة ... على الحد المقرر في "الرماح" وغيرها من كتب طريقتنا التجانية.

وكذلك رتبتُ عقب الصلوات الخمس أذكارا لا أتركها غالبا، منها ما هو من أذكار طريقتنا الغير اللازمة، ومنها ما هو من إلهام الله ..."[119].

"... ثم تركتُ ذلك كله واقتصرتُ على الورد والوظيفة وعدد من صلاة الفاتح[120]، وربما أتعاهد هذه الأحزاب في بعض الأوقات ..."[121].

---

[117] وفي هذا مخالفة صريحة لأمر شيخه محمد بن جعفر الكتاني واتباع للأسهل الموافق لرغبات النفس، وهو خلاف ما يشتهر به الصوفية من الالتزام الحرفي بالشروط والأوامر.

[118] المرجع السابق 43/10.

[119] عمدة الراوين المخطوط 56/10.

[120] انظر التعليق عليها في قسم التحقيق، ص 323 هامش رقم 1890.

[121] المرجع السابق 77/10.

هذا ولا يفوتنا في هذه المناسبة أن نختم بـ**توجيه اختلاف الروايات في عدد نوافل رسول الله صلى الله عليه وسلم** من طرف أهل السلوك، قال الرهوني:

"وأما صلواتي النوافل: فاعلم أني لمّا رأيتُ اختلاف الروايات في عدد صلواته عليه السلام الليلية والنهارية ووقفتُ على كلام الولي الصالح سيدي **أحمد زروق** رضي الله عنه في ذلك وحاصله:

أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرض الله عز وجل عليه وعلى أمَّته خمسين صلاة، ثم خفّف بفضله الفرض إلى خمس -كما هو المعلوم في الصحاح وغيرها[122]-، لازم عليه الصلاة والسلام امتثال الأمر الأول وحافظ على الخمسين صلاة فيما بين اليوم والليلة حسبما يظهر من حاله؛ فلذلك كان ربما يزيد في الصلوات الليلية إلى (13) ركعة وينقص في النهار، وربما عكس، وهكذا بحسب الأشغال، وبحسب ذلك اختلفت الروايات في عدد الصلوات؛ فكان مجموع صلواته بين الفرائض والنوافل خمسين صلاة، أي ركعة.

اخترتُ لنوافلي ما ياتي ...، كان المجموع (50) ركعة، وفقنا الله وجميع المسلمين لموافقة السنة المحمدية في الأقوال والأفعال... .

ثم إني ذكرتُ هنا هذه الأمور لأمريْن: أحدهما إظهار شكر نعمة الله؛ لقوله تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [الضحى 11].

وثانيهما رجاء اصطياد واقف عليه للعمل بمثله فأدخل في حديث: مَن سَنّ سُنَّة حَسَنَة فله أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة[123]؛ لأن الدّالَّ على الخَيْر كَفاعِلِهِ في الثوابِ والأجر[124]"[125].

---

[122] انظر مثلا فتح الباري: كتاب التهجد، باب كيف كان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل؟ 327/3.
ونيل الأوطار: أبواب صلاة التطوع، الدليل على مشروعية الوتر بخمس أو سبع أو تسع 43/3 وباب قضاء مايفوت من الوتر والسنن الراتبة والأوراد وما جاء فيها من الأحاديث 57/3 وعدد ركعات صلاة التراويح ومذاهب علماء السلف في ذلك 63/3.

[123] انظر الحديث بكامله ومناسبته في صحيح مسلم: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار 1017- 704/2 وباب من سن سنة حسنة أوسيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة 2059/4.

[124] انظر الأدب المفرد: باب الدال على الخير كفاعله ص94 ، وسنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء "الدال على الخير كفاعله" 41/5، والكامل في ضعفاء الرجال 12/7.

[125] عمدة الراوين المخطوط 83/10 و84.

المحور الثالث: عن المخطوط

أولا: وصفه

توجد **نسخة واحدة** من كتاب "تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام - ج1-" في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 2158 د.

واللافت للنظر أنه لا توجد نسخة منه في خزانة تطوان، هذه المدينة التي كانت الموطن الأصلي لاستقرار المؤلف الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الرهوني !

مقاسها: الطول 22 سم، العرض: 17 سم.

مسطرتها: 12- 13.

عدد صفحاتها: 675 صفحة.

ترقيم صفحاتها بخط مغاير من قيّمي الخزانة؛ لأن ترقيم المؤلف مُثبَت فيه بخطه بنظام الكرّاسة: بحيث يُثبت مثلا رقم "1" في الصفحة الأولى للكراسة، ولا يضع رقم "2" إلا في الصفحة التاسعة، أي بعد ثماني صفحات، وهي بداية الكراسة الثانية، ورقم "3" في الصفحة السابعة عشرة، وهكذا.

خطها: مغربي لا بأس به، ذو حروف كبيرة بحيث يشمل السطرُ الواحد منها ما بين أربع وست كلمات فقط.

هذا ولم يلتزم المؤلف في كتابته للآيات القرآنية **بالرسم** العثماني.

ويظهر من أول نظرة تلقى على مخطوط "تنبيه الأنام" أنه **أول تبييض -أوتسويد-** للمؤلف رحمه الله تعالى[126]؛ ذلك أنه من جهة يمثل

---

126 "ومِن اليسير أن يعرف المحقق **مسودة المؤلف** بما يشيع فيها من اضطراب الكتابة واختلاط الأسطر وترك البياض، والإلحاق بحواشي الكتاب، وأثر المحو والتغيير، إلى أمثال ذلك. ومسودة المؤلف إن ورد نص تاريخي على أنه لم يخرج غيرها كانت هي الأصل الأول" تحقيق النصوص ونشرها لهارون ص 32.

الجزء الأول فقط من مشروعه التفسيري، ومن جهة أخرى تجده كثير الاستدراكات والتنقيحات والتهميشات التي تتمثل أحيانا في الشطب والعدول عن فقرات بكاملها وإبدال أخرى بها عوضا عنها كما في ص 284 إلى 287.

والرهوني كثير **التثبت والمراجعة** بحيث نجد هوامش متعددة تدارَك فيها ما سقط من ألفاظ وما أضاف من جمل أو عبارات، كل ذلك بعبارة "**صح**" كما في ص 3 و12 و14 و16 و18 و20 و46 و78 و79 و82 و112 و118 و126 و131 و147 و148 و153 و155 و158 و159 و160 و161 و194 و203 و211 و216 و228 و238 و255 و260 و262 و276 و277 و283 إلى 290 و292 و293 و295 و296 و313 و319 و330 و354 و381 و385 و387 و389 و392 و397 و447 و526 و617 و622 و636 و641 و651.

ولاستدراكات المؤلف في مخطوطه[127] أوجه متعددة:

- منها ما يتعلق بضبط سنوات وفاة الأعلام وإثباتها فوق كل علم يذكره.

- ومنها ما يتعلق بعناوين الفصول والمباحث والفقرات التي يذكرها الرهوني في هوامش المخطوط، وهي كثيرة تجد التنبيه عليها في هوامش قسم التحقيق.

- ومنها ما يضيفه لتوضيح معنى ما، كما في هامش ص 10 و12 و15 و18 و21 و25 مثلا.

- ومنها ما يضيف من فوائد من كتب أخرى غير التي يختصرها في المتن: في ص 12 و18 و50 و76 و151 و385 و387.

بالإضافة إلى هذا له **هوامش مطولة**، مثل ما في ص 159 و161 و162 و170 و284 و289 و290 و293.

---

[127] وما يستدركه الرهوني في هوامش المخطوط ليس ناتجا عن مقابلة النسخ بعضها ببعض؛ إذ ليس ثمة نُسَخ، بل هو ناتج إما عن تدارك ما أغفله من الكتاب الذي يختصره، وإما عن مراجعة موضوع البحث الواحد في كتب متعددة، فيضيف منها ما يراه مناسبا، إما لزيادة بيان أو لتكملة نقص وما إلى ذلك.

كما يترك في بعض الأحيان **بياضا** يَنشد تداركه حالة عثوره على ما يناسب السياق، وذلك مثل ما تركه من بياض في سند بعض الأحاديث النبوية في ص 12 و16.

كما يستعمل تارة علامة: "هـ" ليشعر بنهاية ما ينقله من معلومات، وتارة أخرى علامة: "هـ بخ" أي انتهى بخطه.

وكذا علامة: "لخ الحديث" أي إلى آخر الحديث.

هذا والمخطوط **بخط المؤلف**، والظاهر أن هذا الجزء منه هو الموجود الآن، هذا مع العلم أن الذين ترجموا لصاحبنا ذكروا له مؤلفات في التاريخ والأدب والرحلات ولم يوردوا ذكرا لمصنفه هذا "تنبيه الأنام"، وممن ترجم له عبد السلام بن سودة في "الذيل التابع لإتحاف المطالع" وأحمد المكناسي في "فهرس المؤلفين" والزركلي في "الأعلام".

ثانيا: عملي في تحقيقه

"إن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

1- تحقيق عنوان الكتاب -2- تحقيق اسم المؤلف -3- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه -4- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه"[128].

وعليه فعمل التحقيق يشمل العناية التامة بالكتاب شكلا ومضمونا، لغة وأفكارا، أسلوبا ومتنا، إنه العلم كله من حيث الضبطُ والإتقانُ بالتثبت والتصحيح والمناقشة والتقويم.

لذا فقد انصبّ عملي في تحقيق المخطوط على النقط التالية:

- ضبط النص ذي النسخة الوحيدة بمقابلة متنه بما في المصادر المختلفة التي اختصرها المؤلف.

- ضبط الآيات والقراءات والأحاديث والمعاني اللغوية والأحكام الإعرابية والأبيات الشعرية وأقوال العلماء الشرعية، وتخريجها من مظانها الأصلية مراعيا في ذلك التخصصات العلمية ما أمكن؛ فلا أخرّج الحديث من كتب التصوف مثلا، ولا الأحكام النحوية من كتب الفقه وهكذا.

---

[128] تحقيق النصوص ونشرها ص 42.

هذا مع التعريف بالرجال الأعلام وأسماء الأماكن والبلدان والقبائل وما إلى ذلك.

- تحقيق الجوانب العلمية المختلفة إما:

- بشرح ما يحتاج إلى توضيح وبيان حتى يخفّف ما بالنص من غموض، وذلك سواء من جهة اللغة أو الاصطلاح بمختلف تخصصاته وعلومه، وقد نورد لقول ما أكثر من قائل لتبيين أن ثلة من علماء الأمة اتفقوا عليه.
- أو بإيراد الخلاف في المذاهب النحوية والفقهية والعقدية والتفسيرية وغيرها، وذلك بضرب من التفصيل حتى تكتمل للقارئ صورة الموضوع المتحَدَّث عنه.
- أو تقويم بعض ما يورده المؤلف من أحاديث وروايات وأقوال صوفية وأخرى عقدية وفكرية، وكذا توجيهها أحيانا.
- أو التنبيه على بعض القواعد التي ترجع إليها فروع النحو والتصوف والعقيدة وغيرها.
- أو ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض، وذلك بالإشارة إلى الصفحات الماضية -أو الآتية- المتضمنة لنفس الموضوع المتحَدَّث عنه، كما ورد في الكلام عن (الرحمن الرحيم) مثلا في ص 206 من قسم التحقيق.
- أو ذكر آخر كشوفات علم الفضاء الحديث تعليقا على ما ذكره المؤلف مما اكتشف أخيرا بالنسبة إليه في هذا المجال سنة 1923.

- كتابة الآيات القرآنية بما هو معهود لدى الناس من رسم؛ ففي الأمر مرونة وسَعَة، وهو أيسر للناس.

- العناية بِشَكْلِ ما ارتأيتُه يُشكِل من ألفاظ وعبارات.

- الاهتمام بالفواصل والحاصرات[129]، وهي وسائل تُعينُ على قراءة نص المخطوط واستيعاب معانيه:

فالنقطة والنقطتان ونقط الحذف، والفاصلة والفاصلة المنقوطة وعلامة الاستفهام والتعجب، والعارضتان والخط المائل، والمزدوجتان والقوسان الهلاليان والمعقوفان، وغيرها مما يحدّد فواصل الكلم وحاصرات النقول موظفة في النص المحقق، وجميعها علامات للترقيم تحدد فواصل الكلام لتيسير استخراج مقاصده وإبراز مدلولاته.

وعليه فما استعملتُه من **علامات التنصيص** -محاولا جهد الإمكان ألا أكثِرَ منها فأزعج القارئ وأعقد النص- هي كالتالي:

" " المزدوجتان لحصر النصوص الحديثية والنقول العلمية.

( ) القوسان الهلاليان لحصر الآيات القرآنية وسنوات وفاة الأعلام، مع العلم أن المؤلف استعملهما للآيات ولما أضافه من معلومات إلى ما يختصره من كتب.

[ ] القوسان المعقوفان لما تعيَّن من لفظ أو عبارة ألحقتُها بالكتاب ضرورة لإقامة النص، وكذا لتحديد أرقام صفحات المخطوط.

/ الخط المائل لتحديد بدايات صفحات المخطوط.

أما بالنسبة **للرموز** فقد كنت مقلا في استعمالها لأقتصر على "ت" أي توفي، و"ص" أي صفحة.

- تذييل النص المحقق بمجموعة **فهارس** علمية تكشّف ما فيه من موضوعات وعلوم تيسّر للقارئ طِلبته وبُغيته، وقد أسقطتُ من الاعتبار "ال" فقط في ترتيب تلك الفهارس والكشافات.

ثالثا: المصادر المعتمدة لديّ:

لابد لكل باحث من وسيلتين اثنتين لإنجاز بحث ما، أولاهما المصادر العلمية وهي ما يهمنا الآن، وثانيتهما طريقته في التعامل معها.

---

129 قال في لسان العرب - فصل-: "وأواخر الآيات في كتاب الله **فواصل**، بمنزلة قوافي الشعر - جلّ كتابُ الله عز وجلّ-، واحدتها: فاصلة. ... والمعنى الثاني في (فصّلناه): بيّنّاه".
ونقصد بالحاصرات ما يحيط بالنصوص ويحصرها من مختلف علامات التنصيص المعروفة التي توضّح للقارئ بداية النص وخاتمته.

وبما أن عمل الباحث المحقق يكون منصبا على تحقيق النص أصلا وعلى دراسته تبعا، فإن المحقق ملزم بالوقوف عند جميع المسائل العلمية بمختلف مشاربها وتخصصاتها المثارة في النص المحقق، وذلك لأجل توثيق الأقوال ومناقشة الردود وتكملة الناقص وتصحيح الخطإ وتعليل الأحكام وتوجيهها وتقعيد المسائل وفروعها وجمع المتفرق وتفصيل المجمل وشرح الغامض، إلى غير ذلك مما له علاقة بتحقيق العلم.

وقد تعددت مصادر البحث وتنوعت نظرا لتعدد وتنوع المادة العلمية المكونة للنص المحقق، وذلك راجع لسببين اثنين، أولهما هو طبيعة النص القرآني الغني بالعلوم التي تكون تارة مقصودة للشرع أصلا فينص عليها بالعبارة، وتكون أخرى مرادة للشرع تبعا فيلمح إليها بالإشارة، وذلك في مختلف القضايا والموضوعات.

ثانيهما طبيعة التأليف والغرض المنشود حسب طبيعة القوم الذين يكتب لهم المؤلف، فأهل المغرب الأقصى في حاجة إلى جميع العلوم وعلى رأسها علم اللسان العربي؛ لذا تميزت كتابة المغاربة بضرورة التطرق للعلوم اللفظية مفردة ومركبة، وذلك في شتى علوم الشرع من تفسير وحديث وفقه وأصول وتوحيد.

وعليه فقد تنوع اعتمادي على مصادر بحثي هذا إلى الأنواع التالية:

أولا: مصادر متعلقة بالقرآن وعلومه بشقيه النظري والتطبيقي (61 مرجعا).

ثانيا: مصادر الحديث وعلومه بشقيه النظري والتطبيقي (83 مرجعا).

ثالثا: مصادر الفقه وأصوله (21 مرجعا).

رابعا: مصادر العقيدة والكلام (54 مرجعا)، وقد أدخلت فيها ما يتعلق بالتصوف الذي وإن كان يعتمد على الوجدان والأذواق فإنه يؤول إلى الكلام لأجل التوضيح والإقناع.

خامسا: مصادر اللغة والأدب (51 مرجعا).

سادسا: مصادر التراجم والتاريخ (67 مرجعا).

وأخيرا أرى من شكر النعم أن أدعوَ بالتوفيق في الدنيا والآخرة لكل من كان لي سندا وعونا -بعد الله تعالى، من قريب أو بعيد- في إنجاز هذا العمل المتواضع.

والله المستعان وبه المستغاث وعليه التّكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خـاتمـة

ما توصلتُ إليه من **نتائج** واستنتجتُه من خلاصات أسردها كما يلي:

أولا: يندرج مختصر الرهوني هذا ضمن التفسير بالرأي الجائز؛ ذلك أنه متمحور حول المواعظ -العاطفة- والأحكام -العقل-، وكلاهما يحوم حول المنحى الكلامي المنطقي الإقناعي، على الرغم من أن مستند الموعظة القلب والعاطفة ومستند الأحكام الفهم والاستنباط العقلي[130]، وعلى الرغم من اشتمال كتاب الرهوني على علم التصوف -التفسير الصوفي الإشاري- وعلم الكلام -التفسير العقدي- وعلم الفقه -التفسير الفقهي- والعلوم الكونية -التفسير العلمي-، إلا أن كل هاته العلوم عقلية.

وعليه فالتفسير إما يكون بالأثر وإما يكون بالرأي، وللرأي مَناحٍ متعددة[131].

ثانيا: أنه في حالة الانحطاط والتخلف بفعل الجهل والاستعمار وانعدام علماء مجتهدين تبرز قيمة وأهمية تكرير الكتب -ولو باختصارها- لإدامة ربط الأمة بعلومها الشرعية إلى أن يبعث الله مَن يجدّد لها أمر دينها ويمهّد لها أسسَ حضارتها وعمرانها.

ثالثا: أن علومنا الإسلامية المتعدّدة تختلف اختلاف تنوّع وتكامل وتعاضد، لا اختلاف تضادّ وتنافر وتنازع.

ومن دواعي عدم جمع شمل الأمة الواحدة نهلُ بعض أفرادها من علوم تخصّص واحد وإهمال العلوم الأخرى، مما يُسبّبُ تنازعَ المهتمّين بالعلم يؤدي إلى توهّم أتباعهم أن أولوية تغيير المنكر منصبّة على مخالفيهم في الرأي؛ فيفرغوا جهودهم فيما لا طائل يُرجى من ورائه، ظانين أنهم إذا أزاحوهم من طريق "دعوتهم" سهل عليهم أمر العامة!

---

130 ينبهنا القرآن الكريم إلى أن الإنسان يعقل بقلبه في الآية 46 من سورة الحج: (أفَلَمْ يَسيروا في الأرْضِ فَتَكونَ لهُمْ قُلوبٌ يَعقِلونَ بِها).

131 هذا التقسيم هو من باب التغليب، وإلا فتساوق النقلي والعقلي وتكاملهما أمر واقعي وملاحظ لِذي العقل السليم.

وعليه فالنظر في القرآن لا يُقتصَرُ فيه على تخصّص دون آخر، ولا على علم دون سواه.

رابعا: أن الشأن المغربي المتعلق بعلومه وكتاباته -المخطوط منها والمطبوع- في حاجة إلى الدراسة والنقد والتمحيص، وذلك بإعادة القراءة بعد الجمع والتوثيق، بقصد التقويم والانتفاع.

خامسا: أن التصوف - وخصوصا التفسير الباطني للقرآن- جزء لا يتجزأ من علومنا الإسلامية بشرط خضوعه للضوابط الشرعية.

سادسا: شمولية الخطاب الشرعي جميعَ مجالات الحياة، وخطأ فكرة أن شعار الصوفي: "دع الخلق لخالقهم" يفيد عدمَ الاهتمام بشؤون الناس الدنيوية؛ فقد كان الرهوني رحمه الله تعالى فقيها متصوفا اجتماعيا سياسيا، ولم يقف تصوفه حاجزا ضد سياسته، ولا سياستُه ضد تصوفه، فبالدِّين تستقيمُ دُنْيانا وبالدّنيا نُقيمُ دينَنا.

سابعا: أن ممارسة تحقيق النصوص والكتب تنبني على أصليْن اثنيْن، الأول صفة عقلية هي العلم، والثاني صفة نفسية هي الصدق[132]؛ وذلك لأن التحقيق نوع من التأليف مقيَّد بالعلوم المبثوثة في المخطوط يضبطها المحقق ولا يزيغ عنها قيد أنملة، والتحقيق أشق من تأليف الكتب الحرّ المطلق.

ثامنا: على المهتمّ بكتاب الله العزيز أن يَقبَلَ مبدئيا أيّ محاولة لخدمة كلام الله كيفما كانت العلاقة التي تجمعها به؛ إذ لا أحد يستطيع الإحاطة بمعاني القرآن إلا منزّلهُ جلّ وعلا، ولا يَقتصِرُ على ذاك القبول بل لابدّ من المدارسة والمناقشة والنقد والتقويم؛ فالعلمُ يزكو بالإنفاق ويَمتُنُ ويَصْلبُ بالنقد والتمحيص، وسبحان مَن خلق الإنسان وعلمه البيان.

ختم الله لنا بالسعادة والحسنى، وجعل سبحانه خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه، وندعوه جل جلاله كما قال ابن عطاء الله في أواخر كتاب الشيخ زروق "شرح حكم ابن عطاء الله" ص 448 وما بعدها:

"إلهي وصفتَ نفسَك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي، أفتمْنعُني منهما بعد وجود ضعفي! إلهي إنْ ظهَرَتِ المحاسنُ مني فبفضلك ولك المنّة عليّ، وإنْ ظهَرتِ المساوئُ مني فبعَدلِك ولك الحجّة عليّ.

---

132 إذ هو أساسٌ لما سواه من الصفات؛ فالصادق في أيّ توجّه رامَهُ يُخْلِصُ جهدَه فيه ويَصبرُ في تحمّل أمانته تلك على مشاقه وصعابه، والإخلاص في الصبر من أبرز سمات المحقق.

إلهي كيف تكِلني وقد توَكلتَ بي[133]، وكيف أضامُ وأنت النصيرُ لي، أم كيف أخيبُ وأنت الحفيّ بي! ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك، أم كيف أشكو إليك حالي وهي لا تخفى عليك، أم كيف أترجمُ لك بمقالي وهو منكَ بَرَزَ إليك، أم كيف تخيبُ آمالي وهي قد وَفدَتْ إليك، أم كيف لا تَحسُنُ أحوالي وبك قامت وإليك!

إلهي ما ألطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرْحمَك بي مع قبيح فعلي، إلهي ما أقرَبَكَ مني وما أبعدني عنك، ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك!

... إلهي كلما أخْرَسَني لؤْمِي أنْطقَنِي كرَمُك، وكلما أيْأسَتْني أوصافي أطْمَعَتْني مِننُك...، إلهي إنك تعلمُ وإنْ لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبّة وعزما، إلهي كيف أعزمُ وأنت القاهر، وكيف لا أعزمُ وأنت الآمِر!

إلهي تردّدي إليك في الآثار يوجب بُعْدَ المزار، فاجمعني عليك بخدمةٍ توصِلني إليك.

إلهي كيف أستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك...، متى غِبْتَ حتى تحتاجَ إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثارُ هي التي توصِلُ إليك ! إلهي عَمِيَتْ عينٌ لا تراك عليها قريبا رقيبا، وخسِرَتْ صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبِّك نصيبا... .

إلهي ذلي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلبُ الوصولَ إليك، وبك أستدلّ عليك، فاهْدِني بنورك إليك، وأقِمْني بصدق العبودية بين يديك.

إلهي علمني من علمك المخزون، وصُنّي بسرّ اسمك المصون...، بك أستنصِرُ فانصُرْني، وعليك أتوَكل فلا تكِلني، ولجنابك أنتسِبُ فلا تُبْعِدْني، وببابك أقِفُ فلا تطْرُدْنِي، وإيّاك أسْألُ فلا تُخيِّبني...، إلهي إنّ القضاءَ والقدَرَ غلبَني، وإنّ الهَوى بوثاق الشّهوة أسرني، فكن أنت النصير لي حتى تنصُرَنِي في نفسي وتنصرني، وأغْنِنِي بجُودِك حتى أسْتغنِيَ بك عن طلبي.

---

133 الوكيل في صفة الله تعالى: الذي توَكّل بالقيام بجميع ما خلق، والوكيل: الكفيل، ويقال: توَكّل بالأمر، إذا ضمن القيامَ به. كما في لسان العرب: وكل.

... يا مَن أذاق أحبابَه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين، ويا مَن ألبس أولياءَهُ ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين، أنت الذاكر مِن قبْل ذكر الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان مِن قبْل توجّه العابدين، وأنت الجواد بالعطايا من قبْل طلب الطالبين، وأنت الوهّابُ، ثم أنتَ لِما وَهَبْتنا مِن المستقرضين.

إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني[134] بمنّتك حتى أقبلَ عليك، إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتُك، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتُك.

إلهي قد دَفعَتني العوالم إليك، وأوقفني عِلمي بكرمك عليك، كيف أخيبُ وأنت أملي، أم كيف أهانُ وعليك متكلي، إلهي كيف أستعزّ وفي الذلة أركزتني، أم كيف لا أستعزّ وإليك نسبتي، إلهي كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني، أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودِك أغنيتني.

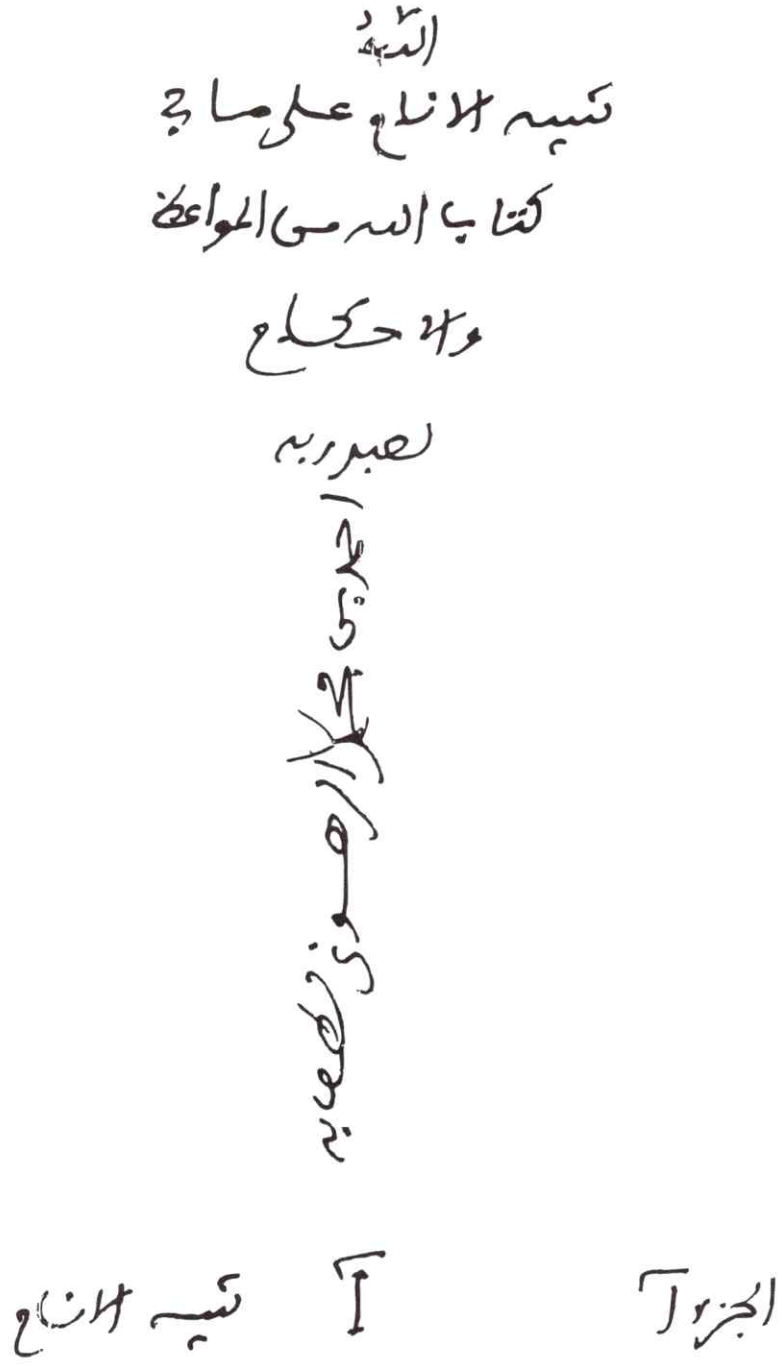
... يا مَن احتجبَ في سُرادقاتِ عِزِّه عن أن تُدْركهُ الأبصار، يا مَن تجلى بكمال بهائه فتحقَّقتْ عظمتَهُ الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيبُ وأنت الرقيبُ الحاضر".

سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

---

134 جَذبَ الشيءَ يَجْذِبُهُ جَذْبا وجَبَذَهُ -على القلب- واجتذبه: مَدَّهُ، وحَوَّله عن موضعه، واستلبه. كما في المرجع السابق: جذب.

قسم التحقيق


الله
تنبيه الانام على مباحث
كتاب الله من المواعظ
والحكام
لصبري بن
أحمد بن محمد الرحموني الصفاقسي
الجزء الأول
تنبيه الانام

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله بفضلك كما له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته

وتسليماته على امام المرسلين

سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين

وعلى آله وصحبه اجمعين ومن تبعهم

باحسان الى يوم الدين وبعد

يقول العبد الفقير الحقير الجاني

احمد بن محمد الرهوني التطواني

لما عزمت على المذاكرة مع الاخوان

في الله في محكم آيات كتاب الله

واجتمعت عند من تيقنت سيرة الاخذ

الاعلاج

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله بفضلك كما له

الاعلاج تشوفت لتلخيص ما يحكى

منها في مختصر يطيب تسميته تنبيه

الاذهان على مباحث كتاب الله عز

وجل من المواعظ والاحكام

والله اسأل ان يجعله خالصا

لوجهه الكريم انه هو الكريم الحليم

مقدمة تشتمل على فصول 2

الفصل الاول في فضل القرآن الكريم

وتلاوته وتعليمه اخرج مسلم والترمذي

والدارمي للثلاثي عن زيد بن ارقم ان سؤلا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا تارك

الفصل 2 في فضل القرآن

80

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله بعدد كل
فلو لم نكن قرأنا إلا ما أجازوا ذلك
لأنه يؤدي إلى اعتقاد ما ليس
بقرآن قرأنا كما هي آية من
القرآن في سورة النمل فظها
(إلا بقطع ألفه كما يجيء)
أنا نزلها كما نزلت لخلف القرآن
بوجب أن تكون منه فإن قيل
لعلها ثبتت للعمل أجيب بأنه
يلزم عليه اعتقاد ما ليس
بقرآن قرأنا فإن قيل القرآن
إنما يثبت بالتواتر أجيب بأن
محله فيما ثبت قرأنا قطعا

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله بفضل ركك لك
ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب
وقال ابن عباس معناه كذلك يكون
وقيل هو اسم لله وقيل هو خاتم
الله على عباده به يرجع عنهم
الآفات ومعنى وامض تامينه تامينهم
يا وقت التامين فامض مع تامينهم
وقيل واجعلهم يا أصفياء والخشوع
والإخلاص والقول الأول هو الصحيح
واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل
الحفظة وقيل غيرهم والمغضوب
هم اليهود والضالون النصارى والله أعلم

675

/[1][135] اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله بقدر كماله[136].

[تمهيد][137]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته وتسليماته على إمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيئين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فيقول العبد الفقير الحقير الجاني **أحمد بن محمد الرهوني التطواني**: لما عزمت على المذاكرة مع الإخوان في الله في محكم آيات كتاب الله، واجْتَمَعَتْ عندي عدة من تفاسير الأئمة /[2] الأعلام، تشوفت لتلخيص ما يمكن منها في **مختصر** لطيف سميته:

"تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ[138] والأحكام"

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم الحليم.

---

135 ترقيم صفحات المخطوط هذا من وضع قيمي الخزانة العامة، أما المؤلف فيعطي رقما لكل ثماني صفحات وهو ما يصطلح عليه بالكراسة.

وفي لسان العرب: كرس: "تكرَّس الشيء وتكارس: تراكم وتلازب، وتكرَّس أسّ البناء: صلب واشتد ...، وكل ما جُعل بعضه فوق بعض فقد كُرِّس وتكرَّس هو ...، والكُرّاسة من الكتب سُمّيت بذلك لتكرّسها ...، والكرّاسة: إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا".

136 تتكرر هذه الصلاة عند رأس كل صفحة من صفحات المخطوط إلى غاية ص 40 منه ليتغير ضمير الهاء إلى الكاف في لفظة "كماله" ابتداء من ص 41 إلى آخر المخطوط.

137 إضافة يقتضيها السياق.

138 قال أحمد زروق: "قاعدة: نظر الصوفي للمعاملات أخَصّ مِن نظر الفقيه؛ إذ الفقيه يعتبر ما يسقط به الحرج والصوفي ينظر ما يحصل به الكمال.

وأخص أيضا من نظر الأصولي؛ لأن الأصولي يعتبر ما يصح به المعتقد والصوفي ينظر فيما يتقوى به اليقين.

وأخص أيضا من نظر المفسر وصاحب فقه الحديث؛ لأن كلا منهما يعتبر الحكم والمعنى ليس إلا، وهو يزيد بطلب **الإشارة** بعد إثبات ما أثبتوه.

وإلا فهو باطني خارج عن الشريعة فضلا عن المتصوفة، والله أعلم" قواعد التصوف ص33، وفي ص47 منه: "... الثالث: قوم أثبتوا المعاني وحققوا المباني وأخذوا **الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى**، وهم الصوفية المحققون والأئمة المدققون، لا الباطنية الذين حملوا الكل عن الإشارة، فهم لم يثبتوا المعنى ولا العبارة فخرجوا عن الملة ورفضوا الدين كله، نسأل الله العافية بمنّه".

مقدمة:

تشتمل على فصول 25[139]:

الفصل الأول: في فضل القرآن الكريم[140] وتلاوته وتعليمه

1- أخرج مسلم (ت 261)[141] والترمذي (ت 279)[142] - واللفظ للثاني- عن زيد بن أرقم (ت 68)[143] أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنِّي تارِكٌ /[3] فيكُم ما إن تمَسَّكْتُم بهِ لن تضِلوا - وَأحَدُهُما[144] أعْظَمُ مِنَ الآخَر- وَهُوَ[145] كِتابُ اللهِ : حَبْلٌ مَمْدودٌ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ، وَعِتْرَتي أهْل بَيْتي، وَلن يَفْتَرقا[146] حتّى يَرِدا عَليَّ الحَوْضَ، فانْظُروا كَيْفَ تَخْلفوني فيهِما"[147].

---

[139] كذا في المخطوط بالأرقام لا بالحروف.

[140] قال ابن حجر: "وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل القرآن سورة سورة: أخرجه الثعلبي من طرق عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه كلها ساقطة، وأخرجه ابن مردويه من طريقين، وأخرجه الواحدي في الوسيط، وله قصة ذكرها الخطيب ثم ابن الصلاح عمن اعترف بوضعه، ولهذا روي عن أبي عصمة أنه وضعه" الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 19/1.
"قال السيوطي: اعلم أن السور التي صحت الأحاديث في فضلها: الفاتحة والزهراوان والأنعام والسبع الطوال مجملا، والكهف ويس والدخان والملك والزلزلة والنصر والكافرون والإخلاص والمعوذتان، وما عداها لم يصح فيه شيء اهـ.
والزهراوان: البقرة وآل عمران، والسبع الطوال: من أول البقرة إلى آخر براءة – بعدها مع الأنفال سورة واحدة-، قاله الأجهوري على البيقونية في مصطلح الحديث" حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف 18/1.
وانظر التنبيه على أحاديث وضعت في فضل القرآن في تفسير القرطبي 56/1.

[141] هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين، ولد سنة 204 وتوفي سنة 261، له مؤلفات عدة منها: الصحيح وطبقات التابعين وكتاب المخضرمين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 557/12 وتقريب التهذيب لابن حجر 6623- ص529 ومقدمة شرح النووي على صحيح مسلم.

[142] هو محمد بن عيسى بن سَوْرَة أبو عيسى الترمذي الضرير، ولد سنة 210 ومات سنة 279، له عدة كتب منها: السنن والشمائل المحمدية. انظر تقريب التهذيب 6206- ص500 وسير أعلام النبلاء 270/13.

[143] هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان أبو عمرو، أو أبو عامر أو أبو سعيد، الأنصاري الخزرجي، صحابي مشهور له عدة أحاديث، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، توفي سنة 66 أو 68. انظر سير أعلام النبلاء 165/3 وتقريب التهذيب2116- ص222.

[144] عند الترمذي: لن تضلوا بعدي، أحدهما.

[145] ساقطة من سنن الترمذي.

[146] عند الترمذي: يتفرقا.

[147] سنن الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: 3788- 663/5 قال الترمذي: :هذا حديث حسن غريب"، وانظر صحيح مسلم: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: 2408- 1873/4، والمعجم الكبير:2678 و2679 و2680 و2681 و2683 و3052 و4922 و4923 و4980 و4981 و4982.

2- وأخرج مسلم (ت 261) أيضا عن سيدنا عمر بن الخطاب(ت 23) رضي الله عنه قال: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتابِ أقْواما وَيَضَعُ بهِ آخَرينَ"[148].

3- وروى الترمذي (ت 279) عن ابن عباس (ت 63) رضي الله عنهما أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ /[4] الرَّجُلَ الذي ليْسَ في جَوْفِهِ قُرْآنٌ كالبَيْتِ الخَرِبِ"[149].

4- وأخرج البخاري (ت 256)[150] عن سيدنا عثمان (ت 35) رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"[151].

5- وأخرج البخاري (ت 256) ومسلم (ت 261) عن عائشة(ت 58) رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الماهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ[152]، وَالذي يَقْرَأ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ (أي يتردد)[153] فيهِ وَهُو

---

148 صحيح مسلم: باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها: 817- 559/1، وسنن الدارمي كتاب فضائل القرآن، باب" إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين": 3365.

149 سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب - غير معنون-: 2913- 177/5 وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وفيه: "شيء من القرآن" بدل "القرآن"، والذي بين أيدينا لفظ الدارمي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن: 3306- 521/2.

150 هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري، ولد في شوال سنة 164 وتوفي في شوال سنة 256، له عدة مؤلفات منها: الصحيح والتاريخ الكبير والصغير والأوسط، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء في ثمانين صفحة. انظر السير 391/12 وتقريب التهذيب 5727- ص468.

151 صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه: 4739- 1919/4، ومسند أحمد: 412 و413 و500، وسنن الدارمي: 3337، وسنن أبي داود: 1452، وسنن الترمذي: 2907 و2909، ومسند البزار: 1157، وسنن النسائي: 8037، وصحيح ابن حبان: 118، ومسند الطيالسي: 73، ومجمع الزوائد: كتاب التفسير، باب فيمن تعلم القرآن وعلمه 166/7.

152 عند مسلم: الكرام البررة.

153 هذا من توضيح المؤلف رحمه الله تعالى، وفي مقدمة تفسير القرطبي- باب ذكر جمل من فضائل القرآن 9/1-: "التتعتع: التردد في الكلام عِيا وصعوبة، وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك؛ لأنه قد كان القرآن متعتعا عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة".

عَلَيْهِ شاقّ لهُ أجْرانِ"[154].

6- وأخرجا أيضا عن أبي موسى /[5] الأشعري (ت 53)[155] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَثَلُ المُؤمِنِ الذي يَقرَأ القُرْآنَ كمَثَلِ الأتْرُجَّةِ طَعْمُها طيِّبٌ وَريحُها طيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِن الذي لا يَقْرَأ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُها طيِّبٌ وَلا ريحَ لها، وَمَثَلُ الفاجِر الذي يَقرَأ القُرْآنَ كمَثَلِ الرَّيْحانةِ ريحُها طيِّبٌ وَلا طَعْمَ لها، وَمَثَلُ الفاجر الذي لا يَقْرَأ القُرْآنَ كمَثَلِ الحَنْظلةِ طَعْمُها مُرٌّ وَلا ريحَ لها[156].

7- وأخرج الترمذي (ت 279) عن ابن مسعود (ت 32)[157] - وقال: حسن صحيح /[6] غريب- أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ قرَأ حَرْفا مِنْ كِتابِ اللهِ فلهُ[158] حَسَنة، وَالحَسَنَة بعَشْر أمْثالِها، لا أقولُ "الم" حَرْفٌ، وَلكنْ "أَلِفٌ" حَرْفٌ وَ"لامٌ" حَرْفٌ وَ"ميمٌ" حَرْفٌ"[159].

8- وأخرج أيضا "عن ابن عباس (ت 63) قال: قال رجل: يا رَسول اللهِ، أيُّ الأعْمالِ[160] أحَبُّ إلى اللهِ تعالى؟ قال: الحالُّ المُرْتحِلُ، قال: وما

---

154 صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة "عبس": 4653- 1882/4، وذكره أيضا في كتاب التوحيد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة"، وصحيح مسلم -واللفظ له- باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه: 798- 549/1، وانظر سنن الترمذي باب ما جاء في فضل قارئ القرآن: 2904.

155 هو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري صحابي، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، توفي سنة 40 أو 50 أو 52. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب 979/3 وتذكرة الحفاظ 23/1 والأعلام 114/4.

156 انظر صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بالقرآن أو تأكل به أو فخر به: 4772- 1928/4، وصحيح مسلم: باب فضيلة حافظ القرآن: 797- 549/1 باختلاف يسير إلا أن الحديث أقرب للفظ مسلم، وقريب منه أيضا في مجمع الزوائد: باب الذي يقرأ القرآن 168/6 عن عبد الله بسند منقطع.

157 هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أم عبد، الهذلي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمام رباني من نبلاء الفقهاء والمقرئين، توفي بالمدينة سنة 32. انظر طبقات الفقهاء ص24 وتذكرة الحفاظ 13/1.

158 عند الترمذي: فله به.

159 سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر: 2910- 175/5 قال الترمذي بعده: " ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود"، وانظر الزهد لابن المبارك: باب ما جاء في ذم التنعم في الدنيا: 808- 279/1، وسنن سعيد بن منصور: فضائل القرآن: 4- 17/1، وعلل الدارقطني: 919- 325/5.

160 عند الترمذي: العمل.

الحالُّ المُرْتحِلُ؟ قال: الذي يَضْرِبُ مِنْ أوَّلِ القُرْآنِ إلى آخِرِهِ كلما حَلَّ ارْتحَلَ"[161].

9- وأخرج أيضا عن عبد الله /[7] بن عمرو بن العاص(ت 65)[162] رضي الله عنهما قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُقالُ لِصاحِبِ القُرْآنِ: اِقْرَأ وَارْقَ وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدّنْيا، فإنَّ مَنْزلتَكَ عِنْدَ اللهِ[163] آخِرُ آيَةٍ تقرَأها[164]"، وقال:" حسن صحيح"[165].

10- وأخرج أيضا عن أبي هريرة[166] (ت 57) - وقال: حسن[167]- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَجيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيامَةِ فيَقولُ: يا رَبِّ حَلِه، فيُلبَسُ تاجَ الكَرامَةِ، ثمَّ يَقولُ: يا رَبِّ زِدْهُ، فيُلبَسُ حُلةَ الكَرامَةِ، ثمَّ يَقولُ: يا رَبِّ /[8] ارْضَ عَنْهُ، فيَرْضى عَنْهُ، فيُقالُ[168]: اِقْرَأ وَارْقَ، وَيَزْدادُ[169] بكلِّ آيَةٍ حَسَنَة"[170].

---

[161] سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن باب – غير معنون- 2948- 197/5 قال الترمذي بعده: "هذا حديث غريب لانعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي"، وانظر سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن باب في ختم القرآن: 3476- 560/2، والمستدرك على الصحيحين كتاب فضائل القرآن، ذكر فضائل سور وآي متفرقة: 2088 و2090- 757/1.

[162] هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْد السهمي، أحد العبادلة الفقهاء أسلم قبل أبيه، كان أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلف في مكان موته: مكة أو الطائف أو مصر أو فلسطين. انظر تهذيب التهذيب 575- 294/5 وتقريب التهذيب 3499- ص315.

[163] ساقطة من كتب الحديث الآتي ذكرها.

[164] عند الترمذي: تقرأ بها.

[165] سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن، باب - غير معنون-: 2914- 177/5، وانظر أيضا سنن سعيد بن منصور: 11 و13 و23، وسنن النسائي: 8056- 22/5، وصحيح ابن حبان: باب قراءة القرآن 766، والسنن الصغرى للبيهقي: 1030، وموارد الظمآن: 1790.

[166] هو أبو هريرة الدوسي اليماني صاحب رسول الله وحافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه كثيرا، قيل : توفي سنة 57 أو 58 أو 59 وهو ابن ثمان وسبعين سنة. انظر تهذيب التهذيب 1216- 288/12.

[167] عند الترمذي: حسن صحيح.

[168] عند الترمذي: فيقال له.

[169] عند الترمذي: وتزاد.

[170] سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب – غير معنون-:2915 – 178/5، والمستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة: 2029- 738//1.

11- وأخرج أبو داوود (ت 275)[171] "عن سهل(ت 100) بن معاذ (ت 76) الجُهَني[172] عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ قرَأ القُرْآنَ وَعَمِلَ بهِ[173] أُلبِسَ والِداهُ يَوْمَ القِيامَةِ تاجا[174] ضَوْءُهُ أحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشمْسِ في بُيوتِ الدُّنْيا لوْ كانَتْ فيكُمْ، فما ظنُّكُمْ بالذي عَمِلَ بهذا؟"[175].

12- وأخرج الترمذي (ت 279) - وقال: غريب- عن سيدنا علي (ت 40) رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: /[9] "مَنْ قرَأ القُرْآنَ فاسْتَظْهَرَهُ[176] فأحَلَّ حَلالَهُ وَحَرَّمَ حَرامَهُ أدْخَلَهُ اللهُ بهِ الجَنّةَ وَشفَّعَهُ في عَشَرَةٍ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ كُلهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لهُ النارُ"[177].

13- وأخرج أبو داوود (ت 275) عن أبي هريرة (ت 57) رضي الله عنه أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما اجْتَمَعَ قوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيوتِ اللهِ يَتْلونَ كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتدارَسونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلتْ عَلَيْهِمُ السَّكينةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ"[178].

/[10] 14- وفي الصحيحين عن ابن عمر (ت 73)[179] رضي الله عنهما أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّما مَثَلُ صاحِبِ

---

171 هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، ولد سنة 202 بالبصرة وتوفي فيها سنة 275، له السنن والرسالة إلى أهل مكة وغيرهما. انظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي 2069- 456/1 وتقريب التهذيب 2533- ص250 ومقدمة معالم السنن للخطابي.

172 هو سهل بن معاذ بن أنس الجهني، شامي نزيل مصر، أورده ابن شاهين في تاريخ أسماء الضعفاء 222- ص95، وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر 234/4 وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي 431/2 والكاشف 2177- 470/1، ولم يشر هؤلاء إلى تاريخ ولادته ووفاته.

173 عند أبي داود: بما فيه.

174 عند أبي داود: تاجا يوم القيامة.

175 سنن ابي داود: باب في ثواب قراءة القرآن: 1453- 70/2، والتمهيد لابن عبد البر 134/14، ومجمع الزوائد: كتاب التفسير، باب منه في فضل القرآن ومن قرأه 161/7.

176 عند الترمذي : واستظهره.

177 سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن: 2905- 171/5، ومسند أحمد: 1277، وسنن ابن ماجة: باب من أحيا سنة قد أميتت: 216- 78/1، والمعجم الأوسط: 5130- 217/5، وشعب الإيمان: 1947 و2691.

178 سنن أبي داود: باب في ثواب قراءة القرآن: 1455 – 71/2، وهو جزء من حديث في صحيح مسلم: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر: 2699 – 2074/4، وانظر سنن الدارمي: 356، وسنن الترمذي: 2945، وصحيح ابن حبان: 768.

179 هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني، شقيق حفصة، فقيه وأحد الأعلام في العلم والعمل، توفي سنة 73. انظر طبقات الفقهاء ص31 وتذكرة الحفاظ 37/1.

القُرْآنِ مَثَلُ[180] الإبلِ المُعَقلةِ[181]، إنْ عاهَدَ عَلَيْها أمْسَكَها، وَإنَ أطلقَها ذَهَبَتْ"[182].

15- وفيهما أيضا عن أبي هريرة (ت 57) رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ (أي استمع)[183] ما أذِنَ لِنبِيٍّ[184] يَتغَنّى[185] بِالقُرْآنِ"[186] (أي يحسن به صوته).

16- وأخرج الترمذي (ت 279) والدارمي (ت 255)[187] عن سيدنا علي (ت 40) رضي الله عنه أن مولانا رسول الله /[11] قال: "إنّها سَتكونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللّيْلِ المُظلِمِ، قيلَ: فما النَّجاةُ مِنها يا رَسولَ اللهِ؟ قال: كتابُ اللهِ تبارَك وَتَعالى، فيهِ نبَأ مَنْ قبْلكُمْ وَخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ، وَهُوَ فصْلٌ لَيْسَ بالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ تَجَبُّرا قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغى الهُدى في غَيْرِهِ أضَلهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتينُ وَنورُهُ المُبينُ وَالذِّكْرُ الحَكيمُ وَالصِّراطُ المُسْتقيمُ، هُوَ الذي لا تزيغُ بهِ الأهْواءُ، وَلا تتشعَّبُ مَعَهُ الآراءُ، وَلا يَشبَعُ مِنهُ العُلماءُ، وَلا يَمَلهُ الأتقياءُ،/[12] مَنْ عَلِمَ عِلمَهُ سَبَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ

---

[180] عند البخاري: كمثل صاحب، وعند مسلم: كمثل.

[181] في الهامش بعد حرف الطاء: "أي المربوطة بالعقال، أي الحبل".

[182] صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده: 4743 – 1920/4، وصحيح مسلم: باب فضائل القرآن وما يتعلق به: 789 – 543/1، وموطأ مالك: 942، ومسند أحمد: 4665 و5315 و5923، وسنن النسائي: 1014 و8041، وسنن النسائي – المجتبى-: 942، وصحيح ابن حبان: 764 و765، وسنن البيهقي الكبرى: 3857.

[183] هذا تفسير أبي حاتم في صحيح ابن حبان 30/3.

[184] عند البخاري: للنبي أن.

[185] "قال سفيان: يستغني به" صحيح البخاري 1918/4.

[186] صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن: 4736 – 1918/4، وباب قول الله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له : 7044 – 2720/6، وصحيح مسلم – واللفظ له-: باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن: 792 – 454/1 و455، ومصنف عبد الرزاق: 4167، ومصنف ابن أبي شيبة: 8740، ومسند أحمد: 7657 و7819 و9804، وسنن الدارمي: 1488 و1491 و3490 و3497، وصحيح ابن حبان: 751 و752، وسنن البيهقي الكبرى: 2256 و4485 و20829، والسنن الصغرى للبيهقي: 1023.

[187] هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الله أبو محمد التميمي ثم الدارمي السمرقندي، الحافظ الإمام، الورع الفاضل، الفقيه العالم، صنف المسند والتفسير والجامع، ولد سنة مات ابن المبارك: 181 ومات سنة 255. انظر سير أعلام النبلاء 224/12 والكاشف 2822- 567/1 وتقريب التهذيب 3434- ص311.

بِهِ عَدَلَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فقدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتقيمٍ"[188].

17- وأخرج الديلمي[189] عن أنس (ت 93)[190] رضي الله عنه أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أرادَ عِلْمَ[191] الأوَّلينَ وَالآخِرينَ فليُثَوِّر القُرْآنَ"[192]، أي يبحث عن علمه؛ (ففي المختار: وثور القرآن: بحث عن علمه)[193].

18- وأخرج [ ] عن [ ][194] رضي الله عنه أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما مِن شفيع أفضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ القُرْآنِ، لا نبيٌّ وَلا مَلكٌ"[195].

19- وأخرج /[13] الحكيم[196] عن عبادة بن الصامت[197] رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضَلُ عِبادَةِ أمَّتي

---

188 تفسير الثعالبي: باب في فضل القرآن 6/1، وهو في سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن: 2906 – 172/5 وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن: 3331 و3332 – 526/2 باختلاف يسير، وانظر المعجم الكبير: 2861 – 120/3، و56 – 38/20.
قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة 933- ص296: "قال الصغاني: موضوع"، قال محققه في الهامش: "سنده ضعيف ومتنه حسن، فلا يتجه الحكم بوضعه".

189 هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخُسْره بن خُسْركان، المحدث العالم الحافظ المؤرخ، أبو شجاع الديلمي صاحب مسند الفردوس [وهو من جملة الأصول التي تشتمل على الأحاديث الضعيفة، كما نص عليه شعيب الأرنؤوط في حاشية السير] وتاريخ همذان، ولد سنة 445 وتوفي سنة 509. انظر سير أعلام النبلاء 294/19.

190 هو أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عنه وعن الخلفاء الأربعة، عنه قتادة وغيره، توفي سنة 90. انظر طبقات ابن سعد 17/7 وطبقات ابن خياط ص91 وتذكرة الحفاظ 44/1.

191 عند الطبراني: خير.

192 تفسير الثعالبي: باب في فضل القرآن 6/1، وهو قول ابن مسعود في المعجم الكبير باب – غير معنون-: 8664 و8665 و8666 – 135/9، وفي شعب الإيمان:فصل في تعليم القرآن: 1960 – 332/2، وفي مجمع الزوائد باب منه في فضل القرآن ومن قرأه 165/7.

193 في الهامش بعبارة "صح"، وانظر مختار الصحاح: ثور، ولسان العرب: ثور.

194 بياض في الأصل، والظاهر أن المؤلف رحمه الله تعالى ترك مثل هذه الفراغات؛ لأنه عجز عن العثور على مخرج الحديث وراويه غير المذكورين فيما نقل عنه من مؤلفات.

195 تفسير الثعالبي: باب في فضل القرآن 6/1 وصدره بعبارة: "وقال صلى الله عليه وسلم".

196 هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن بشر الحكيم الترمذي، الإمام الحافظ العارف، له مصنفات في أصول الدين ومعاني الحديث، وله حكم ومواعظ وجلالة لولا هفوة بدت منه بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة، وبسبب إشاراته الصوفية واعتماده الأحاديث الموضوعة، عاش إلى حدود 320. انظر سير أعلام النبلاء 439/13 ولسان الميزان لابن حجر 1033- 308/5.

197 هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا، عنه أبو أمامة وأنس وخلق، توفي بالرملة سنة 34. انظر الإصابة في تمييز الصحابة 268/2.

القُرْآنُ"[198]، (ورواه أيضا البيهقي[199] (ت 468) والسِّجْزي[200] والديلمي عن النعمان بن بشير[201] بزيادة "نظرا" في آخره)[202].

20- وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك (ت 93) رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القانِتِينَ، وَمَنْ قرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ لمْ يُكتَبْ مِنَ الغافِلِينَ، وَمَنْ قرَأَ ثلاثَمِائَةِ آيَة لمْ يُحاجَّهُ القُرْآنُ"[203].

---

[198] نوادر الأصول في أحاديث الرسول: الأصل الثالث والخمسون في أن القرآن مثله كجراب فيه مسك 255/3، وهو أيضا في تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 6/1، وفي فيض القدير – حرف الهمزة -: رواه البيهقي و"السجزي في "الإبانة" عن أنس، ورواه أيضا أبو نعيم في فضائل القرآن عن النعمان بن بشير وأنس معا... قال الحافظ العراقي: وإسنادهما ضعيف" 44/2، "ورواه عنه – أي عن النعمان- أيضا الحاكم في التاريخ" 52/2.

[199] شعب الإيمان: فصل في إدمان تلاوة القرآن: 2022 – 354/2، بغير زيادة "نظرا" في آخره. والبيهقي هو أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجردي الخراساني أبو بكر، ولد سنة384 ومات سنة 458، له السنن الكبرى وفضائل الصحابة والأسماء والصفات وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء 163/18 وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي 349/4.

[200] هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكري السجستاني، شيخ الحرم الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، من مصنفاته الدالة على سعة علمه بفن الأثر: الإبانة الكبرى، طلب الحديث في حدود الأربعمائة وسمع بالحجاز والشام والعراق وخراسان، وحدث عنه كثيرون، توفي بمكة في المحرم سنة 444. انظر سير أعلام النبلاء 654/17.

[201] هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أول مولود من الأنصار على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة، أخرج له الجماعة، وقتل رضي الله عنه عام 64. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة 328/5 وسير أعلام النبلاء 411/3 وتهذيب الأسماء واللغات للنووي 129/2.

[202] مستدركة في الهامش، وفي تفسير القرطبي باب ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته 28/1: "وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا ".

[203] تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 6/1 ولم يذكر البيهقي، وفي شعب الإيمان: فصل في مقدار ما يستحب فيه القراءة: 1299 – 402/2: "عن حميد بن صخر أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ أربعين آية في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر"، وفيه روايات أخرى: أربعة عن أبي هريرة، وواحدة عن عبد الله بن عمرو، واثنتان عن فضالة بن عبيد، واثنتان عن ابن عباس: وذلك ابتداء من 2190.

وفي رواية ابن السني (ت 364)[204] عنه: "مَنْ قرَأ[205] خَمْسينَ آيَةً لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغافِلينَ، وَمَنْ قرَأ مِائَةَ آيَةٍ /[14] كُتِبَ مِنَ القانِتينَ، وَمَنْ قَرَأ مِائَتَيْ آيَة لَمْ يُحاجَّهُ القُرْآنُ"[206]، وهناك روايات أخرى في هذا الحديث، انظرها في تفسير الثعالبي[207] (ت 875).

21- وأخرج الطبراني (ت 360)[208] (والبيهقي في الشعب)[209] عن ابن عباس (ت 63) رضي الله عنهما قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشْرافُ أمَّتي حَمَلةُ القُرْآنِ"[210].

22- وأخرج محمد بن نصر[211] عن أنس بن مالك (ت 93) رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القُرْآنُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ

---

204 هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهاشمي الجعفري مولاهم، الدينوري المشهور بابن السني، الإمام الحافظ الثقة الرحال، صاحب كتاب عمل اليوم والليلة وهو من المرويات الجيدة، اختصر سنن النسائي وسماه: المجتبى، ولد سنة 280 ومات وهو رافع يديه يدعو الله جل وعلا سنة 364. انظر سير أعلام النبلاء 255/16 وطبقات الحفاظ للسيوطي 860- ص380.

205 في "عمل اليوم الليلة" لابن السني 670: من قرأ في يوم وليلة.

206 تتمته في تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 7/1: "... يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر"، وقد صدره الثعالبي – وهو ينقل عن ابن عطية- بعبارة: "وقد روينا في كتاب ابن السني عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم"، كما أنه قال بعده: "وجاء في الباب أحاديث كثيرة بنحو هذا، انتهى من الحلية"، أما ابن السني رحمه الله فأخرج الحديث بتمامه - كما نقله الثعالبي- وأورد سبع روايات عن أنس بن مالك وذلك في كتابه "عمل اليوم والليلة": باب ما يستحب أن يقرأ في اليوم والليلة 670 ومابعده- ص 194 وما بعدها.

207 باب في فضل القرآن 7/1.
والثعالبي هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي، الإمام الحجة، له تآليف في القرآن والعبادات، توفي سنة 876 عن نحو تسعين سنة ودفن بمدينة الجزائر. انظر التفسير والمفسرون 247/1.

208 هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطيْر اللخمي صاحب المعاجم الثلاثة: الكبير والصغير والأوسط، ولد سنة 260 وتوفي سنة 360. انظر سير أعلام النبلاء 119/16.

209 في الهامش بعبارة "صح".

210 أورده الثعالبي في تفسيره 7/1 ولم يذكر مخرجه، والحديث في المعجم الكبير: ما أسند عبد الله بن عباس: 12662- 125/12، وفي شعب الإيمان: فصل في تنوير موضع القرآن: 2703- 556/2 و3247- 170/3 بزيادة "وأصحاب الليل"، وانظر الكامل في ضعفاء الرجال: من اسمه سعد: 800- 358/3 وأسامي شتى ممن ابتداء أساميهم نون: 1986- 57/7، وفيض القدير: حرف الهمزة 522/1، ومجمع الزوائد: باب منه في فضل القرآن ومن قرأه 161/7.

211 هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الحافظ المجتهد، هجره علماء وقته بسبب قوله بأن الإيمان مخلوق، صنف كتبا ضمَّنها الآثار والفقه منها كتاب تعظيم قدر الصلاة وكتاب رفع اليدين وغيرهما، ولد ببغداد سنة 202 ونشأ بنيسابور وسكن سمرقند، توفي سنة 294. انظر سير أعلام النبلاء 33/14.

وَماحِلٌ[212] مُصَدَّقٌ، وَمَنْ شَفَعَ لهُ القُرْآنُ /[15] نجا، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ القُرْآنُ[213] يَوْمَ القِيامَةِ كَبَّهُ اللهُ لِوَجْهِهِ في النار، وَأَحَقٌّ مَنْ شَفَعَ لهُ القُرْآنُ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ، وَأَوْلى مَنْ مَحَلَ بِهِ مَنْ عَدَلَ عَنْهُ وَضَيَّعَهُ"[214].

23- وأخرج[ ][215] عن عقبة بن عامر[216] (ت 12) رضي الله عنه قال: "عَهِدَ إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: عَلَيْكُمْ بالقُرْآنِ"[217].

24- وأخرج [ ][218] عن عمرو بن العاصي (ت 43)[219] رضي الله عنه قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَلَيْكُمْ بالقُرْآنِ فتَعَلموهُ

---

[212] في الهامش بعد حرف الطاء: "أي خصم".

[213] في الهامش: "أي خاصمه وشكى به إلى الله،هـ"، وانظر لسان العرب ومختار الصحاح: محل، وفي كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس 124/2: "وماحل مصدق: أي خصم عادل".

[214] تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 7/1، ولم أعثر عليه في كتب الحديث لكن قريب منه في مصنف ابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفا: من قال يشفع القرآن لصاحبه يوم القيامة: 30054 – 131/6، وفي صحيح ابن حبان عن جابر مرفوعا: 124 – 331/1، والكامل في ضعفاء الرجال عن ابن مسعود مرفوعا: من اسمه ربيع: 651 – 127/3، وفي علل الدارقطني عن ابن مسعود موقوفا: 748، وفي شعب الإيمان عن جابر مرفوعا: فصل في إدمان تلاوة القرآن: 2010 – 351/2، قال في مجمع الزوائد: باب في العمل بالكتاب والسنة 171/1: "رواه البزار هكذا موقوفا على ابن مسعود، وروى بإسناده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بنحوه، ورجال حديث جابر المرفوع ثقات، ورجال أثر ابن مسعود فيه المعلى سنان، وقد وثقه ابن حبان"، وقال أيضا في باب منه في فضل القرآن ومن قرأه 164/7 وهو يتحدث عما رواه ابن مسعود مرفوعا: "رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر وهو متروك، وانظر كشف الخفا: حرف القاف 1871- 124/2.

[215] بياض في الأصل.

[216] هو أبو حماد عقبة بن عامر الجهني، صحابي مشهور فقيه فاضل. انظر تقريب التهذيب 4641- ص395.

[217] تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 7/1 وصدره بعبارة: "وقال عقبة بن عامر"، والحديث من رواية مالك بن عبادة، أما عقبة بن عامر فكان يقص ويحدث: "عن عمرو بن الحارث أن يحيى بن ميمون حدثه أن وداعة الحمدي حدثه أنه كان بجنب مالك بن عبادة أبي موسى الغافقي وعقبة بن عامر الجهني، فقال مالك: عهد إلينا النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: عليكم بالقرآن، وسترجعون إلى قوم يشتهون الحديث عني، فمن عقل شيئا فليحدث، ومن افترى علي فليتبوأ متبوءا – أو مقعدا- من جهنم، لا أدري أيهما قال" التاريخ الكبير 1285 – 301/7، والآحاد والمثاني 2626 – 84/5 وفيه: "وعقبة بن عامر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم"، والمعجم الكبير: من اسمه مالك 658 – 19/ 296 وفيه: "وعقبة بن عامر يقص"، والمحدث الفاصل 15 – 171/1، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1043 – 15/2، والإصابة 10587 – 392/7.

[218] بياض في الأصل.

[219] هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، أمير مصر، توفي سنة 43. انظر الإصابة 650/4 والأعلام 79/5.

وَعَلموهُ /[16] أبْناءَكُمْ، فإنَّكُمْ عَنْهُ تُسْألونَ وَبِهِ تُحاجّون، وَكَفى بهِ واعِظا لِمَنْ عَقَلَ"[220].

25- وأخرج (الخطيب[221] عن ابن عباس (ت 63))[222] وغيرُه عن أبي هريرة (ت 57) رضي الله عنه أن مولانا "رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن أحسن الناس قراءة -أو صوتا- بالقرآن، فقال: الذي إذا سَمِعْتَهُ رَأيْتَهُ يَخْشى اللهَ[223] تعالى"[224].

26- وأخرج[ ] عن [ ][225] رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اِقْرَأوا القُرْآنَ قبْلَ أن يَجيءَ قَوْمٌ يُقيمونَهُ كما يُقامُ القَدَحُ /[17] وَيُضَيِّعونَ مَعانِيَهُ، يَتَعَجَّلونَ أجْرَهُ وَلا يَتأجَّلونَهُ"[226].

27- وأخرج الترمذي (ت 279) عن أبي سعيد الخدري (ت 65)[227] رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: "مَنْ شَغَلهُ القُرْآنُ وَذِكْري عَنْ مَسْألتي أعْطَيْتُهُ أفْضَلَ ما أعْطي

---

220 هو تتمة قول عبد الله بن عمرو بن العاص في تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 7/.1 وفيه "تجزون" بدل "تحاجون"، وكذا في مسند الشاميين: 482 – 276/1 باختلاف يسير.

221 هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الخطيب البغدادي، صاحب التصانيف وخاتمة الحفاظ، ولد سنة 392 وتوفي سنة 463، له الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع وموضح أوهام الجمع والتفريق. انظر سير أعلام النبلاء 270/18 ومقدمة كتابه الجامع 21/1.

222 في الهامش بعبارة "صح".

223 "رأيت: أي علمت، أنه يخشى الله: أي يخافه" فيض القدير: حرف الهمزة 190/1.

224 هو في تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 8/1 عن أبي هريرة مرفوعا.

225 بياض في الأصل.

226 تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 8/1 وصدره بعبارة: "وقال صلى الله عليه وسلم"، وقريب منه في سنن سعيد بن منصور 30 – 150/1 عن ابن المنكدر، وفي مسند أحمد 15308 – 397/3 وسنن أبي داود 830 – 220/1 عن جابر بن عبد الله، وفي الكامل في ضعفاء الرجال 972 – 131/4 عن سهل بن سعد الأنصاري، وأخرجه في شعب الإيمان - فصل في ترك التعمق في القرآن- بروايات مختلفة من 2641 إلى 2648 – 538/2.

227 هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الخدري، روى عن رسول الله، عنه ابن المسيب ونافع وآخرون، توفي سنة 74. انظر طبقات ابن خياط ص 96 والتذكرة 44/1 والإصابة 35/2.

السّائِلينَ، وَفضْلُ كلامِ اللهِ عَلى سائِرِ الكلام كفَضْلِ اللهِ عَلى خلقِهِ. قال الترمذي (ت 279): هذا حديث حسن غريب"[228].

28- وأخرج البخاري (ت 256) ومسلم (ت 261) والترمذي (ت 279) والنسائي (ت 303)[229] عن أسيد بن حضير[230] (ت 21) أن الملائكة /[18] تنزلت في الظلة لصوته بقراءة "البقرة"، وفي رواية: "الكهف"[231].

29- "وقال قوم من الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا رسول الله ثابت بن قيس[232] لم تزل داره البارحة يَزهَر[233] فيها وحولها أمثالُ المصابيح، فقال لهم: فلعله قرأ سورة البقرة. فسئل ثابت بن قيس، فقال: نعم قرأت سورة البقرة"[234].

---

228 سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب – غير معنون- 2926 – 184/5، وفيض القدير: حرف الفاء 434/4، وفتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام 4731 – 66/9، وتحفة الأحوذي 25 – 196/8.

229 هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر، ولد سنة 215، وقيل: 214، وتوفي سنة 303، له كتاب السنن وفضائل الصحابة. انظر سير أعلام النبلاء 125/14 وتقريب التهذيب 47- ص80.

230 هو أبو يحيى أسَيْد بن حُضَيْر بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي، صحابي جليل مات سنة 20 أو 21. انظر تقريب التهذيب 517- ص112.

231 في صحيح البخاري: "عن البراء بن عازب قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف..." كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف 4724 – 1914/4، وفي مقدمة فتح الباري 299/1: "حديث البراء: قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة، هو أسيد بن حضير"، وكذا في 316/1 و320 و622/6 و57/9، وانظر صحيح مسلم باب نزول السكينة لقراءة القرآن 795 – 548/1، وسنن الترمذي كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في فضل سورة الكهف 2885 – 161/5، وسنن النسائي: سورة البقرة 8016 – 13/5 واغتباط صاحب القرآن 8074 – 27/5 ومناقب أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار: أسيد بن حضير 8244 – 67/5، وكتاب "فضائل القرآن" للنسائي أيضا: 41 ص91، ومصنف عبد الرزاق 4182 و4183 – 486/2، ومسند البزار 3209 – 178/8، والمعجم الأوسط 180 و6547 و8117، ومسند أحمد 11783، وصحيح ابن حبان 779، والمستدرك على الصحيحين 2033، والآحاد والمثاني 1928، والمعجم الكبير 561 إلى 567، وشعب الإيمان 1977 و2680.

232 هو ثابت بن قيس بن مالك بن زهير الخزرجي الأنصاري، مشهود له بالجنة، استشهد في وقعة اليمامة سنة 12. انظر الإصابة 14/2.

233 في الهامش بعد عبارة "صح": "زهر من باب خضع:أضاء، كما في المختار"، وانظر في هذا مختار الصحاح ولسان العرب: زهر.

234 تفسير الثعالبي باب في فضل القرآن 7/1، "وقد وقع قريب من القصة التي لأسيد – في النص السابق رقم: 28- لثابت بن قيس بن شما س، لكن في سورة البقرة أيضا، وأخرج أبو داود من طريق مرسلة قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح؟ قال : فلعله قرأ سورة البقرة، فسئل، قال: قرأت سورة البقرة" تحفة = =

30- وأخرج مسلم (ت 261) عن ابن عباس (ت 63) رضي الله عنهما أن ملكا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "أَبْشِرْ بنورَيْنِ /[19] أوتِيتَهُما لمْ يُوتَهُما نبيٌّ قبْلكَ: فاتِحَةِ الكِتابِ وَخَواتِمِ[235] سورَةِ البَقَرَةِ، لن تَقْرَأَ بحَرْفٍ مِنْهُما إلا أعْطِيتَهُ"[236].

31- وأخرج (الترمذي (ت 279) وأبو داوود (ت 275) والنسائي وابن ماجة(ت 273))[237] عن أبي مسعود الأنصاري[238] رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ قرَأ هاتيْن[239] الآيَتيْنِ مِنْ آخِرِ سورَة البقرةِ في ليْلتِهِ[240] كفَتاهُ[241]، (أي كلَّ سوء، أو عن قيام تلك الليلة)[242]، (ورواه البخاري (ت 256) بلفظ آخر)[243].

= = الأحوذي: باب ما جاء في فضل سورة الكهف 157/8 وفتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف 4724 – 57/9.

[235] كذا عند النسائي، وعند مسلم والحاكم: وخواتيم.

[236] صحيح مسلم: باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة 806 – 554/1، وسنن النسائي: فاتحة الكتاب 8014 – 12/5 و8021 – 14/5، والمستدرك: أخبار في فضائل القرآن جملة 2052 – 745/1.

[237] في الهامش بعبارة "صح".
وابن ماجة هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الرَّبعي القزويني، ولد سنة 209 وتوفي سنة 273، له كتاب السنن وكتاب التاريخ وغيرهما. انظر سير أعلام النبلاء 277/13 وتقريب التهذيب 6409- ص514.

[238] هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري - لنزوله ماء ببدر لا لشهوده بدرا-، شهد أحدا وما بعدها، وروى أحاديث كثيرة، توفي سنة 39 أو 40. انظر أسد الغابة 57/4 وسير أعلام النبلاء 493/2.

[239] ساقطة من الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجة.

[240] عند الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجة: ليلة.

[241] انظر سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في آخر سورة البقرة 2881 – 159/5 وقال بعده: "هذا حديث حسن صحيح"، وسنن أبي داود: أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله 1397 – 56/2، وسنن النسائي: باب سورة كذا سورة كذا 8003 – 9/5، و8005 – 10/5، وسورة البقرة 8018 و8019 و8020 – 14/5، و10554 و10555 – 180/6، وسنن ابن ماجة: باب ما جاء فيما يرجى أن يكفي من قيام الليل 1368 و1369 – 435/1.

[242] عنون ابن حبان في صحيحه 313/6 الحديث: 2575 بعبارة "ذكر الاكتفاء لقائم الليل بقراءة آخر سورة البقرة إذا عجز عن غيره"، وفي فيض القدير: حرف الهمزة 167/3: "كفتاه: في ليلته شر الشيطان أو الثقلين أو الآفات، أو أغنتاه عن قيام الليل، أو الكل" وانظر حرف الميم 197/6 أيضا.

[243] في الهامش بعبارة "صح"، ولفظ البخاري هو: "الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه" كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا 3786 – 1472/4 وانظر كتاب التفسير باب فضل فاتحة الكتاب4722 – 1914/4 وباب من لم ير بأ سا أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا وكذا 4753 – 1923/4 وباب في كم يقرأ القرآن 4764 – 1926/4، وكذا صحيح مسلم:= =

32- وأخرج أحمد (ت 241)[244] ومسلم (ت 261) عن أبي أمامة الباهلي (ت 86)[245] أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اِقْرَأوا "البقرة"، /[20] فإنَّ أخْذَها بَرَكةٌ وَتَرْكَها حَسْرَةٌ، وَلا يَسْتَطيعُها البَطلةُ"[246].

33- وأخرج [النسائي][247] عن أبي هريرة (ت 57) رضي الله عنه أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجْعلوا بُيوتكُم مَقابرَ، إنّ[248] الشيطانَ يَفِرُّ مِنَ البَيْتِ الذي تُقرَأ[249] فيه سورةُ البقرةِ"[250].

34- وأخرج (مسلم (ت 261) وأبو داوود (ت 275) والحاكم (ت405))[251] عن أبَيّ بن كعب[252] (ت 30) رضي الله عنه قال مولانا

= = باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة 807 و808 – 554/1، وانظر أيضا صحيح ابن خزيمة 1141، وصحيح ابن حبان 781 و2575، وسنن الدارمي 1487 و3388، ومصنف عبد الرزاق 6020، ومسند أحمد 17109 و17132 و17136 و17137، وعلل الدارقطني 1049، وفيض القدير: حرف الهمزة 167/3 وحرف الميم 197/6.

[244] هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي، ولد سنة 164 وتوفي سنة 241، له كتاب المسند. انظر الكاشف 202/1 وسير أعلام النبلاء 177/11 وتقريب التهذيب 96- ص84.

[245] هو أبو أمامة صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، روى عن رسول الله فأكثر، عنه القاسم وآخرون، توفي سنة 81. انظر الاستيعاب 736/2.

[246] مسند أحمد: حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم 22200 و22201 و22211 و22247 و22267 و23000 و23025 و23099 – 249/5 وما بعدها، وصحيح مسلم: باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة 804 – 553/1، قال مسلم بعده: "قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة"، ومصنف عبد الرزاق 5991، وسنن الدارمي 3376 و3391، وصحيح ابن حبان 116، وفيض القدير: حرف الهمزة 64/2 وفيه: "البطلة بفتح الباء والطاء:السحرة تسمية لهم باسم فعلهم؛ لأن ما يأ تون به باطل... وقيل: البطلة أهل البطالة الذين لم يؤهلوا لذلك ولم يوفقوا له، أي لايستطيعون قراءة ألفاظها وتدبر معانيها لبطالتهم وكسلهم، أو المراد سحرة البيان... أي إنهم لا يستطيعونها من حيث التحدي"، وفي حرف السين 149/4: "ولا تستطيعها: أي ولا تستطيع تعلمها أو قراءتها أو إدامة ذلك".

[247] بياض في الأصل.

[248] عند أحمد والبيهقي: فإن.

[249] عند أحمد والبيهقي: يقرأ.

[250] سنن النسائي: ذكر ما يجير من الجن والشيطان 10801 – 240/6، وانظر مسند أحمد: مسند أبي هريرة 7808 و8424 و9030 – 284/2 وما بعدها، وشعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذكر سورة البقرة وآل عمران 2381، والترغيب والترهيب: الترغيب في قراءة سورة البقرة وآل عمران 2243 – 240/2، وفيض القدير: حرف الهمزة 47/2.

[251] في الهامش بعبارة "صح".
والحاكم هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الإمام الحافظ الناقد، ولد سنة 321 وتوفي سنة 405، له المستدرك على الصحيحين ومعرفة علوم الحديث. انظر سير أعلام النبلاء 162/17.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المُنذِر، أتدْري أيَّ آيةٍ مِن كِتابِ اللهِ أعْظم[253]؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ/[21] الحَيُّ القيّومُ﴾[254]، فضرب في صدري وقال: ليَهْنك[255] العِلمُ[256] يا[257] أبا المُنذِر"[258].

35- وأخرج مسلم (ت 261) والإمام أحمد (ت 241) عن النواس بن سمعان[259] قال: سمعت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يُؤتى بالقرآنِ يومَ القيامةِ وأهلهُ الذينَ كانوا يَعملونَ بهِ تَقدُمُهُ سورةُ البقرةِ وآلُ عِمْرانَ كأنهُما غَمامتان - أو ظُلّتان- سَوْداوان، بَيْنهُما شَرْفٌ[260]،-أو كأنهما فِرْقان مِن طير صَوافّ- تُحاجّان عن صاحِبهما[261].

---

252 هو أبو المنذر أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، سيد القراء من فضلاء الصحابة، توفي سنة 19 أو 32. انظر تقريب التهذيب 283- ص96.

253 عند مسلم: معك أعظم.

254 البقرة 253.

255 عند مسلم: والله ليهنك.

256 في هامش المخطوط بعد حرف الطاء: "أي ليأتك العلم بلا تعب، من: هنأه الطعام أو غيره، من بابي: قَطَعَ وضَرَبَ، هـ"، وفي مختار الصحاح - هنأ-: "وهَنَأه الطعام - من باب ضرب وقطع- وهَنِئَ أيضا بالكسر، وضنِئ الطعام بالكسر: تهنأ به، وكل أمر أتى بلا تعب فهو هنيء".

257 أداة النداء ساقطة من صحيح مسلم.

258 صحيح مسلم: باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي 810 – 556/1، وسنن أبي داود: باب ما جاء في آية الكرسي 1460 – 72/2، والمستدرك: ذكر مناقب أبي بن كعب 5326 – 344/3، ومسند الطيالسي 550، ومسند أحمد 21315، والآحاد والمثاني 1847، وشعب الإيمان 2387، ومجمع الزوائد: كتاب التفسير، سورة البقرة 321/6.

259 هو النواس بن سمعان الكلابي ويقال: الأنصاري، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، عنه إدريس الخولاني وغيره. انظر تهذيب التهذيب 869- 428/10.

260 في الهامش بعد حرف الطاء: "أي مكان عا ل"، وانظر مختار الصحاح: شرف.

261 صحيح مسلم: باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة 805 – 554/1، ومسند أحمد: حديث النواس بن سمعان 17674 – 183/4، والتارخ الكبير: 2512 – 147/8 باختلاف يسير، وانظر أيضا سنن الترمذي: باب ما جاء في سورة آل عمران 2883 – 160/5 وفيه: "قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته"، ومسند الشاميين 1418 – 320/2، وشعب الإيمان 2373 و2374 – 451/2، وانظر شرحه من رواية أبي أمامة في فيض القدير: حرف الهمزة 63/2، وفي شرح النووي على صحيح مسلم – باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة- 90/6: "قال أهل اللغة: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحا بة وغبرة وغيرهما، قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين... وفي الرواية الأخرى: "أو كأ نهما حزقان من طير صاف": الفرقان – بكسر الفاء وإسكان الراء- والحزقان – بكسر الحاء المهملة وإسكان الزاي- ، ومعناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق، وحزيقة: أي جماعة".

36- وأخرج الإمام أحمد (ت 241) (ومسلم (ت 261) وأبو داوود (ت 275) والنسائي (ت 303))[262] عن أبي الدرداء (ت 32)[263] /[22] أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ حَفظَ عَشرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سورةِ الكهفِ عُصِمَ مِن الدّجّال"[264]، وفي رواية: "مِن آخِرِها"[265].

37- وأخرج (الإمام أحمد (ت 241) ومسلم (ت 261))[266] عنه أيضا أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "(قلْ هُوَ اللهَ أحَدٌ) تَعدِلُ ثلثَ القُرآنِ"[267].

38- وأخرج النسائي (ت 303) عن عقبة بن عامر[268] رضي الله عنه قال: قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم[269]: "ألمْ ترَ آياتٍ نَزَلتْ

---

[262] في الهامش بعبارة "صح".

[263] هو الإمام القدوة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، حكيم الأمة وسيد القراء بدمشق، توفي سنة 31، وقيل: 32، وقيل: 34. انظر سير أعلام النبلاء 335/2 ورجال صحيح البخاري للكلاباذي 592/2.

[264] مسند أحمد: باقي حديث أبي الدرداء 21760 – 196/5، وصحيح مسلم: باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي 809 – 555/1، وفي سنن أبي داود: باب خروج الدجال 4323 – 117/4 وسنن النسائي: ما يجير من الدجال 10787 – 236/6: "... عصم من فتنة الدجال"، وانظر اختلاف روايات الحديث وشرحه في شرح النووي على صحيح مسلم: باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، وفي عون المعبود: باب خروج الدجال.

[265] " قال شعبة: من آخر الكهف" صحيح مسلم 809 – 556/1، وسنن أبي داود 4323 – 117/4.

[266] في الهامش بعبارة: صح.

[267] هذا اللفظ من رواية أم كلثوم بنت عقبة أم حميد بن عبد الرحمن في مسند أحمد 27315 – 403/6، أما رواية أبي الدرداء فهي "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيعجب أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟، قالوا: كيف يطيق ذلك؟ - أو من يطيق ذلك؟- قال: (قل هو الله أحد)" 21753 – 195/5 وله روايات أخرى في مسنده، وأوله في صحيح مسلم – باب فضل قراءة (قل هو الله أحد)- 811 – 556/1: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟..." وفيه أيضا روايات أخرى، وفي صحيح البخاري روايات مختلفة: عن أبي سعيد الخدري 4726 و4727 و6267 و6939 و6940، وعنده في التاريخ الكبير 462 – 137/3 من رواية أبي أيوب، والحديث برواية أبي الدرداء في مسند أحمد: 21753 و27535 و27538 و27562 و27563 و27564، وسنن الدارمي 3431، وسنن الترمذي 2896، وسنن البيهقي 10537، والمعجم الأوسط 2105، وشعب الإيمان 2534.

[268] هو عقبة بن عامر بن عبس أبو أسد، وقيل: أبو حماد، وقيل: أبوعمرو، الجهني البصري، سمع النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 58. انظر رجال صحيح البخاري 563/2 وسير أعلام النبلاء 467/2.

[269] في المخطوط: "وسلم قال" وهو خطأ.

عليَّ لمْ يُرَ مِثلُهُنَّ قَطُّ: ﴿ قل أعوذُ برَبِّ الفلقِ ﴾ /[23] و﴿قل أعوذُ برَبِّ الناسِ﴾"[270].

39- وأخرج الترمذي (ت 279) عن عقبة بن عامر (ت 12) رضي الله عنه قال: سمعت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الجاهِرُ بالقُرْآنِ كالجاهِرِ بالصَّدقةِ، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرِّ بالصَّدَقةِ"[271].

40- وأخرج عن عمران بن حصين[272] (ت 52) رضي الله عنهما قال: سمعت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَن قرَأَ القُرْآنَ فليَسْأَلِ اللهَ بهِ"[273]، هـ والله أعلم.

الفصل الثاني: /[24] في وجوب التدبر عند تلاوة القرآن

قال الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي (ت 875) رضي الله عنه:

"قال الشيخ يحيى بن شرف النووي (ت 676)[274] رحمه الله: اعلم أن قراءة القرآن آكد الأذكار وأفضلها، فينبغي المداومة عليها، فلا يخلو عنها

---

270 يريد المعوذتين، والحديث في سنن النسائي: جامع ما جاء في القرآن، الفضل في قراءة المعوذتين 1026 – 330/1 وكتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة: من 7838 إلى 7856 – 437/4 وما بعدها، وفضل المعوذتين 8030 – 17/5 بألفاظ مختلفة قليلا، وكذا في سننه (المجتبى): باب الفضل في قراءة المعوذتين 952 و953 – 158/2 وكتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة: من 5430 إلى 5440 – 251/8 وما بعدها، والحديث في صحيح مسلم: باب فضل قراءة المعوذتين 814 – 558/1 بعبارة "أنزلت الليلة" بدل "نزلت علي"، وانظر مسند أحمد: حديث عقبة بن عامر 17335 وما بعده، وسنن الدارمي: باب في فضل المعوذتين 3439 وما بعده، وسنن الترمذي: باب ما جاء في المعوذتين 2902 و2903، والمعجم الكبير 963 وما بعده، وسنن البيهقي 3852 وما بعده.

271 سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب – غير معنون- 2919 – 180/5 وفيه: "هذا حديث حسن غريب"، ومسند أحمد 17406 – 151/4، وسنن النسائي 2342، ومسند الشاميين 1164 – 189/2، وسنن البيهقي 4488 - 13/3.

272 هوأبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر، روى عن رسول الله ومعقل وآخرين، عنه ابنه نجيد وأبو الأسود الديلي وغيرهما، توفي بالبصرة سنة 52. انظر تهذيب التهذيب 220- 111/8.

273 تتمته في سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب – غير معنون - 2917 – 179/5: "فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسأ لون به الناس"، وانظر أيضا مسند أحمد 19898 – 432/4 و19958 – 439/4، والمعجم الكبير: من 370 إلى 374 – 166/18 وما بعدها، وفيض القدير: حرف الميم 204/6.

274 هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي النواوي الشافعي، صاحب التصانيف النافعة مثل: شرح صحيح مسلم والأربعين حديثا النووية وغيرهما، ولد سنة 631 وتوفي سنة 676. انظر مقدمة شرح مسلم.

يوما وليلة، ويحصل له أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة، والمطلوب القراءة بالتدبر والخشوع والخضوع"[275].

ثم قال الثعالبي (ت 875): "وعماد الأمر التدبر والتفهم، فقلة القراءة مع التفهم /[25] أفضل من كثرتها من غير تفهم، وهذا الذي عليه المحققون، وهو الذي يدل عليه القرآن وصحيح الآثار"[276]، ومنها:

حديث الترمذي (ت 279) عن عبد الله بن عمرو (ت 65) مرفوعا: "لَمْ يَفقَهْ مَنْ قرَأ القُرآنَ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ"[277].

قال: "ولولا الإطالة لأتينا من ذلك بما يثلج له الصدر"[278]. وقد ذكروا أن من قرأ بلا تفهم ولا تدبر في أجره قولان، والقول بعدم الأجر- على ضعفه- في غير المتعلم[279].

وعن محمد بن كعب القرظي[280] (ت 120): "لأن أقرأ في ليلي حتى أصبح ب"إذا زلزلت" وب"القارعة" /[26] وأتفكر أحب إلي من أن أهُذ القرآن هذا"[281]، ونحوه عن مجاهد (ت 103)[282] وغيره.

---

[275] تفسير الثعالبي: باب في فضل القرآن 6/1.

[276] المرجع السابق 8/1.

[277] المرجع السابق، وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب – غير معنون- 2946 – 196/5، و2949 – 198/5، وانظر أيضا مصنف ابن أبي شيبة 8573 و8574، ومسند أحمد 6535 و6546 و6775 و6810 و6841، وسنن الدارمي 1393 و3487، وسنن ابن ماجة 1347، وسنن أبي داود 1390 و1394، وسنن النسائي 8067، وصحيح ابن حبان 758، وشعب الإيمان 2168، وفيض القدير: حرف اللام 452/6.

[278] تفسير الثعالبي 8/1.

[279] "هو ظاهر ما حكاه عياض في المدارك عن الشلبي في قصته مع الإمام المقرئ" تفسير الثعالبي 9/1.

[280] في تفسير الثعالبي 9/1: "ونقل الباجي في سنن الصالحين عن محمد بن كعب...".
وهو محمد بن كعب بن سليم الإمام الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله، القرظي المدني، ولد سنة 40 على الصحيح ومات سنة 108، وقيل: 120، وقيل غير ذلك. انظر سير أعلام النبلاء 65/5 وتقريب التهذيب ص504 ورجال صحيح البخاري 675/2.

[281] أخرجه ابن حيان الأصبهاني في كتابه "العظمة" عن القرظي وفيه: "لأن أقرأ في ليلتي... أحب إلي من أهذ القرآن ليلتي، أو قال: أنثره نثرا" رقم: 35. والهَذ والهَذْذ: سرعة القطع وسرعة القراءة.

[282] هو مجاهد بن جبر، أو بن جبير، أبو الحجاج القارئ المكي، توفي سنة 101 وقيل: 102 وقيل: 103 وقيل: 104. انظر تقريب التهذيب 1481- ص520 ورجال صحيح البخاري 1218- 731/2.

وعن ابن عباس (ت 63): "ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه"[283].

قال ابن أبي جمرة (ت 699)[284]: "وفائدة التدبر أن تعرف معنى ما تتلوه من الآي"[285].

"وقيل ليوسف بن أسباط[286]: بأي شيء تدعو إذا ختمت القرآن؟ فقال: أستغفر الله من تلاوتي؛ لأني إذا ختمته ثم تركت ما فيه من الأعمال خشيت المقت، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح"[287].

/[27] وقال الغزالي (ت 505)[288]: "وأما طريق الفكر الذي تطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محمودة أو التنزه عن صفات مذمومة[289]، فلا يوجد فيه أنفع من تلاوة القرآن بالفكر، فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين"[290]، هـ بخ والله أعلم[291].

---

283 في تفسير الثعالبي 9/1: "انتهى" أي من نقل الباجي، وقد تُصُرِّفَ في قول القرظي قليلا.

284 هو الإمام العارف أبو محمد عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأزْدي الأندلسي، له كتاب بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، وهو شرح مختصر صحيح البخاري، ذكر فيه أنه أخذ من البخاري ثلاثمائة حديث وبضعا بحذف الأسانيد ما عدا راوي الحديث ليسهل حفظها ثم شرَحَه. قال عبد الله محمد الصديق في كتابه "بدع التفاسير" - ص 152-: "وقد كنت في بداية طلبي للعلم أقرأ شرح العارف أبي محمد بن أبي جمرة - على مختصره للبخاري- على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، فكان يلفت نظري إلى ما فيه من دقائق الاستنباطات التي لم يتفطن لها شراح البخاري قبله، وهي مما ألهمه الله إليها وفتح بها عليه، ويقول لي: إن الحافظ ابن حجر ينقل عنه كثيرا منها في "فتح الباري" ويحليه بلقب "العارف" مع أنه ليس من أنصار الصوفية"، توفي رحمه الله تعالى سنة 699. انظر كشف الظنون 599/1 وكتاب بدع التفاسير ص 152.

285 تفسير الثعالبي 9/1، وفي 45/1 منه - بعدما نقل الثعالبي قولا آخر له- ما يلي: "انتهى من كتابه [أي ابن أبي جمرة] الذي شرح فيه بعض أحاديث البخاري، **وكل ما أنقله عنه فمنه**".

286 هو يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم، دفن كتبه فحدث بعدُ من حفظه بأحاديث منها ما لا أصل له، ومنها ما يخطئ فيه. انظر ميزان الاعتدال 136/6 وسير أعلام النبلاء 169/9 والضعفاء الكبير للعقيلي 2084- 454/4.

287 تفسير الثعالبي 9/1.

288 هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي صاحب التصانيف، منها إحياء علوم الدين وإلجام العوام وكمياء السعادة، توفي سنة 505. انظر سير أعلام النبلاء 322/19.

289 في إحياء علوم الدين : كتاب التفكر 431/4 بعد هذه العبارة ما يلي: "وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر، أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من تلاوة القرآن بالتفكر...".

290 هو جزء من كلام طويل في إحياء علوم الدين: كتاب التفكر 431/4 قال الغزالي بعده: "فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم، فليتوقف بالتأمل فيها ولو ليلة واحدة ...، وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتي جوامع الكلم...".

291 لقد تصرف صاحب المخطوط رحمه الله تعالى فيما نقله عن الثعالبي بحذف أقوال أو بعضها.

الفصل الثالث: في أن فضل القرآن إنما يحصل لمن عمل به، وإلا كان على صاحبه حسرة يوم القيامة إلا أن يعفو الله عنه:

أخرج الترمذي (ت 279) /[28] بإسناد غير قوي عن صهيب[292] رضي الله عنه قال : قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما آمَنَ بالقُرآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحارمَهُ"[293].

وتقدم في بعض الأحاديث أن شرط الانتفاع بالقرآن تحريم محارمه وتحليل حلاله[294].

وقال تاج العارفين وإمام الأولياء والمتقين سيد نا ومولانا أحمد بن محمد التجاني (ت 1230)[295] - نفعنا الله به وأعاد علينا من فضله- حسبما في **الجواهر** و**الجامع** ما نص المراد منه:

/[29] أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام: فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة، وتفضيله من حيثيتين:

الحيثية الأولى: كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام.

والحيثية الثانية: ما دل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم /[30] الأخلاق والأحكام الإلهية والأوصاف العالية

---

[292] هو صهيب بن سنان بن مالك، سباه الروم صغيرا، شهد بدرا والمشاهد بعدها، توفي سنة 38. انظر الإصابة 162/5.

[293] "قال أبو عيسى: هذا حديث ليس إسناده بالقوي" سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب - غير معنون- 2918 – 180/5، ورواية صهيب هذه في مسند البزار 2084، ومسند الشاشي 993، والمعجم الأوسط 4366، والمعجم الكبير 7295، ومسند الشهاب 775 و776، وشعب الإيمان 173، والحديث برواية أبي سعيد الخدري في مصنف ابن أبي شيبة 30200، ومسند عبد بن حميد 1003، ومسند الشهاب 777، وانظر ضعف الروايتين في الكامل في ضعفاء الرجال: من اسمه يزيد 2166.

[294] انظر مثلا الأحاديث رقم: 11 و12 و16 و22 السابقة.

[295] هو فقيه مالكي غلب عليه التصوف، إليه تنسب الطريقة التجانية، ولد في الجزائر وتوفي بفاس رحمه الله تعالى. انظر التعريف به في جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني لعلي حرازم 20/1 وما بعدها وكذا في المنجد في الأعلام ص183.

التي لا يتصف بها إلا الربانيون، فهو في هذه المرتبة أيضا لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور.

ثم إن هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضلَ القرآن فيهما إلا عارف بالله قد انكشفت له بحار الحقائق[296]، فصاحب هذه المرتبة هو الذي يكون القرآنُ في حقه أفضلَ من جميع الأذكار والكلام[297].

والمرتبة الثانية[298] دون هذه، وهي مَن عَرَف معانيَ القرآن ظاهرا وألقى سمعه /[31] عند تلاوته كأنه يسمعه من الله[299] مع وفائه بالحدود، فهذا أيضا لاحِق في الفضيلة بالمرتبة الأولى إلا أنه دونها.

والمرتبة الثالثة في تلاوة القرآن: رجل لا يعلم شيئا من معانيه، ليس له إلا سرد حروفه، ولا يعلم ماذا تدل عليه من العلوم والمعارف، فهذا إن كان مهتديا كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني العربية، إلا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقي سمعه عند تلاوته معتقدا أن الله يتلو عليه تلاوة /[32] لا يعلم معناها، فهذا لاحق في الفضل بالمرتبتين، إلا أنه منحط عنهما بكثير[300].

والمرتبة الرابعة: رجل يتلو القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم إلا أنه متجرئ على معصية الله غيرُ متوقف عن شيء منها، فهذا لا يكون القرآن في حقه أفضل، بل كلما ازداد تلاوة ازداد ذنبا وتعاظم عليه الهلاك، يشهد له:

قوله تعالى: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ﴾ إلى (فلن يَهْتَدُوا إذن أبدا﴾[301] /[33] وقوله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ إلى قوله ﴿وَلَهُمْ

---

296 "فهو أبدا يسبح في لججها" جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم 141/1.

297 "لحوزه الفضيلتين؛ لكونه يسمعه من الذات المقدسة سماعا صريحا، لا في كل وقت، وإنما ذلك في استغراقه وفنائه في الله تعالى" المرجع السابق.

298 أي في القرآن.

299 "يقصه عليه ويتلوه عليه" المرجع السابق.

300 "إلا أنه منحط عنهما بكثير كثير، بشرط أن يكون مهتديا موفيا بالحدود والواجبات، غير مخلّ بشيء منها" المرجع السابق.

301 الكهف 57.

عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[302]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ﴾ الآية[303].

وكل من يحفظ القرآن ولم يُقِم حدودَه فقد اتخذه هزؤا، قال تعالى: ﴿وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ﴾ إلى قوله ﴿وَلا تَتَّخِذُوا آياتِ اللهِ هُزُواً﴾[304].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما بَالُ أقْوام يُشَرِّفونَ المُتْرَفينَ وَيَسْتَخِفّونَ بِالعابِدينَ وَيَقولونَ بالقُرْآنِ ما وافَقَ أهْواءَهُمْ، وَما خالفَ أهْواءَهُمْ /[34] تَرَكوهُ، فعِندَ ذلك يومِنونَ ببعْض الكِتابِ وَيَكفُرونَ ببَعْضٍ" الحديث[305]، وأراد صلى الله عليه وسلم أنه يصدق عليهم الوعيد الذي في الآية، قال الله تعالى: ﴿أفتومِنونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعْضٍ﴾ إلى قوله ﴿أَشَدِّ العَذابِ﴾[306].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِنْ أشَدِّ النّاس عَذابا يَوْمَ القِيامَةِ عالِما لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلمِهِ"[307].

---

302 الجاثية 6- 9.

303 المائدة 68.

304 البقرة 129.

305 هو في شعب الإيمان: ذكر فصول في الدعاء يحتاج إلى معرفتها 1195 – 73/2 برواية ابن مسعود، وفيه: "ويعملون" بدل "ويقولون"، وتتمته هي: "... ويسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزق المقسوم، ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور"، قال البيهقي بعده: "هذا حديث... باطل... وروي ذلك بإسناد آخر أضعف منه"، وكذا في لسان الميزان: حرف العين المهملة، من اسمه عمر 967 – 339/4 حيث ورد: "وهذا موضوع".

306 البقرة 84.

307 مسند الشهاب: الجزء الثامن 1122 – 171/2، وشعب الإيمان: الثامن عشر من شعب الإيمان وهو باب في نشر العلم 1778 – 284/2، وفيهما: "إن أشد... عالم..."، وفي الكامل في ضعفاء الرجال: من ابتداء أساميهم ممن ينسب إلى **ضرب من الضعف**، من اسمه عثمان 158/5 ومجمع الزوائد: باب فيمن لم ينتفع بعلمه 185/1 ولسان الميزان: حرف العين المهملة، من اسمه عثمان 364 – 157/4: "إن أشد... عالم لم ينفعه علمه"، وكذا مع إسقاط أداة "إن" في كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: الهمزة مع الشين المعجمة 376 – 145/1،وقد أورده الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه "الكفاية في علم الرواية" 7/1 في سياق حديثه عن بذل المجهود في تتبع آثار الرسول، وكل هؤلاء أخرجوا الحديث عن أبي هريرة مرفوعا.

هذا وقال في كشف الخفا 145/1 معقبا على الحديث: "رواه الطبراني وابن عدي وابن ماجة عن أبي هريرة"، وفي مجمع الزوائد 185/1: "رواه الطبراني في الصغير وفيه عثمان البري، قال الفلاس: صدوق لكنه كثير الغلط، صاحب بدعة، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني"، أما ابن عدي فقال في الكامل في ضعفاء الرجال 158/5: " وضعفوه [أي عثمان] للغلط الكثير الذي كان يغلط، إلا أنه في الجملة ضعيف، **ومع ضعفه يكتب حديثه**".

وقوله سبحانه: **(وَمَن أَعْرَضَ عَنْ ذِكري)** إلى **(تُنْسَى)**[308]: فمن ترك العمل /[35] بالقرآن فقد نسيه والوعيد ثابت عليه، فمثل هذا لا يكون القرآن في حقه أفضل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فأصحاب المراتب الثلاث الأول: القرآن في حقهم أفضل[309]، وصاحب المرتبة الرابعة: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حقه أفضل، وبيان ذلك: أنه يزداد من الله بتلاوة القرآن طردا[310] إلا أن يكون صاحبَ مرتبة إلهية في الغيب مدَّخَرة له في المعرفة بالله العيانية[311]، فتمحى /[36] ذنوبه[312] وتكتب جميع تلاوته حسنات لأجل المرتبة التي حصلت له من الله من طريق المحبوبية، فإن خلا عن هذه المرتبة فهو عند الله بين أمرين: إما أن يعامله بالعفو في الآخرة لسبب من الأسباب[313]، وإما أن يناقشه الحساب، فصاحب هذه المرتبة: الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم أفضلُ له[314]؛ لكون الله يصلي عليه بكل صلاة عشرا عشرا[315]، وجميع العالم عشرا عشرا لكل صلاة، فإن /[37] هذا الوعد من الله محقق

---

308 طه 122- 124.

309 أي من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

310 "ولعنا وبُعدا" جواهر المعاني وبلوغ الأماني 142/1.

311 "فإنه إن كان بهذه المثابة وحاله في المرتبة الرابعة كما ذكرناه" المرجع السابق.

312 في المرجع السابق: "فتمحى جميع ذنوبه في الغيب".

313 "المعلومة في الغفران وهي كثيرة" المرجع السابق.

314 أي من تلاوة القرآن.

315 في سنن الترمذي: باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي 485 – 355/2: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا... قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح"، وانظر أيضا سنن أبي داود: باب في الاستغفار 1530 – 88/2 وعمل اليوم والليلة للنسائي 45 – 158/1 ومسند أبي يعلى 3681 – 354/6 والمعجم الأوسط 6602 – 354/6 و7235 – 188/7 والمعجم الصغير 899 – 126/2 وشعب الإيمان 1553 – 209/2، وقال في فيض القدير: حرف الميم 129/6: "من ذكرت عنده فليصل علي، فإنه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ... قال النووي في الأذكار: وإسناده جيد، قال الهيثمي: رجاله ثقات".
هذا وفي المعجم الصغير: باب الميم من اسمه محمد 899 - 126/2: "عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه ما ئة، ومن صلى علي ما ئة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء".

الوقوع، وهذا واقع لكل مطيع وعاص، فكل من صلى عليه ربه وصلت عليه الملائكة فهو من أهل السعادة[316].

إلى آخر ما بيَّنه ووضحه رضي الله عنه وأرضاه وجزاه عن نصح خلقه وعنا أفضل الجزاء، آمين[317].

واستفيد من كلامه رضي الله عنه أن من أقامه الله في إحدى المراتب الثلاث الأول يشتغل بتلاوة القرآن العظيم، ومن أقامه في المرتبة /[38] الرابعة يشتغل بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤهله الله من فضله للإقامة في المراتب الثلاث فيشتغل بهما جميعا، والله الموفق المعين.

الفصل الرابع: في فضل تفسير القرآن الكريم

قد علمت أن تلاوته إنما تنفع مع التدبر في معانيه، والتدبر إنما يحصل مع معرفتها، فكان في ذلك فضل تفسيره ومعرفة معانيه:

---

316 "فصاحب هذا الحال يقع له الهلاك والشقاء بتلاوة القرآن، وتقع له السعادة والغفران بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ... فإن تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثل الذي ضربه الله تعالى لأهل التوراة فقال: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) [الجمعة 5]" جواهر المعاني 142/1، مع العلم أنه قال في 144/1: "الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ... لا أنها هي أرفع درجة من القرآن، فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى لكن لمن صفت أعماله وأحواله".

أقول: المطلوب شرعا - خصوصاالأهل النظر الإشاري- الوقوف على مقاصد النصوص وبواطن الأمور جميعها: فقارئ القرآن مع الإصرار على المعصية وعدم صفاء حاله وعمله مناقض قوله فعله وحاله غير مرضي عنها، والأمر نفسه بالنسبة للمكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أعماله مخالف لما أتى به المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فقد ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري [انظر رقم4349 و4350 و4463 و6161 و6205 و6211 إلى 6215 و6641 إلى 6643] ومسلم [رقم 2290 إلى2297 و2304] وغيرهما بروايات مختلفة أنه لما يؤخذ ناس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحساب فيقول صلى الله عليه وسلم: يارب مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ فيقول: سحقا سحقا بعدي.

فلماذا قول التجاني رحمه الله تعالى بوصول ثواب الصلاة على الرسول كاملا للعاصي، دون ثواب قراءة القرآن؟ والذي تميل إليه النفس مما يناسب الشرع: هو أن المؤمن العاصي تكتب له حسناته كما تكتب عليه سيئاته، ويبقى وزنها يوم الفصل بالقسط هو المرجح أيّ أهل دار يصير.

317 انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني: الباب الخامس، مقدمة الفصل الأول 140/1- 142.

/[39] قال الثعالبي (ت 875): قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه، فإن الله تعالى يحب أن يعرب[318].

قال أبو العالية[319] في قوله تعالى ﴿وَمَن يؤتَ الحكمةَ﴾[320]: إنها الفهم في القرآن[321]، وقال قتادة[322]: هي القرآن والفقه فيه[323]، وقال غيره: تفسير القرآن[324]. وأثنى علي (ت 40) على جابر (ت 70)[325] بالعلم، فقيل له[326]، فقال: إنه كان يعرف تفسير ﴿إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ﴾ الآية[327]. وقال مجاهد (ت 103): أَحَبُّ الخلق إلى اللهِ أَعْلَمُهُمْ بما أنزل الله[328]. /[40] وقال الحسن (ت 110)[329]: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعني بها[330].

---

318 "عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه" مصنف ابن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن، ما جاء في إعراب القرآن 29912 – 116/6 وشعب الإيمان: فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب 2291 و2292 – 427/2، علق عليه في مجمع الزوائد: باب منه في فضل القرآن ومن قرأه 163/7 بقوله: "رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك".
وفي تفسير القرطبي: باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه 23/1: "وروى جويبر عن الضحاك قال: قال عبد الله بن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه؛ فإنه عربي والله يحب أن يعرب به".

319 هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر الثقة، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب وأسلم في خلافة الصديق ودخل عليه، توفي سنة 90. انظر رجال صحيح البخاري 253/1 وسير أعلام النبلاء 207/4.

320 البقرة 268.

321 انظر تفسير الطبري 90/3، وهو قول إبراهيم النخعي وزيد بن أسلم في تفسير القرطبي 330/3.

322 هو قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، توفي سنة 108 وقيل: 117. انظر سير أعلام النبلاء 449/4 ورجال صحيح البخاري 619/2 وتقريب التهذيب 5518- ص453.

323 هو قول قتادة ومجاهد في تفسير القرطبي 330/3، وانظر تفسير الطبري 89/3.

324 علق ابن العربي في حديثه عن "التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة المنزع" على دعاء النبي عليه السلام لابن عباس : "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" بقوله: "وهي أحد أقوال العلماء: الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء في قوله: (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)" قانون التأويل: ذكر القول في تفسير القرآن بالرأي ص660.

325 هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي السلمي الأنصاري مفتي المدينة، آخر من شهد بيعة العقبة، توفي سنة 78. انظر تذكرة الحفاظ 43/1 والأعلام 104/2.

326 في تفسير الثعالبي 11/1: "فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابرا بالعلم وأنت أنت؟"، وانظر تفسير القرطبي: باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله 26/1.

327 القصص 85.

328 انظر تفسير القرطبي: باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله 21/1.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يَفقهُ الرَّجُلُ كلَّ الفِقْهِ حَتَّى يَرى للقُرْآنِ وُجوها كثيرَة[331]، هـ بخ[332].

الفصل الخامس: في إثم من قال في القرآن برأيه

قال الثعالبي (ت 875): روي عن عائشة (ت 58) رضي الله عنها أنها قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب /[41] الله إلا آيا بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام[333]، هـ.

قال ابن عطية (ت 546)[334]: إن من مغيبات القرآن ومجمله مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى[335].

وروى الترمذي (ت 279) عن جندب[336] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن تكلمَ في القرآنِ برَأيهِ فأصابَ فقدْ أخطأ"[337].

قال الثعالبي (ت 875): معناه أن يتسور على فهمه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو والأصول، فلا يدخل في الحديث تفسير اللغوي لغته /[42] والنحوي نحوه والفقيه فقهه، ويقول كل

---

329 هو الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري قاضيها، ولد سنة 31 وتوفي سنة 110. انظر رجال صحيح البخاري 165/1 وتقريب التهذيب 1227- ص160 وتهذيب التهذيب 243/2.

330 انظر تفسير القرطبي : باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله 21/1.

331 هو قول أبي الدرداء في مصنف ابن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن 30163 – 142/6 وحلية الأولياء: أبو الدرداء 211/1 ونوادر الأصول: الأصل التاسع عشر في حقيقة الفقه وفضيلته 136/1 باختلاف يسير.

332 تفسير الثعالبي 10/1 و11 بتصرف يسير.

333 هو في مسند أبي يعلى: تابع مسند عائشة 4528 – 23/8 باختلاف يسير، وفي تفسير ابن كثير 7/1 أن الحديث في بعض رواياته منكر غريب.

334 هو الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماما في الفقه والتفسير والعربية، وتفسيره مطبوع باسم المحرر الوجيز، ولد سنة 480 وتوفي سنة 541 وقيل: 542. انظر سير أعلام النبلاء 587/19.

335 هذا مما شرح به ابن عطية حديث عائشة السابق في تفسيره المحرر الوجيز 17/1.

336 ترجم الإمام الذهبي - في سير أعلام النبلاء- لاثني عشر رجلا يسمى بجندب وأغلبهم صحابة.

337 سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه 2952 – 200/5 وفيه: "قال" بدل "تكلم"، وانظر أيضا سنن أبي داود 3652 – 320/3، ومسند أبي يعلى 1520- 90/3، والمعجم الكبير 1672 – 163/2، والمعجم الأوسط 5101 – 208/5، وفي سند الحديث سهيل بن أبي حزم قال عنه في الكامل في ضعفاء الرجال 867 – 450/3: "ومقدار ما يروي من الحديث إفرادات ينفرد بها عمن يرويه عنه".

واحد باجتهاده المبني على قوانين العلم والنظر، فإن هذا ليس قائلا بمجرد رأيه[338].

وأخرج الترمذي (ت 279) عن ابن عباس (ت 63) مرفوعا: "مَن قالَ في القرآنِ بغيْر عِلم فليَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النار، وقال: حسن صحيح"[339].

وأخرج أيضا عنه أيضا مرفوعا: "اتقوا الحَديثَ عنّي إلا ما عَلِمْتُمْ، فمَن كَذَبَ عَليَّ[340] فليَتَبَوَّأ مَقعدَهُ مِنَ النّار، ومَن قالَ في القُرآن برَأيهِ فليتبَوَّأ مَقعدَهُ/[43] مِن النار"[341].

قال الترمذي (ت 279): روي عن بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم، وما روي عن بعضهم محمول على أنهم قالوه عن علم ورواية[342]، والله أعلم، هـ بخ[343].

الفصل السادس: في المكي والمدني من السور والآيات[344]

اعلم أن للناس فيه اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها /[44] سواء نزل بمكة أو بالمدينة[345].

---

338 هذا مما شرح به ابن عطية حديث الترمذي السابق في تفسيره المحرر الوجيز 17/1 و18.

339 سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه 2950 – 199/5، وهو جزء من حديث في مسند أحمد 2976 – 323/1، ومسند الشهاب 554 – 327/1، وانظر شرحه والحديث عن سنده في فيض القدير: حرف الميم 190/6.

340 في تفسير الثعالبي 12/1 وسنن الترمذي: علي متعمدا.

341 سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه 2951 – 199/5 وفيه: "هذا حديث حسن"، وانظر شرحه والحديث عن سنده في فيض القدير: حرف الهمزة 132/1.

342 سنن الترمذي 2952 – 200/5 بتصرف.

343 تفسير الثعالبي 11/1 و12 بتصرف يسير.

344 "وأما المكي والمدني فلابد من حفظ الصحابة- أو جمهورهم- له والإحاطة به، غير أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نص وتوقيف" نكت الانتصار لنقل القرآن ص90.

345 قال ابن حجر: "الأرجح أن جميع ما نزل بعد الهجرة معدود من المدني" فتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن 4707 – 41/9.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة، فما نزل بغيرهما واسطة ليس بمكي ولا مدني، ويدخل[346] في مكة ضواحيها كمنى وعرفات، وفي المدينة ضواحيها كبدر وأحد وسَلْع.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، ويرجع في ذلك لحفظ الصحابة.

هـ من الإتقان للسيوطي (ت 911) بخ[347]، و[سنبين][348] ذلك إن شاء الله /[45] في محاله اللائقة به.

الفصل السابع: في الحضري والسفري

قال في الإتقان: أمثلة الحضري كثيرة، وأما السفري فمنه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[349] نزلت بمكة عام حجة الوداع، ومنه سورة الفتح نزلت عام الحد يبية[350]، لخ مما ياتي أيضا إن شاء الله.

الفصل الثامن: في النهاري والليلي

قال فيه أيضا: أمثلة النهاري كثيرة، وأما الليلي فمنه آية تحويل القبلة وأواخر آل عمران وسورة الأنعام /[46] وسورة مريم، لخ[351].

---

[346] هذا الشرح من إضافة السيوطي بعبارة "قلت" في الإتقان 35/1. وسَلع: جُبَيْل بالمدينة. انظر "المشترك وضعا والمفترق صقعا" لياقوت ص 251 و252.

[347] الإتقان في علوم القرآن: النوع الأول في معرفة المكي والمدني 35/1 بتصرف، والسيوطي نقله "عن ابن النقيب في مقدمة تفسيره".

[348] في المخطوط : سيبين.
والصواب ما أثبته؛ لأن المؤلف يَعِد بما سيلتزم به في بقية تفسيره إذا ما أكمله، والوعد نفسه يتكرر في ص32 بصيغة: "مما ياتي أيضا إن شاء الله" وص37 بصيغة: "و**سنبين** ذلك بحول الله وقوته في محاله والله القوي المعين" وص51 بصيغة: "مما ياتي إن شاء الله في مواضعه اللائقة به".

[349] البقرة 124.

[350] الإتقان: النوع الثاني في معرفة الحضري والسفري 59/1 وما بعدها بتصرف كثير.

[351] الإتقان: النوع الثالث معرفة النها ري والليلي 65/1 وما بعدها بتصرف كثير.

الفصل التاسع: في الصيفي والشتائي

قال فيه أيضا: آية الكلالة التي في أول "النساء" نزلت في الشتاء، والتي في آخرها في الصيف، ومن الصيفي: الآيات النازلة في تبوك، ومن الشتائي: الآيات النازلة في الإفك والخندق، لخ[352].

الفصل العاشر: في الأرضي والسمائي

قال فيه (نقلا عن غيره: إن القرآن نزل بين مكة والمدينة إلا ست آيات نزلت لا في الأرض ولا في السماء، ثلاث في سورة الصافات)[353]: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ / [47] مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ الآيات الثلاث[354]، وواحدة في "الزخرف": ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾[355]، والآيتان من آخر "البقرة": (آمَنَ الرَّسُولُ) الآيتين [284 و285]، نزلتا ليلة المعراج. ونزلت "المرسلات" في الغار تحت الأرض، هـ بخ[356].

الفصل الحادي عشر: في أول ما نزل[357]

قال فيه أيضا: اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال:

أحدها - وهو الصحيح-: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[358].

---

352 الإتقان: النوع الرابع الصيفي والشتائي 69/1 وما بعدها بتصرف كثير.

353" في الهامش بعبارة "صح".

354 الآيات 164- 166.

355 الآية 44.

356 الإتقان: النوع السادس الأرضي والسمائي 73/1 بتصرف وقد نقله عن ابن العربي.

357 " والذي يدل على أنهم لم يُنَصّ لهم على النازل أوّلا ولا النازل آخرا والمكي والمدني : شدة اختلافهم في ذلك، وما منهم أحد - مع شدة اختلافهم- يُسند ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنما يجيز عن نفسه وعما أدى إليه اجتهاده، فلو نُصّ لهم عليه لنقلوه وحفظوه...، فلهذا شاع فيه التنازع والاختلاف، فمن ترك من أهل عصره الخوض في أول ما نزل من القرآن لم يكن مأثوما، فإن خاض في ذلك فلا يخرج عن أقوال السلف التي اتفقوا على أن الحق في أحدها إذا حصل إجماع على ذلك. واختلفوا أيضا في آخر ما نزل منه...، وليس في شيء من هذه الآيات [أي في آخر ما نزل] ما رُفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم..." نكت الانتصار لنقل القرآن ص87 وما بعدها.

358 العلق 1- 5، وانظر صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله 3 – 4/1.

الثاني: ﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾[359].

وكلاهما /[48] في الصحيح، وأجيب بأن حديث ﴿يا أيها المدثر﴾ محمول على نزول سورة كاملة، وحديث (اقرأ) محمول على الأول الحقيقي ولكنها غير كاملة، وبأن أولية "المدثر" مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة، وبأن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار وبغير ذلك[360].

القول الثالث: الفاتحة بالبسملة كما رواه البيهقي (ت 458) في الدلائل، وأجاب باحتمال أن أوليتها بعدما نزلت /[49] "اقرأ" و"المدثر"[361].

القول الرابع: أن أول ما نزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قال السيوطي (ت 911)[362]: وعندي أن هذا لا يعد قولا برأسه، فإنه من

---

[359] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله 4 – 5/1 وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 161 – 143/1.

[360] ذكر السيوطي خمسة أجوبة قال: "خامسها: أن جابرا استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته ... وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير" الإتقان 75/1 و76.

[361] أخرجه البيهقي عن عمرو بن شرحبيل في قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ورقة بن نوفل وعلق عليه بقوله: "فهذا منقطع، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعدما نزلت عليه (اقرأ باسم ربك) و(يا أيها المدثر) والله أعلم" دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: جماع أبواب المبعث، باب أول سورة نزلت من القرآن 159/2، وانظر كذلك تفسير القرطبي 116/1، وقال السيوطي بعدما ذكر الرواية: "الحديث هذا مرسل رجاله ثقات" الإتقان 76/1، وانظر عدم صلاحيته "للاحتجاج به على أولية ما نزل مطلقا، وذلك من وجهين ..." في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: أول ما نزل على الإطلاق 69/1.
قال النووي في شرحه على صحيح مسلم 208/2: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فالصواب أن أول ما نزل (اقرأ)، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي (يا أيها المدثر)، وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم".

[362] هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المسند المحقق، صاحب المؤلفات النافعة، ولد سنة 849 وتوفي سنة 911. انظر التفسير والمفسرون 251/1.

ضرورة نزول السورة نزولُ البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق، هـ[363].

أقول: وهو جار على مذهب الشافعية من أنها آية من كل سورة غير "براءة"[364]، ويأتي ما في ذلك بحول الله، ثم ذكر سندا على سيدنا عليّ زين العابدين[365] (ت 94) بيّن فيه /[50] ترتيب نزول السور، وجرى عليه الجعبري[366] في قصيدته "تقريب المأمول في ترتيب النزول"، فلينظر ذلك كله[367].

(وفي جواهر المعاني عن شيخنا مولانا أحمد التجاني - نفعنا الله به- أن أول ما نزل من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾[368]، ثم نزل ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[369]، فكان في الأول النبوءة وفي الثاني الرسالة الخاصة، ثم نزل ﴿يا أيها المدثر﴾ فهي أول آية بالرسالة العامة[370]. هـ الفصل بخ)[371].

الفصل الثاني عشر: في آخر ما نزل[372]

روي أن آخر ما نزل من الآيات ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[373]، وآخر ما نزل من السور "براءة".

---

[363] الإتقان: النوع السابع معرفة أول ما نزل 74/1 وما بعدها بتصرف، "وحديث أنها أول ما نزلت ليس بالقوي، بل الثابت - ويشكل عليه- ما روي أنه كان يكتب: باسمك اللهم، إلخ" روح المعاني للألوسي 45/1.

[364] حكى القرطبي تردد واضطراب قول الشافعي فيها في غير الفاتحة في تفسيره 93/1 و95، وكذا في تفسير ابن كثير 17/1، وانظر "من حكي عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة" من الصحابة والتابعين في تفسير ابن كثير: تفسير"باسم الله الرحمن الرحيم" 17/1.

[365] هو علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عابد زاهد صبور، توفي سنة 99 وهو ابن ثمان وخمسين سنة. انظر الطبقات الكبرى للشعراني 37- 31/1.

[366] هو إبراهيم بن عمر المشهور بالجعبري(640-733هـ)، له: كنز المعاني شرح حرز الأماني للشاطبي. الأعلام 55/1. وقد ذكرفي ص 38-54-66-68 الآتية بسنة وفاته 687، وهذا خطأ؛ والمتوفى في هذه السنة هو إبراهيم بن معضاد الزاهد.

[367] الإتقان 77/1 و78، قال النووي في شرحه على صحيح مسلم 200/2: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وجواب المثبتين لها [أي قرآنية البسملة] أنها لم تنزل أولا، بل نزلت البسملة في وقت آخر كما نزل باقي السورة في وقت آخر".

[368] سورة العلق.

[369] الشعراء 213.

[370] انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني: الباب الخامس، الفصل الأول 208/1 و209.

[371] في الهامش بعبارة "صح".

[372] انظر أول تعليق في الفصل السابق ص34.

[373] آخر النساء 175.

وروي أن آخر ما نزل آية الربا، وروي آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[374]، /[51] وجمع بينهما بأن هذه خاتمة آية الربا.

وروى أبيّ بن كعب (ت 30) أن آخر ما نزل ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى [آخر][375] السورة[376].

وروى مسلم (ت 261) عن ابن عباس (ت 63) أن آخر ما نزل سورة (إذا جاء نصر الله).

وجمع بين هذه الروايات بأن كل واحد روى آخر ما سمع، والله أعلم[377].

الفصل ا لثالث عشر: في معرفة أسباب النزول

اعلم أنه قد ألف في هذا الموضوع /[52] عدد من الأئمة منهم عليّ بن المديني (ت 234)[378] والواحدي (ت 468)[379] والجعبري (ت 687) وابن حجر (ت 852)[380]، والسيوطي (ت 911) كتابا سماه "لباب النقول في أسباب النزول"، وله فوائد:

منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

---

374 البقرة 280.

375 ساقطة من المخطوط ، لكن ورد في قول أبَيّ: "... إلى قوله: (وهو رب العرش العظيم)" الإتقان 323 – 84/1 وهو آخر السورة.

376 التوبة 129 و130.

377 الإتقان: النوع الثامن معرفة آخر ما نزل 82/1 وما بعدها حيث اختلاف الأقوال معزوة إلى قائليها، وكذا الاختلاف في توجيهها وتعليلها.

378 هو أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر السعدي مولاهم، البصري، ولد سنة 161 وتوفي سنة 234. انظر سير أعلام النبلاء 41/11 ورجال صحيح البخاري 531/2.

379 هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب التفسير، مات سنة 468. انظر سير أعلام النبلاء 399/18.

380 هو العلامة الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعي، له المصنفات العديدة المفيدة في مختلف علوم الحديث، ولد سنة 773 وتوفي عام 852. انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 36/2.

ومنها أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب /[53] قصر التخصيص على ما عدا صورته.

ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، قال الواحدي (ت 468): لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على بيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد (ت 667)[381]: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، هـ بخ[382].

وقد ذكر السيوطي (ت 911) في الإتقان فذلكة حسنة في بيان أسباب النزول[383]، وسنبين ذلك بحول الله وقوته في محاله، والله القوي المعين.

/[54]**الفصل الرابع عشر:** في كيفية إنزاله

1- الأصح أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة من اللوح المحفوظ، ثم نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بدليل آية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[384] وآية ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[385]، وهو لابنَ عباسَ (ت 63) وجمع.

2- وقيل: نزل في ثلاث وعشرين ليلة القدر من ثلاث وعشرين سنة، ينزل في كل ليلة منها ما يقدر تلك /[55] السنة إنزاله بحسب الوقائع، نقله

---

[381] هوأبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع، تقي الدين القشيري (625 – 702)، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد، قاض من أكابر العلماء بالأصول مجتهد. الأعلام 411/6.

[382] الإتقان: النوع التاسع معرفة سبب النزول 87/1 و88 بتصرف.

[383] ذلك أنه أورد كيف أن معرفة سبب النزول يضبط الفهم ويزيل الغموض ويعالج الخلاف، وناقش مسألة اختلاف أهل الأصول في هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب، وبين أن سبب النزول يعتمد فيه على الرواية والسماع، كما بين تنازُعَ العلماء في قول الصحابي أو التابعي في السبب: هل هو من قبيل المسند أم هو تفسير منه غير مسند، وفرق أيضا بين ما هو من أسباب النزول وما هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، وناقش تعدد الأسباب لنزول الآية: إما بالتوجيه وإما بالترجيح وإما بالجمع، وتحدث عن نزول آيات عديدة في سور شتى في الواقعة الواحدة، كل هذا في الإتقان 88/1 وما بعدها. هذا وتطرق للنوع "العاشر: فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة: هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول، والأصل فيه موافقات عمر، وقد أفردها بالتصنيف جماعة" 101/1.

[384] القدر 1.

[385] البقرة 184.

القرطبي (ت 671)[386] عن مقاتل (ت 150)[387]، وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا[388]، ووافقه الحليمي[389] والماوردي[390] (ت 405) وابن شهاب (ت 125)[391].

3- وقيل: ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة، وبه قال الشعبي[392] (ت 117).

4- وقيل غير ذلك[393].

والسر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم شأنه وشأن من نزل عليه /[56] بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم[394].

والسر في إنزاله للأرض منجما - ونزلت الكتب قبله جملة- بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾

---

386 هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري القرطبي المفسر، توفي في شوال سنة 671. انظر مقدمة تفسيره.

387 هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء، البلخي، من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفى بالبصرة سنة 150هـ، كان متروك الحديث، من كتبه: التفسير الكبير. الأعلام 304/7.

388 قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل في القرآن) البقرة 184: "وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع أن القرآن أنزل جملة واحدة، والله أعلم" 298/2.

389 قول الحليمي في شعب الإيمان: الباب الثالث والعشرون من شعب الإيمان وهو باب في الصيام 3658 – 319/3، وانظر فتح الباري: كتاب التفسير 4694 – 4/9. ولعل الحليمي هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، صاحب التصانيف، محدث متكلم، ولد سنة 338 وتوفي عام 403. انظر سير أعلام النبلاء 231/17 وشذرات الذهب 167/3.

390 قوله في فتح الباري: كتاب التفسير 4694 – 4/9 و5. والماوردي هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، فقيه شافعي له تصانيف متعددة، توفي سنة 450. انظر طبقات المفسرين للداودي 427/1.

391 هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام، قال ابن المديني: له نحو من ألفي حديث، ولد سنة 50 وقيل: 51 وقيل: 56، وتوفي سنة 124 وقيل: 123، وشذ أبو مسهر فقال: مات سنة خمس. انظر رجال صحيح البخاري 677/2 وسير أعلام النبلاء 326/5.

392 انظر تفسير الطبري: سورة القدر 258/30.
والشعبي هو عامر بن شراحيل أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، مولده زمن عمر، ومات بعد المائة. انظر تقريب التهذيب 3092- ص287 والكاشف 2531- 522/1.

393 انظر الأقوال الثلاثة وغيرها في الإتقان: النوع السادس عشر في كيفية إنزاله 117/1 وما بعدها.

394 هو التنبيه الأول في الإتقان 508 – 119/1.

أي كما نزل غيره، ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[395] أي لنقوِّيَ به قلبَك؛ لأن تجَدُّدَ الوحي يُقوِّي قلبَه صلَى الله علَيه وسلم لاستشعاره /[57] العناية به وبالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرةَ نزول الملك إليه وتجدّدَ العهد به وبما معه من الرسالة، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل عليه السلام[396].

ثم إنه كان يُنزل عليه صلى الله عليه وسلم بحسب الحاجة خمسُ آيات وعشرُ آيات وآية وبعضُ آية، كما صح كل ذلك[397].

ومعنى **إنزاله**: /[58] إظهار قراءته، وقيل: معناه أن الله سبحانه ألهم كلامَه جبريلَ وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان.

وفي **التنزيل** طريقتان:

إحداهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من البشرية إلى صورة المَلَكية وأخذه من جبريل.

الثانية: أن جبريل انخلع من الملكية إلى البشرية. والحال الأولى أصعب[398].

/[59] وقال القطب الرازي[399] (ت 766): **الإنزال** بمعنى الإيواء وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل، وكلاهما لا يتحقق هنا، فهو

---

[395] الفرقان 32.

[396] هو قول أبي شامة في التنبيه الثالث في الإتقان 516 – 121/1.

[397] صدره في الإتقان 529 – 123/1 بقوله: "الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة...".

[398] معنى الإنزال والتنزيل هنا متصرف فيه وقد صدره في الإتقان 534 – 124/1 بقوله: "المسألة الثانية في كيفية الإنزال والوحي: قال الأصفهاني في أوائل تفسيره: اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال..."، وانظر أيضا شرح قصيدة ابن القيم 275/1.

[399] أي "في حواشي الكشاف: الإنزال لغة..." الإتقان 536 – 1/ 125 وشرح قصيدة ابن القيم 276/1.
والقطب الرازي هو الإمام العلامة قطب الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الرازي، المعروف بالتحتاني، قدم دمشق وشغل في العلم، وشرح المطالع في المنطق والشمسية والحاوي الصغير ولم يكمله، وعمل حواشي على الكشاف للزمخشري وصل فيه إلى سورة "طه"، وكان حسن الملتقى لين الكلام، توفي سادس ذي القعدة سنة 766. انظر الوفيات لابن رافع السلامي 831-299/2.

مجاز، فمن قال: "القرآن قائم[400] بذات الله" فإنزاله أن يوجدَ الكلماتِ الدالة عليه[401] ويُثبتَها في اللوح المحفوظ، ومن قال: "هو الألفاظ" فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ[402]. ويمكن أن يكون إنزالُه إثباتَه في السماء الدنيا بعد الإثبات في /[60] اللوح المحفوظ[403]. والمراد بإنزال الكتب على الرسل: أن يتلقفها الملكُ من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ ويَنزلَ بها فيلقيَها عليهم، هـ بخ[404].

وقال غيره: في **المُنزَل** أقوال[405]:

أحدها: اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل "قاف"، /[61] وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله عز وجل.

والثاني: أن جبريل نزل بالمعاني فقط وعلمها النبيَّ عليه السلام وعبّر عنها بلغة العرب[406].

والثالث: أن جبريلَ تلقّى المعاني وعبّر عنها بلغة العرب[407].

وقال البيهقي (ت 458) في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**﴾[408]: "إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك متنقلا به من علو إلى سفل"[409].

---

[400] في الإتقان 125/1 وشرح قصيدة ابن القيم 276/1: "معنى قائم".

[401] في المرجعين السابقين: "الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى".

[402] في شرح قصيدة ابن القيم 276/1: "... في اللوح المحفوظ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين".

[403] في المرجع السابق 276/1: "...في اللوح المحفوظ، وهذا مناسب للمعنى الثاني".

[404] الإتقان 536 – 125/1 بتصرف.

[405] في الإتقان 537 – 125/1: "وقال غيره: في المنزل على النبي ثلاثة أقوال".

[406] في المرجع السابق: "وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: (نزل به الروح الأمين على قلبك)" الشعراء 193.

[407] الإتقان 537 – 125/1 بتصرف.

[408] يوسف2 والدخان2 والقدر1.

[409] الإتقان 538 – 125/1 وفيه "أسفل" بدل "سفل".

وقال الجويني[410]: كلام الله المنزل قسمان:

قسم قال لجبريل: قل للنبي: إن الله (يقول)[411] "افعل /[62] كذا" و"امُر بكذا"، ففهم جبريل ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة.

وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتابَ، فنزل جبريل بكلمة الله من غير تغيير، هـ بخ[412].

قال السيوطي (ت 911) في الإتقان عقبه:

القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة؛ لِما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن، ومن هنا جازت /[63] رواية السنة بالمعنى؛ لأن جبريل أداه بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى ؛ لأن جبريل أداه باللفظ ولم يُبَحْ له إيحاؤه بالمعنى، والسر في ذلك أن المقصود منه التعبدُ باللفظ والإعجازُ به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وأن تحت كل حرف منه معانيَ لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، وغيرُ ذلك، انظر الإتقان[413].

الفصل الخامس عشر: /[64] في بيان كيفيات الوحي

اعلم أن العلماء ذكروا للوحي كيفيات:

إحداها: أن يأتيه الملك في مثل صَلْصَلَةِ الجرس[414]، أي صوت الناقوس المعلق في عنق الدابة[415].

الثانية: أن يُنفَث في رُوعِه الكلام نفثا.

---

410 هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الجويني: نسبة إلى "جوين"، إمام الحرمين: لمجاورته بمكة أربع سنين، له مصنفات في الفقه وأصوله وأصول الدين والجدل وغيرها، ولد سنة 419 وتوفي سنة 478. انظر مقدمة كتابه: الكافية في الجدل.

411 في الهامش بعبارة "صح".

412 الإتقان: النوع السادس عشر في كيفية إنزاله 543 – 126/1 بتصرف.

413 النوع السادس عشر في كيفية إنزاله 544 – 126/1 و127 بتصرف، وفي نهايته: "وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجويني" ثم ذكر رواية عن الزهري في الموضوع.

414 انظر صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله 2 – 4/1 وكتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: (وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته) [الأعراف 56] 3043 – 1176/3، وصحيح مسلم: باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأ تيه الوحي 2333 – 1816/4.

415 هذا الشرح غير موجود في الإتقان، وهو للكرماني في فتح الباري: كتاب بدء الوحي 2 – 20/1.

الثالثة: أن يأتيه الملك في صورة رجل فيكلمَه[416].

الرابعة: أن يأتيه الملك في النوم.

الخامسة: أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم، هـ من الإتقان بخ[417].

/[65] **<u>الفصل السادس عشر</u>:** أنزل القرآن على سبعة أحرف[418]

صح متواترا عن أحد وعشرين صحابيا - منهم عمر(ت 23) وعثمان (ت 35) وابن مسعود (ت 32) وابن عباس (ت 63) وأنس (ت 93) وأبيّ (ت 30)- أن القرآن أنزل على سبعة أحرف[419]، واختلف الناس في تأويله على أربعين قولا منها[420]:

أنه من المشكل الذي لا يُدرى معناه[421].

2- وأنه ليس المراد الحصر في العدد، بل التيسير والتسهيل والسعة[422].

---

[416] انظر صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي 3043 – 1176/3، وصحيح مسلم 2333 – 1816/4.

[417] هو ضمن النوع السادس عشر في كيفية إنزاله، تحت عنوان: "فصل" 546 – 127/1 و128.

[418] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[419] في الإتقان 554 - 129/1: "وقد نص أبو عبيد على تواتره"، والحديث في قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم لما اختلفا في بعض الحروف واحتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظرها في صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 4706 – 1909/4، وصحيح مسلم: باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه 818 – 560/1، ومسند أحمد 296 – 42/1، وفي مسند إسحاق بن راهويه: ما يروى عن أم أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم 2 -193/1: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. وله شواهد كثيرة، وعد هذا الحديث من الأحاديث المتواترة".

[420] قال السيوطي في الخبر 593: "قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا، وكلها محتملة وتحتمل غيرها" الإتقان 139/1.

[421] هو قول ابن سعدان النحوي في الإتقان 556 – 130/1.

[422] هو قول عياض ومن تبعه في فتح الباري: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 4704 – 23/9، وقد رده في الإتقان 557 – 130/1 بما ورد في بعض روايات الصحيحين والسنن من قصة عمر مع هشام بن حكيم [انظر الهامش الثاني في هذا الفصل] ليعقب بقوله: "فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره".

3- وأن المراد سبعُ قراءات، وتعقب بأنها غير محصورة في السبع.

4- وأن المراد /[66] أن كل كلمة تُقرأ بوجه أو وجهين إلى سبعة، وبحث فيه أيضا[423].

5- وأن المراد الأوجه التي يقع بها التغاير مثل "ولا يضارَّ"[424] و"بَعَّدَ" و"باعَد"[425] لخ.

6- وأن المراد اختلاف اللغات: كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإدغام والإظهار[426].

7- وأن المراد كيفية النطق بالتلاوة من إدغام لخ.

8- وأن المراد سبعة أوجه من القراءات[427].

9- وأن المراد سبعة أوجه من المعاني[428].

10- وأن المراد سبع /[67] لغات، وإلى هذا ذهب أبو عبيد[429] وثعلب (ت 291)[430] والزهري[431] (ت 125) وآخرون[432]، واختاره ابن

---

[423] قال السيوطي: "ويشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر" الإتقان 561 – 131/1.

[424] أي "بالفتح والرفع" الإتقان 562.

[425] في الإتقان 562: "ما يتغير بالفعل مثل (باعَدَ) و(باعِدْ) بلفظ الماضي والطلب"، وقال في هذا القول الخامس: "ذكره ابن قتيبة".

[426] هو قول أبي الفضل الرازي في فتح الباري 4706 – 29/9، والإتقان 563.

[427] عزاه ابن عبد البر إلى الخليل بن أحمد في التمهيد 274/8، وهو قول ابن الجزري كما في الإتقان 565.

[428] أي "من المعاني المتفقة بأ لفاظ مختلفة، نحو: أقبل وتعال وهلم وعجل وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء" الإتقان 566، وكذا في فتح الباري 4706 – 26/9، وانظر أيضا التمهيد 281/8 وقد قال ابن عبد البر في 284/8 منه: "وسنورد من الآثار وأقوال علماء الأمصار في هذا الباب ما يتبين لك به أن ما اخترناه هو الصواب فيه إن شاء الله، فإنه أصح من قول من قال: سبع لغات مفترقات".

[429] هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي القاضي الأديب الفقيه، توفي سنة 223. انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص136 وغاية النهاية في طبقات القراء 17/2.

[430] هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء المعروف بثعلب، نحوي لغوي أخذ عن ابن الأعرابي والفراء، ألف في معاني وإعراب وغريب القرآن، توفي سنة 291. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 102/1 وغاية النهاية 148/1 وطبقات المفسرين 94/1.

[431] في الإتقان 571: "والأزهري"، وفي سنن أبي داود: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 1476 – 76/2 عن الزهري قال: "إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس تختلف في حلال ولا حرام"، وكذا في شعب الإيمان 2271 – 421/2.

عطية (ت 542)[433]، وصححه البيهقي (ت 458) في الشعب[434]، وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة، وأجيب بأن المراد أفصحها[435]؛ فعن ابن عباس (ت 63) قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العَجُز[436] من هوازن[437]، قال: والعجز: -1- سعد بن بكر[438] -2- وجُشَم[439] بن بكر[440] -3- و[نصر][441] بن معاوية -4- وثقيف[442].

11- وقيل: نزل بلغة مضر خاصة[443]، وعيَّن بعضهم /[68] السبع من مضر[444] أنهم: -1- هذيل[445] -2- وكنانة[446] -3- وقيس[447] -4-

---

[432] "وهو قول أبي عبيد وصححه مكي والجعبري وابن جبارة وغيرهم" القواعد والإشارات في أصول القراءات لأبي العباس الحموي : فصل في قوله "أنزل القرآن على سبعة أحرف" ص25.

[433] بعدما حكى اختلاف الناس في معنى الأحرف السبعة سرد ابن عطية أقوال الباقلاني ثم رد عليه طعْنَهُ في أن المعنى هو سبع لغات، وذلك بأدلة وحجج مستفيضة في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 21/1- 32.

[434] "قال البيهقي رحمه الله: والصحيح أن يكون المراد بالحروف السبعة اللغات السبع التي هي شائعة في القرآن، وإليه ذهب أبو عبيدة" شعب الإيمان: فصل في ترك المماراة في القرآن 2271 – 421/2.

[435] شرح الزرقاني 16/2 وفيه: "أبو عبيدة" بدل "ابو عبيد"، وهذا كما عند البيهقي في الهامش السابق.

[436] "عجز : هي قرية بحضرموت" معجم البلدان 87/4، "وعَجُزُ هوازن: بنو نصْر بن معاوية وبنو جُشَم بن بكر؛ كأنه آخرهم" اللسان: عجز.

[437] "وهوازنُ: قبيلة من قيس، وهو هَوازنُ بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عَيْلان" اللسان: هزن.

[438] "قال الأزهري: والسعود في قبائل العرب كثير وأكثرها عددا: ... وسعد بن بكر بن هوازن، وهم الذين أرضعوا النبي صلى اللبه عليه وسلم" لسان العرب: سعد، وفي مادة ميد: "وفي الحديث: أنا أفصح العرب مَيْد [أي بيد] أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر".

[439] في فتح الباري 4706 – 27/9: وجثم.

[440] أصله "جش" بالفتح والضم ثم التشديد، وهو جبل صغير بالحجاز، كما في معجم البلدان 141/2، وفي لسان العرب: جشم: "وجُشَم بن بكر: حيّ من مضر ... وجُشَم في هوازن: وهو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن".

[441] في المخطوط: نضر، والتصويب من التمهيد 280/8 وفتح الباري 4706 - 27/9 والإتقان 571 واللسان: عجز.

"وبنو ناصر وبنو نصر: بطنان، ونصْر: أبو قبيلة من بني أسد، وهو نصر بن قُعَيْن" اللسان: نصر.

[442] انظر فتح الباري: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 4706 – 26/9 و27.
"وثقيف: حي من قيس، وقيل: أبو حيّ من هوازن واسمه: قَسِيّ، قال: وقد يكون ثَقِيف اسما للقبيلة، والأول أكثر" اللسان: ثقف.

[443] هو قول عمر في فتح الباري 4706 – 27/9.

[444] قال في اللسان: مضر: "ونقل لي متحدث أن في الروض الأنف للسهيلي قال: في الحديث: لا تسُبّوا مضرَ ولا ربيعة؛ فإنهما كانا مؤمنين".

وضَبَّة[448] -5- وتيم الرباب[449] -6- وأسد بن خزيمة[450] -7- وقريش[451].

ورُدّ هذا القول من أصله بأن عُمر (ت 23) وهشام بن حكيم[452] اختلفا في حرف ولغتهما واحدة، فدل على أن المراد غير اللغات[453].

---

445 "وهذيل : اسم رجل، ... وهذيل: حيّ من مضر، وهو هذيل بن مُدْركة بن بن إلياس بن مضر، وقيل: هذيل قبيلة من خِندِف أعْرَقت في الشعر" اللسان: هذل.

446 "شِعْب بني كنانة: بين الحجون وصفي السباب" معجم البلدان 481/4، "وكنانة: قبيلة من مضر، وهو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. وبنو كنانة أيضا من تغلِب بن وائل، وهم بنو عِكبّ يقال لهم: قريش تغلب" اللسان: كنن.

447 "والقيس : كورة كانت بمصر وقد خربت الآن، وقالوا: سميت قيسا لأن فتحها كان على يد قيس بن الحارث المرادي فسميت به" معجم البلدان 422/4، "وقيس: قبيلة ... وقيس: أبو قبيلة من مضر، وهو قيس عَيْلان، واسمه: الناسُ بن مضر بن نزار، وقيس: لقبه" اللسان: قيس.

448 "ضبة: قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام، وبحذائها قرية يقال لها "بدا" وهي قرية يعقوب النبي عليه السلام" معجم البلدان 452/3، "وضبّة: حي من العرب" اللسان: ضبب.

449 "وتيْم: قبيلة، وبنو تيم: بطن من الرِّباب" اللسان: تيم، والرِّبابُ: "خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة: ضبَّة وثوْر وعُكْل وتيْم وعَدِيّ"؛ لأن معنى التربّب: الاجتماع، والترابّ: التعاهد والتحالف. انظر اللسان: ربب.

450 والأسَد: قبيلة ...، وأسَد: أبو قبيلة من مضر، وهو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر" اللسان: أسد.

451 انظر فتح الباري: كتاب التفسير، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 4706 – 27/9 والإتقان 575.

"وقريش: قبيلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل مَن كان مِن ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومَن فوقه. قيل: سموا بقريش؛ مشتق من الدابة التي ذكرناها التي تخافها جميع الدواب [أي في البحر]. ... وقيل: سميت بذلك لتقرُّشِها أي تجمّعها إلى مكة من حواليها بعد تفرّقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب ..." اللسان: قرش.

452 هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح وله صحبة ورواية عن فضلاء الصحابة وخيارهم. انظر الاستيعاب 1538/4 وأسد الغابة 398/5 وسير أعلام النبلاء 51/3 وتهذيب الأسماء واللغات 137/2.

453 الإتقان 578 وفيه: "فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات"، وعزاه في فتح الباري 4706 – 28/9 إلى ابن عبد البر، قال القرطبي في تفسيره: باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف 68/1: "قال أبو عمرو: وقد يكون الحرف هذا المذهب والوجه؛ قال الله عز وجل: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) [الحج 11] أي على وجه ومذهب، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أي سبعة أوجه من اللغات، والله أعلم".

هذا وعلل الطحاوي التوسعة في القراءات بضرورة المشقة في كتابة القرآن بالنسبة لمن كان يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم الوحي؛ إذ "لا يتهيأ لهم كتابة ذلك ... فبان أن ذلك توسعة من الله لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه حتى كثر من يكتب وعادتْ لغاتهم إلى = =

انظر بقية الأقوال في الإتقان وما قيل فيها[454].

وقد تعرض في **الإبريز** لهذه المسألة وبسط القول فيها بما لم يسبق إليه، وانفصل[455] عن شيخه القطب[456] مولانا /[69] عبد العزيز بن مسعود الدباغ الحسني (ت 1131) رضي الله عنه[457] على أن الأحرف السبعة نوعان: لفظية وباطنية[458]:

= = لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا القرآن بألفاظه التي نزل بها ... إذ كانت التوسعة في السبعة الأحرف في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف بارتفاع تلك الضرورة، وعاد ما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد" معتصر المختصر: تفسير القرآن، الفرقان 185/2 و186، وقال في فتح الباري: كتاب التفسير، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب 4699 – 9/9: "فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسا نه أولى الأحرف، فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولما له من الأوّلية المذكورة".

أما الربيع بن حبيب فقال في مسنده: باب في ذكر القرآن 14 – 28/1 بعدما ذكر الخلاف في تفسير الأحرف: "والله أعلم بحقيقة التفسير".

454 جميع هذه الأقوال في الإتقان 554 وما بعده- 129/1 وما بعدها بعنوان: المسأ لة الثالثة في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها، وهي ضمن النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله، وقد ختم السيوطي هذه الأقوال بقوله: "وقال المرسي: هذه الوجوه أكثرها متداخلة، ولاأدري مستندها ولا عمن نقلت، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أن كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص، وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة، وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح [انظر الهامش الثاني في هذا الفصل السادس عشر] ... وإنما اختلفا في قراءة حروفه، وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة، وهو جهل قبيح" 594- 139/1.

455 أي صاحب الإبريز، وهو أبو العباس أحمد بن مبارك البكري الصديقي السجلماسي، فقيه ومحدث وأحد المحققين، له تآليف منها: شرح على جمع الجوامع في الأصول، توفي سنة 1155. انظر الفتح المبين 127/3 والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي 289/2.

456 "والقطب: هو بالضم، في الأصل - أي في أصل اللغة- : حديدة تدور عليها الرحى، أو نجم معروف تعرف به القبلة وملاك الشيء، وسمي خيار الناس به لاجتماع خيار أوصافهم عنده، وهو لا يكون في كل عصر إلا واحدا خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لحفظ العالم بالنيابة عنه صلى الله عليه وسلم ...، درجة القطبانية أعلى الدرجات" بغية المستفيد لشرح منية المريد للعربي السائح ص122.

وفي ص137 و138 منه ما يلي: "لفظ القطب: فقد ثبت وروده في بعض الآثار، قال ابن حجر: الأبدال وردت في عدة أخبار، وأما القطب فورد في بعض الآثار، وأما الغوث فلم يثبت. وقد ألف الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه تأليفا سماه: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، ... فجمع ما ورد من الأحاديث والآثار بثبوت جميع ذلك".

457 هو عبد العزيز بن مسعود بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم ... بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنه، انظر ما ذكره عنه تلميذه أحمد بن المبارك في خطبة كتابه "الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز" ومقدمته: من ص3 إلى ص60.

458 بعدما سرد الدباغ أسماء الأنوار السبعة - المعبرة عن الحروف السبعة- وشرحها قال أحمد بن المبارك: "فقلت: الأحاديث الواردة في هذا الباب تدل على أن المراد بالأحرف السبعة ما = =

أما **اللفظية**: فهي منحصرة في سبعة أوجه:

الأول: اختلاف القراءة بالحركات والسكون وأوجه الإعراب مثل: ﴿لهُمْ عَذابٌ مِن رِجْزٍ أليمٍ﴾ [سبأ 5] بخفض "أليم" ورفعه.

الثاني: اختلاف القراءة بزيادة الحروف ونقصانها[459] مثل: ﴿وسارعوا﴾ ﴿سارعوا﴾ [آل عمران 133]، ﴿وقالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ [البقرة 115].

الثالث: اختلاف /[70] القراءة بزيادة الكلمات ونقصانها مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغنيُّ الحَميدُ﴾ [لقمان 25] بإثبات كلمة ["هو"][460] في قراءة ونقصانها في أخرى.

الرابع: اختلاف القراءة بالتقديم والتأخير مثل: ﴿وقُتلوا﴾ ﴿وقاتلوا﴾ [آل عمران 195]، بالبناء للمفعول في الأول وللفاعل في الثاني وعكسه، ومثل: ﴿فيَقتُلون ويُقتَلون وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ [التوبة 112] فإنه قرئ على الوجهين

= = يرجع إلى كيفية النطق بألفاظ القرآن ...، وهذه الأحرف التي ذكرتم أوصاف باطنية وأنوار ربانية في ذاته صلى الله عليه وسلم ...، فقال [أي الدباغ] رضي الله عنه: اختلاف التلفظات التي في أحاديث الباب فرع عن اختلاف الأنوار الباطنية؛ فتسكين الحروف ورفعها ينشأ عن القبض ....

[قال أحمد]: ورأيت القراءات السبع تختلف باختلاف الأنوار الباطنية؛ فظهر لي والحمد لله وله المنة ما كنت أطلبه منذ نيف وعشرين سنة في معنى الحديث، وقد طلبه قبلي الحافظ ابن الجوزي ...، وقد بسط ذلك الوجه صاحب الانتصار المتقدم ولكنه قاصر على التلفظات واختلافها من غير تعرض لهذه الأنوار الباطنية ..." الإبريز ص66 و67، وانظر "في الجمع بين تفسير الشيخ وبين أحاديث الباب" ص130 وما بعدها.

459 انظر مثلا "باب ذكر نقط ما اجتمع فيه واوان فحذفت إحداهما تخفيفا" في المحكم في نقط المصاحف للداني ص168، ومن بين ما علل به زيادة بعض الحروف في "باب ذكر نقط ما زيدت الألف في رسمه" ما يلي: "كانوا يفرقون بين المشتبهين في الصورة بزيادة الحروف: إلحاقهم الواو في: عمرو؛ فرقا بينه وبين: عمر، وإلحاقهم إياها في: أولئك؛ فرقا بينه وبين: إليك، وفي: أولى؛ فرقا بينه وبين: إلى، وإلحاقهم الياء في قوله: (والسماء بنيناها بأييد) [الذاريات 47]؛ فرقا بين "الأيد" الذي معناه القوة، وبين "الأيدي" التي هي جمع: يد، وإلحاقهم الألف في: مائة؛ فرقا بينه وبين: منه ومنة ومية؛ من حيث اشتبهت صورة ذلك كله في الكتابة" ص177.

460 ساقطة من المخطوط ، والتصويب من الإبريز ص135.

أيضا، ومثل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق 19] وقرئ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ /[71] الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾ وهي قراءة الصدّيق وغيره[461].

الخامس: اختلاف القراءة بمخارج الحروف مثل (الصراط) بالإشمام[462]، فإن مخرج الإشمام غير مخرج الصاد، ومثل اختلاف مخرج القاف في ﴿قيل﴾ بالكسرة والإشمام، وكذا ﴿حيل﴾ و﴿جيء﴾ و﴿سيء﴾ و﴿سيق﴾، وكذا ﴿الصَّلاة﴾ بلام مُفَخَّمَة ومرققة، وكذا "الراء" المُفَخَّمَة في نحو (منذر) والمرققة.

السادس: اختلاف القراءة بالفتح والإمالة والإدغام والإظهار.

السابع: اختلاف القراءة بالبطء والإسراع، /[72] فإنه صلى الله عليه وسلم كان يرتل تارة ويسرع أخرى[463].

وهذه الأوجه مرتبطة **بالأنوار الباطنية**[464]، فهي بمنزلة الظل والأنوار الباطنية بمنزلة الشاخص القائم في الظل[465].

---

461 "وهي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وطلحة بن مطرف وزين العابدين" الإبريز ص135. وأوردها في النشر في القراءات العشر 38/1 و39 غير معزوة.

462 "وقرأ حمزة بإشمام الزاي، وروي عنه بالزاي، وهي لغة للعرب" حجة القراءات لابن زنجلة ص80، قال محققه في هامشه: "وهي لغة قيس"، وفي إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر 365/1: "وقرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد الزاي في كل القرآن، ومعناه: مزج لفظ الصاد بالزاي، وافقه المطوعي".

463 قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: باب الرد عليهم في وجوه القراءات ص36: "وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه ..."، وللداني في اختلاف السبعة أحرف أوجه كثيرة ذكر منها تسعة عشر وجها قال بعدها: "وقد ورد التوقيف عن النبي بهذا الضرب من الاختلاف وأذن فيه لأمته في الأخبار المتقدمة و ... قال رسول الله: اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، قال أبو عمرو: لحونها وأصواتها: مذاهبها وطباعها" الأحرف السبعة للداني: أوجه اختلاف الأحرف السبعة ص33 وما بعدها.

464 قال الدباغ : "إياك أن تظن أن هذه الحروف السبعة الباطنية بها تفسر القرآن العزيز وأنها هي معناه، فإنك إن ظننت هذا فلست بمصيب، بل القرآن له معنى، وفي معناه يندرج علوم الأولين والآخرين، وهذه الحروف السبعة الباطنية لذلك المعنى بمنزلة الكساء والثياب؛ فالمعنى شيء وكسوته شيء آخر ...، فلو فهم القرآن العزيز بهذا الطريق ثم ركب ذلك التفسير على أنوار هذه الحروف السبعة وألبست المعاني ثيابها ظهر عند ذلك ما تدهش منه العقول وتطيش عند سماعه ..." الإبريز ص127 و128.

465 انظر الإبريز ص134- 136 حيث علق عليه أحمد بن المبارك بقوله: "وإذا تأملت ما عدّوه مع عدِّ الشيخ رضي الله عنه ظهر لك الحق إن شاء الله تعالى، لا سيما وعدّ الشيخ رضي الله عنه ناشئ عن الكشف الصحيح؛ فإنه لا يعرف من القراءة شيئا إلا ما شاهده في كشفه الصريح، ولا سيما وما عدّه مربوط بالأنوار الباطنية كما سبق".

وملخص ما يمكن أن يكتب من ذلك أن في النبي صلى الله عليه وسلم قوة طبعت عليها ذاته الشريفة تنوعت أنوارها إلى سبعة[466]، وهذه الأنوار السبعة المشار لها بالأحرف السبعة هي: النبوة والرسالة والآدمية والروح والعلم والقبض والبسط[467].

ولكل واحد من هذه الأنوار السبعة سبعة أجزاء، فالجميع تسعة وأربعون توزع عليها الحروف التسعة والعشرون وأحوالها من حركة وسكون وغيرهما.

فانظر بسط ذلك فيه تفهم معنى هذا الصحيح المتواتر كما يجب أن يفهم، والله تعالى أعلم وأحكم[468].

الفصل السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء /[74] سوره

أما أسماء السور فستأتي إن شاء الله في كل سورة، وأما أسماؤه فذكر في الإتقان أن الله سماه بخمسة وخمسين اسما وهي:

الكتاب والمبين والقرآن والكريم وكلام الله والنور وهدى ورحمة والفرقان والشفاء والموعظة والذكر والمبارك وعليا وحكمة والحكيم والمهيمن والحبل والصراط المستقيم وقيما والقول والفصل والنبأ العظيم وأحسن الحديث والمثاني /[75] ومتشابها وتنزيلا وروحا ووحيا وعربيا وبصائر وبيانا وعلما وحقا وهاديا وعجبا وتذكرة والعروة الوثقى وصدقا

---

466 في الإبريز ص65 : "إلى سبعة أوجه، وهذه الأنوار السبعة لها وجهتان: إحداهما منه صلى الله عليه وسلم إلى الحق سبحانه والأخرى منه صلى الله عليه وسلم إلى الخلق، وهي في الوجهة الأولى فياضة دائما لا يسكن منها شيء ولا يفتر ...".

467 في المرجع السابق ص65 و66: "هي حرف النبوة وحرف الرسالة... . فحرف النبوة علامته أن تكون الآية آمرة بالصبر ودالة على الحق ومزهدة في الدنيا ...، وحرف الرسالة علامته أن تكون الآية متعرضة للدار الآخرة ودرجاتها ...، وحرف الآدمية يرجع حاصله إلى النور الذي وضعه الله في ذات بني آدم وأقدرهم به على الكلام الآدمي ...، وحرف الروح علامته أن تكون الآية متعلقة بالحق سبحانه وبعلى صفاته ولا ذكر لمخلوق فيها ...، وحرف العلم علامته أن تكون الآية متعرضة لأحوال الخلق الماضين ... أو منبهة على ذم بعض الآراء ...، وحرف القبض علامته أن تكون الآية تتكلم مع أهل الكفر والظلام ...؛ وذلك أن جيش النور وجيش الظلام في قتال دائم ...، وحرف البسط علامته أن ترى الآية متعرضة لنعم الله تعالى على الخلق وتعدادها ...".

468 انظر شرح التسعة والأربعين جزءا وعلاقتها بالتسعة والعشرين حرفا العربي في الإبريز من ص68 إلى ص98.

وعدلا وأمرا ومناديا وبشرى ومجيدا وزبورا وبشيرا ونذيرا وعزيزا وبلاغا وقصصا وصحفا ومكرمة ومرفوعة ومطهرة وأحسن القصص.

وقد ذكر الآيات التي فيها هذه الأسماء[469]، ثم ذكر وجه التسمية بكل واحد منها مما يأتي إن /[76] شاء الله في مواضعه اللائقة به[470].

(قال في جمع الجوامع: والقرآن هو "اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه، [المتعبَّد بتلاوته][471]، ومنه البسملة أول كل سورة غير "براءة" على الصحيح"[472] هـ.

وهو في الأصل اللغوي مصدر: قرأ -إذا تلا- قرءا وقراءة وقرآنا، فهو قارئ وهم قرَأة وقراء وقارئون[473].

وأصل القرء - في اللغة- الجمع والضم، سمي القارئ قارئا؛ لأنه يضم حرفا إلى حرف وكلمة إلى كلمة وجملة إلى جملة[474].

ثم استعمل القرآن عرفا شرعيا في اللفظ المنزل بمعنى المقروء، فهو من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول مجازا مرسلا لغويا علاقته التعلق[475].

---

469 صدر السيوطي ذكر أسماء القرآن والآيات الواردة فيها بقوله: "وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة - بضم عين عزيزي- في كتاب البرهان: اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما..."، الإتقان النوع السابع عشر 50/1.

470 أورد السيوطي أوجه التسمية بعدما قال: "انتهى" أي كلام أبي المعالي عن أسماء القرآن، انظر الإتقان النوع السابع عشر 50/1.

471 ساقطة من المخطوط، والتصويب من شرح المحلي على متن جمع الجوامع 357/1.

472 شرح المحلي على متن جمع الجوامع: الكتاب الأول في الكتاب ومباحث الأقوال 357/1 وما بعدها، وفي 364/1 منه تتمة تعريف ابن السبكي: "لا ما نُقِل آحادا على الأصح، والسبع متواترة ...".

473 قال الطبري في تفسيره: القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه 94/1: "فأما القرآن فإن المفسرين اختلفوا في تأويله، والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس: من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرا من قول القائل: قرأت، كقولك: الخسران... والغفران... والكفران... والفرقان"، وفي تفسير التحرير والتنوير: المقدمة الثامنة 71/1: "وهو على وزن: فُعْلان، وهي زنة وردت في أسماء المصادر مثل: غُفْران ...".

474 "وأما على قول قتادة فإن الواجب أن يكون مصدرا من قول القائل : قرأت الشيء؛ إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ...، فرأى قتادة أن تأويل القرآن: التأليف.
قال أبوجعفر: ولكلا القولين - أعني قول ابن عباس وقول قتادة اللذين حكيناهما- وجه صحيح في كلام العرب، غير أن أولى قوليْهما ... قول ابن عباس" تفسير الطبري 95/1 و96.

475 انظر تسمية المفعول بالمصدر في النهاية في غريب الأثر: حرف الباء 138/1 وحرف الشين 473/2.

ثم صار حقيقة عرفية شرعية في اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما مر)[476].

الفصل الثامن عشر: السورة[477]

قال في الإتقان: السؤرة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من "أسْأرْتُ" أي أفضلتُ، من "السّؤر": وهو ما بقي من الشراب في الإناء، كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يَهمِز جعلها من المعنى المتقدم وسهّل همزها.

ومنهم من يشبهها بسورة البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة.

وقيل: من سور /[77] المدينة؛ لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور.

وقيل: لارتفاعها لأنها كلام الله، والسورة: المنزلة الرفيعة.

وقيل: لتركيب بعضها على بعض من التسور بمعنى التصاعد والتركب على حد: (إذ تسوروا المحراب)[478].

و**حدّها** - كما قال الجعبري (ت 687)-: "قرآن يشتمل على آي، ذو

"والمجاز ضربان: مرسل واستعارة ...، المرسل: وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه" الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: القول في الحقيقة والمجاز ص254.

[476] في الهامش بعبارة "صح.

قال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن: المبحث الأول في معنى علوم القرآن 11/1: "... ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي، من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب اللحياني وجماعة، أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من: قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل ... : فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة ولا مِن بُعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة".

[477] هذا العنوان في هامش المخطوط.

وعنونه في الإتقان 52/1 بقوله: "فصل في أسماء السور" وهذا ضمن " النوع السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سوره".

[478] ص: 20، وهو قول القتبي ضمن النوع السابع عشر 52/1 بتصرف يسير.

فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات"[479]. وأسماؤها ثابتة /[78] بالتوقيف من الأحاديث والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم. والصحيح جواز أن يقال"سورة كذا"، والنهي غير ثابت[480].

(وعدد السور: 114 كما في الإتقان)[481]، هـ بخ[482].

<u>الفصل التاسع عشر</u>: في إعراب أسماء السور

ما سمي منها بجملة حكيت - نحو (قل أوحي)[483] و(أتى أمر الله)[484]- وما سمي بفعل لا ضمير فيه: أعرب إعراب ما لا ينصرف؛ لأنها صارت أسماء، والأسماء معربة إلا لموجب /[79] بناء وذلك نحو (تبارك)[485]، إلا أن يكون في أوله همزة وصل فإنها تقطع؛ لأنها لا تكون في الأسماء إلا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها[486]، ثم إن كانت في آخره تاء التأنيث قلبت في الوقف "هاء" على صورة الوقف فتقول: قرأت "اقتربةْ"[487]، وفي الوقف: "اقتربهْ"؛ لأن هذا هو حكم تاء التأنيث التي في الأسماء، وكتبت هاء؛ لأن الخط تابع للوقف غالبا.

وما سمي منها باسم: فإن كان من /[80] حروف الهجاء - وهو حرف واحد- وأضيفت إليه "سورة" فعند ابن عصفور أنه موقوف لا إعراب فيه، وعند الشلوبين (ت 640)[488] يجوز فيه وجهان: الوقف والإعراب، وذلك

---

479 الإتقان النوع السابع عشر 52/1.

480 انظر الإتقان النوع السابع عشر 52/1 حيث قيل: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف ...، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك"، وحيث عدم كراهة الجمهور أن يقال: "سورة كذا".

481 هي في الهامش بعبارة "صح"، ولم يذكرها السيوطي في النوع السابع عشر بل افتتح بها "النوع التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه" 64/1.

482 كل ما نقله المؤلف رحمه الله هنا عن السيوطي متصرف فيه.

483 أي سورة الجن.

484 أي سورة النحل.

485 أي سورة الملك، وانظر ما جعل اسما للسورة لا يصرف في كتاب سيبويه: باب أسماء السور 256/3 وما بعدها.

486 "حتى يصير بمنزلة نظائره من الأسماء نحو : إصبع" الكتاب 256/3.

487 أي سورة القمر.

488 هو الأستاذ العلامة إمام النحو أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الإشبيلي الأندلسي، الملقب بالشلوبين وهي في لغة الأندلسيين : الأبيض الأشقر، له شرحان على المقدمة = =

ك"قاف" و"نون"، أما الأول ويعبر عنه بالحكاية فلأنها حروف مُقتطعة[489] تُحكى كما هي، وأما الثاني فعلى جعلها أسماء لحروف الهجاء، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير /[81] الحرف، ومنعه من الصرف بناء على تأنيثه.

فإن لم تضف إليه "سورة" لا لفظا ولا تقديرا، فلك الوقفُ والإعرابُ، مصروفا وممنوعا.

وإن كان أكثر من حرف: فإن وازن[490] الأسماء الأعجمية - نحو "طس"[491] و"حم"[492]- وأضيفت إليه "سورة" أم لا، فلك الحكاية والإعراب ممنوعا لموازنة "قابيل" و"هابيل"[493].

وإن لم يوازن: فإن أمكن فيه التركيب - ك"طسم"[494]- وأضيفت إليه "سورة" فلك الحكاية والإعراب إما مركبا مفتوح النون /[82] - ك"حضرَ موتَ"-[495] أو معربَ النون مضافا لما بعده و(ما بعده يكون)[496] مصروفا وممنوعا على اعتقاد التذكير والتأنيث، وإن لم تضف إليه "سورة" فالوقف على الحكاية والبناء - ك"خمسة عشر"- والإعرابُ ممنوعا.

وإن لم يمكن التركب[497] فالوقف ليس إلا، أضيفت إليه "سورة"[498] أم لا نحو "كهيعص"[499] و"حمعسق"[500]، ولا يجوز إعرابُه - لأنه لا نظير له

= = الجزولية في النحو المسماة بالقانون لمؤلفها أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت 617)، ولد الشلوبين سنة 562 وتوفي سنة 645 كما في السير وكشف الظنون، وفي نزهة الألباب في الألقاب: مات سنة 632. انظر سير أعلام النبلاء 207/23 وكشف الظنون: باب الميم 1800/2 ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر 1692- 403/1.

[489] في الإتقان 56/1: مقطعة.

[490] في المخطوط: وازان، والتصويب من الإتقان: النوع السابع عشر 56/1.

[491] النمل 1.

[492] غافر1 وفصلت1 والزخرف1 والدخان1 والجاثية1 والأحقاف1.

[493] انظر الكتاب 257/3.

[494] الشعراء1 والقصص1.

[495] فتصير "طسم": طاسينَ ميمَ، أي "بمنزلة: دَرابَ جرْدَ وبعلَ بكَّ" الكتاب 258/3.

[496] في الهامش بعبارة "صح".

[497] في الإتقان 56/1: وإن لم يكن التركيب.

[498] في المخطوط: السورة، وهو خطأ.

[499] مريم1.

[500] الشورى1، "فلا يكنّ إلا حكاية" الكتاب 258/3.

في الأسماء المعربة- ولا تركيبُه /[83] مزجا؛ لأنه لا يركب، كذلك أسماء كثيرة، وجوز يونس إعرابه ممنوعا.

وما سمي منها باسم غير حرف هجاء: فإن كان فيه اللام انجر - نحو "الأنفال" و"الأعراف" و"الأنعام"-، وإلا منع الصرف إن لم تضف إليه "سورة" - نحو "هذه نوحُ وهودُ" و"قرأت نوحَ وهودَ"[501]-، وإن أضيفت بقي على ما كان عليه قبلُ، فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنع - نحو "قرأت سورةَ يونسَ"-، وإلا صرف - نحو "سورة نوح وسورة /[84] هود"[502]-، هـ بخ، هـ من الإتقان[503].

الفصل العشرون: في جمعه وترتيبه

قال الحاكم (ت 450) في المستدرك: جُمِع القرآن ثلاث مرات:

إحداها: بحضرته صلى الله عليه وسلم، والمراد[504] تأليفُ ما نزل من الآيات المفرقةِ في سُورها وجمعُها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم.

الثانية: بحضرة أبي بكر (ت 13)، جمعَه[505] زيد بن ثابت الأنصاري (ت 45)[506] وبقيت الصّحفُ/[85] عند أبي بكر (ت 13) حتى توفي، ثم عند عمر حتى توفي، ثم عند بنته حفصة[507].

الثالثة: في زمن عثمان (ت 35) رضي الله عنه[508]، سنة خمسة عشر

---

[501] في الإتقان: وقرأت هودا ونوحا، وهو خطأ.

[502] انظر الكتاب 256/3.

[503] نقله ملخصا في الإتقان – النوع السابع عشر 56/1- عن أبي حيان في شرح التسهيل، وهو هنا بتصرف يسير.

[504] هذا الشرح للبيهقي في شعب الإيمان: ذكر حديث جمع القرآن 171 – 197/1.

[505] هذا التوضيح ليس من كلام الحاكم في المستدرك، وإنما هو ضمن حديث طويل خرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 4701 – 1907/4 عن زيد بن ثابت.

[506] هو أبو سعيد زيد بن ثابت الأنصاري المقرئ كاتب الوحي، شهد الخندق وما بعدها، توفي سنة 45 أو 48. انظر الإصابة 543/1 وغاية النهاية 296/1.

[507] قال ابن حجر :

"قوله: "ثم عند حفصة بنت عمر" أي بعد عمر في خلافة عثمان، إلى أن شرع عثمان في كتابة المصحف، وإنما كان ذلك عند حفصة؛ لأنها كانت وصية عمر، فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك" فتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 4701 – 16/9.

[508] بعدما خرج الحاكم حديثا- على شرط الشيخين- عن زيد بن ثابت مرفوعا علق عليه بقوله: "وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة النبي صلى الله

من الهجرة[509].

و"الفرق بين جمع أبي بكر (ت 13) وعثمان (ت 35): أنَّ جمعَ أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائفَ مرتبَ الآيات والسّور[510] على ما أوقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجَمْع عثمان /[86] كان لمّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم[511] إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر[512]، فنسخ تلك الصّحف في مُصحَف واحد مُرتِّبا لسُوَره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وُسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر /[87]، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة"[513]. فقصدُه "جمعُهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر وإلغاءُ ما ليس كذلك وأخذُهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبتَ مع تنزيل ولا منسوخ تلاوتُه كُتب مع مُثبَت رَسْمُه ومفروض قراءتُه وحفظُه خشيةَ دخولِ الفساد والشبهةِ على من يأتي بعدُ"[514].

قال المحاسبي[515]: /[88] المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان (ت 35) وليس كذلك، إنما حمل عثمانُ الناس على القراءة بوجه واحد على

عليه وسلم، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث في ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين" المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير 2901 – 249/2.

509 أي بعد وفاة النبي عليه السلام، فقدأورد ابن حجر رواية عن مصعب "قال: خطب عثمان فقال: يا أيها الناس إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة وقد اختلفتم في القراءة، الحديث" فتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 4702 – 17/9، بمعنى أن ذلك كان سنة خمس وعشرين.

510 في فتح الباري 21/9: مرتبا لآيات سوره.

511 في فتح الباري 21/9: ببعضهم.

512 في فتح الباري 21/9 والإتقان 60/1: تفاقم الأمر في ذلك.

513 هو قول ابن التين وغيره في فتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 4702 – 21/9.

514 في الإتقان 60/1 أنه قول القاضي أبي بكر في "الانتصار".

515 هو العارف شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي صاحب التصانيف الزهدية وغيرها منها فهم السنن وفهم القرآن، مات سنة 243. انظر تقريب التهذيب 1009- ص145 وسير أعلام النبلاء 110/12 ومقدمة كتاب المحاسبي: آداب النفوس.

اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لمّا خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات[516]، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق، هـ بخ[517].

وقد نسخ عثمان سبعة مصاحف، فأرسل إلى مكة واحدا وإلى الشام /[89] وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة، وترك بالمدينة واحدا[518]، هـ ملخصا من الإتقان[519].

---

[516] في نص المحاسبي بعد لفظة "القراءات" هذه الجملة: "فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن" الإتقان 60/1.

[517] الإتقان 60/1، وفي البرهان للزركشي: النوع الثالث عشر 238/1 أن المحاسبي أورده في كتاب "فهم السنن". هذا وقد عقد الباقلاني - في نكت الانتصار لنقل القرآن- أبوابا في جمع أبي بكر وعثمان للقرآن، منها: "باب ذكر أول من جعل القرآن بين اللوحين والدليل على صوابه تواتر الأخبار" ص315، و"باب القول في جمع أبي بكر رضي الله عنه المصحف وفي أي شيء كتبه" ص353، و"باب ذكر الدليل على أن ما فعله أبو بكر رضي الله عنه من ذلك صواب" ص355، و"باب جمع عثمان رضي الله عنه المصحف والوجه في ذلك" ص358.

[518] قال ابن حجر : "واختلفوا في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة ... حمزة الزيات قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف ... قال ابن أبي داود: كتبت سبعة مصاحف..."وذكر الأمصار السبعة التي أرسلت إليها: فتح الباري كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 4702 – 20/9. هذا وقال الداني في المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص19: "قال أبو عمرو: أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ ...، وقد قيل إنه جعله سبع نسخ... ، والأول أصح وعليه الأئمة".

[519] النوع الثامن عشر في جمعه وترتيبه 57/1 وما بعدها.

الفصل الواحد والعشرون: ترتيب الآيات والسور[520] والرسم[521] [توقيفي][522]

اعلم أن الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك[523]، قال الباقلاني (ت 403): "ترتيب الآيات أمر واجب وحُكم لازم، فقد كان جبريل عليه السلام يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقال أيضا: الذي نذهب إليه /[90] أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمِه ولم ينسخه ولا رَفعَ تلاوتَه بعد نُزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مُصحف عثمان (ت 35)[524]، وأنه لم يُنقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله (ت 11) من آي السور"[525].

---

520 "أما اختلاف مصاحفهم في السور فهو الظاهر المشهور وما يُقدَر على دفعه، وإن كان من الناس من يُنكر ذلك، لكنا نقول: إنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم توقيف على ترتيبها، بل إنما ألفوا سور المصحف على الاجتهاد وضم السور إلى مثلها وما يقاربها، ومن الناس من زعم أن تأليف السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم...، وليس بواجب تأليفُ السور في الكتابة ولا في الصلاة ولا في القراءة والتلقين، والذي يدل على صحة ذلك أنه لو كان من النبي صلى الله عليه وسلم توقيف على ذلك لظهر وفشا ونُقل مثله، وفي العلم بعدم ذلك دليل على أنه لم يكن منه توقيف فيه" نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني ص81 و82.
وفي ص83: "وقد صح وثبت أنه لا رأي لهم في ترتيب الآي ...، والذي يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يوقف على ترتيب الآي أنه ظاهر مكشوف من دينه ...".

521 قال الزركشي في البرهان 380/1: "واعلم أن الخط جرى على وجوه: فيها ما زيد عليه على اللفظ ، ومنها ما نقص، ومنها ما كُتب على لفظه، وذلك لِحِكم خفية وأسرار بهيّة تصدى لها أبو العباس المراكشي- الشهير بابن البناء- في كتابه "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل" وبيَّن أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها...".

522 هذا العنوان في هامش المخطوط، وفيه: توقيفية.

523 قال القاضي عياض: "ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن توقيف من الله" فتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن 4707 – 40/9، وانظر أيضا الديباج للسيوطي 772 - 381/2.
وقال الزركشي في البرهان 256/1: "وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها".

524 "قال أبو مجلز: يرحم الله عثمان لو لم يجمع الناس على قراءة واحدة لقرأ الناس القرآن بالشعر" شرح السنة للبغوي: باب جمع القرآن 525/4.

525 الإتقان: النوع الثامن عشر 61/1، وانظر فتح الباري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن 4707 – 42/9، وبالنسبة للشق الأول من كلام الباقلاني انظر نكت الانتصار لنقل القرآن ص83، وبالنسبة للشق الثاني من كلامه ص29.

وروى[526] ابن وهب (ت 197)[527] عن مالك (ت 179)[528] قال: "إنما أَلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعون /[91] من النبي صلى الله عليه وسلم"[529]، هـ.

"فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا (أي ليلة القدر التي كانت تلك السنة في رمضان)[530]، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة"[531].

وقال ابن الحصار[532]: ترتيب السور ووضع الآيات في موضعها إنما كان بوحي، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر /[92] بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف[533]، هـ من الإتقان[534].

---

526 في الإتقان 61/1: " وأخرج [أي الباقلاني] عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول...".

527 هو عبد الله بن وهب بن مسلم الإمام شيخ الإسلام أبو محمد الفهري مولاهم، المصري الحافظ، له الموطأ والمغازي، ولد سنة 125 وتوفي سنة 197. انظر سير أعلام النبلاء 9223 وطبقات خليفة ابن خياط ص297.

528 هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الإمام شيخ الإسلام، حجة الأمة إمام دار الهجرة، ولد سنة 73 وتوفي سنة 179. انظر سير أعلام النبلاء 48/8 وتقريب التهذيب 6425- ص516 وطبقات خليفة ابن خياط ص275.

529 خرجه الداني في المقنع ص18 وفيه: "...من قراءة رسول الله...".

530 هذا توضيح من المؤلف رحمه الله تعالى.

531 عزاه في الإتقان 61/1 إلى البغوي، وانظره في شرح السنة: باب جمع القرآن 522/4 و523..

532 هو العلامة قاضي الجماعة أبو المطرّف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر القرطبي المالكي ابن الحصار، ولي القضاء وكان أعلم الناس بمذهب مالك مع قوة في اللغة والنحو، توفي سنة 422. انظر سير أعلام النبلاء 473/17 والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون475/1 وشذرات الذهب 223/3 وكتاب الصلة لابن بَشْكُوَال ص326.

533 انظر الإتقان 62/1، وفي البرهان 257/1 للزركشي أن ترتيب السور مختلف فيه على ثلاثة أقوال: مذهب الجمهور- منهم مالك والقاضي أبوبكر بن الطيب- على أن الترتيب من فعل الصحابة، "وذهبت طائفة إلى الأول [أي أنه توقيف من النبي عليه السلام]، والخلاف يرجع إلى اللفظ..."، "والقول الثالث مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية": أن كثيرا من السور ترتيبها توقيفي "كالسبع الطوال والحواميم والمفصل"، وما سواها مفوض فيه الأمر إلى الأمة بعده. أما في 260/1 فرجح الزركشي القول بالتوقيف ونبه- في مبحث خاص- على الأسباب التي تُطلع على أن ترتيب وضع السور في المصحف توقيفي.

534 كله بتصرف، وقد عنونه السيوطي ب"فصل" ضمن النوع الثامن عشر في جمعه وترتيبه 60/1 وما بعدها.

وفي الإبريز ما نصه:

فقلت: فهل رسم القرآن -على الصفة المذكورة-[535] صادر من النبي صلى الله عليه وسلم أو من ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم؟

فقال رضي الله عنه: هو صادر منه صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمر الكُتّاب من الصحابة رضي الله عنهم أن يكتبوه على الهيئة المذكورة /[93]، فما زادوا ولا نقصوا رضي الله عنهم على ما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم.

فقلت: إن جماعة من العلماء **ترخصوا في أمر الرسم** وقالوا: إنما هو اصطلاح من الصحابة جروا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية - ككتابة: الربو والصلوة والزكوة والحيوة، بالواو مع النطق بالألف، وإسمعيل وإسحق وإبرهيم والرحمن وملك، بحذف الألف مع النطق بها، وزيادة الألف في: قالوا وخرجوا وكفروا، مع عدم النطق /[94] بها- كما أوضح ذلك الباقلاني (ت 403)[536] في كتابه الانتصار[537] وساق لفظه فقال:

رضي الله ما للصحابة - ولا لغيرهم- في رسم القرآن، ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمرهم

---

[535] انظر ما ورد في الإبريز في الفصل السادس عشر - أنزل القرآن على سبعة أحرف- من هذا الكتاب ص 47.

[536] هو العلامة القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري البغدادي الفقيه المالكي، المحدث الحجة المتكلم الأصولي، له تصانيف عديدة ومفيدة، توفي سنة 403. انظر سير أعلام النبلاء 190/17 والديباج المذهب 228/2 وشذرات الذهب 168/3 والفتح المبين في طبقات الأصوليين لمصطفى المراغي 221/1.

[537] "والذي يُعتمد عليه - في قول عثمان رضي الله عنه [أي في لحن القرآن، انظره في آخر هذا الفصل]- أن القصد به ما وجد فيه من حذف الكاتب واختصاره في مواضع وزيادته في مواضع ...، مثل كتبهم الصلاة والزكاة: "الصلوة والزكوة"، بالواو وكان الأولى أن تكتب على اللفظ، مثل "إبراهيم وإسماعيل" وما أشبه ذلك مما حذف فيه الألف وهو ثابت في اللفظ، ونحو إلحاقهم في آخر الكلمة في: "قالوا وقاموا" ألفا وهو غير بين في اللفظ. ...لأن **الله تعالى إنما أوجب على القراء والحفظة أن لا يزيدوا في القرآن ولا ينقصوا منه ولا يأتوا به على المعنى، ولم يأخذ على الكتبة رسما بعينه دون غيره**؛ لأن ذلك لا يجب إلا بالسمع، ولا دليل للسمع على ذلك، وقد ثبت أن خطوط المصاحف متغايرة مختلفة، وأن الناس أجازوا ذلك أجمع وأجازوا أن يكتب كل واحد بما هو عادته وأشهر عنده، والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود" نكت الانتصار لنقل القرآن ص128 و129.

أن يكتبوه على الهيئة المعروفة[538] لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وما كانت العرب في جاهليتها ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك ولا يهتدون بعقولهم /]95[إلى شيء منه، وهو سر من أسراره خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في غيرهما من الكتب السماوية.

وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز[539]؛ وذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت عن الناس لأنها من الأسرار الباطنية التي لا تدرك إلا بالفتح الرباني، فهي بمنزلة /[96] الألفاظ والحروف المقطعة في أوائل السور، فلها **أسرار** عظيمة **ومعان** كثيرة[540] حتى إن جميع ما في السورة - التي في أولها تلك الحروف- من المعاني والأسرار مندرج تحت تلك الحروف:

---

538 "بزيادة الأحرف ونقصانها" الإبريز ص101.

539 سرد في الإبريز ص102 و103 بعد هذه العبارة نماذج من رسم القرآن الكريم.

540 "قد قيل في (طه) غير ما وجه، والأوجَه في ذلك - والله أعلم بما ينزل- أنَّ الم والمص وكهيعص وطه وطس وطسم وحم وحم عسق ويس وص ون وق: واسطة بين حروف **الكتاب المبين**، وبين حروف **القرآن الكريم** الذي هو كتاب البشر، وهي آيات محكمات فصلها منزلها إلى ما شاء تفصيله، وكما لا يستطيع البشري أن يرفع الجبال بقوته ولا أن يصعد السماء بأيده، فكذلك لا يستطيع أن يعبر عنها بعبارة، لكن الإيمان يشير إلى تأويلها والعقل يومئ إلى اسمها بفضل الله وهدايته:

والوجه فيها أنها معبرة عن أسماء لله تعالى، نزلها منزلها جل ذكره إلى أسماء يعبَّر عنها بكلام البشر ولغات الألسنة، نزلها من كونها أسماء إلى مقتضياتها في موجودات العالم وما عبر عنه القرآن الكريم":

هذا الكلام في مخطوط بعنوان : كتاب التفسير - الجزء الثاني منه- مجهول المؤلف ص341، بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 1770، رقم المكروفلم: 693، وقد تم الفراغ منه "سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببغداد حماها الله تعالى" ص378.

قال ابن العربي: "ومن الباطن علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد قيدت فيها أزيد من عشرين قولا ...، ولو كان هذا مما ينال بالاجتهاد ويجري عليه بالظن لقلت لكم فيه: إن الأقرب إلى الصواب قول من قال: إنه إشارة إلى تعجيز العرب على ما يأتي بيانه إن شاء الله ...، وأما ما خرج عن باب التكليف والعمل فطريقه القطع والمطلوب فيه العلم، فلا تسلك إليه على منهج الظن ...، ومنه ما تقدم من القول في كيفية تأويل أوائل السور؛ فإنه ليس من باب التكليف ...، ولا يوجد دليل القطع عليه فوجب التوقف" قانون التأويل لابن العربي ص527 و530.

فجميع ما في سورة "ص" مندرج تحت حرف "ص" وهكذا، فكذا أمر الرسم الذي في القرآن حرفا بحرف[541].

وأما قول من قال: إن الصحابة رضي الله عنهم اصطلحوا على الرسم المذكور، فلا يخفى ما في كلامه؛ /[97] لأن القرآن العزيز كتب في زمانه عليه الصلاة والسلام وبين يديه على هيئة من الهيئات[542]، وحينئذ فلا يخلو ما اصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم، إما أن يكون هو عين الهيئة أم غيرها:

فإن كان عينها بطل الاصطلاح؛ لأنه اختراع وابتداع، وسبقية التوقيف تنافي ذلك وتوجب الاتباع، فإن نسب اتباعهم حينئذ للاصطلاح كان بمنزلة من قال: إن الصحابة /[98] اصطلحوا على أن الصلوات خمس، وإن كان غير ذلك فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة - كهيئة الرسم القياسي مثلا- والصحابة خالفوا ذلك وكتبوا على هيئة أخرى؟

فإن هذا لا يصح لوجهين:

أحدهما: ما فيه من نسبة الصحابة وأعلام الهدى رضي الله عنهم إلى المخالفة وذلك محال.

ثانيهما: أن سائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز أن يزاد في القرآن /[99] حرف ولا أن ينقص منه حرف، والكتابة

---

541 "وسألته رضي الله عنه عن القرآن العزيز: هل هو مكتوب في اللوح المحفوظ باللغة العربية؟ فقال رضي الله عنه: نعم وبعضه بالسريانية، فقلت: وما هذا البعض؟ فقال رضي الله عنه: فواتح السور ...، فسألته رضي الله عنه عن فواتح السور ...، قال رضي الله عنه: وهذه الرموز مكتوبة في اللوح المحفوظ، وكل رمز منها يكتب معه تفسيره ...، وما في السورة مثل التفسير له، وهي عادة اللوح المحفوظ: يترجم برموز ثم يشتغل بتفسيرها ...، ولا يعلم ما في فواتح السور إلا أحد رجلين: رجل ينظر في اللوح المحفوظ، ورجل يخالط ديوان الأولياء أهل التصرف رضي الله عنهم، وغير هذين الرجلين لا طمعية له في معرفة فواتح السور أبدا" الإبريز ص224 و225.

542 "قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سمّيت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وشهد العَرضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده وعمر في جمعه، وولاه عثمان كِتبَة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين" شرح السنة: باب جمع القرآن 525/4 و526.

أحد الوجودات الأربع، وما بين الدفتين كلام الله، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة والصحابة رضي الله عنهم عاكسوه في ذلك وخالفوه، لزم أنهم - رضي الله عنهم وحاشاهم من ذلك- تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على أنه لا يحل لأحد فعله، ولزم تطرق الشك إلى جميع ما بين /[100] الدفتين؛ لأنا مهما جوَّزنا أن تكون فيه حروف زائدة على ما في علم النبي صلى الله عليه وسلم وأنها ليست بوحي ولا من عند الله ولم نعلمها بعينها، شككنا في الجميع، ولئن جوزنا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفا ليس بوحي لزمنا أن نجوِّز لصحابي آخر نقصان حرف من الوحي؛ إذ لا فرق بينهما، وحينئذ تنحل عروة الإسلام بالكلية.

وإنما يصح أن يدعى الاصطلاح من /[101] الصحابة رضوان الله عليهم لو كانت كتابة القرآن العزيز إنما حدثت في عصرهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فثبت أن الرسم توقيفي لا اصطلاحي وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الآمر بكتابته على الهيئة المعروفة.

وكونه عليه السلام أمِّيا لا يعرف الكتابة، أي بالاصطلاح والتعلّم، وأما من جهة الفتح الرباني فيعلمها ويعلم أكثر منها، وكيف لا والأولياء /[102] الأميون من أمته الشريفة المفتوح عليهم يعرفون خطوط الأجيال من لدن آدم عليه السلام وأقلام سائر الألسن ببركة نوره عليه السلام، فكيف به عليه السلام.

ومن فتح الله عليه ونظر في أشكال الرسم التي في ألواح القرآن، ثم نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ، وجد بينهما تشابها كثيرا وعلم أسرارا في ذلك وأن تلك الأسرار من وراء العقول.

قال: وقد سألته /[103] رضي الله عنه عن زوائد فأجابني عنها وعن أسرارها بما يزيل الإشكال.

قال: وسألته لِمَ لا يجوز أن يكتب القرآن على الرسم القياسي؟

فقال: للكلام القديم أسرار ولكتابته دخل في تلك الأسرار، فمن كتبه بالكتابة التوقيفية فقد أداه بجميع أسراره، ومن كتبه بالكتابة القياسية فقد نقص من أسراره، ويكون الذي كتبه كلمات من تلقاء نفسه لا الكلمات المنزلة.

/[104] فقلت له: إذا كان الرسم توقيفيا بوحي كألفاظ القرآن، فلِمَ لمْ ينقل متواترا كألفاظ القرآن، وإنما نقل بالآحاد كما يعلم من الكتب

الموضوعة فيه، ومن أجل ذلك وقع الاضطراب بين النقلة في كثير منه؟ وكيف تضيّع الأمّة شيئا من الوحي؟

فقال رضي الله عنه: ما ضيعت الأمة شيئا من الوحي، والقرآن محفوظ ألفاظا ورسما:

فأهل العرفان حفظوا /[105] ألفاظه ورسمه ولم يضيعوا منه شعرة واحدة وأدركوا ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر، وغيرهم حفظوا ألفاظه الواصلة إليهم بالتواتر، واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يقدح ولا يصيّر الأمة مضيّعة، كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه[543].

قال صاحب الإبريز (ت 1156)[544]:

وأما الحديث الذي نقل عن عثمان (ت 35) وأن في /[106] القرآن لحنا ستقيمه العرب بألسنتها، فهو حديث مرسل وفي إسناده اضطراب يعود بالجهالة على بعض رجال إسناده، وقد رده الباقلاني (ت 403)[545] وأبو عَمرو الداني المقرئ (ت 444) في المقنع[546].

---

543 انظر الإبريز ص99- 106.

544 انظر ترجمته في ص 47 السابقة.

545 قال في نكت الانتصار لنقل القرآن ص127: "الحديث عن عثمان إنما رواه قتادة مرسلا، ولعل مَن أرسله ممن لا يُقبل خبره ولا يُلتفت إليه، ولو كان الخبر صحيحا وسَلِم من الاضطراب- الذي هو ثابت فيه- لم يجب القطع به والعمل عليه. والرواية المسندة من قتادة في هذا عن نصر بن عاصم عن عبد الله بن فطيمة عن يحيى بن عمر [في التعليق بعده: ابن يعمر] قال: قال عثمان: في القرآن لحن تُقيمه العرب بألسنتها. وهو غاية في الاضطراب والضعف، وابن فطيمة هذا مجهول خامل الذكر لا يُقبل خبرُه".

546 قال في المقنع ص 119 و120: "فإن قال قائل: فما تقول في الخبر الذي رويتموه عن يحيى بن يعمر وعكرمة مولى ابن عباس عن عثمان رضي الله عنه أن المصاحف لما نُسِخت عُرضت عليه فوجد فيها حروفا من اللحن فقال: "اتركوها فإن العرب ستقيمها -أو ستعربها- بلسانها" إذ ظاهره يدل على خطإ في الرسم؟، قلت: هذا الخبر عندنا لايقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين: إحداهما أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل؛ لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئا ولا رأياه، وأيضا فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان رضي الله عنه لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده في بذل النصيحة...، فإن قال: فما وجه ذلك عندك لو صح عن عثمان رضي الله عنه؟، قلت: وجهه أن يكون عثمان رضي الله عنه أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم؛ إذ كان كثير منه لو تلي على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها، ألا ترى قوله: (لأذبحنه)... لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورتِه في الخط لصير الإيجاب نفيا ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله..."،بالإضافة إلى هذا "تأول بعض علمائنا = =

وقال أبو القاسم الشاطبي (ت 590)[547] في العقيلة:

"ومَن رَوى: ستُقيمُ العُرْبُ ألسُنُها لحْنا به، قولَ عثمان فما شُهرَا"[548]

وذكر الجعبري (ت 687) في شرحها أنه غير صحيح لاضطرابه.

هـ كلام الإبريز باختصار[549].

/[107] **الفصل الثاني والعشرون:** في عدّ سوره وآياته[550] وكلماته وحروفه

أما **سوره** فمائة وأربع عشرة بإجماع من يعتد به[551].

وروي عن الحسن البصري (ت 110): وثلاث عشرة، يجعل "الأنفال" و"براءة" واحدة[552].

وفي مصحف ابن مسعود: واثنتا عشرة، بحذف المعوذتين[553].

وفي مصحف (أبيّ بن كعب (ت 30))[554]: وست عشرة، بإثبات سورتي الحفْد والخلع في آخره وهما آيتا / [108] القنوت: اللهم إنا

= = قول أم المؤمنين [أي عائشة]: "أخطأوا في الكتاب" أي أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز؛ لأن ما لا يجوز مردود بإجماع وإن طالت مدة وقوعه وعظم قدر موقعه، وتأول "اللحن" أنه القراءة واللغة، كقول عمر رضي الله عنه: أبيّ أقرأنا وإنا لندع بعض لحنه، أي قراءته" ص122.

والداني هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم، الأندلسي القرطبي ثم الداني، يعرف قديما بابن الصيرفي، مصنّف التيسير وجامع البيان وغيرهما، ولد سنة 371 وتوفي سنة 444. انظر سير أعلام النبلاء 77/18

[547] هو أبو القاسم بن فيرُّه بن خلف الرُّعَيْني الشاطبي المقرئ الضرير، ولد سنة 538. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي 573/2.

[548] عقيلة أتراب القصائد في الرسم، وهي منظومة للشاطبي في إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد: لعلي محمد الضباع ص317.

[549] انظره ص106 و107.

[550] "وعد الآي لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم فيه توقيف" نكت الانتصار لنقل القرآن ص86.

[551] هو في البرهان 251/1 "باتفاق أهل الحل والعقد... كما في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس".

[552] هو قول مجاهد في البرهان 251/1 وفيه: "ويرده تسمية النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهما".

[553] علله في البرهان 251/1 ورده بقوله: "لم يكن فيها المعوذتان لشبهة الرقية، وجوابه: رجوعه إليهم وما كتب الكل".

[554] هي في الهامش بعبارة "صح".

نستعينك، لخ[555].

و**الحكمة** في تسويره تحقيقُ كون السورة بمجردها معجزة، والإشارةُ إلى أن كل سورة نمط مستقل:

فسورة يوسف تترجم عن قصته وهكذا.

وجعلت طوالا وأوساطا وقصارا تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز وتدريجا في التعليم للأطفال: من القصار إلى الطوال، وأيضا سور؛ لأن القارئ إذا ختم سورة /[109] أو بابا ثم أخذ في آخَرَ كان أنشط له، وهذا التسوير موجود في سائر الكتب السماوية كما للزمخشري[556] (ت 538).

وأما **عدد آياته** فمبني على معرفة الآية، قال الجعبري (ت 687): حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدإ ومقطع، مندرج في سورة، وأصلها في اللغة العلامة.

وقال بعضهم: الصحيح أن الآية إنما تعلم بالتوقيف[557]؛ ولذا[558] عدوا "الم"[559] آية حيث وقعت و"المص"[560]، ولم /[110] يعدوا "المر"[561] و"الر"[562]، وعدوا "حم" آية في سورها و"طه" و"يس"، ولم يعدوا "طس"[563].

---

555 رده في البرهان 251/1 بقوله: "وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين، ولا دليل فيه لموافقتهم، وهو دعاء كتب بعد الختمة".

556 انظر الإتقان 66/1، وهذا بعض ما ذكره الزمخشري من فوائد "تفصيل القرآن وتقطيعه سورا" في معرض شرحه لقوله تعالى: (فاتوا بسورة من مثله)- البقرة 23- في الكشاف 97/1 و98. والزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، العلامة كبير المعتزلة، الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب الكشاف والمفصَّل وغيرهما، ولد سنة 467 وتوفي ليلة عرفة سنة 538. انظر سير أعلام النبلاء 151/20.

557 "هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور" الكشاف 31/1.

558 هذه الجملة إلى آخرها نقلها في الإتقان 66/1 عن الزمخشري.

559 البقرة1 وآل عمران1 والعنكبوت1 والروم1 ولقمان1 والسجدة1.

560 الأعراف1.

561 الرعد1.

562 يونس1 وهود1 ويوسف1 وإبراهيم1 والحجر1.

563 انظر الكشاف 31/1.

وعن ابن عباس[564] (ت 63): جميع آي القرآن ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية (6616)، وجميع **حروف** القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وأحد وسبعون حرفا (323671).

وقال الداني (ت 444)[565]: أجمعوا على أن عدد آي القرآن ستة آلاف ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك: فمنهم من لم يزد، /[111] ومنهم من زاد 204[566] و214 و219 و225 و236[567].

وأما **كلماته:**

فقيل: 77934، وقيل: 77437[568]، وقيل: 77277.

وقيل غير ذلك[569].

---

564 قال في الإتقان 67/1: "وقد أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس" وذكره.

565 انظر ترجمته في ص 64 السابقة.

566 هو قول راشد في البرهان 251/1.

567 قال في البرهان 249/1: "حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب: البيان"- وهو "كتاب جامع البيان للداني" كما في مقدمة غاية النهاية في طبقات القراء 3/1 .

وقال في مناهل العرفان في علوم القرآن: عدد آيات القرآن 237/1: " قال صاحب التبيان ما نصه: وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العادّون على أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر، إلا أن هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم:

ففي عدد المدني الأول سبع عشرة؛ وبه قال نافع، وفي عدد المدني الأخير أربع عشرة عند شيبة؛ وعشر عند أبي جعفر، وفي عدد المكي عشرون، وفي عدد الكوفي ست وثلاثون؛ وهو مروي عن حمزة الزيات، وفي عدد البصري خمس؛ وهو مروي عن عاصم الجحدري، وفي رواية عنه أربع؛ وبه قال أيوب بن المتوكل البصري، وفي رواية عن البصريين أنهم قالوا: تسع عشرة؛ وروي ذلك عن قتادة، وفي عدد الشامي ست وعشرون؛ وهو مروي عن يحيى بن الحارث الذماري اهـ".

قال الزركشي: "اعلم أن سبب اختلاف العلماء في عدِّ الآي والكلم والحروف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة" البرهان 251/1 و252.

568 هو قول عطاء بن يسار في البرهان 249/1.

569 هذا الفصل من الإتقان: النوع التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه 64/1 وما بعدها بتصرف.

وفي 70/1 منه: "قيل: وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوائز" وهذا قول الزركشي في البرهان 252/1.

الفصل الثالث والعشرون: في معرفة رواته وحفاظه

المتحصل من كلام الإتقان[570] أن **الذين حفظوا القرآن** على عهد النبي صلى الله عليه وسلم **من الصحابة**:

أبو بكر (ت 13) وعمر (ت 23) وعثمان(ت 35) وعلي(ت 40) وابن عُمر(ت 73) وابن مسعود(ت 32) وسالم (ت 20/10) مولى أبي حذيفة[571] وأبيّ بن كعب (ت 30) /[112] ومعاذ بن جبل (ت 17)[572] وسعد بن معاذ الأنصاري[573] (ت 5) وخزيمة بن ثابت[574] (ت 57) وحنظلة الغسيل (ت 2)[575] وعاصم بن ثابت (ت 10/6)[576] وأبو الدرداء (ت 32) وزيد بن ثابت (ت 45) وأبو زيد (قيس بن السكن (ت 70))[577] وعبادة بن

---

570 أي من مجموع ما ذكره السيوطي من روايات وأقوال وتعليقات وذلك في 1/70-73.

571 هو أبو عبد الله سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، هاجر من مكة إلى المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يؤم المهاجرين بالمدينة، شهد بدرا وقتل يوم اليمامة هو ومولاه أبو حذيفة رضي الله عنهما. انظر سير أعلام النبلاء 167/1 وأسد الغابة 307/2 والاستيعاب 881/2 وتهذيب الأسماء واللغات 206/1.

572 هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، عالم بالأحكام والقرآن، شهد بدرا ومات بالشام سنة 18. انظر تقريب التهذيب 6725- ص535 وطبقات ابن خياط ص103.

573 هو سعد بن معاذ الأنصاري أو معاذ بن سعد الأنصاري، ذكره ابن منده وأبو نعيم وابن فتحون في الصحابة. انظر تهذيب التهذيب 357- 173/10.

574 هو أبوعمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري الخطمي المدني، ذو الشهادتين، شهد بدرا وما بعدها، روى عن رسول الله، عنه ابنه عمارة وجابر وغيرهما، قتل يوم صفين سنة 37. انظر تهذيب التهذيب 267- 121/3.

575 هو حنظلة بن أبي عامر عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية الأنصاري الأوسي، استشهد يوم أحد فقال عليه الصلاة والسلام: إن صاحبكم (حنظلة) تغسله الملائكة. فسئلت زوجته عن ذلك فقالت: خرج وهو جنب ولم يتأخر للاغتسال، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: فلذلك غسلته الملائكة. انظر الاستيعاب 380/1 وأسد الغابة 66/2 وتهذيب الأسماء واللغات 170/1.

576 هو أبو سلمان عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح قيس بن عصمة بن النعمان الأنصاري الأوسي، شهد بدرا وقتل يوم الرجيع، وقد كان عاهد الله ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك، فسمي حميّ الملائكة؛ لأنها حمته من المشركين لما أرادوا جزّ رأسه بعد مقتله رضي الله عنه. انظر الاستيعاب 779/2 وأسد الغابة 111/3.

577 هي في الهامش بعبارة "صح". وهو أبو زيد قيس بن السكن بن قيس الأنصاري، أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 27/2.

الصامت[578] وعثمان بن عفان (ت 35) وتميم الداري (ت 41)[579] وسعيد بن عُبيد ومجمع بن جارية (ت 23/)[580] وعمر بن الخطاب (ت 23) وطلحة (ت 36)[581] وسعد بن أبي وقاص (ت 55)[582] وأبو هريرة (ت 57) وعبد الله بن السائب[583] (ت 61) وابن عباس (ت 63) وابن الزبير (ت 63)[584] وعائشة (ت 58) وحفصة (ت 45) وأم سلمة (ت63) وفضالة بن عبيد[585] (ت 53) ومَسلَمَة بن مخلد[586] (ت 62) وعُقبة /[113] بن

---

[578] هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، روى عن رسول الله كثيرا، عنه أبو أمامة وأنس وخلق، توفي بالرملة سنة 34. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر 268/2.

[579] هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري، أسلم سنة 9 وسكن المدينة، أول من أسرج السراج بالمسجد، توفي سنة 40. انظر الاستيعاب 193/1 والأعلام 87/2.

[580] كذا في المخطوط.

وهو مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع بن يزيد الأنصاري الأوسي المدني، أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، عنه ابنه يعقوب وآخرون، مات في خلافة معاوية. انظر تهذيب التهذيب 75- 43/10.

[581] هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التميمي المكي المدني، أحد العشرة المبشرين بالجنة، سماه الرسول عليه الصلاة والسلام طلحة الخير وطلحة الجود، وهو من المهاجرين الأولين، روى له الجماعة وتوفي سنة 36 يوم الجمل، رماه مروان بن الحكم بسهم. انظر أسد الغابة 85/3 وسير أعلام النبلاء 23/1 وتهذيب الأسماء واللغات 251/1 وشذرات الذهب 43/1.

[582] هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص بن مالك القرشي الزهري، أول من رمى بسهم في سبيل الله، أحد المبشرين بالجنة، فاتح العراق ومدائن كسرى، توفي سنة 55. انظر صفة الصفوة 365/1 وتقريب التهذيب 2259- ص232 وطبقات ابن خياط ص15.

[583] هو أبو السائب عبد الله بن السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ المخزومي المكي القاري، كان قارئ أهل مكة، قرأ عليه مجاهد وغيره، روى عن النبي، عنه ابنه محمد وآخرون. انظر تهذيب التهذيب 394- 201/5.

[584] هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، أول مولود في الإسلام من المهاجرين، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل سنة 73. انظر تقريب التهذيب 3319- ص303 وحلية الأولياء 329/1 والأعلام 87/4.

[585] هو أبو محمد فضالة بن عبيد بن ناقذ بن قيس الأنصاري، شهد أحدا وما بعدها، ولاه معاوية الغزو وقضاء دمشق، روى عن النبي وعمر وجماعة، عنه أبو علي ثمامة وآخرون، توفي سنة 53. انظر تهذيب التهذيب 499- 241/8.

[586] هو مَسلمَة بن مخلد الأنصاري الزرقي، والي مصر أيام معاوية، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، عنه أسلم وأبو عمران وآخرون، توفي سنة 62 وله ستون سنة. انظر تهذيب التهذيب 284- 134/10.

عامر(ت 58) وأبو موسى الأشعري (ت 53)[587] وقيس بن أبي صعصعة[588] وأم ورقة الشهيدة (ت 23/13)[589] في عدد كثير منهم السبعون المقتولون في بئر معونة والمقتولون في وقعة اليمامة[590].

والذين اشتهروا بإقرائه منهم سبعة:

عثمان وعلي وأبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري[591]. وأخذه عنهم جمع من الصحب.

وأخذ عن الجميع **جماعة من التابعين**:

فمن **المدنيين**: ابن المسيب (ت 94)[592] وعروة /[114] بن الزبير[593] وسالم بن عبد الله بن عمر[594] وعُمر بن عبد العزيز[595] وسليمان بن

---

[587] هو أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، هاجر إلى الحبشة، استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن، وعمر على البصرة، توفي سنة 42 أو44 أو49 أو50 أو52 أو53. انظر أسد الغابة 367/3.

[588] هو قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد الأنصاري الخزرجي المازني، شهد العقبة وبدرا. انظر أسد الغابة 429/4 والإصابة 256/5.

[589] هي الصحابية أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويم الأنصاري، مشهورة بكنيتها، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة، كانت تؤم أهل دارها حتى غمَّها غلام لها وجارية فقتلاها في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر الاستيعاب 1965/4.

[590] خرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك "أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون. قال: وكان بئر معونة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب" كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد 3850- 1497/4.

[591] في الإتقان 72/1: "كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء، قال: وقد قرأ على أبَي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا، وأخذ عنهم خلق من التابعين...".

[592] هو سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر وقيل: لأربع، قال الكلاباذي: ولد سنة 15 وتوفي سنة 93 وقيل:94 وقيل: 95. انظر سير أعلام النبلاء 217/4 وتقريب التهذيب 2396- ص241 ورجال صحيح البخاري 402- 292/1.

[593] هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني، ولد في خلافة عثمان واختلف في سنة وفاته، قال الحافظ ابن حجر: توفي سنة 94 على الصحيح. انظر رجال صحيح البخاري 581/2 وتقريب التهذيب 4561- ص389.

[594] هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، الإمام الزاهد الحافظ مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة، أبو عمر وأبو عبد الله القرشي العدوي المدني، كان يشبه أباه في الهدي والسمت، ولد في خلافة عثمان وتوفي سنة 106 وقيل: 108. انظر سير أعلام النبلاء 457/4 وتقريب التهذيب 2176- ص226 ورجال صحيح البخاري 315/1.

يسار[596] ومعاذ بن الحارث[597] وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج[598] وابن شهاب (ت 125) ومسلم بن جندب[599] وزيد بن أسلم[600].

ومن **المكيين**: عُبيد بن عُمير[601] وعطاء بن أبي رباح[602] وطاوس[603] ومجاهد وعِكرمة (ت 106)[604] وابن أبي مليكة[605].

ومن **الكوفيين**: علقمة[606] والأسود[607] ومسروق[608] وعُبيدة[609] وعَمرو بن شُرحْبيل[610] والحارث بن قيس[611] والربيع بن خيثم[612] /[115] وعَمرو

---

[595] هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين، مات سنة 101 وله أربعون سنة. انظر تقريب التهذيب 4940- ص415 والكاشف 4089- 65/2.

[596] في الإتقان 73/1: وسليمان وعطاء ابنا يسار.
وهو سليمان بن يسار الهلالي المدني أحد الفقهاء السبعة أبو أيوب، ولد سنة 34 وتوفي سنة 107 وقيل: 104. انظر سير أعلام النبلاء 444/4 وتقريب التهذيب 2619- ص255.

[597] هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سوادة، المعروف بابن عفراء، شهد بدرا وما بعدها، من السبعة الأنصار، أول من لقي النبي صلى الله عليه وسلم، روى له النسائي، قيل: مات أيام علي، وقيل: قتل بالحرة سنة 63، وقيل: قتل مع علي رضي الله عنه. انظر تهذيب التهذيب 350- 170/10.

[598] هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود، ثقة ثبت كان يكتب المصاحف، توفي بالثغر سنة 117. انظر الكاشف 3335- 647/1 وتقريب التهذيب 4033- ص352.

[599] هو مسلم بن جندب الهذلي المدني القاضي، ثقة فصيح قارئ، مات سنة 106. انظر تقريب التهذيب 6620- ص529 والكاشف 5409- 258/2.

[600] هو زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة مولى عمر بن الخطاب القرشي المدني، توفي سنة 136. انظر رجال صحيح البخاري 259/1 والكاشف 1722- 414/1.

[601] هو أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجُنْدعي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة 74. انظر سير أعلام النبلاء 157/4 وتقريب التهذيب 4385- ص377.

[602] هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم، المكي فقيه فاضل، ولد لعامين خلوا من خلافة عثمان ومات سنة 114 وقيل: 115. انظر تقريب التهذيب 4591- ص391 والكاشف 3797- 21/2.

[603] هو طاوس بن كيسان الإمام أبو عبد الرجمان اليماني من أبناء الفرس، قال ابن معين: كان طاوس من القراء. مات بمكة سنة 106. انظرالكاشف 512/1 ورجال صحيح البخاري 376/1.

[604] هو عكرمة أبو عبد الله المفسر مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت، توفي سنة 104 وقيل: 106 وقيل: 107. انظر تقريب التهذيب 4673- ص397 والكاشف 3867- 33/2.

[605] هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه، توفي سنة 118. انظر رجال صحيح البخاري 416/1 والكاشف 2838- 571/1 وتقريب التهذيب 3454- ص312.

[606] هو علقمة بن وقاص الليثي التيمي الزهري المديني، قال الواقدي : توفي بالمدينة في خلافة عبد الملك. انظر رجال صحيح البخاري 575/2 والكاشف 3877- 35/2.

[607] هو الإمام القدوة أبو عمرو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي، كان مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام، توفي سنة75 على الأرجح. انظر سير أعلام النبلاء 50/4 وتقريب التهذيب 509- ص111.

بن ميمون[613] وأبو عبد الرحمن السلمي[614] وزرّ بن حُبَيْش[615] وعبد الله بن فضيلة وسعيد بن جبير[616] والنخعي (ت 96)[617] والشعبي (ت 117).

ومن **البصريين** : أبو العالية (ت 90) وأبو رجاء[618] ونصر بن

---

608 هو أبو عائشة مسروق بن الأجذع بن مالك الهمداني الكوفي، ثقة فقيه مخضرم، توفي سنة 62 وقيل: 63. انظر الكاشف 5391- 256/2 وتقريب التهذيب 6601- ص528.

609 هو أبو عبد الكريم عبيدة بن معتب الضبي الكوفي، كانت له معرفة بالأخبار وكان ضريرا متروك الحديث، قال ابن عدي: وهو مع ضعفه يُكتب حديثه. انظر تهذيب التهذيب 189- 80/7.

610 هو أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي، ثقة عابد مخضرم، توفي سنة 63. انظر رجال صحيح البخاري 543/2 وسير أعلام النبلاء 135/4 والكاشف 4171- 78/2 وتقريب التهذيب 5048- ص422.

611 هو الحارث بن قيس الجعفي الكوفي، ثقة عابد فقيه، صحب عليا وابن مسعود، يذكر مع علقمة والأسود، توفي زمن معاوية وصلى عليه أبو موسى الأشعري. انظر الكاشف 870- 304/1 وتقريب التهذيب 1043- ص147 وسير أعلام النبلاء 75/4.

612 في المخطوط: خثيم، وهو خطأ.
وهو الإمام القدوة العابد أبو يزيد الربيع بن خيثم بن عائذ الثوري الكوفي، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه، توفي في خلافة عبيد الله بن زياد. انظر سير أعلام النبلاء 258/4 ورجال صحيح البخاري 245/1.

613 هو الإمام الحجة أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأودي المَذحجي الكوفي، مخضرم، توفي سنة 74. انظر سير أعلام النبلاء 158/4 وتقريب التهذيب 5122- ص427 والكاشف 4237- 89/2.

614 هو عبد الله بن حبيب بن ربَيِّعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرئ، ثقة ثبت، توفي بعد السبعين. انظر تقريب التهذيب 3271- ص299 ورجال صحيح البخاري 401/1.

615 هو أبو مريم زر بن حبَيْش بن حباشة الأسدي الكوفي ثقة جليل مخضرم، مات سنة 81 أو 82 أو 83. انظر تقريب التهذيب 2008- ص215 ورجال صحيح البخاري 274/1.

616 هو أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أحد الأعلام، قتله الحجاج الظالم، قيل : سنة 94 وقيل: 95. انظر سير أعلام النبلاء 321/4 ورجال صحيح البخاري 282/1.

617 هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي، كان عجبا في الورع والخير رأسا في العلم، توفي سنة 96. انظر تقريب التهذيب 270- ص95 والكاشف 221- 227/1.

618 هو أبو رجاء عمران بن تيم العطاردي، أسلم حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، عرض القرآن على ابن عباس وحدث عن عمر وغيره، توفي سنة 105. انظر تذكرة الحفاظ ص66 وطبقات ابن خياط ص196 وغاية النهاية 604/1.

عاصم[619] ويحيى بن يعمر[620] والحسن (ت 110) وابن سيرين (ت 110)[621] وقتادة.

ومن **الشاميين**: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي[622] صاحب عثمان وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

ثم تجرَّد له قوم حتى صاروا **أئمة يقتدى بهم** فكان:

بالمدينة: أبو /[116] جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130)[623] ثم شيبة بن نصاع[624] ثم نافع بن أبي نعيم (ت 169)[625].

و**بمكة**: عبد الله بن كثير (ت 120)[626] وحُميد بن قيس الأعرج[627] ومحمد بن أبي محيصن[628].

---

[619] هو نصر بن عاصم الليثي البصري، ثقة من قراء أهل البصرة، قيل: مات بعد الثمانين. انظر تهذيب التهذيب 774- 381/10.

[620] هو أبو سليمان يحيى بن يعمر الفقيه العلامة العدواني البصري، كان من أوعية العلم وحَمَلة الحجة وكان يرسل، نزيل مرو وقاضيها، مات قبل المائة وقيل : بعدها. انظرسير أعلام النبلاء 441/4 والكاشف 6273- 379/2 وتقريب التهذيب 7678- ص598.

[621] هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري عابد كبير القدر، توفي سنة 110. انظر تهذيب التهذيب 184/9 وتقريب التهذيب 5947- ص483.

[622] هو أبو هاشم المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم، المخزومي الشامي، أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان، وعنه عبد الله بن عامر، مات سنة 91 وله تسعون سنة. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 305/2.

[623] هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وقيل : اسمه حندب بن فيروز، وقيل: فيروز، المدني المخزومي مولاهم، ثقة، مات سنة 127 وقيل: 130. انظر تقريب التهذيب 8021- ص629 وسير أعلام النبلاء 287/5 وطبقات خليفة بن خياط ص164.

[624] هو شيبة بن نصاع بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني القارئ مولى أم سلمة، ثقة قليل الحديث، روى عن خالد بن مغيث وغيره، عنه محمد بن إسحاق وآخرون، مات زمن مروان بن محمد. انظر تهذيب التهذيب 644- 330/4.

[625] هو نافع بن أبي نعيم أبو رُوَيْم، ويقال: أبو الحسن ويقال: أبو نعيم ويقال: أبو محمد، أصله أصبهاني، الإمام حبر القرآن، ولد في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين، ومات سنة 169. انظر سير أعلام النبلاء 336/7 وتقريب التهذيب 7077- ص558.

[626] هو أبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي القارئ أحد الأئمة، توفي سنة 120. انظر الكاشف 588/1 وتقريب التهذيب 3550- ص318.

[627] هو حميد بن قيس المكي الأعرج القارئ أبو صفوان، وثقه أحمد وغيره، مات زمن السفاح، وفي الميزان : قيل مات سنة 130. انظر الكاشف 355/1 وطبقات خليفة بن خياط ص282 وميزان الاعتدال 138/2.

[628] هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير. انظر غاية النهاية 167/2.

و**بالكوفة**: يحيى بن وثاب[629] وعاصم بن أبي النجود (ت 127)[630] وسليمان الأعمش[631] ثم حمزة (ت 156)[632] ثم الكسائي[633] (ت 181).

و**بالبصرة**: عبد الله بن أبي إسحاق[634] وعيسى بن عُمر[635] وأبو عَمرو بن العلاء (ت 154)[636] وعاصم الجحدري[637] ثم يعقوب (ت 205)[638].

و**بالشام**: عبد الله بن عامر (ت 118)[639] وعطية بن قيس الكلابي[640]

---

[629] هو يحيى بن وثاب - بتشديد المثلثة- الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ، ثقة عابد، مات سنة 103. انظر الكاشف 6261- 378/2 وتقريب التهذيب 7664- ص598.

[630] هو أبو بكر عاصم بن بهدلة الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ، صدوق له أوهام حجة في القراءة، توفي سنة 128 وقيل: 127. انظر تقريب التهذيب 3054- ص285 والكاشف 2496- 518/1 وطبقات خليفة بن خياط ص159 وميزان الاعتدال 71/3.

[631] هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الأعمش أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ولد سنة 61 وتوفي سنة147 أو 148. انظر الكاشف 2132- 464/1 وتقريب التهذيب 2615- ص254 وطبقات خليفة بن خياط ص164.

[632] هو حمزة بن حبيب الزيات القارئ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، صدوق زاهد شيخ القراء وأحد السبعة، ولد سنة 80 وتوفي سنة 156 أو 158. انظر الكاشف 1233- 351/1 وتقريب التهذيب 1518- ص179 وميزان الاعتدال 2297- 128/2.

[633] هو أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكسائي النحوي أحد قراء الكوفة، قرأ على حمزة، سمع من ابن أرقم وابن عياش وخلق، عنه الفراء وأبو عبيد وغيرهما، توفي سنة 180. انظر إنباه الرواة على أنباء النحاة 256/2.

[634] هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي المقرئ البصري، أخذ عن ابن يعمر، عنه أبو عمرو وغيره، توفي سنة 117. انظر غاية النهاية 410/1 وطبقات ابن خياط ص215 ونزهة الألباء ص26.

[635] هو أبو عمر عيسى بن عمر الهمداني الكوفي، عرض على عاصم وغيره، عليه الكسائي وآخرون، توفي سنة 156. انظر غاية النهاية 612/1.

[636] هو أبو عمرو زبان بن العلاء التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة وأئمة اللغة والأدب، توفي حوالي سنة 155. انظر غاية النهاية 288/1.

[637] هو عاصم بن العجاج الجحدري البصري، قال ابن الجزري : وقراءته في الكامل والاتضاح فيها مناكير ولا يَثْبُت سندُها، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام عنه، توفي سنة 128. انظر غاية النهاية 349/1.

[638] هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي مولاهم، أبو محمد مقرئ البصرة النحوي، صدوق ثقة، توفي سنة 205. انظر الكاشف 6386- 393/2 وتقريب التهذيب 7813- ص607.

[639] هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي الدمشقي مقرئ الشام، توفي سنة 118. انظرتقريب التهذيب 3405- ص309 والكاشف 2797- 564/1.

[640] هو أبو يحيى عطية بن قيس الكلابي، وقيل: الكلاعي، الشامي، ثقة مقرئ كانوا يصلحون مصاحفهم على قراءته، مات سنة 121 وقد جاوز المائة. انظر تقريب التهذيب 4622- ص393 والكاشف 3824- 27/2 وطبقات خليفة بن خياط ص311.

/[117] وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر[641] ثم يحيى بن الحارث الذماري[642] ثم شريح بن يزيد الحضرمي[643].

واشتهر من هذه الآفاق **الأئمة السبعة**:

نافع (ت 169): وقد أخذ عن سبعين من التابعين منهم أبو جعفر.

وابن كثير (ت 120): أخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي.

وأبو عَمرو (ت 154): أخذ عن التابعين.

وابن عامر (ت 118): أخذ عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان.

وعاصم (ت 127): أخذ عن التابعين.

وحمزة (ت 156): أخذ عن عاصم والأعمش والسّبيعي[644] /[118] ومنصور بن المعتمر[645] وغيرهم.

والكسائي (ت 181): أخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش[646].

ثم انتشرت القراءات في الأقطار، واشتهر من **رواة كل طريق** من الطرق السبعة راويان:

---

641 لعله أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الدمشقي مولى بني مخزوم، من ثقات العلماء، حدث عن السائب بن يزيد وأنس بن مالك وغيرهما، عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وطائفة، توفي سنة 132. انظر سير أعلام النبلاء 213/5.

642 هو أبو عمرو يحيى بن الحارث الذماري الغساني الشامي القارئ، ثقة قليل الحديث، روى عن واثلة وآخرين، عنه ابنه عمر وعمرو وآخرون، توفي سنة 245 وهو ابن سبعين سنة. انظر تهذيب التهذيب 3264- 170/11.

643 هو أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي المؤذن المقرئ، ثقة روى عن شعيب بن أبي حمزة وغيره، عنه ابنه حيوة وآخرون، مات سنة 103. انظر تهذيب التهذيب 580- 291/4.

644 هو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله بن عبيد الهمداني، ثقة مكثر عابد، ولد أيام عثمان وتوفي سنة 129. انظر تقريب التهذيب 5065- ص423 وميزان الاعتدال 190/4.

645 هو أبو عتاب منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي، توفي سنة 132. انظر تقريب التهذيب 6908- ص547 وطبقات خليفة بن خياط ص164.

646 هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط، مشهور بكنيته والأصح أنها اسمه، المقرئ أحد الأئمة الأعلام، صدوق ثبت في القراءة لكنه لما كبر ساء حفظه في الحديث، توفي سنة 193 وقيل: 194 وقيل غير ذلك. انظر ميزان الاعتدال 173/6 وتقريب التهذيب 7985- ص624 والكاشف 6535- 412/2.

فعن نافع(ت 169): قالون[647](ت 220) وورش(ت 197)[648].

وعن ابن كثير(ت 120): قنبل[649](ت 291) والبزي[650](ت 250) عن أصحابه عنه.

وعن أبي عَمرو(ت 154): الدوري(ت 226) والسوسي[651](ت 261) عن اليزيدي[652] عنه.

وعن ابن عامر(ت 118): هشام[653](ت 245) وابن ذكوان[654](ت 242) عن أصحابه عنه.

وعن عاصم(ت 127): أبو بكر(ت 193) بن عياش (شعبة)[655] وحفص[656](ت 180) عنه.

/ [119] وعن حمـــزة (ت 156) : خلـــف[657] (ت 229)

---

647 هو أبو موسى عيسى بن مينا الزرقي مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويّها، لقبه نافع بقالون، ومعناها في الرومية : **جيد**؛ لجودة قراءته. ولد سنة 120 وتوفي سنة 220. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات لابن زنجلة.

648 هو عثمان بن سعيد القبطي المصري مولى قريش، ثقة حجة جيد القراءة، انتهت إليه الرئاسة في الإقراء بمصر، عرض القرآن على نافع مرارا، وله اختيار خالف فيه نافعا. انظر غاية النهاية 502/1.

649 هو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء المكي الملقب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز، وكان على الشرطة بمكة. ولد سنة 195 وتوفي سنة 291 عن ست وتسعين سنة. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

650 هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام، فارسي الأصل محقق ضابط متقن، ولد سنة 170 وتوفي سنة 250. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

651 هو أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الرقي، مقرئ ضابط محرر ثقة، توفي سنة 261 وقد قارب السبعين. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

652 هو أبو محمد يحيى بن المبارك العدوي بالولاء البصري، نحوي مقرئ ثقة، أخذ القراءة عن أبي عمرو وخلفه بالقيام بها وهو أضبط أصحابه، ولد سنة 128 وتوفي سنة 202. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

653 هو أبو الوليد هشام بن عمار السلمي الدمشقي، إمام دمشق ومحدثهم ومقرئهم ومفتيهم، ولد سنة 153 وتوفي سنة 245. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

654 هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد الفهري الدمشقي، الإمام المشهور الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، ولد سنة 173 وتوفي سنة 242. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

655 هي في الهامش بعبارة "صح".

656 هو أبو عمر حفص بن سليمان الأسدي الكوفي البزاز، ربيب عاصم ابن زوجته، أعلم أصحاب عاصم بقراءته، ثقة ثبت ضابط، ولد سنة 90 وتوفي سنة 180. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

657 هو أبو محمد خلف بن هشام الأسدي البزار البغدادي، أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، ولد سنة 150 وتوفي ببغداد سنة 229 وهو مختف من الجهمية. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

وخلاد[658] (ت 220) عن سليم(ت 160)[659] عنه.

وعن الكسائي(ت 189): الدوري[660] وأبو الحارث(ت 240)[661].

ثم قامت **أئمة**[662] **وجمعوا الحروف والقراءات**، وعزوا الوجوه والروايات وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ.

وأول من صنف في ذلك:

أبو عبيد القاسم بن سلام ثم أحمد بن جبير الكوفي[663] ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي[664] - صاحب قالون- ثم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[665] ثم أبو بكر الداجوني[666] ثم أبو بكر بن مجاهد[667]، /[120] إلى هلم جرا.

---

[658] هو أبو عيسى خلاد بن خالد الشيباني بالولاء الصيرفي الكوفي، ثقة عارف محقق، أخذ القراءة عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلهم، توفي سنة 220. انظر مقدمة كتاب حجة القراءات.

[659] هو سليم بن منصور بن عمار البصري. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 319/1.

[660] هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الدوري الأزدي البغدادي النحوي، أول من جمع القراءات، ثقة ثبت ضابط، توفي سنة 246. انظر غاية النهاية 255/1.

[661] هو أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، ثقة حاذق، عرض على الكسائي وهو من جلة أصحابه، عنه ابن يحيى وغيره، توفي سنة 240. انظر غاية النهاية 34/2.

[662] في الإتقان 73/1: "ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق قام جهابذة الأمة...".

[663] هو أبو جعفر - وقيل: أبو بكر- أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر، اصله من خراسان، أخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائي وغيره، توفي سنة 258. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 42/1 ومعرفة القراء الكبار 207/1.

[664] هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي البغدادي، روى القراءة عن قالون وصنف كتابا جمع فيه قراءة عشرين إماما، ولد سنة 199 وتوفي عام 282 ببغداد. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 162/1.

[665] هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الآملي، أخذ الحديث عن محمد الرازي وأبي كريب وغيرهما، وقرأ الفقه على داود كما أخذ فقه المذاهب الأخرى، توفي سنة 310. انظر الفهرست ص240.

[666] هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني الكبير الرملي الضرير المقرئ، جمع القراءات، ولد سنة 273 وتوفي عام 324. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 77/2 ومعرفة القراء الكبار 268/1.

[667] هو أحمد بن موسى بن العباس البغدادي العَطشي المقرئ الأستاذ مصنف كتاب: القراءات السبعة، ولد سنة245 وتوفي عام 324. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 139/1 ومعرفة القراء الكبار 269/1.

وقد صنف في طبقاتهم الحافظ الذهبي[668] ثم ابن الجزري[669] رحم الله الجميع، هـ بخ[670].

الفصل الرابع والعشرون: في مبادئ علم التفسير

من المعلوم أن الشارع في كل فن لا يكون شروعه فيه على بصيرة تامة حتى يحيط بمبادئه[671]، وقد عدَّها [أبو العباس ابن زكري التلمساني][672] في نظم محَصِّل المقاصد عشرا فقال:

فأول الأبواب في المبـــــادي /[121] وتلك عشرة على مـــرادي
الحد والموضوع ثم الواضـــع والاسم الاستمداد حكم الشـــارع
تصور المسائل الفضيلـــــة ونسبة فائـــدة جليلـــــــــة
حق على طالب علم أن يحيط بفهم ذي العشرة ميزها ينيـــط
بسعيه قبل الشروع في الطلب بها يكون مبصرا لما طلب هـ[673].

---

668 هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الحافظ البارع صاحب التصانيف العجيبة منها: "تاريخ الإسلام" و"سير أعلام النبلاء" و"معرفة القراء الكبار"، ولد سنة 673 وتوفي عام 748. انظر شذرات الذهب 153/6.

669 هو الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف - المعروف بابن الجزري- الشافعي، مقرئ الممالك الإسلامية، برز في الحديث والقراءات وله مصنفات مفيدة منها: "النشر في القراءات العشر" و"غاية النهاية في طبقات القراء"، ولد بدمشق سنة 751 وتوفي عام 833. انظر شذرات الذهب 204/7.

670 الإتقان: النوع العشرون في معرفة حفاظه ورواته 70/1- 73 بتصرف.

671 "المبادئ العامة التي تذكر بين يدي كل فن وهي عشرة ...، وقد يطلق عليها أو على بعضها أنه يتوقف الشروع عليه، وليس على ظاهره؛ إذ لا خفاء أن إدراك العلم وفهم مسائله لا يتوقف على شيء منها، نعم يحصل بها مزيد تبصرة ومزيد رغبة، ومنها ما يتوقف عليه أمر ما" القانون لليوسي ص181.

672 بياض في الأصل والتصويب من: الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر لمحمد الطالب ابن الحاج ص2.
وابن زكري هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني، علامتها ومفتيها وحافظها المتفنن الأصولي المفسر، توفي سنة 899. انظر الفكر السامي 264/2.

673 صدرها ابن الحاج في المرجع السابق ص2 بقوله: "اعلم أن لكل علم مبادئ عشرة جرت عادة بعض المتأخرين بذكرها أمام المقصود لتوقفه عليها بوجه ما وانتفاع بها فيه، يعبر عنها بـ**مقدمة العلم** وبـ**مبادئ العلم**، وهي المجموعة في قول أبي العباس ..."، وانظر أيضا شرح الهلالي على منظومة "الجواهر المنطقية" للقادري: كراسة 4 ص1 وفيه: ... بها يصير مبصرا لما طلب.

أما **حده** فقال العلامة ا ليوسي (ت 1102)[674] في القانون:

"هو العلم الباحث عن /[122] معاني القرآن الظاهرة إفرادا وتركيبا وما يتوقف عليه ذلك خاصا به أو كالخاص به، وقيدنا بـ"الظاهرة" احترازا عن فهوم أهل الإشارات، فإنها ليست بالتفسير المتعارف، وقولنا "ما يتوقف عليه ذلك خاصا به" أي كأسباب النزول، وقولنا "أو كالخاص به" أي كالناسخ والمنسوخ[675]، بخلاف اللغة والإعراب والبيان ونحوها فلا تدخل في التعريف"[676]، /[123] هـ.

نقله سيدي الطالب ابن الحاج(ت 1273)[677] في الأزهار الطيبة النشر في المبادئ العشر، ونقل معه حد أبي حيان(ت 754)[678] والزركشي[679]

---

[674] هو أبو المواهب الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، من قبيلة آيت يوسي : ترخيم "يوسف" بالبربرية، له مشاركة وإسهام في الأدب والمنطق والفقه وأصول الدين وغير ذلك، توفي سنة 1102 ودفن بعمالة صفرو. انظر مقدمة كتابه: القانون.

[675] قال اليوسي بعد هذه العبارة: "فإنه وإن كان يقع في السنة أيضا، فالسنة والكتاب أخوان، بخلاف اللغة..." القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم ص205.

[676] القانون ص205 وتتمة الكلام فيه هو: "وهو التأويل؛ لأنه بيان ما يرجع إليه اللفظ، من قولك: آل يؤول أي رجع".

[677] هو أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي الفقيه النظار اللغوي قاضي مراكش وفاس، له حاشية على المرشد، توفي سنة 1273. انظر الفكر السامي 300/2.

[678] قال في تفسير البحر المحيط 13/1 و14: "التفسير في اللغة: الاستبانة والكشف ...، وأما الرسم في الاصطلاح فنقول: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك، فقولنا علم: هو جنس يشمل سائر العلوم، ...كيفية النطق... هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها... هو علم اللغة...، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب:... ما دلالته عليه بالمجاز...، وقولنا: وتتمات لذلك: هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك".

وأبو حيان هو أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان، ملم بالقراءات الصحيحة والشاذة، إمام في الشعر والنحو إلى جانب التفسير والحديث وتراجم الرجال، من مصنفاته: تفسير البحر المحيط، ولد سنة 654 وتوفي بمصر سنة 745 . انظر التفسير والمفسرون 317/1.

[679] قال في البرهان: النوع الحادي والأربعون 148/2: "وفي الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها. وزاد فيها قوم فقالوا: عِلم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعِبَرها وأمثالها، وهذا الذي مُنع فيه القول بالرأي". = =

(ت 794) وغيرهما، فلينظر ذلك فيه[680] وفي الإتقان[681].

وأما **موضوعه** فمعاني القرآن الظاهرة؛ لأنه يبحث عنها، وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية.

وأما **واضعه**: فاعلم أن الأقدمين لم يدونوه وإنما فسروه بالقول، وواضعه /[124] حقيقة هو الله تعالى، ويصح أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أول من فسره وبيّن معانيه، ثم ورث ذلك عنه الصحابة[682]، والذين اشتهروا منهم به الأربعة وابن عباس(ت 63) وابن مسعود(ت 32) وأبيّ بن كعب(ت 30) وزيد بن ثابت(ت 45) وأبو موسى الأشعري(ت53) وعبد الله بن الزبير(ت 63)، وأكثر من رُوي عنه من الخلفاء الأربعة سيدنا عليّ(ت 40) رضي الله عنهم[683]، والمحفوظ عن ابن عباس أكثر منه.

/[125] ثم ورث ذلك عن الصحابة التابعون، وأعلمهم بذلك أهل مكة أصحاب ابن عباس: كمجاهد(ت 103) وعطاء بن أبي رباح وعكرمة(ت 106) وسعيد بن جبير وطاووس اليمني.

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين : كتفسير الإمام مالك (ت 179) - وهو أول من صنفه بطريق الإسناد-[684] وسفيان بن عيينة[685](ت 198) ووكيع بن

= = والزركشي هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، من أعلام النظر والاجتهاد والفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، ولد سنة 745 وتوفي بمصر سنة 794 ودفن بالقرافة الصغرى. انظر مقدمة كتابه: البرهان في علوم القرآن.

680 انظر ص124 و125 من الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر.

681 الإتقان: النوع السابع والسبعون في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه 173/2و174.

682 أول ما بدأ به السيوطي الحديث عن طبقات المفسرين في الإتقان: النوع الثمانون 187/2 قوله: "اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة...".

683 في الإتقان: النوع الثمانون 187/2: "...والرواية عن الثلاثة نزرة جدا، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لاتكاد تجاوز العشرة".

684 لم يذكر السيوطي الإمام مالك في الإتقان 190/2.

685 هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي، ثقة ثبت من حكماء أصحاب الحديث، روى عن عبد الملك بن عمير وغيره، عنه الأعمش وخلق، توفي سنة 198. انظر تهذيب التهذيب 205- 104/4.

الجراح[686] وشعبة بن الحجاج[687](ت 160) /[126] ويزيد بن هارون[688] وعبد الرزاق[689] وآدم بن أبي إياس[690] وإسحاق بن راهويه(ت 238)[691] وروح بن عُبادة[692](ت 205) وعَبد بن حميد[693](ت 246) وسُنَيد[694] (حُسين المصيصي)[695](ت 226) وأبي بكر بن أبي شيبة[696] (ت 235) وآخرين.

---

686 هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ، ثقة رفيع القدر كثير الحديث حجة، روى عن أبيه وخلق، عنه أبناؤه سفيان ومليح وعبيد وآخرون، ولد سنة 128 وتوفي سنة 196 أو 197. انظر تهذيب التهذيب 211- 109/11.

687 هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم الواسطي ثم البصري، روى عن أبان بن تغلب وآخرين، عنه أيوب والأعمش وغيرهما، كان أحسن حديثا وأمّة وحده، رأى أنس بن مالك وعمرو بن سلمة الصحابيين. انظر تهذيب التهذيب 590- 302/4.

688 هو أبو خالد يزيد بن هارون بن وادي السلمي مولاهم الواسطي، حافظ مشهور ثقة كثير الحديث، روى عن سليمان التيمي وغيره، عنه بقية بن الوليد وآخرون، ولد سنة 117 وتوفي سنة 206. انظر تهذيب التهذيب 612- 321/11.

689 هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصنعاني، عالم حافظ ثبت حجة، روى عن أبيه وعمه ومالك وغيرهم، عنه ابن عيينة وخلق، ولد سنة 126 وتوفي سنة 211. انظر تهذيب التهذيب 611- 278/6.

690 هو الحافظ القدوة شيخ الشام أبو الحسن آدم بن أبي إياس الخراساني ثم البغدادي ثم العسقلاني، سمع بالعراق ومصر والحرمين والشام، توفي سنة 220. انظر سير أعلام النبلاء 335/10.

691 هو أبو يعقوب إسحاق بن راهويه الإمام الحافظ، ولد سنة 161 وتوفي عام 238. انظر تذكرة الحفاظ 433/2 وسير أعلام النبلاء 358/11.

692 هو أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي البصري، روى عن أيمن ومالك وآخرين، عنه أبو خيثمة وأحمد وغيرهما، ثقة كثير الحديث، صنف الكتب في السنن والأحكام وجمع التفسير. انظر تهذيب التهذيب 549- 253/3.

693 هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي، اسمه عبد المجيد أو عبد الحميد، روى عن جعفر بن عون وغيره، عنه مسلم والترمذي وآخرون، روي عنه في التفسير والمسند وكان ممن جمع وصنف، توفي سنة 249. انظر تهذيب التهذيب 843- 402/6.

694 في الإتقان 190/2: وسعيد.

695 هي في الهامش بعبارة "صح".
وهو أبو علي سنيد بن داود المصيصي المحتسب، اسمه الحسين، وسنيد لقب، روى عن يوسف بن محمد ابن المنكدر وآخرين، عنه الحسن بن محمد الزعفراني وخلق، قال النسائي: ليس ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان قد صنف في التفسير. توفي سنة 226. انظر تهذيب التهذيب 429- 214/4.

696 هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم، الحافظ الصدوق الثقة، روى عن أبي الأحوص وغيره، عنه البخاري ومسلم وآخرون، كان ممن كتب وجمع وصنف وذاكر، توفي سنة 235. انظر تهذيب التهذيب 1- 3/6.

وبعدهم ابن جرير الطبري(ت 310) ثم ابن أبي حاتم(ت 327)[697] وابن ماجة(ت 263) والحاكم(ت 450) وابن مردويه(ت 401)[698] وأبو الشيخ ابن حيان[699](ت 360) وابن المنذر(ت 310)[700] في آخرين، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وزاد ابن جرير توجيهَ الأقوال والترجيحَ والاستنباطَ.

/[127] وكلها ملخصة في الدر المنثور للسيوطي(ت 911) وتفسير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت 774)[701].

ثم ألفت تفاسير مرجعها إلى شيئين:

الأول ما أسند إلى الآثار ولكن بحذف الأسانيد كتفاسير الثعلبي(ت427)[702] والبغوي(ت 510)[703] والواحدي(ت 468) وغيرهم[704]،

---

697 هو العلامة الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي، من مؤلفاته : "التفسير المسند" و"الجرح والتعديل" و"العلل"، ولد سنة 240 أو241 وتوفي عام 327. انظر سير أعلام النبلاء 263/13 وطبقات المفسرين 285/1.

698 هو أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك، له تفسير في سبع مجلدات، توفي سنة 410. انظر سير أعلام النبلاء 308/17.

699 في الإتقان 190/2: ابن حبان.
وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر - المعروف بأبي الشيخ- الأصبهاني، الإمام الحافظ صاحب التصانيف منها: "الأحكام" و"التفسير"، ولد سنة 274 وتوفي عام 369. انظر سير أعلام النبلاء 276/16 وطبقات المفسرين للداودي 246/1.

700 هو أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري الفقيه، له تفسير، ولد في حدود 241 وتوفي سنة 310 أو309. انظر سير أعلام النبلاء 490/14 وطبقات المفسرين للداودي 55/2 والفتح المبين في طبقات الأصوليين 168/1.

701 هذه الجملة الأخيرة غير مذكورة في الإتقان 190/2.
وابن كثير هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي البصري الدمشقي، الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ، ولد سنة 700 وتوفي سنة 774 ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. انظر التفسير والمفسرون 242/1 ومقدمة تفسير ابن كثير.

702 هو أبو لإسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المقرئ المفسر الأديب الثقة، صاحب التصانيف منها: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، توفي سنة 427. انظر التفسير والمفسرون 227/1.

703 هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، من خدام الكتاب والسنة رواية ودراية ومن المؤلفين في علومهما وفي الفقه والسيرة، توفي بين 510 و516. انظر مقدمة تفسيره: معالم التنزيل.

704 قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى 354/13 : "وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم، والثعلبي في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة".

ثم جاء أبو محمد بن عطية(ت 542) فلخصها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة، وهو أتبع للسنة وأسلم من البدعة، لولا أنه ينسب القول /[128] المخالف لهم إلى المحققين، كما قاله ابن تيمية[705] ونقله عنه في الإتقان واستحسنه[706].

الصنف الثاني: ما يستند فيه إلى معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهذا الصنف قلّ أن ينفرد عن الأول، إلا أن الأول هو المقصود بالذات، وهذا إنما جاء بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات، نعم يكون في بعض التفاسير /[129] غالبا ومن أحسنها الكشاف، غير أن المحققين انحرفوا عنه لاعتزال صاحبه مع اعترافهم برسوخ قدمه فيما يتعلق بالبلاغة[707]، لاسيما وقد تعرض ابن المنير (ت683)[708] والطيبي(ت 743)[709] في حاشيتيهما لمذاهبه وأدلتها

---

[705] "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري- وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا- ، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب" مجموع فتاوى ابن تيمية 361/13.
وابن تيمية هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام المجاهد المجتهد علم الأعلام، مفسر محدث فقيه متكلم، ولد سنة 661 وتوفي سنة 728. انظر مقدمة كتابه: تفسير سورة الإخلاص.

[706] الذي نقله السيوطي- في الإتقان: النوع الثامن والسبعون 176/2- 178- عن ابن تيمية هو حديثه عن النزاع والاختلاف في التفسير وعن أنواعه وأسبابه ودواعيه، من عصر الصحابة إلى عصور المتأخرين، قال السيوطي في الأخير: "اهـ كلام ابن تيمية ملخصا وهو نفيس جدا".

[707] "وهذا كالمعتزلة مثلا فإنهم من أعظم الناس كلاما وجدالا...، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا ويدس البدع في كلامه- وأكثر الناس لا يعلمون- كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله، وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم- أو يعتقد- فسادها ولا يهتدي لذلك" مجموع فتاوى ابن تيمية 357/13 وما بعدها.

[708] هو أحمد بن محمد بن منصور، المنعوت بناصر الدين، المعروف بابن المنيّر، الجروي الجذامي الإسكندري، إمام بارع في الفقه والأصول والعربية والتفسير والقراءات، من تصانيفه: "البحر الكبير في نخب التفسير" و"الانتصاف من الكشاف"، ولد سنة 620 وتوفي عام 683. انظر الديباج المذهب 243/1 وشذرات الذهب 381/5.

وزيفاها، واختصره البيضاوي(ت 691)[710] والنسفي[711] وابن كمال باشا[712] وأبو السعود(ت 982)[713] وأزاحوا ما به من الاعتزال.

ومن المفسرين من صنف في غريبه كالمفردات لأبي /[130] القاسم حسن بن محمد الراغب الأصبهاني السني على المعتمد المتوفى في المائة الخامسة[714].

ومنهم من خص الوضع بالإعراب كالزجاج(ت 311)[715] والواحدي

---

709 هو أبو محمد الحسن بن محمد الطيبي العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان، صنف شرح الكشاف والتفسير وتوفي سنة 743. انظر شذرات الذهب 137/6 وطبقات المفسرين للداودي 146/1.

710 هو ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي، فارسي قاضي القضاة، له مصنفات منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، اختصره من الكشاف وترك ما فيه من اعتزال، توفي بمدينة تبريز سنة 691 وقيل: 685. انظر التفسير والمفسرون 296/1.

711 هو أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي، له تصانيف في الفقه وأصوله وأصول الدين والتفسير مثل: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، توفي سنة 701. انظر التفسير والمفسرون 304/1.

712 هو شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي، المشهور بابن كمال باشا، أخذ العلم عن جلة علماء عصره كالمولى مصلح الدين القسطلاني، من مؤلفاته: متن تغيير التنقيح وشرحه في الأصول، وتفسير حسن، توفي سنة 940. انظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين 78/3.

713 هو أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي القاضي المفتي، من مصنفاته: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة 982. انظر التفسير والمفسرون 345/1.

714 في الإتقان 113/1: "النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه: أفرده بالتصنيف خلائق لايحصون، منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد، ومن أشهرها كتاب العزيزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري، ومن أحسنها: المفردات للراغب، ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين. قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير "قال أهل المعاني" فالمراد به مصنفو الكتب في معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري، انتهى".
والراغب هو أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، من أئمة أهل السنة، له ردود على المعتزلة والجبرية والقدرية، من أجل مصنفاته: المفردات في غريب القرآن، توفي سنة 502. انظر مقدمة كتابه هذا.

715 هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، من أهل الدين والفضل، تلميذ المبرد، ومن تلاميذه أبو جعفر النحاس، ألمَّ بقراءات اللغويين الشاذة، ألف معاني القرآن في نحو ستة عشر عاما، توفي سنة 311. اظر مقدمة كتابه: معاني القرآن وإعرابه.

(ت 468) في البسيط وأبي البقاء العكبري[716] والسمين (ت 756)[717] والصفاقصي (ت 743)[718] وأبي حيان(ت 754) في البحر والنهر[719] وابن عاد.

ومنهم من ملأه بالأقاصيص كالثعلبي[720](ت 427).

ومنهم من ملأه بالمسائل الفقهية كالقرطبي[721](ت 671) وابن العربي(ت 543)[722] وعبد المنعم /[131] بن الفرس(ت 599)[723] (وعبد الحق)[724]، وأول من صنف فيها الشافعي(ت 204)[725].

---

716 هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله النحوي الضرير العكبري الأصل البغدادي المولد والدار، ولد سنة 538، ثقة صدوق متواضع، كان عالما بالقراءات فقيها حنبليا غلب عليه علم النحو، توفي سنة 616. انظر مقدمة كتابه: التبيان في إعراب القرآن.

717 هو أحمد بن يوسف بن محمد، أبو العباس السمين، مقرئ نحوي شافعي، له تفسير القرآن والدر المصون في إعراب القرآن وأحكام القرآن، توفي سنة 756. انظر طبقات المفسرين للداودي 101/1 وشذرات الذهب 179/6.

718 هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي الصفاقسي العلامة المصنف المتفنن المالكي، له إعراب القرآن - صنفه مع أخيه محمد- جرّده من البحر المحيط لأبي حيان ومن إعراب القرآن لأبي البقاء وغيره، توفي سنة 742 أو 743 أو 744. انظر الديباج المذهب 279/1 وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي 425/1 والفتح المبين في طبقات الأصوليين 151/2.

719 في الإتقان 179/1: "النوع الحادي والأربعون في معرفة إعرابه: أفرده بالتصنيف خلائق، منهم مكي وكتابه في المشكل خاصة، والحوفي وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري وهو أشهرها، والسمين وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل، ولخصه السفاقسي فحرره، وتفسير أبي حيان مشحون بذلك"، وفي 190/2 منه: "... فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه: فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر".

720 والقصص والأخبار عمن سلف عنده "سواء كانت صحيحة أو باطلة" الإتقان 190/2.

721 انظر الإتقان 190/2.

والقرطبي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، له تصانيف متعددة، توفي سنة 671. انظر التفسير والمفسرون 457/2.

722 هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد، ابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، كان أبوه من فقهاء إشبيلية ورؤسائها، له تصانيف في مختلف العلوم، ولد سنة 468 وتوفي بمراكش سنة543 ودفن بفاس. انظر مقدمة كتابه: أحكام القرآن.

723 هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي، يعرف بابن الفرس، تفقه في الحديث وأصول الفقه والدين والقراءات وصنف أحكام القرآن، ولد سنة 524 وتوفي عام 599. انظر طبقات المفسرين للداودي 362/1.

724 في الهامش بعبارة "صح"، وهو ابن عطية المفسر.

725 هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي الشافعي المكي، تفقه بمسلم الزنجي وغيره، حدث عن عمه ومالك وغيرهما، وعنه أحمد والحميدي وآخرون، توفي سنة = =

ومنهم من ملأه بأقوال الفلاسفة[726] كالرازي[727](ت 606).
ومنهم من اقتصر على توجيه المتشابهات كالكرماني(ت 788)[728] والرازي(ت 606) في درة التنزيل وابن جماعة[729].
ومنهم من تعرض للمناسبة بين الآيات والسور كأبي جعفر بن الزبير[730] والبقاعي[731] والسيوطي[732](ت 911) والنيسابوري(ت 427)

= = 204 بمصر، ذكره الشيرازي ضمن فقهاء التابعين بمكة. انظر طبقات الفقهاء ص60 وتذكرة الحفاظ 361/1 وطبقات الشافعية ص187.

726 "ثم إنه لسبب تطرف هؤلاء [أي المعتزلة] وضلالهم دخلت الرافضة الإمامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك، وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة؛ فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي العالم منها عجبه" مجموع فتاوى ابن تيمية 359/13.

727 قال في الإتقان 190/2 في حقه: "...وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية".
والرازي هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الطبرستاني الرازي، إمام في التفسير وأصول الدين وأصول الفقه، مات بالسم من طرف مخالفيه الكرامية سنة 606 بالري. انظر التفسير والمفسرون 290/1.

728 هو تاج القراء أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، أحد العلماء الفهماء النبلاء، صنف لباب التفسير وعجائب التأويل والبرهان في متشابه القرآن والإيجاز في النحو وغير ذلك، والراجح أنه عاش بين القرن الخامس والسادس. انظر مقدمة كتابه البرهان في متشابه القرآن.

729 في الإتقان 114/2 و115: "النوع الثالث والستون في الآيات المشتبهات: أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي ونظمه السخاوي، وألف في توجيهه الكرماني كتابه: البرهان في متشابه القرآن، وأحسن منه: درة التنزيل وغرة التأويل [في بيان الآيات المتشابهات] لأبي عبد الله الرازي، وأحسن من هذا: ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير- ولم أقف عليه- ، وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه: كشف المعاني عن متشابه المثاني، وفي كتاب: أسرار التنزيل- المسمى: قطف الأزهار في كشف الأسرار- من ذلك الجم الغفير".
وابن جماعة هو قاضي القضاة وشيخ الإسلام بدر الدين محمد بن برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، له مشاركة حسنة في مختلف العلوم من فقه وحديث وأصول وغيرها، ولد سنة 639 وتوفي عام 733. انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 133/3 وشذرات الذهب 105/6. أما الرازي فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت420هـ) الأعلام 227/6.

730 هو الإمام الحافظ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن الزبير بن الحسن الثقفي الجياني الغرناطي، أحد نحاة الأندلس ومحدثيها، قرأعليه خلق منهم الأستاذ أبو حيان النحوي، وكان محدثا نحويا أصوليا أديبا مقرئا مفسرا مؤرخا. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 32/1 وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 291/1.

731 هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي، (809-885هـ) له نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. شذرات الذهب 339/7.

732 في الإتقان 108/2: "النوع الثاني والستون في مناسبة الآيات والسور: أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه: البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته: تناسق الدرر في تناسب السور".

وسيدي حمدون(ت 1232) بن الحاج[733].

ومنهم من تكلم فيه بطريق الإشارة /[132] كأبي عبد الرحمن السلمي[734] والورتجيبي، وليس ذلك من التفسير؛ إذ إخراج النصوص عن ظواهرها إلحاد كما في العقائد النسفية، وإنما المراد أن تلك النصوص فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر، وذلك من كمال الإيمان كما في الإتقان[735].

تفاسير القرآن أنواع ثلاثة، وجيزة وغيرها ومتوسطة:

/[133] ومن أنفس **الوجيزة**:

الوجيز لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، وزادُ المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الصديقي الحنبلي[736]، والواضح لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، وتفسير

---

[733] هو أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن بن محمد بن العربي، الشهير بابن الحاج، السلمي المرداسي، أجازه الناصري وخاتمة الحفاظ بمصر محمد مرتضى الزبيدي (ت 1206)، توفي ابن الحاج في 7 ربيع الثاني سنة 1232 رحمه الله تعالى. انظر عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للرهوني - مخطوط- 137/9.

[734] هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد السلمي النيسابوري الإمام الحافظ المحدث الصوفي، من تصانيفه: "حقائق التفسير" قال عنه الحافظ الذهبي: "ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلا، عدها بعض الأئمة من زندقته الباطنية وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة". انظر سير أعلام النبلاء 247/17 وما بعدها وطبقات المفسرين للداودي 142/2 ولسان الميزان لابن حجر 140/5.

[735] النوع الثامن والسبعون، فصل: وأما كلام الصوفية في القرآن 184/2 وفيه: "فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان"، وفي شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص105 و106: "والنصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرف عنها دليل قطعي...، **فالعدول عنها**- أي عن الظواهر- إلى معان يدعيها أهل الباطن، وهم الملاحدة- وسموا الباطنية- لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية **إلحاد**، أي ميل وعدول عن الإسلام واتصال واتصاف بكفر؛ لكونه تكذيبا للنبي عليه السلام فيما علم مجيئه بالضرورة. وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك- يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة- فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان".

[736] هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التميمي البكري البغدادي ، من ذرية أبي بكر الصديق، ابن جعفر الجوزي: نسبة إلى محلة الجوزة بالبصرة، الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الواعظ المؤرخ الأديب، وله في ذلك مؤلفات، ولد سنة 508 وتوفي سنة 597 ببغداد ودفن عند قبر أحمد بن حنبل. انظر مقدمة كتابه العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي[737] وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت 911).

ومن **المتوسطة**:

تأويلات القرآن لإمام أهل السنة أبي منصور محمد ابن محمد الماتُريدي /[134] الحنفي[738]، ومعالم التنزيل لأبي محمد حسين بن مسعود البغوي الشافعي(ت 510)، والكشاف لأبي القاسم محمود الزمخشري(ت 538)، والتيسير لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي(ت 538)[739]، وتفسير أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي الشافعي(ت 680)[740]، وأنوار التأويل في أسرار التنزيل للقاضي ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، ومدارك التنزيل لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي(ت 711) صاحب /[135] الكنز في الفقه المتوفى في أول المائة الثامنة، وتفسير أبي محمد الحسن بن محمد الطيبي (ت 743) صاحب الحاشية على الكشاف، وتفسير أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي(ت 803)[741]، وإرشاد العقل السليم

---

737 هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي، الفقيه المتكلم الأصولي النحوي المنطقي، ولد بمصر سنة 791 وتوفي سنة 864. انظر الفكر السامي 351/2 والتفسير والمفسرون 333/1.

738 هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان قوي الحجة فرد شبهات الملحدين، له كتاب التوحيد والمقالات وبيان وهم المعتزلة وتأويلات القرآن، توفي سنة 333. انظر الفتح المبين 182/1 والفكر السامي 99/2.

739 هو العلامة المحدث نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان النسفي ثم السمرقندي الحنفي، الإمام الفاضل المبرز ألف في الحديث والتفسير وغيرهما، قال الذهبي : "له نحو من مائة مصنف" منها: تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار، ولد سنة 461 أو462 وتوفي عام 537. انظر سير أعلام النبلاء 126/20 وطبقات المفسرين للداودي 7/2 وشذرات الذهب 115/4.

740 هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن حسن الموصلي الكواشي الشافعي المقرئ القدوة، له التفسير الكبير والصغير، وبرع في القراءات والعربية، ولد سنة 590 وتوفي عام 680. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 151/1 وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 461/1 وشذرات الذهب 365/5.

741 هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي شيخ الشيوخ، برع في الأصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والفرائض والحساب، من مؤلفاته: المبسوط في المذهب، ومختصر الحوفي في الفرائض، وكتاب الحدود اهتم فيه بتعاريف الأبواب الفقهية، ولد سنة 716 وتوفي عام 803. انظر شذرات الذهب 38/7 والديباج المذهب 331/2 والفكر السامي 249/2.

لسلطان المفسرين أبي السعود ابن محمد العمادي(ت 982)، وتفسير سيدي الطيب ابن كيران(ت 1227)[742].

ومن أنفس الكتب **المبسوطة** فيه:

تفسير أبي العباس بن محمد النيسابوري(ت 427) /[136]، والتيسير لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري(ت 465)[743]، والبسيط للواحدي(ت 468)، والتفسير الكبير للرازي(ت 606)، وتفسير ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير المالكي الإسكندري(ت 683)[744]، وتفسير أبي محمد عبد الله[745] بن عطية الدمشقي المُقرئ المتوفى عام 383[746]، هـ من الأزهار بخ[747].

وبقيت عليه تفاسير كثيرة طبعت أو ثبت الخبر عنها: كتفسير بقي بن مخلد(ت 276)[748] وغيره.

---

[742] قال في الأزهار الطيبة النشر ص131: إن تفسيره "من سورة النساء إلى (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار) [غافر 39] معتمدا فيه على تفسير النيسابوري، ولو تمّ لكان تمامَ الأمنية".

وابن كيران هو أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران عالم محقق وحافظ متقن، من تآليفه تفسير القرآن وشرح على توحيد المرشد المعين لابن عاشر، توفي سنة 1227. انظر الفكر السامي 295/2.

[743] هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري الإمام المفسر المحدث الفقيه الأصولي الأديب الشافعي، من تصانيفه: التفسير الكبير - من أجود التفاسير وأوضحها-، ولطائف الإشارات وغيرهما، ولد سنة 376 وتوفي عام 465. انظر شذرات الذهب 319/3 وطبقات الشافعية للداودي 261/1.

[744] وهو صاحب كتاب: الانتصاف من صاحب الكشاف.

[745] في المخطوط فوق اسم الجلالة: "الحق".

[746] هو أبو محمد عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب الدمشقي المقرئ المفسر الإمام الثقة، أخذ القراءة عرضا وسماعا عن جعفر بن حمدان وغيره، وروى عنه القراءة علي بن داود الداراني، توفي سنة 383. انظر معرفة القراء الكبار للذهبي 349/1 وغاية النهاية في طبقات القراء 433/1 وطبقات المفسرين للداودي 245/1.

[747] انظر الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر ص125 وما بعدها.

[748] هو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما - كما ذكر الذهبي وغيره-، كان رحمه الله تعالى فقيها مجتهدا حافظا حجة ثبتا عديم النظير، ولد سنة 201 وتوفي عام 276. انظر سير أعلام النبلاء 285/13 وطبقات المفسرين للداودي 118/1 وشذرات الذهب 169/2 وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي 107/1.

/[137] وأما **اسمه**:

فالتفسير تفعيل من الفَسْر- وهو البيان-، أو مقلوب السّفر- أي الكشف والإيضاح-[749]، وهو والتأويل بمعنى واحد[750]، أو هو أعم[751] من التأويل، وأكثر استعماله في المفردات، والتأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، والتفسير فيها وفي غيرها، وقيل: ما وقع مبينا في صحيح السنة /[138] سمي تفسيرا وما استنبطه العلماء سمي تأويلا[752].

وأما **استمداده**[753]:

فمن الكتاب والسنة والآثار و"علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات وعلم أسباب النزول[754] والناسخ والمنسوخ"[755].

---

749 انظر البرهان للزركشي: النوع الحادي والأربعون معرفة تفسيره وتأويله 147/2، واللسان: فسر.

750 في لسان العرب- فسر- أنه قول ابن الأعرابي، وفي الإتقان النوع السابع والسبعون 173/2 أنه قول أبي عبيد وطائفة.

751 من هنا إلى قوله: "وفي غيرها" هو قول الراغب في الإتقان 173/2، وقال الراغب في المفردات في غريب القرآن- فسر-: "والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها".

752 هو معنى قول البجلي وأبي نصر القشيري في البرهان: النوع الحادي والأربعون 150/2، والإتقان: النوع السابع والسبعون 173/2وفيه: "وقال قوم: ما وقع مُبَينا في كتاب الله ومُعَينا في صحيح السنة سُمي تفسيرا؛ لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لايتعداه، والتأويل: ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم".

753 "استمداد العلم: يراد به توقفه على معلومات سابق وجودُها على وجود ذلك العلم عند مُدَوّنيه لتكون عونا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم، وسمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد عن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المَدد، والمددُ: العون والغُواث ...، وليس كل ما يُذكر في العلم معدودا من مدده، بل مددُه ما يتوقف عليه تقوّمه، فأما ما يورَد في العلم من مسائل علوم أخرى- عند الإفاضة في البيان- ... فلا يعد مددا للعلم" تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور 18/1.

754 في البرهان 13/1: "...ويحتاج لمعرفة أسباب النزول...".

755 في الإتقان: النوع السابع والسبعون 174/2: "وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة..." إلى آخر ما هو مذكور في المتن أعلاه، وقول الزركشي هذا في مقدمة كتابه: البرهان 13/1.

وأما **حكمه**: فالإجماع على أنه فرض كفاية[756].

وأما **مسائله**:

فهي ما يذكر فيه، ومرجعها إلى سبعة: علم الربوبية /[139] والنبوة والمعاد والأحكام والوعد والوعيد والقصص[757].

وأما **فضيلته**:

فقد أخرج ابن أبي حاتم(ت 327) من طريق ابن أبي طلحة[758] عن ابن عباس(ت 63) في قوله تعالى **(يوتي ا لحكمة من يشاء)**[759] قال: هي "المعرفة بالقرآن ناسخِه ومنسوخِه ومحكمِه ومتشابهِه ومقدّمه ومؤخره وحلاله وحرامه"[760].

وعن الحسن البصري(ت 110): ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت وما /[140] أراد [بها][761].

وعن أبي هريرة(ت 57) مرفوعا: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[762].

---

[756] وعلى أنه " أجل العلوم الثلاثة الشرعية" انظر الإتقان 175/1، والعلوم هي التفسير والحديث والفقه.

[757] انظر القانون لليوسي ص213 و214، وقال ابن العربي عن علوم القرآن: "والذي أختاره... أن علومه على ثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام" قانون التأويل ص541، ونقله عنه الزركشي في البرهان 16/1 و17، وعليه يمكننا القول: لا تعارض بين التقسيمين؛ فالتوحيد يدخل ضمنه العلوم الثلاثة الأولى المذكورة أعلاه- علم الربوبية والنبوة والمعاد- ، والتذكير يشمل الثلاثة الأخيرة- الوعد والوعيد والقصص- ، والأحكام: "ومنها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب" البرهان 17/1.

[758] هو أبو يحيى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري المدني، ويقال: أبو نجيح، ثقة حجة أشهر إخوته وأكثرهم حديثا، روى عن أبيه وأنس وغيرهما، عنه يحيى بن سعيد وآخرون، توفي سنة 130. انظر تهذيب التهذيب 448- 210/1.

[759] البقرة 268.

[760] هو في تفسير الطبري 89/3- في معرض تفسير الآية 268 من البقرة- و في الإتقان 175/2 بزيادة: "وأمثاله" في الأخير، وأورده القرطبي في تفسيره 330/3 باختلاف يسير.

[761] زيادة من الإتقان 175/2 وفيه أن أبا عبيدة أخرجه عن الحسن، وفي تفسير القرطبي: باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله 26/1: "والله ... إلا أحب ... وما يعني بها".

[762] في الإتقان 175/2 أخرجه البيهقي وغيره، والحديث في مصنف ابن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن، ما جاء في إعراب القرآن 29912- 116/6، ومسند أبي يعلى 6560- 436/11، والمستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة "حم" السجدة 3644- 477/2 وفيه: "هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه"، وشعب الإيمان: التاسع من = =

وعن أبي بكر الصديق(ت 13) رضي الله عنه: "لأن أعرب آية من القرآن أحب إلي من أن أحفظ آية"[763].

وقال عمر(ت 23) رضي الله عنه: "من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد"[764].

ومعنى هذه الآثار إرادة البيان والتفسير، لا إعراب النحوي كما هو ظاهر[765].

وقال الأصبهاني[766]: /[141] أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن؛ لأن شرف الصناعة بشرف موضوعها وفائدتِها وشدةِ الحاجة إليها[767].

وموضوع التفسير كلامُ الله ، وفائدتُه الاعتصام بالعروة الوثقى، وكل كمال[768] مفتقر إلى العلوم الشرعية، وهي متوقفة على العلم بكلام الله عز وجل[769].

وأما **نسبته**:

فبينه وبين الرسم[770] الترادف؛ /[142] لأن كلا منهما يبحث في القرآن، إلا أن الأول من حيث فهم المعنى، والثاني من حيث رسمه.

= = شعب الإيمان هو باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب 2291 و2292 وقال الحاكم في الرواية رقم 2293: "وغرائبه: فرائضه وحدوده، فإن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال". قال في مجمع الزوائد: كتاب التفسير، باب منه في فضل القرآن ومن قرأه 163/7: "رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، وهو متروك".

763 في الإتقان 175/2 أخرجه ابن الأنباري، وفي تفسير القرطبي: باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه وثواب من قرأ القرآن معربا 23/1: "قال أبوبكر وعمر رضي الله عنهما: لبعضُ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه".

764 في الإتقان 175/2 أخرجه ابن الأنباري من طريق الشعبي، وكذا في تفسير القرطبي 23/1.

765 صدره في الإتقان بعبارة: "قلت"، وعلله بقوله: "...لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث".

766 أي "في تفسيره" كما في الأزهار الطيبة النشر ص133. ترجمته في الأعلام 323/1

767 "ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها ...، وإما بشرف غرضها وفائدتها ...، وإما بشدة الحاجة إليها ..." المرجع السابق.

768 أي بالنسبة لشدة الحاجة إلى صناعة التفسير.

769 كل ما ورد هنا عن فضيلة التفسير متصرف فيه من الإتقان النوع السابع والسبعون 175/2 ومن الأزهار الطيبة النشر ص132 و133.

770 " قال ابن درستويه: خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف وخط تقطيع العروض" البرهان: النوع الخامس والعشرون 376/1 وفيه أيضا قول مؤلفه: "فحصل أن الخط ثلاثة أقسام: خط يتبع به الاقتداء السلفي وهو رسم المصحف، وخط جرى على ما أثبته اللفظ وإسقاط ما حذفه- وهو خط العروض- فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل، وخط جرى على العادة المعروفة وهو الذي يتكلم عليه النحوي".

وبينه وبين الفقه والفرائض العمومُ؛ لأنه أصل لها.

وبينه وبين الحديث والأصلين وسائر العلوم العربية الخصوصُ.

وأما **فائدته**:

فمعرفة كلام الله على الوجه الأكمل، وغاية ذلك الاعتصام بالعروة الوثقى والوصولُ /[143] إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى[771].

هـ مختصرا من "الأزهار الطيبة النشر في شرح المبادئ العشر"[772] للعلامة سيدي محمد الطالب(ت 1273) بن حمدون (ت 1232) ابن الحاج رحمه الله، مع بعض زيادة من الإتقان[773] وبالله التوفيق[774].

<u>الفصل الخامس والعشرون</u>: في الاستعاذة

قال ابن جرير الطبري(ت 310):

تأويل قول القائل "**أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ** /[144] **الرَّجيمِ**": أستجير بالله - دون غيره من سائر خلقه- من الشيطان أن يضرني في ديني أو يصدني عن حق يلزمني لربي. والشيطان: كل متمرد من الإنس والجن والدواب وكل شيء؛ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ سائر جنسه وأفعالَه وبُعدِه عن الخير، مأخوذ من "شَطنَت داره": بَعَدَت، فهو "فيعال" من "شطن". والرجيم: بمعنى مرجوم، أي مشتوم ملعون، من الرجم بمعنى /[145] الرمي[775]. وقيل للشيطان "رجيم" لأنه مطرود.

---

[771] هذا من كلام الأصبهاني السابق في "فضيلته" انظر الإتقان 175/2.

[772] انظر ص124- 134.

[773] سبق التنبيه على مواطن الزيادة من الإتقان في محالها.

[774] فرق الإمام اليوسي بين ما يتوقف عليه علم التفسير وما لا يتوقف فقال: "القرآن مَن تكلم فيه: فإما فيما يعين على التفسير كأسباب النزول أو المكي والمدني والصريح والكناية والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك، فيكون من مبادئ علم التفسير لا نفس علم التفسير، وإلا فخارج: ككونه حجة وقديما ومنزلا إلى السماء الدنيا ونحو ذلك....، وقد أدرجوا كثيرا مما لا يتوقف عليه التفسير: كالليلي والنهاري والصيفي والشتائي، وكيفية النزول والجمع والتحزيب والتعشير، وغير ذلك مما يذكر توسيعا ولقصد استيفاء الأنواع والأحوال... .علوم لا يستغني مريد التفسير عن استحضارها؛ لاشتمال القرآن عليها، فمنها الفقه...، ومنها الحديث...، ومنها أصول الدين...، ومنها أصول الفقه...، ومنها التصوف...، ومنها متن اللغة...، ومنها النحو...، ومنها البيان...، وأما البديع ... فليس من المهم ولكنه يزيد حسنا" القانون ص207 - 209.

[775] "وأصل الرجم الرميُ بقول كان أو بفعل" تفسير الطبري 112/1.

وعن ابن عباس(ت 63): أول ما نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم علّمه الاستعاذة[776]، هـ بخ[777].

وقال ابن جزي(ت 741)[778] في التسهيل لعلوم التنزيل:

لفظ التعوذ "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم والمختار عند القراء، وهناك روايات أخرى أربع، ومحل الاستعاذة قبل القراءة /[146] سواء ابتدأ السورة أو جزأها، والأمر بذلك على الندب، ويجهر بها عند الجمهور وهو المختار، وروي الإخفاء عن حمزة(ت 156) ونافع(ت 169)، ولا يتعوذ عند مالك(ت 179) في الصلاة، أي المفروضة، بمعنى أنه يكره ويندب في النافلة، ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي(ت 204) وأبي حنيفة(ت 150)[779]، وفي كل ركعة عند قوم.

وقيل "أعوذ"[780]؛ لأن الاستعاذة سؤال الإعاذة والمطلوب مستقبل.

وقيل "أعوذ" /[147] - بهمز التكلم- مشاكلة لقوله تعالى: (فاستعذ).

والشيطان يراد به الجنس[781] أو إبليس[782]، وهو من "شَطَنَ" إذا بَعُدَ، أو من "شاط" إذا هاج، فهو فَيْعال أو فَعْلان.

---

776 هذاالأثر محكي بتصرف عن الطبري الذي أخرجه عن ابن عباس ثلاث مرات في تفسيره 137-113/1 و138- 115/1 و139- 117/1، ونقله بسنده عنه ابن كثير وعلق عليه بقوله: "وهذا الأثر غريب وإنما ذكرناه ليُعرف؛ فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا والله أعلم" تفسير ابن كثير: تفسير الاستعاذة وأحكامها 51/1، وفيه أيضا قول ابن كثير: "وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول شرحها ها هنا، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال والله أعلم"، وأثر ابن عباس أخرجه أيضا ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: سورة الفاتحة 23/1، أقول: الغالب أنه في تفسير ابن أبي حاتم.

777 تفسير الطبري: القول في تأويل الاستعاذة 111/1 وما بعدها بتصرف.

778 هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الفاسي، كان حافظا مشاركا في فنون العربية والحديث والتفسير والقراءات، من مؤلفاته: "المختصر البارع في قراءة نافع" و"تقريب الوصول إلى علم الأصول"، ولد سنة 693 وتوفي عام 741. انظر طبقات المفسرين للداودي 85/2 والفكر السامي 240/2 والفتح المبين 148/2.

779 هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي أحد الأئمة الأربعة، روى عنه زفر وأبو يوسف ومحمد بن الحسن، توفي سنة 150 وله سبعون سنة. انظر تذكرة الحفاظ ص168 وتقريب التهذيب 7153- ص563.

780 أي بالمضارع دون الماضي.

781 "فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين" كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 30/1.

782 على أن "ال" في "الشيطان" للعهد.

والرجيم: المطرود أو المرمي بالشهب.

ونتيجتها: أن من استعاذ بالله صادقا أعاذه كما وقع لمرأة عِمْرانَ لمَّا أعاذت بنتها مريم (وذريتها)[783] بالله[784]، وفي الصحيح مرفوعا: ما من مولود إلا نخسه الشيطان /[148] فيستهل إلا ابن مريم وأمه[785].

والشيطان عدو حذر الله منه، ولا مطمع في زوال عاديته[786] وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيأمره أوّلا بالكفر والشك في الإيمان، فإن قدر عليه وإلا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعات، فإن سلم من ذلك كله أفسدها عليه بالرياء والعجب.

والقواطعُ عن الله أربعة: الشيطان والنفس والدنيا /[149] والخَلق.

فعلاج الشيطان بالاستعاذة منه، وعلاج النفس بالقهر، وعلاج الدنيا بالزهد، وعلاج الخلق بالعزلة، هـ بخ[787].

وقال الثعالبي(ت 875) في الجواهر الحسان:

قال تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ ا لشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)**[788] معناه: إذا أردت أن تقرأ، فأوقع الماضي موقع المستقبل لثبوته، وأجمعوا على أن قول القارئ "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" ليس بآية، وعلى استحسان ذلك /[150] في كل قراءة في غير الصلاة، وفي الصلاة خلاف، هـ بخ[789].

---

783 هي في الهامش بعبارة "صح".

784 أي في قوله تعالى : (وإني سميتها مريم، وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) آل عمران 36.

785 أخرجه مسلم في صحيحه- باب فضائل عيسى عليه السلام 2366- 1838/4- عن أبي هريرة مرفوعا: "ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخس الشيطان إلا ابن مريم وأمه. قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)".

786 في كتاب التسهيل: عداوته، وفي اللسان - عدا- أن عادية الرجل: حدته وغضبه، وظلمه وشره، وعَدْوُهُ عليك بالمكروه.

787 كتاب التسهيل: الكلام في الاستعاذة 30/1 بتصرف.

788 النحل 98.

789 تفسير الثعالبي : باب في الاستعاذة 19/1 بتصرف يسير، وفيه في آخره: "واختلفوا في التعوذ في الصلاة: فابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في كل ركعة ...، وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة ...، ومالك رحمه الله لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان".

وقال الشيخ إسماعيل حقي في روح البيان[790]:

"أعوذ": ألتجئ[791]، وهو في التقدير سؤال أي أعذني، وعدل عنه للخبر تفاؤلا بوقوع الإعاذة. وسره: أن بين الرب وعبده عهدا؛ قال الله: **([و][792] أوفوا بعهدي أوف بعهدكم)**[793] ، فكأنه يقول: أنا مع نقصان بشريتي وَفيت بعهد عبوديتي وقلتُ "أعوذ بالله"، فأنتَ مع كمالِ الكرمِ /[151] والفضلِ أوْلى أن تفِيَ بعهد الربوبية وتعيذني.

ومذهب المحققين في **اسم الجلالة** عدم الاشتقاق؛ لأنه لا سبيل إلى كنه معرفته، قال السعد[794]: كما تحيرت الأوهام في ذاته وصفاته فكذا في اللفظ الدال عليه[795].

(وقال الفخر: المختار عندنا أن هذا اللفظ علم على الله ليس بمشتق، وهو قول الخليل(ت 175)[796] وسيبويه(ت 180)[797] وأكثر الأصوليين والفقهاء[798]. ثم ذكر القول بأنه مشتق وذكر ما اشتق منه على أقوال،

---

790 انظر"روح البيان في تفسير القرآن" لإسماعيل حقي التركي (ت 1137) 3/1- 5، وقد ذكره صاحب كتاب "على رأس الأربعين" - ص 67- ضمن "التفسير المتداول بين الناس للمطالعة".

791 هذا المعنى في كتاب: خزينة الأسرار لمحمد حقي ص85.

792 ساقطة من المخطوط.

793 البقرة 39.

794 هو العلامة سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتزاني الإمام الشافعي الأصولي المفسر، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق، من مؤلفاته: حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب في الأصول، وشرح التلخيص، وشرح الشمسية في علم المنطق، والنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، ولد سنة 712 وتوفي عام 791. انظر بغية الوعاة 285/2 وطبقات المفسرين للداودي 319/2 والفتح المبين في طبقات الأصوليين 206/2.

795 "وصيغة هذا الاسم [أي الله] وصيغة قولهم: "أله" إذا تحيَّر، ينتظمهما معنى التحيّر والدهشة؛ وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتُدهش الفطِن، ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح" تفسير النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل- 5/1.

796 هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، صاحب العربية ومنشئ علم العروض، توفي سنة 170. انظر سير أعلام النبلاء 429/7 ووفيات الأعيان 244/2 والأعلام 314/2.

797 هوأبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، كان أعلمهم بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة 180. انظر وفيات الأعيان 463/3.

798 انظر التفسير الكبير 156/1، "ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل" تفسير النسفي 4/1.

فانظره)[799].

ولم يقيد المستعاذ منه بشيء من قبائحه ليستعاذ من شره عموما[800].

والشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون، والجن ذكور وإناث /[152] يتوالدون ويموتون، والملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون[801].

فللشيطان والجن حقيقة ووجود، ولم ينكر الجن إلا شرذمة من الفلاسفة ونحوهم.

وحقيقتهم عند من لم يقل بالمجردات أنهم أجسام هوائية - وقيل: نارية- تتشكل بأشكال مختلفة ولهم عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة، وعند من قال: /[153] إنها مجردات أرضية سفلية: ذلك لأن المجردات - أعني الموجودات الغير المتحيزة ولا الحالة في المتحيز- إما عالية مقدسة عن تدبير الأجسام (أو متعلقة بتدبيرها)[802] وهم الملائكة المقربون وأشرفها: حملة العرش وهم الآن أربعة ويوم القيامة ثمانية، ثم الحافون حوله ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السماوات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الأثير والهواء الذي في طبع /[154] النسيم ثم ملائكة البحار ثم الجبال ثم الأرواح السفلية المتصرفة في الأجسام النباتية والحيوانية، وهذه[803] قد

---

[799] هي في الهامش بعبارة "صح"، و"الذين قالوا: إنه مشتق، ذكروا فيه فروعا ..." التفسير الكبير 158/1 وما بعدها.

[800] " والمقصود من الاستعاذة دفع شر الشيطان ...، إما أن يكون بالوسوسة أو بغيرها" التفسير الكبير 75/1، وانظر في 89/1 و90 منه التفصيل في أنواع الشرور.

[801] "اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأما الجن والشياطين فإنهم ياكلون ويشربون ...، وأيضا فإنهم يتوالدون" التفسير الكبير 83/1، وقد ألف السيوطي كتابا سماه: الحبائك في أخبار الملائك، حققه أبو ماهر محمد السعيد زغلول.

[802] هذه العبارة مستدركة في الهامش.

[803] أي الأرواح، قال في التفسير الكبير 76/1: "ماهية الجن والشياطين...، القول المحصل فيه قولان: الأول أنها أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال صعبة شاقة، والقول الثاني: أن كثيرا من الناس أثبتوا أنها موجودات غير متحيزة ولا حالة في المتحيز، وزعموا أنها موجودات مجردة عن الجسمية ...، واعلم أنه على كلا القولين فهذه الأرواح قد تكون مشرقة إلهية ...".

تكون مشرقة إلهية وهي المسماة بصالحي الجن، وقد تكون شريرة وهي الشياطين[804].

والظاهر أن المراد هنا إبليس وأعوانه، وقيل: عام في كل متمرد عات من جن وإنس، والرجيم: المرمي من السماوات بإلقاء /[155] الملائكة أو بشهب السماء إذا قصدها[805].

وظهور حقيقة الاستعاذة لا يمكن بمجرد القول بل لابد من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل[806]:

قال الحسن(ت 110): من استعاذ بالله على وجه الحقيقة جعل الله بينه وبين الشيطان ثلاثمائة حجاب، كل حجاب كما بين السماء والأرض[807].

(قال: والحكمة في الاستعاذة الاستئذان؛ لأن من أتى باب الملك لا يدخل إلا بإذنه، كذلك من أراد قراءة القرآن يريد الدخول في المناجاة مع الحبيب، فيحتاج إلى طهارة اللسان بالتعوذ)[808]، هـ بخ.

---

804 انظر الاختلاف في ماهية الجن والشياطين وحجج وشبه منكريهم والرد عليها، وكذا أدلة وجود الجن والشياطين من القرآن والأخبار في التفسير الكبير 1/76- 82.
وكان يعاب على الإمام الرازي "إيراد الشبه الشديدة ويقصر عن حلها، حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبهة نقدا ويحلها نسيئة، ...ويقول [أي سراج الدين السرمساجي المغربي]: يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهن، قال الطوفي: ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية حتى اتهمه بعض الناس، ولكنه خلاف ظاهر حاله؛ لأنه لو كان اختار قولا أو مذهبا ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه..." شرح قصيدة ابن القيم 2/188 و189.

805 انظر تفسير الطبري 1/112 والتفسير الكبير 1/64.

806 انظر التفصيل في "ماهية الاستعاذة" في التفسير الكبير 1/65.

807 انظر خزينة الأسرار لمحمد حقي ص85.

808 مستدركة في الهامش، وانظر قول جعفر الصادق في أن التعوذ يُصَيّر لسان العبد "طاهرا، فيقرأ بلسان طاهر كلاما أنزل من رب طيب طاهر" في التفسير الكبير 1/95.

البسملة[809]

قال مولانا جل علاه: **(بسم الله الرحمن الرحيم)**:

/[156] اعلم أن الكلام في البسملة لا ينحصر، ولنقتصر منه على **فصول 15:**

---

[809] هذا العنوان في هامش المخطوط.

و"البسملة عبارة عن قولك: (بسم الله الرحمن الرحيم)، بخلاف التسمية فإنها عبارة عن ذكر الله بأي لفظ كان" عون المعبود: كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء 121/1. بالنسبة لمسألة البسملة اهتم علماء الإسلام بها في كتب التفسير وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله واللغة وتراكيبها، وفي مؤلفات خاصة؛ وذلك لأنها "طويلة الذيل، وقد أفردها جماعة من أكابر العلماء بتصانيف مستقلة، ومن آخر ما وقع رسالة جمعتها في أيام الطلب مشتملة على نظم ونثر، أجبت بها على سؤال ورد، وأجاب عنه جماعة من علماء العصر" نيل الأوطار 223/2 وفي هامشها: "وقد اطلعت على رسالة لحافظ المغرب الإمام أبي عمر ابن عبد البر [ت 463] سماها: الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف في (بسم الله الرحمن الرحيم) [انظر كشف الظنون 182/1]، فوجدتها مفيدة نافعة فباشرت بطبعها والحمد لله رب العالمين". هذا وقال ابن خزيمة في صحيحه - كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن الجهر ... 251/1- : "قد استقصيت ذكر (بسم الله الرحمن الرحيم) في كتاب: معاني القرآن، وبينت في ذلك الكتاب أنها من القرآن"، وفي 249/1 منه: "وأمليت مسألة قدر جزأين في الاحتجاج في هذه المسألة أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من كتاب الله في أوائل سور القرآن"، ولابن تيمية أيضا كلام مسهب جامع لما ورد في البسملة رجّح من خلاله عدم الجهر بها في مجموع الفتاوى 410/22 وما بعدها، ولأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي كتاب: الرد على من أبى الحق وادعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق، تحقيق: أحمد الكويتي، دار الدراية، ط 1: 1412هـ 1992م. ومما في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا: مخطوط شرح مقدمة في البسملة والحمدلة، لأحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي (ت 995هـ) تحت رقم: 4/273، ومخطوط متعلق الجار والمجرور في البسملة، لمحمد الطيب بن عبد المجيد ابن كيران الفاسي (ت 1227هـ)، تحت رقم: 37/87. ومما في الخزانة العامة بالرباط: مخطوط بقرة الأبصار على الثلاثة الأذكار، لحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشفشاوني، تحت رقم: 1116ك، قال في أوله: "... الأول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الذكر الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم، الذكر الثالث: صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما". قال أبو بكر الدمياطي في إعانة الطالبين 3/1: "أفردها بالتأليف من لا يحصى من العلماء وأبدى فيها وأبدع من لا يستقصى من النبلاء، ومع ذلك ما بلغوا معشار ما انطوت عليه من لطائف الأسرار ونكات التفسير، إذ لا يحيط بتفضيله وجمله إلا اللطيف الخبير".

الفصل الأول: في إعرابها[810]

فالباء حرف جر، ولفظ "**اسم**" مجرور بها، و**اسم الجلالة** مجرور بالمضاف الذي هو "اسم"، و"**الرحمن الرحيم**" نعتان لاسم الجلالة مجروران بما جر به المنعوت، وهو لفظ "اسم" المضافُ لاسم الجلالة[811]، وحرف الجر ومجروره متعلقان بفعل مقدر مؤخّر تقديره "أتلوا وأقرأ" مثلا[812].

/[157]**الفصل الثاني:** في تصريفها واشتقاقها

فالباء حرف جامد لا يدخله تصريف[813].

و**الاسم** مشتق من السمو- أي العلو والارتفاع- عند البصريين، فلامه محذوفة[814]، وأصله "سُمِو" بكسر السين أو ضمها، ورجح قولهم بالجمع على "أسماء" والتصغير على "سُمَي"؛ لأنهما يردان الأشياء إلى أصولها.

وقال الكوفيون: مشتق من السمة - أي العلامة-، ففاؤه محذوفة، وأصله "وسم"، /[158] قال ابن جزي(ت 741): وهو "أظهر في المعنى؛

---

[810] "الواضحة في إعراب الفاتحة: نحو عشرين كراسة، لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة تسع وعشرين وستمائة" كشف الظنون 1996/2.

[811] "أجمعوا على أن إعراب (الرحمن الرحيم) هو الجر لكونهما صفتين للمجرور الأول، إلا أن الرفع والنصب جائزان فيهما بحسب النحو: أما الرفع فعلى تقدير: بسم الله هو الرحمنُ الرحيمُ، وأما النصب فعلى تقدير: بسم الله أعني الرحمنَ الرحيمَ" التفسير الكبير 105/1، قال النحاس في إعراب القرآن 118/1: "ويجوز النصب في (الرحمن الرحيم) على المدح، والرفع على إضمار مبتدإ، ويجوز خفض الأول ورفع الثاني، ورفع أحدهما ونصب الآخر"، والمخفوضات المشهورة ثلاثة أقسام اجتمعت في البسملة: "ف(اسم) مجرور بالحرف، و(الله) ب(اسم) المضاف، و(الرحمن الرحيم) بالتبعية على القول بها، أو ب(اسم) المضاف أيضا" حاشية ابن الحاج على شرح الأزهري على متن الأجرومية ص95.

[812] انظر لم قدّر "المحذوف متأخرا"؟ في الكشاف 3/1، "وكأن من قدّر العامل مؤخرا رأى (بسم الله مجراها)[هود 41] و"باسمك رب وضعت جنبي"[البخاري 5961 ومسلم 2714] وأمثالهما فجرى مجراها، والفرق ظاهر للناظر، وهذا من نسائم الأسحار فتيقظ له ونم عن غيره" روح المعاني 50/1.

[813] "واختُلف في تخصيص باء الجر بالكسر على ثلاثة معان ..." تفسير القرطبي 70/1.

[814] "فلامه واو محذوفة" كتاب التسهيل 31/1.

لأن الاسم علامة على المسمى"[815] هـ، فلكلّ مرجح.

و**اسم الجلالة** اسم مرتجل جامد، (و"ال" فيه لازمة لا للتعريف)[816]، وقيل: مشتق من التأله - أي التعبد-، وقيل: من الوله - أي الحيرة- لتحيّر العقول فيه، وقيل غير ذلك من الأقوال الكثيرة فيه[817].

و**الرحمن والرحيم**: صفتا مبالغة من الرحمة[818].

الفصل الثالث: في معناها

فمعنى **الباء:** الاستعانة /[159] أو المصاحبة[819] على وجه التبرك، (والمصاحبة بين العمل والبادئ ومدخول الباء، والتبرك منسحب على جميع العمل، ومعنى الاستعانة: كون مدخولها واسطة في حصول الفعل

---

815 كتاب التسهيل 31/1، قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل 137/5: "وأما قولهم: إن الاسم مشتق من السمو، وقول بعض من خالفهم: مشتق من الوسم، **فقولان فاسدان كلاهما باطل، افتعله أهل النحو**، لم يصح قط عن العرب شيء منهما، وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء، بل هو اسم موضوع مثل: حجر ورمل وخشبة، وسائر الأسماء لا اشتقاق لها".

816 هي في الهامش بعبارة "صح".

817 انظر كتاب التسهيل 31/1، "و(الله): علم لا يطلق إلا على المعبود بحق، مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وقيل: مشتق..." البحر المحيط 14/1.
"وكل ما ذكر في اشتقاقه وتصريفه تعسف وتكلف، اعلم أن هذا الاسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا تدل آحادها إلا على آحاد المعاني ..." المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص40، وقال الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل 13/1: "هو اسم علم خاص لله تعالى، تفرد به الباري سبحانه وتعالى، ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد، وهو الصحيح المختار، دليله قوله تعالى: (هل تعلم له سميا) [مريم 65] يعني لا يقال لغيره: الله"، ومما علل به محمد السوسي عدم تصريف لفظ الجلالة قوله: "وإنما يصح التعليل فيه لو كان مختصا بلغة من اللغات كالعربية مثلا ...، وهذا الاسم في عينه لم يختص باللغة العربية ولا غيرها من اللغات، بل جميع الموجودات في كل لغة من لغات الوجود تعرفه سبحانه وتعالى بأنه عين هذا الاسم، وهو الله لا غير" الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة 7/1.

818 انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج 43/1 و152/5، "ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل، وقيل: إرادة الإحسان فهي صفة ذات" كتاب التسهيل 31/1، "وذهب الجمهور من الناس إلى أن الرحمن مشتق من الرحمة مبني على المبالغة ..." تفسير القرطبي 73/1، "ولا خلاف بين أهل اللغة في أن الوصفين دالان على المبالغة في صفة الرحمة، أي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين" تفسير التحرير والتنوير 171/1.

819 تحدث في البحر المحيط 14/1 عن إتيان الباء للإلصاق والاستعانة والسبب والقَسَم والحال - أو المصاحبة- والظرفية والنقل والبدل والمقابلة والمجاوزة والاستعلاء، وتأتي زائدة للتوكيد.

على الوجه المعتد به لبركة الاسم الشريف، فالمآل فيهما واحد، والمُرَاعَى في الاستعانة جهة توقف الفعل عليها دون التبعية للفعل، فلا سوء أدب[820].

وقيل: الباء بمعنى "على"، وقيل: للإلصاق[821]، وهما راجعان للأوّليْن، وقيل: زائدة، وهو مرغوب عنه)[822].

والاسم: لفظ دل على معنى بنفسه ولم يتعرض بصيغته لزمان[823].

واسم الجلالة: علم على الذات الواجب الوجود المستحق للصفات المنزه [عن][824] الآفات الذي لا شريك له في المخلوقات، سبحانه لا إله إلا هو رب العالمين[825].

1- ثم إن أريد ب"اسم" معناه وب"اسم الجلالة" مسماه، كانت الإضافة حقيقية[826] من إضافة الدال للمدلول[827]، وكان المعنى: بكل اسم لله

---

[820] بعدما حصر الألوسي - في روح المعاني 47/1 و48- معنى الباء في الاستعانة أو المصاحبة قال: "واختلف في الأرجح من الأوّليْن" - أي من المعاني الستة التي ذكرها- ، وبعدما شرحهما معا قال: "وعندي أن الاستعانة أولى، بل يكاد أن تكون متعينة، إذ فيها من الأدب والاستكانة وإظهار العبودية ما ليس في دعوى المصاحبة، ولأن فيها تلميحا من أول وهلة إلى إسقاط الحول والقوة ..."، ثم رَدّ بأحد عشر وجها "ما ذكروه في تأييد المصاحبة" أي عند الزمخشري.

[821] "وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط ...، فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله" الكتاب 217/4، "والباء باء الملابسة، والملابسة هي المصاحبة وهي الإلصاق أيضا، فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى ...، وهذا المعنى هو أكثر معاني الباء وأشهرها" تفسير التحرير والتنوير 147/1.

[822] هي في الهامش بعبارة "صح"، "وللباء اثنا عشر معنى ...، والعاشر: الاستعلاء نحو (من إن تامنه بقنطار) أي على قنطار ...، والثاني عشر: التأكيد وهي الزائدة" أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام: فصل في ذكر معاني الحروف 35/3 وما بعدها.

[823] انظر التفسير الكبير 109/1، وفي المقصد الأسنى- ص7 وما بعدها- قال الغزالي: "في بيان حد الاسم وحقيقته: إن للأشياء وجودا في الأعيان ووجودا في الأذهان ووجودا في اللسان ...، فادفع عنك الآن الوجود الذي في الأعيان والأذهان، وانظر في الوجود اللفظي؛ فإن غرضنا يتعلق به ، فنقول: الألفاظ عبارة عن الحروف المقطعة الموضوعة بالاختيار الإنساني للدلالة على أعيان الأشياء...".

[824] في المخطوط: على، وهو خطأ؛ ففي اللسان: نزه: "ونزّه نفسه **عن** القبيح: نحّاها ...، وتنزيه الله: تبعيده **عما** لا يجوز عليه من النقائص ...، أي إبعاده **عن** السوء وتقديسه".

[825] أجزاء هذا التعريف في صفحات من التفسير الكبير هي 109/1 و110 و112، وقد دافع الرازي - في الباب التاسع من مباحث البسملة 156/1 وما بعدها- عن اختياره بأن لفظ الجلالة "اسم علم لله تعالى" وذلك بحجج ثلاثة، كما رد حججا ثلاثة لمخالفيه، أما قوله: "لا إله إلا هو" فهي الدرجة الثالثة من درجات أسماء الله المضمرة "أنا وأنت وهو" في 145/1 و146.

[826] قال الرازي في الدليل الثالث "على أن الاسم لا يجوز أن يكون هو المسمى": "الثالث أن كونَ الاسم اسما للمسمى وكونَ المسمى مسمى بالاسم: من باب الإضافة كالمالكية والمملوكية، وأحد المضافين مغاير للآخر" التفسير الكبير 109/1، والإضافة الحقيقية ما كانت على تقدير اللام "أي ما تكون فيه الإضافة على اللام، ولا يلزم من كون الإضافة بمعنى اللام أنه = =

عز وجل /[160] أقرأ - مثلا- متبركا.

2- وإن أريد ب"اسم الجلالة" لفظه كانت الإضافة بيانية[828]، أي باسم - هو الله- أقرأ متبركا[829].

3- ولا يصح أن يراد بالاسم المسمى وب"اسم الجلالة" المسمى أيضا[830].

= = يصح التلفظ بها أو تقديرها، وإلا كان الجر باللام لا بالمضاف" حاشية ابن الحاج على شرح الأزهري ص96، وتسمى الإضافة الحقيقية أيضا الإضافة المعنوية والإضافة المحضة، انظر تعليل هذه التسميات في جامع الدروس العربية للغلاييني 208/3.

827 "الاسم لفظ دال، والمسمى مدلول" المقصد الأسنى ص11.

828 وهي "الدالة على بيان الجنس، أشار به إلى أن الإضافة التي على معنى "من" هي البيانية، وضابط هذه الإضافة أن يكون المضاف بعضا من المضاف إليه، ويصح الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف" حاشية ابن الحاج على شرح الأزهري ص96. هذا وقال ابن جني في كتاب اللمع في العربية 80/1: "باب الإضافة: وهي في الكلام على ضربين، أحدهما ضم اسم إلى اسم هو غيره بمعنى اللام، والآخر: هو ضم اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى "من" ...، واعلم أن المضاف قد يكتسي من المضاف إليه كثيرا من أحكامه، نحو التعريف والاستفهام والجزاء ومعنى العموم"، وانظر كذلك أنواع الإضافة في شرح ابن عقيل 42/3 وما بعدها وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: باب الإضافة 81/3 وما بعدها وجامع الدروس العربية 206/3.

829 سواء قلنا بالإضافة الحقيقية أو البيانية يبقى مدار البسملة على لفظ الجلالة الذي "استغنى عن التعريف بغيره، وعُرّف غيرُه بالإضافة إليه" - المقصد الأسنى ص41- ، فالبسملة - وفيها إضافة "اسم" للفظ الجلالة- ناسبت أي حال وأي نوع من أنواع فعل المرء، ذلك أن لفظ الجلالة جامع لجميع صفات الإلهية ولفظ "اسم" يشمل جميع أسماء الله تعالى وصفاته، وقول المرء "باسم الله" يراد منه الصفة المناسبة لنوع الفعل الذي ينوي القيام به: فمن الأفعال ما يفتقر إلى صفة القدرة أو صفة الحكمة أو صفة التوفيق أو صفة الستر أو صفة الحفظ وما إلى ذلك، وفي ذكر المرء "اسم الله" - هكذا بإطلاق- تيسير له وتحقيق لمطلوبه بأقل عناء وأسهل طريق، فسبحان من يسّر القرآن للذكر.

وأمر آخر ما قاله ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل 136/5: "لا سبيل إلى تسبيحه تعالى ولا إلى دعائه ولا إلى ذكره إلا بتوسط اسمه".

فسبحان من خلق الإنسان وعلمه البيان وعلم الأسماء كلها ويسر له بذلك سبل الذكر والعبادة ليجزيه الجزاء الأوفى: (وله ما في السماوات والأرض، وله الدين واصبا، أفغير الله تتقون، وما بكم من نعمة فمن الله) النحل 52 و53.

830 انظر "الكلام في الاسم والمسمى" في الفصل في الملل والأهواء والنحل 135/5- 145.

"والحق أن الاسم غير التسمية وغير المسمى، وأن هذه ثلاثة أسماء متباينة غير مترادفة، ولا سبيل إلى كشف الحق فيها إلا تبيان معنى كل واحد من هذه الألفاظ الثلاثة مفردا ..." المقصد الأسنى للغزالي ص7، وهو المختار عند الرازي في التفسير الكبير 108/1 وما بعدها.

نعم لا يبعد "أن يكنى عن المسمى بالاسم إجلالا للمسمى كما يكنى عن الشريف بالجناب والحضرة والمجلس ...، وكذلك الاسم- وإن كان غير المسمى- فهو متعلق بالمسمى ومطابق له. وهذا لا ينبغي أن يلتبس على البصير في أصل الوضع" المقصد الأسنى ص19. = =

وأما إرادة عكس الأول فصحيح، (لكنه ضعيف كما في الفخر)[831]، والله أعلم.

و**الرحمن الرحيم**: صفتا مبالغة- كما تقدم[832]- مشتقان من /[161] الرحمة، وهي في اللغة رقة في القلب تقتضي التعطف والإحسان[833]، وهي محال في حق الله تعالى[834]، فوجب حملها على لازمها القريب وهو إرادة الإحسان، فتكون من صفات الذات على مذهب [ ][835]، أو لازِمِها البعيد وهو الإنعام بالفعل، فتكون من صفات الأفعال[836] على مذهب [ ][837]،

= = هذا والخوض في مسألة الاسم والمسمى قليل "جدواها، وهي لا تستحق هذا الإطناب ...، فإن أكثر تطواف النظر في هذه المسألة حول الألفاظ دون المعاني" المقصد الأسنى ص20، وثبت "أن الخوض في هذا البحث- على جميع التقديرات- يجري مجرى العبث" التفسير الكبير 109/1.

قال ابن أبي العز الحنفي: "وكذلك قولهم: الاسم عين المسمى أو غيره؟، وطالما غلط كثير من الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه: فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى ..." شرح العقيدة الطحاوية ص127.

[831] هي في الهامش بعبارة "صح". وقال الفخر في التفسير الكبير 109/1: "وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى، وبالمسمى أيضا تلك الذوات كان قولنا: الاسم هو المسمى، معناه أن ذات الشيء عين الشيء، وهذا وإن كان حقا إلا أنه من باب إيضاح الواضحات وهو عبث".

وانظر حالات "الاسم: إن أريد به اللفظ؛ فغير المسمى ...، وإن أريد به ذات الشيء؛ فهو المسمى ...، وإن أريد به الصفة كما هو رأي أبي الحسن الأشعري؛ انقسم انقسام الصفة عنده إلى: ما هو نفس المسمى ...، وإلى ما هو غيره ...، وإلى ما ليس هو ولا غيره ..." عند الخطيب الشربيني في السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير 6/1.

[832] انظر ص 102. وقد خصص الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن 502/2 ضمن النوع السادس والأربعين "في أساليب القرآن وفنونه البليغة، الأسلوب الأول: التأكيد" "القسْمَ العاشر: تجيء اللفظة الدالة على التكثير والمبالغة بصيغ من صيغ المبالغة" صدّره بقوله: "كفعّال وفعيل وفعلان ...، ويجوز أن يُعدّ هذا من أنواع الاختصار".

[833] "الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله ...، وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن: الرقيق، والرحيم: العاطف على خلقه بالرزق" اللسان: رحم.

[834] انظر المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي ص41، وقال في تفسير التحرير والتنوير- 169/1 و170- عن رحمة الإنسان ورحمة الله: "فهي من الكيفيات النفسانية؛ لأنها انفعال ...، بل إنه يراد بهذا الوصف في جانب الله تعالى إثبات الغرض الأسمى من حقيقة الرحمة، وهو صدور آثار الرحمة من الرفق واللطف والإحسان والإعانة ...، وتحقق تنزّه الله عن لوازم المعنى المقصود في الوضع مما لا يليق بجلال الله تعالى، كما نطلق "العليم" على الله مع التيقن بتجرد علمه عن الحاجة إلى النظر والاستدلال وسبق الجهل". هذا وقد رد ابن تيمية تعليل تشبيه رحمة الخالق برحمة المخلوق في شرح العقيدة الأصفهانية ص26.

[835] بياض في الأصل.

[836] "اعلم أن **الحد** بين **صفات الذات وصفات الفعل** مختلف فيه:

فعند **المعتزلة**: ما جرى فيه النفي والإثبات فهو من صفات الفعل كما يقال: خلق لفلان ولد ولم يخلق لفلان ...، وما لا يجري فيه النفي فهو من صفات الذات كالعلم والقدرة ... . وأما عند = =

والله أعلم[838].

(وقيل: الرحمن علم بالغلبة التقديرية[839]، وأما الرحيم فوصف لا غير[840]، والفرق بينهما أن الرحمن المنعم بالنعم التي ليس من شأنها أن

= = **الأشعرية**: فالفرق بينهما أن ما يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الذات؛ فإنك لو نفيت الحياة يلزم الموت ...، وما لا يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل؛ فلو نفيت الإحياء أو الإماتة ... لم يلزم منه نقيضه ... .

و**عندنا** أن كل ما وصف به ولا يجوز أن يوصف بضده فهو من صفات الذات كالقدرة والعلم والعزة والعظمة، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الفعل كالرأفة و**الرحمة** والسخط والغضب" شرح الفقه الأكبر للقاري ص33 و34.

[837] بياض في الأصل.

وفي حاشية ابن الخياط على شرح البوري الفلالي على أرجوزة الطيب بن كيران: كراسة1 ص4 بعدما أورد تأويل الرحمة بالوجهين المذكورين قال: "على الخلاف بين الإمام أبي بكر الباقلاني والشيخ الإمام الأشعري رضي الله عنهما".

وفي مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ص 507:

"و**المعتزلة** كلها - إلا عبّادا- يقولون: إن الوصف لله بأنه رحمن وأنه رحيم من صفات الفعل"، وفي ص 508 و509: "والمعتزلة تفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال: بأن صفات الذات لا يجوز أن يوصف البارئ بأضدادها ولا بالقدرة على أضدادها - كالقول: عالم، لا يوصف بالجهل ولا بالقدرة على أن يجهل-، وصفات الأفعال: يجوز أن يوصف البارئ سبحانه بأضدادها وبالقدرة على أضدادها، كالإرادة: يوصف البارئ بضدها من الكراهة وبالقدرة على أن يكره...". وانظر في ص 182 منه اختلاف المتكلمين "في معنى القول: إن الله جواد، وهل الوصف له بذلك من صفات النفس أو من صفات الفعل، على ثلاث مقالات ...".

[838] "ومعناها العطف والحنوّ، ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ...، فالرحمة- على هذا- من صفات الأفعال، ولك أن تفسرها بإرادة الخير فيرجع إلى صفات الذات، **وكلا الأمرين قال به الأشعرية** في الرحمة وأمثالها مما لا يصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى، فمنهم من صرفه إلى صفة الذات ومنهم من صرفه إلى صفة الفعل" الانتصاف لأحمد بن المنير الإسكندري- وهو بهامش الكشاف- 8/1، قال في البحر المحيط 17/1: "وينبني على هذا الخلاف خلاف آخرُ وهو أن صفات الله تعالى الذاتية والفعلية أهي قديمة؟ أم صفات الذات قديمة وصفات الفعل محدثة؟ قولان"، وفي اللسان: رضي: "قال ابن الأثير: ... وصفات الأفعال أدنى رتبة من صفات الذات...".

قال ابن تيمية رادا على تأويل صفة الرحمة: "ومن الناس من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة، كما جعل بعضهم إرادته عبارة عما يخلقه من المخلوقات، وهذا ظاهر البطلان لاسيما على أصل الصفاتية، ومنهم من جعل حبه ورحمته هي إرادته ونفى أن تكون له صفات هي الحب والرضا والرحمة والغضب غير الإرادة" شرح العقيدة الأصفهانية ص25 و26، و"اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية ...، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك" الملل والنحل للشهرستاني 92/1، وفرق بينهما في مقالات الإسلاميين ص99 و506 مثلا وفي مجموع الفتاوى 410/5 وفي شرح العقيدة الطحاوية ص127.

[839] والرحمن "من الصفات الغالبة ...، لم يُسْتعمل في غير الله عز وجل، كما أن (الله) من الأسماء الغالبة" الكشاف 6/1 و7، وانظر أيضا البحر المحيط 15/1، قال في المحرر الوجيز = =

تجري على يد الخلق ولا في كسبهم، فلذا اختص بالله، والرحيم: المنعم مطلقا، وذكر عقب الأول ليتناول ما لم يتناوله الأول[841].

وقيل: الرحمن المنعم بجلائل النعم، والرحيم المنعم بدقائقها[842].

وقيل: الرحمن المنعم على كل مربوب، والرحيم المنعم على كل محبوب[843].

وآخر إشارة لأن رحمته سبقت غضبه، ولأن في تخصيص الرحمة بالمحبوبين ترهيبا من سلوك سبيل المغضوب عليهم. وبهذا اشتملت البسملة على ما في الفاتحة من الإشارة إلى أصول العبادة وفروعها، والترغيب والترهيب وأحوال المعاد[844].

وقيل: هما بمعنى[845].

وقيل: يعتبر في الأول كثرة الرحمة وفي الثاني ذراتها[846].

= = 58/1 "ومعناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة ...، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل؛ لأن راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيما يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن: النهاية في الرحمة".

[840] انظر تفسير القرطبي 75/1.

[841] انظر الفائدة الأولى والفائدة الثانية في التفسير الكبير 233/1 و234.

[842] هو من جواب الزمخشري على تساؤل : "فإن قلت: فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياسُ الترقي من الأدنى إلى الأعلى؟" في الكشاف 8/1: ف"الرحيم: كالتتمة والرديف"، وانظر أيضا الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي 3/1.

[843] انظر تفسير الطبري 127/1، وهو قول العرزمي والفارسي في المحرر الوجيز 58/1 و59، وكذا في البحر المحيط 17/1 إلا أن قول العرزمي منسوب فيه إلى العزيزي.

[844] انظر اشتمال "الفاتحة من الأقسام العشرة على ثمانية أقسام" في جواهر القرآن ودرره للغزالي ص49 وما بعدها.

[845] هو قول أبي عبيدة في تفسير القرطبي 74/1، وعزاه ابن كثير- في تفسيره 22/1- إلى أبي عبيد وهو ينقل عن القرطبي.
وفي البرهان في علوم القرآن للزركشي 505/2 أنه قول قطرب الذي علله بقوله: "وإنما جمع بينهما في الآية للتوكيد، وكذلك قال ابن فورك ...".
وفي البحر المحيط 17/1: "ومن رأى أنهما بمعنى واحد- ولم يذهب إلى توكيد أحدهما بالآخر- احتاج أنه يخص كل واحد بشيء، وإن كان أصل الموضوع عنده واحدا ... فقال مجاهد: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ..."، وانظر المحرر الوجيز 58/1.
هذا ونصر النحاس في كتابه معاني القرآن: تفسير البسملة 54/1 قول قطرب حيث قال: "وهذا قول حسن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب يستغني عن الاستشهاد".
أما الزركشي - في البرهان 506/2- فطعن في أن "الرحمن الرحيم" بمعنى واحد.

وليستا صفة مشبهة[847]؛ لأن "رَحُمَ"[848] غير مسموع والنقل إليه خاص بباب "نعم"[849] وهو جامد لا تتصرف منه صفة مشبهة، ولذا كان الظاهر أنهما صيغتا مبالغة - كما قلنا[850]-: أما الرحيم فلا إشكال[851]، وأما رحمان فمسموع غير مقيس، فلا يرد أنه لم يذكر "فعلان" في المقيس، ثم إن المراد بالمبالغة هنا كثرة التعلق التنجيزي[852]، وهو قابل للزيادة وضدها، والمراد أيضا المبالغة النحوية[853]، وهي الكثرة، لا المراد البديعية[854]، وهي أن يدعى للشيء أكثر مما له)[855] ، والله أعلم.

---

846 "وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم؛ لأن في الرحيم زيادة واحدة، وفي الرحمن زيادتين؛ وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى" تفسير النسفي 5/1، وانظر الاختلاف في "هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟" في تفسير القرطبي 74/1.

" والرحمن ... صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل؛ لأن راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيما يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن: النهاية في الرحمة ...، وأما المفسرون فعبروا عن (الرحمن الرحيم) بعبارات ...، وهذه كلها أقوال تتعاضد" المحرر الوجيز 58/1 و59.

847 وممن ذهب إلى أنهما صفة مشبهة صاحب الكشاف 6/1.

و"الصفة المشبهة لا تصاغ من فعل متعد" شرح ابن عقيل 141/3، وانظر كذلك أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 347/3.

848 "بالضم كما هو المشهور" تفسير أبي السعود 11/1.

849 "ذهب الكوفيون إلى أن "نعم وبئس" اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وإليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين" الإنصاف في مسائل الخلاف 97/1.

850 أي قبل قليل وفي آخر الفصل الثاني كذلك، وقد انتصر له في تفسير التحرير والتنوير 171/1.

851 "إن (الرحيم) ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة، نص عليه سيبويه" تفسير أبي السعود 11/1 وانظر أيضا روح المعاني 59/1.

وعلى العكس من ذلك قال في تفسير التحرير والتنوير 171/1: "وصاحب الكشاف [انظر 6/1 منه] والجمهور لم يثبتوا في أمثلة المبالغة وزن "فعيل"؛ فالرحيم عندهم صفة مشبهة أيضا مثل : مريض وسقيم".

852 " صيغ المبالغة على قسمين : أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل، والثاني: بحسب تعدد المفعولات، ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين.

وعلى هذا التقسيم يجب تنزيل جميع أسماء الله تعالى التي وردت على صيغة المبالغة كالرحمن والغفور والتواب ونحوها، ولا يبقى إشكال حينئذ ... .

والمبالغة إذن بالنسبة إلى تكثير التعلق لا بالنسبة إلى تكثير الوصف ...، فيجب صرف المبالغة فيه إلى المتعلق" البرهان 507/2 و508.

853 انظر التبيان في إعراب القرآن 4/1.

854 "الاستعارة عندهم أفضل من المجاز وهي أخص منه؛ إذ قصْدُ المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز، وموقعها في الأذواق السليمة أبلغ، وليس في أنواع البديع أعجب منها **إذا وقعت في مواقعها**، وللناس فيها اختلاف كثير ..." خزانة الأدب وغاية الأرب: ذكر الاستعارة 109/1.

الفصل الرابع: في أصلها

قال ابن جزي(ت 741):

كانوا يكتبون "باسمك /[162] اللهم"، [حتى نزلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾[856] فكتبوا "بسم الله"][857]، حتى نزل ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[858] فكتبوا "بسم الله الرحمن"، حتى نزلت ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[859] فكتبوها، هـ[860]. (وهذا[861] مثله في الفخر[862]، ولا ياتي على القول بأن أول ما نزل "بسم الله الرحمن الرحيم"، تأمل)[863].

---

[855] هي في هامش صفحتي 161 و162 بعبارة "صح".

"و**المبالغة** في الاصطلاح هي إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة.

و**الإغراق**: وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة.

و**الغلو**: وصفه بما يستحيل وقوعه ...

وغالب الناس عندهم المبالغة والإغراق والغلو نوع واحد" خزانة الأدب وغاية الأرب: ذكر المبالغة 8/2 وذكر الإغراق 12/2.

وفي روح المعاني للألوسي 62/1: "أصل المبالغة مما لا يمكن هنا؛ لأنها عبارة عن أن تثبت للشيء أكثر مما له، وذلك فيما يقبل الزيادة والنقص، وصفاته تعالى منزهة عن ذلك لاستلزامه التغير المستلزم للحدوث، وأجيب بأن المراد الأكثرية في التعلقات والمتعلقات، لا في الصفة نفسها، وهذا إذا كانت صفة ذات، وإن كانت صفة فعل فلا إشكال ..."، وانظر أيضا تفسير أبي السعود 11/1.

هذا وبعد تتبعه للفظ "الرحمن" في القرآن الكريم "ذكر البُرزاباذاني أنهم غلطوا في تفسير (الرحمن)، حيث جعلوه بمعنى المتصف بالرحمة، قال: وإنما معناه الملك العظيم العادل بدليل: (المُلك يومئذ الحقّ للرحمن)- الفرقان 26- ، إذ الملك يستدعي العظمة والقدرة والرحمة لخلقه، لا أنه يتوقف عليها ...، وأما (رحيم) فهو من صفات الذات كقولهم: كريم." البرهان 503/2 و504.

[856] هود 41.

[857] زيادة من كتاب التسهيل 31/1.

[858] الإسراء 109.

[859] النمل 30.

[860] انظر كتاب التسهيل 3/1، وهو قول الشعبي في تفسير البغوي 39/1.

[861] في المخطوط: وهذ.

[862] انظر التفسير الكبير 200/1.

[863] هي في الهامش بعبارة "صح"، وفي روح المعاني 45/1: "وحديث أنها أول ما نزلت، ليس بالقوي، بل الثابت - ويشكل عليه- ما روي أنه كان يكتب: باسمك اللهم، إلخ".

الفصل الخامس: في كونها آية أم لا

قال ابن جزي(ت 741): ليست البسملة عند مالك(ت 179) بآية من الفاتحة ولا من غيرها[864] إلا من "النمل" خاصة، وهي عند الشافعي(ت 204) آية من الفاتحة[865]، وعند ابن عباس آية من كل سورة[866].

فحجة مالك الحديثُ الصحيح: أنزلت علي سورة ليس في التوراة ولا في /[163] الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين[867]، ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح أن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، يقول العبد "الحمد لله رب العالمين"[868]، فبدأ بها دون البسملة.

---

[864] انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي: باب علل البسملة 13/1.

[865] قال مكي في الكشف عن وجوه القراءات 23/1 : "والمشهور من قول الشافعي أن التسمية آية في الحمد لاغير، وهذا مما اختلف فيه الصدر الأول"، مع العلم أن مكيا قال في 15/1 منه: "بعض العلماء قد قال: إنها آية من أول كل سورة إلا "براءة"، وهو أحد قولي الشافعي".
وهذا القول الأخير أورده أبو السعود في تفسيره: سورة الفاتحة 8/1 على أنه القول الجديد للشافعي، وفي مجموع فتاوى ابن تيمية 434/22 أنه "المشهور من مذهب الشافعي ومن وافقه، وقد نقل عن الشافعي أنها ليست من أوائل السور غير الفاتحة ...، وأما كونها من الفاتحة فلم يثبت عنه فيه دليل".

[866] انظر تفسير أبي السعود: سورة الفاتحة 8/1.
"... قال سعيد [أي ابن جبير]: قرأها عليَّ ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال: (بسم الله الرحمن الرحيم) الآية السابعة، قال ابن عباس: فذَخرَها لكم، فما أخرَجَها لأحد قبلكم" شرح السنة: باب وجوب قراءة فاتحة الكتاب 50/3 و51، "وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله" تفسير النسفي 3/1.
هذا وقد اختلف ما حكي عن ابن عباس في شأن البسملة في نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأبرار للشوكاني: باب ما جاء في (بسم الله الرحمن الرحيم) 218/2: "فذهب ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وطاوس وعطاء ومكحول وابن المبارك وطائفة إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة غير براءة، ... وحكاه في السنن الكبرى عن ابن عباس ومحمد بن كعب أنها آية من الفاتحة فقط".

[867] هو معنى ما أخرجه مالك عن أبي بن كعب مرفوعا في الموطإ: باب ما جاء في أم القرآن 186- 83/1 وابن خزيمة في صحيحه: باب فضل قراءة فاتحة الكتاب 500 و501- 252/1 والحاكم في المستدرك: تفسير سورة الفاتحة 3019- 283/2.

[868] هو جزء من حديث أخرجه في الموطإ عن أبي هريرة مرفوعا : باب القراءة خلف الإمام 188- 84/1 وفي صحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة 395- 296/1 ومسند أحمد 7289- 241/2، و7823- 285/2، و9934- 460/2، وصحيح ابن خزيمة: باب فضل قراءة فاتحة الكتاب 502- 252/1، وصحيح ابن حبان: ذكر كيفية قسمة فاتحة الكتاب 776- 54/3 وذكر الخبر الدال على أن الفرض على المأموم والمنفرد قراءة فاتحة الكتاب في صلاته 1784- 84/5 وذكر الزجر عن ترك قراءة فاتحة الكتاب 1795- 96/5.

وحجة الشافعي ما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين﴾[869].

وحجة ابن عباس ثبوتها مع كل سورة في المصحف[870]، هـ[871].

/[164] وقال الثعالبي(ت 875):

"وما جاء من الأثر عن جابر[872] وأبي هريرة(ت 57)[873] مما يقتضي بظاهره أن البسملة آية من الفاتحة يرده صحيح الأحاديث كحديث أنس (ت 92)[874] وأبي بن كعب(ت 30)[875]، وحديث: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي[876]، ونحوها، ولم يُحفظ قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده أنهم يبسملون في الصلاة"[877]، هـ.

---

[869] انظر الأم للشافعي: باب القراءة بعد التعوذ 107/1 وما بعدها، والحديث مخرج في مسند إسحاق بن راهويه: ما يروى عن أهل مكة 58- 105/1 عن أم سلمة- وهي تصف قراءة رسول الله عليه السلام- وقال ابن راهويه في رجاله: "رجال الصحيح"، و أخرجه ابن خزيمة عن أم سلمة أيضا في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من فاتحة الكتاب 493- 248/1، وكذا أبو أحمد الحاكم (ت 378) في كتابه: شعار أصحاب الحديث، باب ذكر الدليل على أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية 37- 41/1، وأخرج بعده أربع روايات أخرى، وأخرج الدارقطني في سننه: كتاب الصلاة- باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم)- أربعين رواية عن أمثال علي وعمار وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وأم سلمة وجابر وأنس والنعمان وعائشة، وقال في بعضها: "صحيح ورواته كلهم ثقات" 302/1 وما بعدها.

هذا ولأصحاب الشافعي أربعة مسالك في الاعتراض على أحاديث مخالفيهم، انظرها في التحقيق في أحاديث الخلاف لابن الجوزي: مسألة لايسن الجهر بالبسملة وقال الشافعي: يسن 351/1 وما بعدها.

[870] انظر مجموع فتاوى ابن تيمية 406/22.

"ولا خلاف في إثباتها خطا في أوائل السور في المصحف إلا في أول سورة التوبة" نيل الأوطار 218/2.

[871] كتاب التسهيل : الكلام على البسملة 30/1 و31 بتصرف.

[872] أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) 22- 308/1.

[873] أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) 18و19و20- 307/1.

[874] انظر صحيح مسلم : كتاب الصلاة، باب حجة من قال لايجهر بالبسملة 399- 299/1، وسنن ابن ماجة: باب افتتاح القراءة 813- 267/1.، وسنن الترمذي: باب ما جاء في افتتاح القراءة ب (الحمد لله رب العالمين) 246- 15/2، والسنن الكبرى للنسائي: قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) 979- 315/1، وسنن البيهقي الكبرى: باب من قال: لا يجهر بها 2247- 52/2.

[875] انظر الموطأ: باب ما جاء في أم القرآن 186- 83/1.

[876] خرجته قبل قليل ضمن حجة الإمام مالك رحمه الله تعالى.

[877] تفسير الثعالبي: باب في تفسير "بسم الله الرحمن الرحيم" 20/1. = =

وقال ابن العربي(ت 543) في الأحكام: "اتفقَ الناسُ على أنها آية من كتاب الله في سورة النمل[878].

واختلفوا في كونها آية في /[165] أول كل سورة:

فقال مالك وأبو حنيفة: ليست في أوائل السور بآية وإنما هي استفتاح ليعلم بها مبدؤها[879].

وقال الشافعي: هي آية في أول الفاتحة - قولا واحدا-، وهل تكون آية في أول كل سورة؟ اختلف قوله في ذلك"[880]، هـ.

ثم قال: "ويكفيك أنها ليست بقرآن الاختلافُ فيها، والقرآن لا يُختلف فيه، فإن إنكار القرآن كفر. فإن قيل: ولو لم تكن قرآنا لكان مُدخِلها في القرآن كافرا، قلنا: الاختلاف فيها يمنع من أن تكون /[166] آية، ويمنع من تكفير مَن يَعُدها من القرآن، فإن الكفر لا يكون إلا بمخالفة النص والإجماع في أبواب العقائد"[881]، هـ.

= = قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى 415/22: "وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ليس في الجهر بها حديث صريح، ولم يرو أهل السنن المشهورة كأبي داود والترمذي والنسائي شيئا من ذلك، وإنما يوجد الجهر بها صريحا في أحاديث موضوعة يرويها الثعلبي والماوردي وأمثالهما في التفسير أو في بعض كتب الفقهاء الذين لا يميزون بين الموضوع وغيره".

878 قال الشوكاني في نيل الأوطار 218/2: "ولا خلاف أنها آية في أثناء سورة النمل"، أي في قوله تعالى: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) الآية 30.

879 "أتي بالتسمية على إرادة التبرك بذكر أسماء الله وصفاته في أول الكلام ولثباتها للاستفتاح في المصحف، فهي للابتداء بالسورة، ... وليست بآية من "الحمد" ولا من غيرها من السور عند مالك وغيره من العلماء"الكشف: علل البسملة 13/1.

"وحكي عن الأوزاعي ومالك وأبي حنيفة وداود - وهو رواية عن أحمد- أنها ليست آية في الفاتحة ولا في أوائل السور" نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للشوكاني: باب ما جاء في (بسم الله الرحمن الرحيم) 218/2.

"والقول الوسط: إنها من القرآن حيث كتبت، وإنها مع ذلك ليست من السور، بل كتبت آية في أول كل سورة ...، وهذا القول قول عبد الله بن المبارك وهو المنصوص الصريح عن أحمد ابن حنبل، وذكر أبو بكر الرازي أن هذا مقتضى مذهب أبي حنيفة عنده، وهو قول سائر من حقق القول في هذه المسألة وتوسط فيها" مجموع الفتاوى 434/22 و435، قال ابن تيمية في هذا القول الوسط: "وهذا أعدل الأقوال" 439/22.

880 انظر التعليق على رأي الشافعي في كلام ابن جزي في بداية هذا الفصل الخامس، وكلام ابن العربي هذا في أحكام القرآن 2/1.

881 أحكام القرآن لابن العربي 2/1 و3، قال الشوكاني في نيل الأوطار 218/2: "واعلم أن الأمة أجمعت أنه لا يكفر من أثبتها ولا من نفاها؛ لاختلاف العلماء فيها، بخلاف ما لو نفى حرفا مجمعا عليه أو أثبت ما لم يقل به أحد فإنه يكفر بالإجماع".

وقال أبو محمد عبد الله بن عمر البيضاوي(ت 691):

"﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾: من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك(ت 181)[882] رحمه الله والشافعي (ت 204)[883]، وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك (ت 179) والأوزاعي(ت 157)[884]، ولم ينص أبو حنيفة فيه بشيء فظُن أنها ليست من السورة عنده[885]، وسئل محمد بن الحسن[886] عنها /[167]

---

882 هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم المروزي التركي الأب الخوارزمي الأم، مجتهد مشهور بالجهاد والزهد، توفي سنة 181. انظر مقدمة كتابه: الزهد، وتذكرة الحفاظ ص274 وغاية النهاية 446/1 وتقريب التهذيب 3570- ص320.

883 في تفسير أبي السعود : سورة الفاتحة 8/1 أنه كذلك قول ابن عباس ونسب إلى ابن عمر و مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء والقول الجديد للشافعي، وانظر "علة من فصل بين كل سورتين بالتسمية" في كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي 15/1.

884 في تفسير أبي السعود : سورة الفاتحة 8/1 أنه كذلك قول ابن مسعود والمشهور من مذهب قدماء الحنفية، وانظر علة "الإتيان بالبسملة في أول القراءة بالسورة" عند من قال بعدم قرآنيتها في كتاب الكشف عن وجوه القراءات 13/1 الذي قال مؤلفه محتجا لهذا المذهب في 23/1 منه: "فقد أجمع أهل العدد من أهل الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام على ترك عدها آية في أول كل سورة ... وإنما اختلفوا في عدها وتركها في سورة الحمد لاغير، فعدها آية الكوفي والمكي، ولم يعدها آية البصري ولا الشامي ولا المدني، والمشهور من قول الشافعي أن التسمية آية في "الحمد" لاغير، وهذا مما اختلف فيه الصدر الأول".
قال الشوكاني في نيل الأوطار 218/2و219: "ولا خلاف في إثباتها خطا في أوائل السور في المصحف إلا في أول سورة التوبة، وأما التلاوة فلا خلاف بين القراء السبعة في أول فاتحة الكتاب وفي أول كل سورة إذا ابتدأ بها القارئ ما خلا سورة التوبة. وأما في أوائل السور مع الوصل بسورة قبلها: فأثبتها ابن كثير وقالون وعاصم والكسائي من القراء في أول كل سورة إلا أول سورة التوبة، وحذفها منهم أبو عمرو وحمزة وورش وابن عامر".
والأوزاعي هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي الأوزاعي الحافظ، حدث عن عطاء والقاسم وغيرهما، عنه شعبة وابن المبارك وآخرون، سكن آخر عمره بيروت مرابطا وبها توفي سنة 157. انظر تذكرة الحفاظ 178/1.

885 مال ابن تيمية إلى "القول الوسط : إنها من القرآن حيث كتبت، وإنها مع ذلك ليست من السور، بل كتبت آية في كل سورة..." ومما علق عليه به قوله: "وذكر أبو بكر الرازي أن هذا مقتضى مذهب أبي حنيفة عنده" مجموع الفتاوى 434/22.

886 هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم - وقيل: نسبا- الكوفي، الإمام في الفقه والعربية، صاحب أبي حنيفة وأبي يوسف وسفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وغيرهم، له رواية لموطإ مالك عنه، روى عنه الشافعي وأبو سليمان الجوزجاني وآخرون، من كتبه: الجامع الصغير والكبير والمبسوط وغيرها، ولد سنة 132 وتوفي عام 189. انظر سير أعلام النبلاء 134/9 والفكر السامي 435/1.

فقال: ما بين الدفتين كتاب الله تعالى"، إلى آخر كلامه[887].

وقال الخطيب الشربيني[888] نحوَه[889]، ثم قال:

"ويدل للأول ما روي أنه صلى الله عليه وسلم عد الفاتحة سبع آيات، وعدَّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية منها، رواه البخاري(ت 256) في تاريخه[890].

وروى الدارقطني(ت 385)[891] عن أبي هريرة(ت 57) رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قَرَأْتُمْ ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ فاقرؤوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إنها أُمُّ القُرآنِ وأُمُّ الكِتابِ والسَّبْعُ المَثاني، و﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إحْدى آياتِها"[892].

---

887 أي البيضاوي، ومما ورد في آخر كلامه قوله: "ولنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن (بسم الله الرحمن الرحيم) ... اختلف في أنها آية برأسها أم بما بعدها، والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله سبحانه..." تفسير البيضاوي: سورة الفاتحة 17/1 وما بعدها.

888 هو شمس الدين محمد بن محمد، الخطيب الشربيني القاهري الشافعي، الورع الزاهد، من أهم مصنفاته شرحه لكتاب المنهاج وكتاب التنبيه، وله في التفسير بالرأي: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، توفي سنة 977. انظر التفسير والمفسرون 338/1.

889 انظر السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني 3/1.

890 قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى 416/22: "وأعجب من ذلك أن من أفاضل الفقهاء من لم يُعز في كتابه حديث إلى البخاري إلا حديثا في البسملة، وذلك الحديث ليس في البخاري"، ولم يذكر رحمه الله تعالى لا الفقيه ولا الحديث.

891 هو شيخ الإسلام وحافظ الزمان أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود البغدادي الدارقطني، الثقة الثبت الحجة، برع في القراءات والحديث - وخاصة علم علله- والنحو وغير ذلك، من تصانيفه الكثيرة: السنن، والمختلف والمؤتلف، وكتاب العلل، ولد سنة 306 وتوفي عام 385. انظر سير أعلام النبلاء 449/16 وشذرات الذهب 116/3 وغاية النهاية في طبقات القراء 558/1 والرسالة المستطرفة لمحمد الكتاني ص23.

892 سنن الدارقطني: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة والجهر بها 36- 312/1، وفيه: "إحداها" بدل "إحدى آياتها".
وفي مجموع الفتاوى 416/22: "قال الدارقطني لما دخل مصر وسئل أن يجمع أحاديث الجهر بها، فجمعها فقيل له: هل فيها شيء صحيح؟ فقال: أما عن النبي فلا، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف".

/[168] وروى ابن خزيمة(ت 311)[893] بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عد ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية و"الحمد لله رب العالمين" إلى آخرها ست آيات[894]"، هـ[895].

ثم قال: وهي آية من كل سورة إلا "براءة"؛ لإجماع الصحابة على إثباتها في المصحف بخطه أوائل السور سوى "براءة"[896] مع المبالغة في تجريد القرآن عن الأعشار وتراجم السور[897] والتعوذ، حتى لم تكتب "آمين"، /[169] فلو لم تكن قرآنا لما أجازوا ذلك؛ لأنه يؤدي إلى[898] اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، وأيضا هي آية من القرآن في سورة النمل قطعا (أي بعض آية كما لا يخفى)[899]، ثم إنا نراها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه.

فإن قيل: لعلها ثبتت للفصل[900]، أجيب بأنه يلزم عليه اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا.

---

893 هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، أحد أعلام الأمة حفظا وفقها وزهدا، ثقة صادق، من مؤلفاته: صحيح ابن خزيمة. توفي سنة 311. انظر سير أعلام النبلاء365/14 والجرح والتعديل 196/7 وغاية النهاية في طبقات القراء 97/2.

894 انظر صحيح ابن خزيمة : كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من فاتحة الكتاب 493- 248/1.

895 السراج المنير للشربيني 4/1.

896 في تفسير القرطبي : تفسير سورة براءة 61/8: "واختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أول هذه السورة على أقوال خمسة ..."، وفي 63/8 منه: "والصحيح أن التسمية لم تكتب؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة"، وفي تفسير ابن كثير: سورة التوبة 332/2: "وإنما لم يبسمل في أولها؛ لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام"، وانظر عون المعبود: باب من جهر بها - أي بالبسملة- 352/2 و353.

897 قال الشربيني في تفسيره السراج المنير 5/1: "فائدة: ما أثبت في المصحف الآن من أسماء السور والأعشار شيء ابتدعه الحجاج في زمنه".

898 في السراج المنير للشربيني 5/1: يحمل على.

899 هذه العبارة من إضافة المؤلف رحمه الله تعالى.

900 قال مكي في كتاب الكشف عن وجوه القراءات 21/1 وما بعدها : "الذي أختاره لنفسي أن أ فصل بين كل سورتين بالتسمية اتباعا لخط المصحف ولقول عائشة: "اقرأوا ما في المصحف" ... وليتبين بذلك أن السورة الأولى قد تمت وأن الثانية مبتدأ بها ... ولست ممن يعتقد أنها آية في شيء من القرآن، إنما هي بعض آية في النمل".
وانظر دليل من "قال: إن البسملة في أوائل السور إنما هي للفصل" في عون المعبود: باب من جهر بها أي بالبسملة 353/2 الذي علق عليه بقوله: "قال المنذري: هذا مرسل".
هذا وقد رُد القول بأن البسملة ثبتت للفصل بين السور بوجوه منها "لو كان للفصل لكتبت بين براءة والأنفال ولما كتبت في أول الفاتحة" نيل الأوطار 228/2.

فإن قيل: القرآن إنما يثبت بالتواتر[901]، أجيب بأن محله فيما ثبت قرآنا قطعا، /[170] أما ما يثبت قرآنا حكما فيكفي فيه الظن كما يكفي في كل ظني خلافا للباقلاني(ت 403)، وأيضا إثباتها في المصحف بخطه - من غير نكير- في معنى التواتر، وأيضا قد يثبت التواتر عند قوم دون آخرين[902].

فإن قلت: لو كانت قرآنا لكفر جاحدها، أجيب بأنها لو لم تكن قرآنا لكفر مثبتها، وأيضا التكفير لا يكون بالظنيات[903]، أما "براءة" فليست منها إجماعا، هـ بخ[904].

(وفي حاشية شيخنا مولانا أحمد بن الخياط الحسني[905] رضي الله عنه [على][906] شرح المصطلح ما نص المراد منه:

ما تقرر[907] من الخلاف في كون البسملة آية من القرآن أم لا، مرجعه النظر إليها باعتبار طرق القراءة:

فمن تواترت عنده في حرفه قال بقرآنيتها، فكل من قرأ بتلك القراءة وجبت عليه في الصلاة بوجوب الفاتحة التي هي منها، ولذلك أوجبها

---

901 قال مكي في كتاب الكشف 23/1: "القرآن لايثبت بأخبار الآحاد التي لايقطع على غيبها، إنما يثبت القرآن بالإجماع والأخبار المتواترة المقطوع على غيبها، ولاتواتر ولاإجماع في أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من الحمد".

902 انظر هذا الجواب في نيل الأوطار 228/2.

903 "وقد أوضحت ذلك مع زيادة في شرحي: التنبيه والمنهاج" السراج المنير 5/1.

904 السراج المنير للشربيني 4/1 و5 بتصرف يسير.

905 هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي الدار، المشار إليه في المغرب بإتقان العلوم والفتوى، كان أستاذا في الفقه والأصول والحديث وحامل لواء المفسرين والمحققين، أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ عبد الواحد بناني، وترأس المجلس العلمي بفاس، من كتبه: حاشية على شرح الخرشي لفرائض المختصر، ومختصر في التوحيد، وحواش على المصطلح الحديثي، ولد سنة 1252 وتوفي عام 1343 ودفن بالرميلة بفاس رحمه الله تعالى. انظر على رأس الأربعين لمحمد داود ص219 والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 320/2.

906 في المخطوط: عن.

907 في حاشية ابن الخياط على شرح محمد الفاسي لنظم ألقاب الحديث - المسمى: الطّرفة، أو: الدّرة- لمحمد العربي الفاسي: كراسة1 ص2 و7: "المناسب لهذا الفن مما يتعلق بالبسملة أن يتكلم عليها من وجهين، أحدهما: ما تقرر من الخلاف ...، الثاني: حديث الابتداء بالبسملة ...".

الشافعي[908] في الصلاة؛ لكون قراءته قراءة ابن كثير، وهو كعاصم والكسائي[909] يبسملون في أول كل سورة - الفاتحة وغيرها-، ويعتقدونها آية في ذلك كله، وحمزة يعتقدها آية في الفاتحة خاصة[910] كما للسخاوي[911].

ومن لم تتواتر عنده في حرفه نفى قرآنيتها فينتفي وجوبها في الصلاة عمن قرأ بتلك القراءة؛ لأن القرآن طريقه التواتر، ومن ثم لم يوجبها مالك في الصلاة بل أجازها في النفل وكرهها في الفرض؛ لكون قراءته قراءة من لم يبسمل كنافع في رواية ورش وكالبصري والشامي[912].

فالخلاف فيها كالخلاف في القراءات[913]، وهو مشكل بأنه يلزم عليه تكفير من أثبتها ومن نفاها؛ لأن الخلاف في القراءة ثابت كله متواتر، وليس لأحد إنكار ما أثبته صاحبه، وإنكاره كفر لتواتر ذلك عند أصحابه وعلمه بالضرورة[914].

---

908 "والمشهور من قول الشافعي أن التسمية آية في الحمد لاغير، وهذا مما اختلف فيه الصدر الأول" الكشف : باب علل البسملة 23/1.

909 انظر الكشف 23/1 ونيل الأوطار 218/2.

910 قال مكي في الكشف 16/1 : "فإن قيل: فما علة من أسقط التسمية بين كل سورتين ولم يثبت التسمية إلا في أول قراءته، وهو حمزة؟ فالجواب أنه لما كانت (بسم الله الرحمن الرحيم) ليست بآية من كل سورة- عنده وعند جماعة الفقهاء- أسقطها في وصله السورة بالسورة؛ لئلا يظن ظان أنها آية من أول كل سورة، فالقرآن عنده كله كالسورة الواحدة، فكما لايفصل بين بعض سورة وبعض بالتسمية كذلك لايفصل بين سورة وسورة بالتسمية، فأما ثباتها في المصحف فإنما ذلك ليُعلم فراغ سورة وابتداء أخرى".

911 أي في كتابه: جمال القراء وكمال الإقراء 484/2.
والسخاوي هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد، مقرئ مفسر نحوي، ولد سنة 558 أو559 وتوفي عام 643. انظر سير أعلام النبلاء 122/23 وطبقات المفسرين للداودي 429/1 وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 447/1.

912 "فعدها آية الكوفي والمكي، ولم يعدها آية البصري ولاالشامي ولاالمدني" الكشف 23/1 و25، وانظر أيضا نيل الأوطار 218/2 و219، والمدني هو نافع بن عبد الرحمن المدني إمام المقرئين بالمدينة المنورة، والبصري هو أبو عمرو بن العلاء المازني، والشامي هو عبد الله بن عامر الدمشقي.

913 "كما قاله ابن الجزري وغيره، وأشار إليه الشيخ سيدي محمد بن الحسن بناني في حاشيته ...، ناقلا له عن البقاعي عن شيخه الحافظ ابن حجر، وأقره واستحسنه، وأصله للشيخ أبي أمامة ابن النقاش ...، ونحوه قول الإمام السيوطي ..." حاشية ابن الخياط على شرح محمد الفاسي لنظم ألقاب الحديث - المسمى: الطرفة، أو: الدرة- لمحمد العربي الفاسي: كراسة1 ص3.

914 وذلك "كقراءة ابن كثير في سورة التوبة : (تجري **من** تحتها الأنهار) وقراءة غيره: (تجري تحتها) بدون: من، ونحو ذلك" حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص3، والمقصود هنا الآية رقم 101، لا الآية 73 ولا 90.

والخلاف في البسملة ليس كذلك؛ إذ كل فرقة تعتقد خلاف ما اعتقدته صاحبتها وتنفي ما أثبتته مُقابِلتُها، ومع ذلك لا سبيل لها إلى تكفير صاحبتها؛ لأنه لم تثبت حجة قاطعة[915] بإثباتها ولا بنفيها.

فالظاهر أن الخلاف فيها ليس كالخلاف في القراءات، بل من باب اختلاف الرأي والاجتهاد، فهو من باب الأقوال المنظور فيها[916]، ولذا قال ابن الحاجب[917] - أي تبعا لابن العربي[918]-: قوة الشبهة من الجانبين منعت من التكفير[919].

وقال السبكي[920]: "ومنه البسملة أول كل سورة -غير براءة- على الصحيح"، فحكى الخلاف وصحح[921]، ولو كان من اختلاف القراءات لاكتفى بقوله بَعْدُ: "والسبع متواترة"[922].

---

915 أي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

916 هذا الرأي هو لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي في "المحاذي" تبعا لأبي بكر الباقلاني في "الانتصار"، انظر حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص4.

917 هو الإمام العلامة أبو بكر عثمان بن عمر بن أبي بكر الرويني ثم المصري المشهور بابن الحاجب، الفقيه المالكي، ألف في القراءات والأصول والعربية منها: منتهى الوصول والأمل في عِلمَي الأصول والجدل، ولد سنة 571 وتوفي عام 646. انظر الديباج المذهب 86/2 وغاية النهاية في طبقات القراء 508/1 ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار 648/2.

918 مضى قول ابن العربي قبل قليل.

919 "قوة شبهة كل عنده تمنع تكفيره لدلالتها على أنه غير مكابر للحق ولا قاصد لانكسار ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قطعا، قاله ابن الحاجب" حاشية البناني على شرح المحلي على متن جمع الجوامع: الكتاب الأول 364/1.

920 هو العلامة أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الملقب بتاج الدين السبكي الأنصاري الخزرجي الشافعي، عالم فاضل فقيه أصولي محدث أديب، من أشهر مصنفاته: جمع الجوامع في أصول الفقه، ولد سنة 727 وتوفي عام 771. انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 256/2 والفتح المبين 184/2.

921 "فحكى الخلاف في قرآنيتها وصحح أنها منه على مذهبه؛ لأنه شافعي المذهب" حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص4.

922 قال السبكي في تعريفه للقرآن: "اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته، ومنه البسملة أول كل سورة - غير براءة- على الصحيح، لا ما نقل آحادا على الأصح، والسبع متواترة؛ قيل: فيما ليس من قبيل الأداء - كالمد والإمالة وتخفيف الهمزة، قال أبو شامة: والألفاظ المختلف فيها بين القراء. ولا تجوز القراءة بالشاذ؛ والصحيح أنه ما وراء العشرة وفاقا للبغوي والشيخ الإمام [أي والده]، وقيل: ما وراء السبعة، أما إجراؤه مجرى الآحاد فهو الصحيح" شرح المحلي على متن جمع الجوامع: الكتاب الأول في الكتاب ومباحث الأقوال 357/1 وما بعدها.

وعلى هذا فما نسبه السخاوي للمكي[923] وعاصم والكسائي من اعتقاد قرآنيتها غير متجه؛ لأنهم إن اعتقدوه لتواترها عندهم وجب المصير إلى قولهم على جميع المسلمين وانتفى الخلاف حينئذ في قرآنيتها (بل صار منكرها كافرا)[924]، وإن اعتقدوه رأيا ومذهبا - وهو الظاهر- كانوا من أهل الأقوال المنظور فيها، فالخلاف الذي بين الفقهاء فيها هو الذي بين القراء[925]، ثم محل الخلاف في الصلاة، وأما في غيرها فيندب الابتداء بها إجماعا من القراء وغيرهم[926].

ثم الراجح من أقوال 10: أنها ليست من القرآن[927] - لا من الفاتحة ولا من غيرها- لا في مذهب من بسمل بين السورتين ولا في مذهب من لم يبسمل، يدل لذلك كلام ابن العربي[928]، وقال الباقلاني: الصحيح الذي نختاره أن البسملة ليست آية من غير "النمل"، وأن القطع بذلك واجب، وأنه لا حجة في شيء مما ذكروه قاطعة على أنها آية من القرآن[929]،هـ.

وقال في المحاذي[930]: إذا ثبت أنه لا ثبات للقرآن إلا بالتواتر ولا عبرة فيه بنقل الآحاد، فالبسملة لم تثبت بالتواتر، فلا تثبت قرآنيتها، فالاستدلال على ثبوت قرآنيتها بأحاديث لا يفيد؛ لأنا لو فرضنا صحة تلك الأحاديث لكانت أخبار آحاد، ولا يثبت قرآن بخبر آحاد، والاستدلال أيضا على ذلك بثبوتها في المصحف لا يفيد أيضا؛ لأنه عُلم أن المرجوع إليه في إثبات القرآن إنما هو الحفظ والرواية الإجماعية، وكذا الاستدلال بتكرر

---

923 المكي هو ابن كثير.

924 هي إضافة من المؤلف رحمه الله تعالى.

925 "كما يؤخذ مما قدمناه، وكما نقله شيخ بعض شيوخنا ... أبو العلاء سيدي ادريس الودغيري الحسني في كتابه: التوضيح والبيان، عن شيخه أبي عبد الله المذكور" حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص4.

926 "كما في شرح المواهب وغيره" المرجع السابق.

927 "ثم الصحيح من أقوال عشرة فيها في غير النمل وبراءة - ذكرها الشهاب الخفاجي في حاشية البيضاوي، ونقلها عنه العلامة الهلالي في شرح خطبة المختصر، وبيِّن جلها- أنها ليست من القرآن ..." حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص4.

928 وقد مضى قبل قليل في ص 112.

929 انظر نكت الانتصار لنقل القرآن ص74.

930 هذا الكتاب الذي ينقل منه مرارا أحمد بن الخياط هو لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري (ت 1214)، وهو من أشياخ شيوخه رحم الله الجميع. انظر فهرسة سيدي أحمد بن الخياط: الورقة 8.

النزول: مع الفاتحة مرة وبدونها أخرى[931].

ومن أوضح الأدلة على أنها ليست من القرآن حديث مسلم: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، وحديث: أنزلت علي سورة ليس في التوراة لخ[932]، وحديث مسلم عن أنس: صليت مع رسول الله لخ[933]، ويَبْعُدُ أن يصحبه عليه السلام عشر سنين ثم الخلفاء بعده[934] ولم يسمع منهم الجهر بها، وهذا المروي عنه أصح مما روي عنه أنه لم يحفظ فيها شيئا[935]، هـ.

فانظر بسط ذلك في الحاشية المذكورة[936] تقف على الحق ببرهانه، والله أعلم)[937].

/[171] **الفصل السادس:** في حكمها في الصلاة

قال ابن جزي(ت 741): لا يبسمل في الصلاة عند الإمام مالك

---

931 أي "مرة بمكة ومرة بالمدينة ...؛ لأنه خبر آحاد هـ" [انتهى كلام أبي عبد الله محمد ابن عبد السلام الفاسي من المحاذي]: حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص5.

932 سبق تخريج هذا الحديث والذي قبله في أوائل هذا الفصل الخامس.

933 انظر التعليق عليه في كلام الثعالبي في أوائل هذا الفصل الخامس.
وبخلاف هذا عقد - مثلا- الإمام ابن خزيمة في صحيحه "كتاب الصلاة" أبوابا عنونها بما يلي: "باب ذكر الدليل على أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من فاتحة الكتاب" 248/1، "باب ذكر خبر غَلط في الاحتجاج به مَن لم يَتبحر بالعلم فتوَهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ب(بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة في فاتحة الكتاب ولافي غيرها من السور" 249/1، "باب ذكر الدليل على أن أنسا إنما أراد بقوله: لم أسمع أحدا منهم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم)، أي لم أسمع أحدا منهم يقرأ جهرا وأنهم كانوا يسرون (بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة ..." 249/1، "باب ذكر الدليل على أن الجهر ب(بسم الله الرحمن الرحيم) والمخافتة به جميعا مباح ليس واحد منهما محظورا، وهذا من اختلاف المباح" 251/1.

934 "خمسا وعشرين سنة" حاشية ابن الخياط : كراسة1 ص6.

935 "ثم ما ذكرناه عن أنس رضي الله عنه هو المحفوظ عنه من رواية شعبة بن الحجاج عن قتادة بن دعامة عنه، وهي مقدمة على رواية أبي مسلمة سعيد بن يزيد الأزدي البصري أنه سأل أنسا: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح ب"الحمد لله" أو بالبسملة؟ فقال: لا أحفظ فيه شيئا؛ لأن قتادة أحفظ من أبي مسلمة بلا نزاع، كما في شرح المواهب" حاشية ابن الخياط: كراسة1 ص6.
وانظر انتصار ابن تيمية لحديث أنس في نفي الجهر بالبسملة بوجوه مختلفة وأدلة قوية في صفحات متعددة من مجموع الفتاوى 410/22 وما بعدها، قال ابن تيمية في 430/22 منه: "والأمر في رواية أنس أظهر وأشهر وأصح وأثبت من أن يعارض...".

936 انظر حاشية ابن الخياط على شرح محمد الفاسي لنظم ألقاب الحديث - المسمى: الطرفة، أو: الدرة- لمحمد العربي الفاسي: كراسة1 ص2-6.

937 كل هذا الكلام مستدرك في هوامش ست صفحات من المخطوط بعبارة "صح"، من ص170 إلى ص 165 نزولا.

(ت 179)[938]، ويبسمل عند الشافعي(ت 204) جهرا في الجهر وسرا في السر[939]، وعند أبي حنيفة(ت 150) سرا في الجهر والسر[940]:

فحجة مالك من وجهين، أحدهما أنها عنده ليست آية من الفاتحة[941]، والآخر الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: صليتُ خلف رسول الله(ت 11) صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون ب"الحمد لله رب /[172] العالمين" ولا يذكرون "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول الفاتحة ولا في آخرها[942].

وحجة الشافعي من وجهين: أحدهما أن البسملة عنده آية من الفاتحة، والآخر ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا[943]، هـ.

وقال ابن العربي في الأحكام:

"فإن قيل: فهل تجب قراءتها في الصلاة؟ قلنا: لا تجب؛ فإن أنس بن مالك رضي الله عنه رَوَى أنه صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم يكن /[173] أحد منهم يقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم"[944]، ونحوه عن عبد الله بن مغفّل[945].

---

938 "قال مالك: لا يقرأ في الصلاة "بسم الله الرحمن الرحيم" في المكتوبة لا سرا في نفسه ولا جهرا، ... وهي السنَّة وعليها أدركتُ الناس، ... وفي النافلة: إن أحبَّ فعل وإن أحبَّ ترك، ذلك واسع" المدونة الكبرى: كتاب الصلاة، القراءة في الصلاة 64/1، وفي بداية المجتهد 127/1: "... لا في استفتاح أم القرآن ولا في غيرها من السور ...".

939 "وهي عنده آية من فاتحة الكتاب" بداية المجتهد 127/1، وهو مذهب "الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين وطائفة من أهل الحديث بناء على أنها من الفاتحة" في الفتاوى الكبرى 435/22.

940 وهو قول الثوري وأحمد أيضا في بداية المجتهد 127/1، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى 435/22 و436: "إن قراءتها جائزة بل مستحبة، وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه وأكثر أهل الحديث".

941 " ولا من غيرها من السور" الكشف 13/1.

942 انظر التعليق عليه في كلام الثعالبي في أوائل الفصل السابق.

943 انظر التعليق على كل هذا في كلام ابن جزي في أول الفصل السابق، وما ورد في الحديث هو في كلام ابن جزي السابق : "وحجة الشافعي ما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين)".

944 مضى قبل قليل.

945 انظر مسند أحمد: حديث عبد الله بن مغفل المزني 85/4، وسنن ابن ماجة: باب افتتاح القراءة 815- 267/1، وسنن الترمذي: باب ما جاء في ترك الجهر ب(بسم الله الرحمن الرحيم) 244- 12/2، والسنن الكبرى للنسائي: قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) 980- 315/1، وسنن البيهقي الكبرى: باب من قال: لا يجهر بها 2248- 52/2. = =

فإن قيل: الصحيح من حديث أنس: فكانوا يفتتحون الصلاة ب(الحمد لله رب العالمين)، وقد قال الشافعي: معناه أنهم كانوا لا يقرأون شيئا قبل الفاتحة، قلنا: هذا تأويل لا يليق[946]، وأنس وابن مغفل إنما قالا هذا ردا على من يرى قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم".

فإن قيل: قد[947] روى جماعة قراءتها وقد تولى الدّارَقُطْنِي جميع ذلك في جزء صححه[948].

/[174] قلنا: لسنا ننكر الرواية لكن مذهبنا يترجح بأن أحاديثنا وإن كانت أقل فإنها أصح وبوجه عظيم، وهو المعقول في مسائل كثيرة من الشريعة، وذلك أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة انقرضت[949] عليه العصور ومرت عليه الأزمنة من لدن زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمان مالك ولم يقرأ أحد قط فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" /[175] اتباعا للسنة، بيد أن أصحابنا استحبّوا قراءتها في النفل وعليه تحمل الآثار الواردة في قراءتها"[950]، هـ.

أقول: قد كان جماعة من المالكية كالمازري(ت 536)[951] وغيره يقرؤونها سرا في الفريضة خروجا من الخلاف[952]، كما ذكره شراح

= = وابن مغفل هو أبو سعيد عبد الله بن مغفل بن عفيف بن أسحم المزني المدني ثم البصري، ويقال: أبو عبد الرحمن، من أصحاب الشجرة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وآخرين، عنه حميد بن هلال وآخرون، قيل: توفي سنة 60. انظر تهذيب التهذيب 75- 38/6.

946 في الأحكام 3/1: لا يليق بالشافعي لعظيم فقهه.

947 في الأحكام: فقد.

948 انظر سنن الدارقطني : كتاب الصلاة، "باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك" حيث أخرج أربعين رواية- 302/1 وما بعدها- قال في بعضها: "صحيح ورواته كلهم ثقات" 305/1، قيل للدارقطني: "هل فيها شيء صحيح؟ فقال: أما عن النبي فلا، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف" مجموع الفتاوى 416/22، وفي روح المعاني 46/1: "وعن الدارقطني أنه صنف كتابا في الجهر، فأقسم عليه بعض المالكية ليعرفه الصحيح فقال: لم يصح في الجهر حديث".

949 في الأحكام : انقضت.

950 أحكام القرآن لابن العربي 3/1.

951 هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المالكي المحدث، مصنف "المعلم في شرح مسلم"، توفي بالمهدية - عن 83 سنة- عام 536. انظر شذرات الذهب 114/4 والديباج المذهب 250/2.

952 عقد ابن خزيمة في صحيحه- كتاب الصلاة- بابا قال فيه: "باب ذكر الدليل على أن أنسا إنما أراد بقوله: لم أسمع أحدا منهم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم)، أي لم أسمع أحدا منهم يقرأ **جهرا** (بسم الله الرحمن الرحيم) وأنهم كانوا **يسرون** (بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة، لا كما توهم من

خليل(ت 776)[953] ومحشوه لدى قوله: (وكرها) أي التعوذ والبسملة (بفرض)، والخروج من الخلاف مستحب كما في /[176] الزرقاني(ت 1099) وغيره[954]، والله أعلم[955].

لم يشتغل بطلب العلم من مظانه، وطلب الرئاسة قبل تعلم العلم"، وأخرج عن أنس خبرا بأربع روايات فيها عدم الجهر بالبسملة والإسرار بها، ثم عقد بعد هذا مباشرة بابا قال فيه: "باب ذكر الدليل على أن الجهر ب(بسم الله الرحمن الرحيم) والمخافتة به **جميعا مباح** ليس واحد منهما محظورا، وهذا من اختلاف المباح" 249/1 وما بعدها. وفي شرح السنة للبغوي 52/3: "باب افتتاح القراءة بالفاتحة وترك الجهر بالتسمية".

[953] هو أبو الضياء خليل بن إسحاق بن موسى الشهير بالجندي، الفقيه المالكي، كان محيطا بالمذهب مشاركا في سائر علوم الشريعة، من أشهر مؤلفاته الغزيرة: مختصره في الفقه المالكي، توفي سنة 776 كما ذكره الحجوي الثعالبي في الفكر السامي 223/2، وانظر أيضاالديباج المذهب 357/1 وشرح الدردير على مختصر خليل 9/1.

[954] قال الزرقاني في شرحه على مختصر خليل 216/1: "(وكرها) أي التسمية والتعوذ (بفرض) قبل فاتحة أو سورة بعدها على المشهور، والورع البسملة أول الفاتحة للخروج من الخلاف، قاله القرافي وغيره، وكان المازري يبسمل سرا فقيل له في ذلك، فقال: مذهب مالك على قول واحد: من بسمل لم تبطل صلاته، ومذهب الشافعي على قول واحد: من تركها بطلت صلاته اهـ ، أي وصلاة يتفقان على صحتها خير من صلاة يقول أحدهما ببطلانها"، وقصة المازري هاته في تذكرة المقريزي عن الميانشي كما في فيض القدير: حرف الكاف 117/5.

[955] إن موضوع البسملة والنزاع العميق حوله وتضارب الأدلة الواردة فيه لا يخلو من إنصاف علمائنا الأجلاء : فقد عنون ابن خزيمة - كما سبقت الإشارة إليه- بابا في كتاب الصلاة من صحيحه بقوله: "باب ذكر الدليل على أن الجهر ب(بسم الله الرحمن الرحيم) والمخافتة به جميعا مباح ليس واحد منهما محظورا، وهذا من اختلاف المباح" 251/1.

والإمام ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد - كتاب الصلاة: المسألة الرابعة- 128/1 بعدما حكى استدلال كل من الفريقين - من قال بقرآنية البسملة ومن خالفهم- بأن البسملة لو كانت كما يقول المخالف لبينه رسول الله عليه السلام، علق بقوله: "وهذا كله تخبط وشيء غير مفهوم، فإنه كيف يجوز في الآية الواحدة بعينها أن يقال فيها: إنها من القرآن في موضع، وإنها ليست من القرآن في موضع آخر؟، بل يقال: إن (بسم الله الرحمن الرحيم) قد ثبت أنها من القرآن حيثما ذكرت وأنها آية من سورة النمل، وهل هي آية من سورة أمّ القرآن ومن كل سورة يستفتح بها؟: مختلف فيه والمسألة محتملة؛ وذلك أنها في سائر السور فاتحة، وهي جزء من سورة النمل، فتأمل هذا فإنه بين، والله أعلم".

وقد أفادنا الشوكاني "إفادة المنصف ما هو الصواب في المسألة؟: وأكثر ما في المقام الاختلاف في مستحب - أو مسنون- ، فليس شيء من الجهر وتركه يقدح في الصلاة ببطلان بالإجماع، فلا يَهولنّك تعظيم جماعة من العلماء لشأن هذه المسألة والخلاف فيها، ولقد بالغ بعضهم حتى عدّها من مسائل الاعتقاد" نيل الأوطار 223/1.

أما ابن تيمية - رحم الله الجميع- فله في مجموع الفتاوى 405/22- 443 مبحث طويل قيم انتصر فيه لرأي جامع وسط - هو قراءة البسملة سرا- بأدلة نقلية وعقلية، وناقش بموضوعية كل ما ورد من نصوص وحجج في الباب ليخلص في 433/22 منه إلى أن "الأقوال في كونها من القرآن ثلاثة: طرفان ووسط..."، وفي 435/22 منه إلى أن "الخلاف أيضا في قراءتها في الصلاة ثلاثة أقوال..."، وإلى أنه "مع قراءتها هل يسن الجهر أو لا يسن؟ على ثلاثة أقوال...".

وبطريقة جامعة منصفة قال في 436/22 و437 منه: = =

الفصل السابع: حكم الابتداء بالبسملة[956]

الابتداء بالبسملة مطلوب في كل أمر ذي بال؛ للحديث الحسن -(خلافا لمن ضعّفه)[957]-: كُلُّ أمْر ذي بالٍ لا يُبْدَأ فيهِ بـ"بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ" أقْطَعُ أو أبْتَرُ أو أجْذَمُ[958]، وفيه روايات انظرها في كتب الحديث وطبقات السبكي(ت 771)[959] وغيرها[960].

= = "ومع هذا فالصواب أن ما لا يجهر به قد يشرع الجهر به **لمصلحة راجحة**: فيشرع للإمام أحيانا لمثل تعليم المأمومين، ويسوغ للمصلين أن يجهروا بالكلمات اليسيرة أحيانا، ويسوغ أيضا أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة خوفا من التنفير عما يصلح كما ترك النبي بناء البيت على قواعد إبراهيم لكون قريش كانوا حديثي عهد بالجاهلية وخشي تنفيرهم بذلك،... وغير ذلك مما فيه **العدول عن الأفضل إلى الجائز المفضول مراعاة ائتلاف المأمومين** أو لتعريفهم السنة وأمثال ذلك والله أعلم".

ومما قاله قبل هذا: "وأما التعصب لهذه المسائل ونحوها فمن شعائر الفرقة والاختلاف الذي نهينا عنها...، فهذه المسائل من أخف مسائل الخلاف جدا" 405/22، "فمتابعة الآثار فيها الاعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور" 408/22.

[956] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[957] هي في الهامش بعبارة "صح".

وفي كشف الخفا: حرف الكاف 1964- 156/2: "ورواه أبوداود عن أبي هريرة بلفظ: كل أمر ذي بال لا يبدأ في ب(بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أبتر، وفي لفظ: فهو أقطع، وفي لفظ: فهو أجذم، **والحديث حسن**".

أما ابن حجر فقال في الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف- بهامش الكشاف- 4/1: "وللخطيب في الجامع من طريق مبشر بن إسماعيل عن الزهري بلفظ: لا يبدأ فيه ب(بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أقطع، والراوي له عن مبشر مجهول".

قال في روح المعاني 67/1 بعدما ذكر الحديث وشرحه: "وقد اضطرب الحديث هنا فوقع في بعض الروايات ...، إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتتبع حتى قيل: إنه مضطرب سندا ومتنا، ولولا أنه في فضائل الأعمال ما اغتفر فيه ذلك، على أنه **تقوّى بالمتابعة معنى** أيضا...".

[958] في روح المعاني 66/1: " والبال: الحال والشأن، فمعنى ذي بال: شريف يحتفل به ويهتم كأنه شغل القلب وملكه".

وفي عون المعبود: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام 126/13 و127: "أجذم: قال الخطابي: معناه المنقطع الأبتر الذي لا نظام له، وفسره أبو عبيد فقال: الأجذم المقطوع اليد، انتهى. وفي رواية ابن ماجة: "أقطع" أي مقطوع البركة على وجه المبالغة، أي أقطع من كل مقطوع".

[959] انظر مقدمة طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي 5/1- 24، وقد لخص كلام السبكي في روايات هذا الحديث في شرح سنن ابن ماجة 1894- 136/1، وانظر أيضا فيض القدير: حرف الكاف 13/5 و14.

وهذا الطلب على وجه الندب، وقد تجب في الذكاة ونحوها[961]، وتحرم

---

[960] انظر مسند أحمد 8697- 359/2، وسنن ابن ماجة: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح 1894- 610/1، وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام 4840- 261/4، والسنن الكبرى للنسائي: كتاب عمل اليوم والليلة، ما يستحب من الكلام عند الحاجة 10328- 10331- 127/6 و128، وصحيح ابن حبان: باب ما جاء في الابتداء بحمد الله تعالى 1 و2- 173/1 و174،والمعجم الكبير: باب الكاف: كعب بن مالك الأنصاري 141- 72/19، وشعب الإيمان: الثالث والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في تعديد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها 4372- 90/4، وجميع الروايات فيها من حديث أبي هريرة إلا ما ورد في المعجم الكبير، وكلها بلفظ "بحمد الله" بدل "ببسم الله الرحمن الرحيم"، أما بلفظ (بسم الله الرحمن الرحيم) فمما ورد في شرح سنن ابن ماجة 1894- 136/1: "... وموضع "بالحمد": "بالحمد لله" و"بحمد الله والصلاة علي" و"بذكر الله" وب(بسم الله الرحمن الرحيم)"، وفي فيض القدير: حرف الهمزة 296/1: "يدل له خبر: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ب(بسم الله الرحمن الرحيم)"، وانظر أيضا كشف الخفا: حرف الكاف 1964- 156/2.

قال ابن الخياط في حاشيته على شرح محمد الفاسي لمنظومة محمد العربي الفاسي: كراسة1 ص7: "حديث الابتداء بالبسملة رواه الخطيب في جامعه والرهاوي في أربعينه وابن بشكوال في فوائده وابن السبكي في طبقاته والسيوطي في جامعيْه الكبير والصغير وحاشيته على البيضاوي، **وقال** خاتمة الحفاظ بالمغرب أبو العلاء سيدي ادريس بن محمد العراقي الحسني: مدار طرقهم على رجل واحد قال بعض الحفاظ فيه: ليس بشيء، وآخر: جهله الحافظ ابن حجر، وآخر: ضعيف؛ ولأجل هذا جزم الحافظ ابن حجر بأن إسناده واه، وهو الشديد الضعف، ولا يُعمَل به حتى في فضائل الأعمال حسبما هو مقرر في كتب الاصطلاح وتواريخ الرجال هـ. **قال** ... محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ...: قلت: وانظره مع إطباق من لا يحصى من الفقهاء والمحدثين وغيرهم على ذكره، وتوجيه ابتداء البسملة به من جملة التوجيهات التي وجهوا بها، وتلقيهم له بالقبول، وقد صرح السيوطي وغير واحد من الحفاظ بأن **من دليل صحة الحديث عمل أهل العلم به وإن لم يكن له إسناد**، على أن ابن حجر الهيثمي صرح في أول شرحه للهمزية بأنه **حسن وصحيح**، والشيخ "ز" [أي زكرياء الأنصاري] قال في أول شرحه لألفية العراقي: **حسنه ابن الصلاح وغيره** هـ. وكذا **حسنه النووي** في الأذكار قائلا: وقد روي موصولا ومرسلا، والسبكي في الطبقات الكبرى، والسيوطي في حاشية البيضاوي، والمناوي في شرح الجامع الصغير، **فكيف هذا** مع قول الحافظ ابن حجر: سنده واه، وقول أبي العلاء: لا يعمل به حتى في الفضائل، اعتمادا على كلام الحافظ؟ والله سبحانه أعلم".

[961] فيه خلاف وتفصيل في بداية المجتهد: كتاب الذبائح 451/1 و كذا في نيل الأوطار: باب التسمية للوضوء 165/1 وما بعدها.

وقال الصنعاني في سبل السلام: باب الوضوء 54/1 – وهو يتحدث عن التسمية في الوضوء- : "وقد دل على السنية حديث: كل أمر ذي بال، فيتعاضد هو وحديث الباب على مطلق الشرعية، وأقلها الندبية"، وقال في باب الصيد والذبائح 82/4: "أجمع المسلمون على أن من أكل متروك التسمية عليه فليس بفاسق".

هذا ولم يختلف علماؤنا الأجلاء في حكم التسمية في الموضوع الواحد ومن مسألة لأخرى فحسب، بل أثبتوا اختلاف نوع الذكر المخصص لكل مسألة على حدة من حمد وبسملة وتكبير وغير ذلك؛ قال في فتح الباري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ...) 220/8: " ... فالابتداء بالحمد واشتراط التشهد خاص بالخطبة، بخلاف بقية الأمور المهمة: فبعضها يبدأ فيه بالبسملة تامة كالمراسلات، وبعضها ب (بسم الله) فقط كما في أول الجماع والذبيحة، وبعضها بلفظ من الذكر مخصوص كالتكبير، وقد = =

في المُحرّم، وتكره في المكروه[962]، وليس هناك صورة تكون فيها مباحة[963]، والله أعلم.

الفصل الثامن: سر الافتتاح بالبسملة[964]

/[177] قال في البغية:

في افتتاح الكتاب العزيز وغيره بالبسملة **نكتة لطيفة** وهي أن كل كتاب مفتتح بها لابد أن يشتمل على ما هو من مقتضيات أسماء العظمة والقهر فكان في تقديم البسملة بما اشتملت عليه من أسماء الرحمة تأنيس وبشرى بأنه لم يُرَد إلا رحمة المواجَهين بذلك الخطاب، ثم إن الاستعانة بالله فيما هو داخل في عبادته مشروعة بدليل (إياك نعبد وإياك نستعين)، وفي /[178] ذلك تنبيه للعباد على صفة العجز اللازمة لهم التي ربما حُجبوا عنها بنظرهم لكسبهم في عبادتهم، فيؤديهم ذلك للتظاهر بالدعوى[965] فيهلكون والعياذ بالله عز وجل، ففي الافتتاح بالبسملة تربية وتنبيه للعبد

= = جمعت كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم فلم يقع في واحد منها البداءة بالحمد بل بالبسملة، وهو يؤيد ما قررته والله أعلم".

كما ناقش علماؤنا التسمية المعتبرة شرعا وهل يقوم ذكر آخر مقامها كما في المغني لابن قدامة: كتاب الصيد والذبائح 293/9.

962 أي يحرم ذكر البسملة فيما حرمه الشرع لذاته كالزنا، وكذا تكره فيما كرهه لذاته، انظر إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لأبي بكر الدمياطي 3/1 وفيه: "والحاصل أنها تعتريها الأحكام الخمسة..."، قال في روح المعاني 67/1: "هي حرام في الحرام، لا كفر على الصحيح، مكروهة في المكروه، وقيل: مكروهة فيهما إن لم يقصد استخفافا، وإن قصده - والعياذ بالله تعالى- كفر مطلقا".

963 قال الشيخ محمد عرفة الدسوقي: "إن حكم البسملة الأصلي **الندب**؛ لأنها ذكر من الأذكار، والأصل في الأذكار أن تكون مندوبة ...، ثم قد تعرض لها **الكراهة**، وذلك في صلاة الفريضة - على المشهور من المذهب- وعند الأمور المكروهة كشراب الخليطين، و**تحرم** إذا أتى بها الجنب على أنها من القرآن، لا على أنها ذكر بقصد التحصن، وكذا تحرم عند الإتيان بالحرام على الأظهر، وقيل بكراهتها في تلك الحالة ...، وتحرم في ابتداء "براءة" عند ابن حجر، وقال الرملي بالكراهة ... .

والظاهر أنها **لا تكون مباحة**؛ لأن أقل مراتبها أنها ذكر وأقل أحكامه أنه مندوب ...، أصل الندب ثابت وأن الإنسان إذا قالها حصل له الثواب، وكون الإنسان يذكر الله ولا ثواب له: بعيد جدا" حاشية الدسوقي على الشرح الكبير على متن خليل 2/1 و3.

وفي مقدمة كتاب إعانة الطالبين 3/1- وهو في المذهب الشافعي-: "... والإباحة في المباحات التي لا شرف فيها كنقل متاع من مكان إلى آخر".

964 هذا العنوان في هامش المخطوط.

965 "بما ليس لهم ولا منهم" بغية المستفيد ص65.

على أن يكون بأوصاف [ربوبية مولاه جل وعلا متعلقا، وبأوصاف][966] عبوديته متحققا.

ومن السر في مشروعية الاستعانة بالله - التي منها الاستفتاحُ بالبسملة-: الإشارةُ إلى إثبات فعل الأسباب والرد على من لا يقول برؤية /[179] الأسباب، والافتقار إلى الأسباب هو في الحقيقة افتقار إلى المسبّب سبحانه.

وهذا نزر مما أشارت إليه الباء، وهو باب عظيم من أبواب علوم الباطن، ومنه يُشرف على ما ذكروه[967] من أن معاني كل الكتب مجموعة في القرآن، ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة[968]، ومعاني الفاتحة في البسملة، ومعاني البسملة في بائها.

ويقرب منه ما ذكره الرازي(ت 606) وغيره أن من معاني الباء الإلصاق[969]: فهي تُلصِق العبد بجناب ربه[970]، /[180] وهو راجع للوجه قبله.

قال النسفي: إن من معنى هذه الباء "بي كان ما كان" و"بي يكون ما يكون"، وهو يشير إلى التعلق والتحقق[971] أيضا. زاد غيره: ومعاني الباء

---

[966] إضافة من المرجع السابق.

[967] في المرجع السابق ص66: "ومن هنا يشرف على ما نقله العزيزي في شرحه للجامع الصغير للإمام السيوطي رحمهما الله تعالى عن النسفي في تفسيره من أن معاني كل الكتب ...".

[968] أخرج البيهقي "عن الحسن قال: أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة" شعب الإيمان: فصل في فضائل السور، ذكر فاتحة الكتاب 2371- 450/2، وفي "ذكر المفصل" منه 2484- 487/2 عن واثلة مرفوعا: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل".

[969] "الباء ...قد تكون زائدة وهي على أربعة أوجه ..." التفسير الكبير 97/1.

[970] "وهذه الباء باء الإلصاق، فهو يُلصق العبد بالرب، فهو كمال المقصود" التفسير الكبير 99/1.

[971] "والتعلق: هو الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه والافتقار إليه ظاهرا وباطنا، والاستغناء به تعالى عن كل ما سواه سرا وعلانية، والتخلق: أن يأخذ العبد من بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وصفا يلائم ضعف البشر وقصوره؛ فيأخذ من الرحيم مثلا وصفا على قدر ضعفه وقصوره" الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لمحمد السوسي 8/1.
وهذا ما درج عليه الغزالي في المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص26 وما بعدها حيث "إن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه".

في نقطتها[972]، هـ.

وهذا كله مما أشارت إليه الباء بمعناها، ومما أشارت إليه بصورتها ورُتبتِها حيث ابتدئ بها، مع أن الألف أفضل منها: أنها أول ما نطقت به بنو آدم في عالم الأرواح يوم (ألست بربكم؟ قالوا: بلى)[973]، وأيضا استحقت التقديم لمكان الكسر، /[181] ففيها الإشارة إلى أن المنكسر المتواضع أحق بالتقديم، هـ بخ[974].

الفصل التاسع: علوم الفاتحة والبسملة[975]

---

[972] قول النسفي وما زاده غيره في السراج المنير 7/1 وفيه: "قال النسفي في تفسيره: قيل: الكتب المنزلة من السماء إلى الدنيا مائة وأربعة: صحف شيث ستون، وصحف إبراهيم ثلاثون، وصحف موسى قبل التوراة عشرة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وجميع كل الكتب مجموعة في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعانيها مجموعة في بائها، ومعناها: بي كان ما كان، وبي يكون ما يكون"، ولم أجد قول النسفي هذا في تفسيره.

[973] الأعراف 172، وانظر ملخصا لطيفا في جمع الفاتحة لجميع علوم القرآن في كتاب إعانة الطالبين 4/1.

[974] انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد ص65 و66.

قال في روح المعاني 51/1: "كسرت الباء في البسملة تعليما للتوصل إلى الله تعالى والتعلق بأسمائه بكسر الجناب والخضوع وذل العبودية، فلا يتوصل إلى نوع من أنواع المعرفة إلا بنوع من أنواع الذل والكسر ...".

[975] هذا العنوان في هامش المخطوط.

وفي فيض القدير: حرف الباء الموحدة 191/3: "وفي رواية للدارقطني سندها متصل: (بسم الله الرحمن الرحيم) أم القرآن وهي أم الكتاب وهي السبع المثاني".

قال الطبري في تفسيره 198/1- 200: "إن سألنا منهم سائل فقال: ... فما الوجه ... في إطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات؟ ...، قيل له: إن الله تعالى ذكره جمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته - بما أنزل إليه من كتابه- معانيَ لم يجمعهن بكتاب أنزله إلى نبي قبله، ولا لأمة من الأمم قبلهم، وذلك أن كل كتاب أنزله جل ذكره على نبي من أنبيائه قبله: فإنما أنزله ببعض المعاني التي يحوي جميعَها كتابُه الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كالتوراة التي هي مواعظ وتفصيل، والزبور الذي هو تحميد وتمجيد، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير، لا معجزةَ في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق، والكتاب الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحوي معانيَ ذلك كله ويزيد عليه كثيرا من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خال. ... فمهما يكن فيه من إطالة على نحو ما في أم الكتاب؛ فلما وصفت قبل ... فلذلك وجه إطالة البيان في سورة أم القرآن".

وفي روح المعاني 65/1 وما بعدها: "وإنما جعل الله البسملة مبدأ كلامه لوجهين: أما الأول فلأنها إجمال ما بعدها، وهي آية عظيمة ونعمة للعارف جسيمة، لا نهاية لفوائدها ولا غاية لقيمة فوائدها، والباحث عنها مع قصرها إذا أراد ذرة من علمها ودرة من عيلمها احتاج إلى باع طويل في العلوم واطلاع عريض في المنطوق والمفهوم؛ مثلا إذا أراد أن يبحث عن الباء من حيث إنها حرف جر ... احتاج إلى علم النحو ...، وإن أراد معرفة أنواع الرحمة - المشار إليها بها- احتاج إلى علم الأفلاك وعلم تشريح الأعضاء وخواص الأشياء وعلم المساحة وغير = =

قال فيها أيضا: قد استخرج بعضهم[976] من الفاتحة هذا العدد من العلوم وهو:[247999][977]، وردها إلى البسملة[978] ثم إلى الباء ثم إلى نقطتها، وقال: لا يكمل الرجل عندنا في مقام المعرفة بالقرآن حتى يستخرج جميعَ أحكامه وجميع مذاهب المجتهدين من أي حرف شاء من حروف الهجاء، نقله الشعراني(ت 972)[979] ثم قال: ويؤيده قول سيدنا علي(ت 40) كرم الله وجهه: لو شئت لأوقرت /[182] لكم ثمانين بعيرا من علوم النقطة التي تحت الباء[980].

= = ذلك ...، وإن أراد أن يقف على جميع ما فيها من الأسرار فليَعدَّ غير المتناهي، وكيف يطمع في ذلك وهي **عنوان كلام الله** تعالى المجيد ...".

[976] "وقد قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في الميزان ما نصه: وقد استخرج أخي أفضل الدين من الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما، وقال هذه علوم **أمهات** علوم القرآن ..." بغية المستفيد ص66.

[977] في المخطوط : 242999.

[978] قال في روح المعاني 66/1 وهو يتحدث في بعض أسرار البسملة : "وقد صرح السرميني بإبداء خمسة آلاف ألف وثلاثمائة ألف وأحد وتسعين ألفا وثلاثمائة وستين احتمالا، وزدت عليه من فضل الله تعالى حين سئلت عن ذلك بما يقرب أن يكون بمقدار ضرب هذا العدد بنفسه، والدائرة أوسع ...، وأما الوجه الثاني فلتعليم العباد إذا بدأوا بأمر كيف يبدأون به ...".

[979] قال الشعراني: "وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل مقام العالم عندنا حتى يردَّ سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأدوار إلى الكتاب والسنة ...، ثم يترقى أحدهم عن ذلك درجة بعد درجة حتى يصير يستخرج جميع أحكام القرآن وآدابه من سورة الفاتحة، فإذا قرأ بها في صلاته ربما يكون ثوابه كثواب من قرأ القرآن كله من حيث إحاطته بمعانيه. ثم يترقى عن ذلك حتى يصير يخرج أحكام القرآن كله وأحكام الشريعة وجميع أقوال المجتهدين ومقلديهم إلى يوم القيامة من كل حرف شاء من حروف الهجاء، ثم يترقى إلى ما هو أبلغ من ذلك. قال: وهذا هو العالم الكامل عندنا هـ" الميزان: فصل ومما يدلك على صحة ارتباط جميع أقوال علماء الشريعة بغير الشريعة كارتباط الظل بالشاخص.

وكتاب الميزان هذا مخطوط بخزانة القرويين غير مرقم الصفحات.

والشعراني هو أبو العمران عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد، نسبُه إلى علي رضي الله عنه، اشتهر بالشعراني؛ نسبة إلى قرية أبيه: ساقية أبي شعرة، وإن كان قد سمى نفسه بالشعراوي، تلميذ علي الخواص، متصوف ألف في التصوف والفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو والطب والكيمياء والأخلاق وغيرها، ولد على المشهور سنة 898 وتوفي سنة 973. انظر مقدمة كتابه: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية.

[980] في إعانة الطالبين 3/1- وهو في المذهب الشافعي- : "قال الإمام علي كرم الله وجهه: لو طويت لي وسادة لقلت في الباء من (بسم الله الرحمن الرحيم) وقر سبعين بعيرا. وفي رواية عنه: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى (بسم الله الرحمن الرحيم)".

ثم قال[981]: إنه استخرج في بعض كتبه من كتاب الله نحو ثلاثة آلاف علم، وأخفى محل استنباطها غيرة على علوم أهل الله، هـ بخ[982].

قال في البغية: تكلم الشيخ البكري[983] على نقطة باء البسملة في أزيد من ألفي مجلس ومائة مجلس، وذكر بعضهم أنه أقرأ في نقطتها أربعة عشر عاما، هـ بخ[984].

وذكر القسطلاني(ت 923)[985] عن ابن العربي المالكي(ت 543) أن علوم القرآن 77450 /[183] باعتبار مفرداته، وتزيد على ذلك باعتبار التراكيب، هـ بخ[986]. ونبَّهنا على هذا القدر ليتشوَّف إليه ذوو الهمم العلية.

الفصل العاشر: سر التعبير ب"اسم"[987]

قال في البغية أيضا:

وجيء بلفظ "اسم"[988]؛ لأن التبرك إنما هو به، والفرق بين التيمن واليمين[989]، ولأن المسمى إذا كان في غاية العظمة إنما يذكر اسمه

---

981 أي الشعراني في كتابه : الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون، كما في بغية المستفيد ص66.

982 انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد ص66 و67.

983 جلال الدين محمد بن محمد البكري الصديقي له كتاب: لوامع الأسرار، كما في المرجع السابق ص177.

984 انظر المرجع السابق ص66، وكذا الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لمحمد السوسي 4/1.

985 هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الشافعي المصري، العلامة الحافظ الحجة الفقيه المقرئ المُسْنِد، من مؤلفاته: "المواهب اللدنية" في السيرة، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ولد سنة 851 وتوفي عام 923. انظر الفكر السامي 352/2 وشذرات الذهب 121/8 والضوء اللامع للسخاوي 103/2 والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغَزّي 126/1.

986 قال ابن العربي في قانون التأويل : ذكر الحكمة العظمى في خلق الكلام وتسخير القلم ص540: "وقد ركَّب العلماء على هذا كلاما فقالوا: إن علوم القرآن خمسون علما وأربعمئة علم وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلِم القرآن، مضروبة في أربعة؛ إذ لكل كلمة منها ظاهر وباطن وحد ومطلع، هذا مطلق دون اعتبار تركيبه ونضْدِ بعضه إلى بعض، وما بينها من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يُحصى ولا يعلمه إلا الله تعالى".

987 هذا العنوان في هامش المخطوط.

988 أي ولم يقل: بالله.

989 فللتيمن قوله: باسم، ولليمين قوله: بالله.

وحضرته وجنابه ونحو ذلك[990]، ولأن لفظ "اسم" يراد به اسم الله الأعظم الباطني مضافا للاسم الأعظم الظاهري- وهو الله-، فيكون الذاكر لها/[184] متبركا بالاسم الأعظم المخزون الذي ورد فيه أنه إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى، وهذا الأخير أحسنها، هـ بخ[991].

ثم قال: واسم الجلالة اسم جامع للذات والصفات والأفعال، ولذا يقال له "سلطان الأسماء" وهو اسم الله الأعظم الظاهر، وحظ العبد منه التعلق بالحق سبحانه ظاهرا وباطنا، والاستغناء به عمن سواه دائما، وكذا كان ذكرا لأصحاب الفناء والبقاء، هـ بخ[992].

/[185] **الفصل الحادي عشر:** الرحمن الرحيم[993][عند المحققين]

قال في البغية أيضا:

ومعنى (الرحمن الرحيم) "واحد عند المحققين، إلا أن الرحمان خاص به تبارك وتعالى، فهو خاص اللفظ[994] عام المعنى من حيث إنه يشمل جميع الموجودات، والرحيم عام من حيث الاشتراك في التسمية خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق"[995].

وقال زروق (ت 899)[996]: الرحمن مقتض لإيجاد الخلق لا يتسمى به غير الله، والرحيم مقتض لإمداد الخلق بقوام وجودهم، وجازت تسمية

---

990 "كما يكنى عن الشريف بالجناب والحضرة والمجلس ...، لكن يكنى عنه مما يتعلق به نوعا من التعلق إجلالا" المقصد الأسنى ص19.

991 انظر بغية المستفيد ص67، وفي الاسم الأعظم انظر مصنف ابن أبي شيبة: 29360- 47/6 ومسند أحمد: 13824- 230/1 وسنن أبي داود: 1493- 79/2 وسنن ابن ماجة: 3856- 1267/2 وسنن الترمذي: 3475- 515/5 والسنن الكبرى للنسائي: 1223- 386/1 وصحيح ابن حبان: 891- 173/3 والمعجم الأوسط: 8371- 192/8 والمعجم الكبير: 4722- 101/5 والمستدرك على الصحيحين: 1856- 683/1 وشعب الإيمان: 2604- 526/2.

992 انظر بغية المستفيد ص68.

993 هذا العنوان في هامش المخطوط.

994 "ولا يجوز أن يسمى به أحد غير الله تعالى" بغية المستفيد ص69.

995 قال بعده في المرجع السابق: "انظر الإرشاد".

996 هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الإمام الفقيه المحدث ذو التصانيف العديدة، له شرحان على الرسالة وآخر على مختصر خليل، توفي سنة 899. انظر الفكر السامي 264/2.

/[186] الخلق به مجازا؛ لأن مجاز الإمداد يصح في حقهم، ولذلك وجب شكر الخلق على ما وصل على أيديهم من النعم[997]، هـ. وقيل غير ذلك.

وفي الجمع بين الأسماء الثلاثة في البسملة الدلالة على وحدانية الله تعالى الذاتية والصفاتية والفعالية، وحظ العبد من هذين الاسمين العظيمين الاتسامُ بالرحمة لجميع العباد ورفضُ ما سواه اكتفاء برحمته الواسعة ولزومُ شكره ورؤيةُ المنة له وحده، وهذا هو/[187] معنى التخلق والتعلق بالأسماء: فالتخلق في الاتسام بالرحمة، والتعلق في رفض ما سوى الله اكتفاء برحمته.

قال الأستاذ القشيري (ت 465): جميع الأسماء صالحة للتعلق والتخلق إلا لفظ الجلالة فإنه لا يصلح إلا للتعلق، هـ.

ومعنى التعلق الاعتماد والتوكل عليه والافتقار بكل حال إليه، ومعنى التخلق أن العبد يأخذ من معنى بعض الأسماء الحسنى وصفا يلائم ضعف البشر وقصوره فيأخذ من /[188] "الرحيم" مثلا وصفا على قدر ضعفه وقصوره.

وطريق الوصول السلوكُ على يد العارفين الكاملين، ومن أكمل أهل التخلق بمعنى هذين الاسمين الكريمين وما في معناهما طائفة يقال لهم "رجال الحنان والعطف الإلهي" وهم رجال لهم الشفقة على عباد الله[998]

---

997 عزاه في بغية المستفيد ص69 إلى زروق "في شرح الوغليسية".
قال ابن عطاء الله في كتابه الحكم: "نعمتان ما خرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي الإمداد".
قال أحمد زروق في شرحه السابع عشر له - وقد بلغت شروحه لحكم ابن عطاء الله ثلاثين شرحا-:
"قلت: إذ لابد من وجود ومدد، وإلا كان المخلوق معدوما بأوله وراجعا إلى العدم بآخره كما قال تعالى: (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) [مريم 8] وهذا: الإيجاد، وقال عز من قائل إخبارا عن قول بعض أهل التوفيق: (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) [الصافات 57] وهذا: الإمداد ...، وإنما كان الإيجاد نعمة؛ لأنه تعالى غنيّ عنك وأنت مفتقر إليه في وجودك، إذ لو لم يوجدك لكنت صرْفَ النفي ومحضَ العدم ...، ثم نعمة الإمداد تجري بثلاث: دفع المضرات وجلب الفوائد وتوجيه الخطاب" شرح حكم ابن عطاء الله لأحمد زروق ص198 و199.
وفي ص471 منه: " ثم الرحمانية متعلقها الإيجاد؛ فلذلك لم تختص، والرحيمية متعلقها الإمداد، وإمداد الكافر نقمة عليه بخلاف وجوده؛ إذ لا يترتب عليه عقاب؛ فلذلك اختصت الرحيمية بالمؤمنين".

998 "كلهم مؤمنهم وكافرهم" بغية المستفيد ص70.

ينظرون إلى الخلق بعين الوجود لا بعين الحكم والقضاء[999].

وإذا عرفت ما تضمنته البسملة من أسرار التوحيد علمت أن في مشروعية الافتتاح بها /[189] في الأمور ذوات البال تنبيها على صدق الرجوع إلى الله بتبرئ العبد من حوله وقوته واعتصامه بحول الله وقوته في كل حال، وهذا هو الكنز المشار له في الحديث الثابت: "لا حول ولا قوة إلا بالله" كنز من كنوز الجنة[1000]، أو من كنوز تحت العرش[1001]، فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها هو صِدقُ التبرئ من الحول والقوة والرجوعِ إلى حول الله وقوته، ولذا قيل[1002]: لو قال "بسم الله" صادق على جبلٍ لزال، وقيل أيضا: "بسم الله" منك بمنزلة "كن" /[190] منه[1003]، معناه أنك إذا قلتها موقنا كوّن الله حاجتك، هـ بخ[1004].

وقال البيضاوي(ت 691): وتخصيص "التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي

---

[999] هذا من كلام الشيخ محيي الدين قال بعده : "لا يولي الله تعالى أحدا منهم ولاية ظاهرة من قضاء ملك؛ لأن مقامهم وذوقهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق، فهم مع الحق تبارك وتعالى في الرحمة المطلقة المشار إليها بقوله عز وجل: (ورحمتي وسعت كل شيء)" [الأعراف 156].
وهنا موطن الخلاف مع الصوفية: فتتمة الآية الكريمة هو : (فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بآياتنا يومنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ...)، والاقتصار على الرحمة المطلقة هو عين ما يصطلح عليه الآن بالعلمانية، ثم لتحقيق العبودية والقرب من الله تعالى يستحيل تعطيل أحكامه الشرعية؛ فالله الذي أوجد خلقه هو الذي أمرهم وحكم عليهم، فلِمَ الاقتصار في النظر إلى الخلق من جهة إيجاد الله لهم دون جهة حكم الله وقضائه: (ألا له الخلق والأمر) [الأعراف 53]؟.
نعم من جهة دعوة الخلق إلى الحق ومن جهة كون المؤمن رحمة لغيره - كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين- وجب النظر إلى الخلق من جهة الوجود وإمهال الله لهم لعلهم يرجعون؛ فالجهتان - الوجود والحكم- متكاملتان غير متنافرتين.

[1000] انظر صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر 3968- 1541/4 ورقم:6021 و6236 و6952، وصحيح مسلم كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر 2704- 2076/4.

[1001] انظر مسند أحمد 21453- 159/5.

[1002] هو قول وهب بن الوردة في تفسير الفاتحة لأبي العباس أحمد الإقليشي، كما في بغية المستفيد ص71.

[1003] وهو قول الحلاج كما في المرجع السابق.
والذي يبطل هذا التشبيه هنا هو أن الله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن، فيكون) [يس 81] فلا يتخلف أبدا، أما العبد فتارة يتمكن من الإيقان وتارة لا، وقد يكون موقنا وإجابة دعائه تكون تأجيلا له لآخرته مثلا.

[1004] انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد ص 69- 71.

الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها، فيتوجه بشراشره[1005] إلى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق، ويشغل سره بذكره والاستلذاذ به عن غيره"[1006] هـ، ونقله القسطلاني رحم الله الجميع.

/[191]**الفصل الثاني عشر:** [فضل ذكر البسملة والسؤال بالرحمن الرحيم][1007]

قال في البغية عن بعضهم: من قرأ البسملة ثمانمائة مرة كانت له فدية من النار؛ لحديث قدسي في ذلك وهو: من جاء يوم القيامة وفي صحيفته "بسم الله الرحمن الرحيم" ثمانمائة مرة وكان مومنا موقنا بربوبيتي أعتقته من النار وأدخلته الجنة دار القرار، هـ بخ[1008].

وقال فيها أيضا: ذكر بعض أهل السر أنه روي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله [عنهما][1009] أنه قال: من كانت له إلى الله حاجة فليصم الأربعاء والخميس /[192] والجمعة، فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وتصدق بصدقة[1010]، فإذا صلى قال: اللهم إني أسألك بسم[1011] الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت له القلوب من خشيته أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آله وأن تعطيني حاجتي وهي كذا [وكذا][1012]، ويسميها، قضيت حاجته، هـ بخ[1013].

1005 "الشراشر: النفس والمحبة جميعا ...، وقيل: هو جميع الجسد. وألقى عليه شراشره: وهو أن يحبه حتى يستهلك في حبه" لسان العرب: شرر.

1006 تفسير البيضاوي 41/1 و42.

1007 كل عنوان بين معقوفين كهذا من إضافة المحقق.

1008 انظر بغية المستفيد ص71.

1009 في المخطوط: عنه.

1010 في بغية المستفيد ص68: قلت أو كثرت، ما بين الرغيف إلى دون، وما كثر فهو أفضل.

1011 في المرجع السابق: أسألك باسمك بسم.

1012 زيادة من المرجع السابق.

1013 انظر المرجع السابق حيث صدره بقوله: "فائدة"، وفيه زيادة : "وكان يقول: لا تعلموها سفهاءكم فيدعو بعضهم على بعض فيستجاب لهم".
أقول: وهذا مما لا سبيل إليه إلا الخبر عن المعصوم.

الفصل الثالث عشر: الرحمن الرحيم[1014]

قال الشيخ طنطاوي جوهري المصري[1015] في تفسيره الذي سماه الجواهر /[193] ما نصه:

نزلت سورة الفاتحة لتعليم العباد كيف يتبركون بسم الله ويحمدونه ويستعينون به، فيبدأ القارئ قائلا:

أقول متبركا بسم الله الرحمن: المنعم بجلائل النعم كالسماوات والأرض والصحة والعقل.

الرحيم: المنعم بدقائقها، كسواد العين وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذي لها مع أن النور يلمع من خلالها وينقل صور المرئيات إلى حدقتها فشبكيتها فالدماغ، /[194] فهذه الدقة في الصنع والحكمة في الوضع التي أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلا أن يلج ومنعت الغبار أن يدخل، يعبر عنها بلفظ "الرحيم" تتميما للنعمة.

ولما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم وجب أن نبين رحمة الله في العالم المشاهَد:

فمنها[1016] أن حيوانا يسمى (أكسيلوكوب) يعيش منفردا في فصل الربيع، ومتى باض مات حالا، فمن رحمة الله أن ألهم /[195] هذا الطائر[1017] أن يبني بيتا قبل أن يبيض، فيحفر في قطعة خشب حفرة مستطيلة ثم يجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية الحلوة ويحشو بها تلك الحفرة ثم يبيض على ذلك بيضة ثم يأتي بنشارة الخشب ويعجنها ويسقف بها الحفرة، والحكمة في ذلك أن هذه البيضة متى فقست وخرجت الدودة كفاها ذلك الطعام سنة، وهي المدة التي لا تستطيع تلك الدودة أن تُحصل فيها على قوتِها، ومتى أتم الطائر السّرداب صنع سردابا آخر

[1014] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1015] هو الشيخ طنطاوي جوهري المصري الفيلسوف الإسلامي، ولد سنة1287- 1870، وتوفي سنة 1358- 1940، كان مغرما بمزج الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وقد ألف قبل تفسيره العلمي: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" - بالمنهج نفسه- كتبا ترجمها إلى اللغات الأجنبية منها: نظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصع وغيرها. انظر التفسير والمفسرون 505/2.

[1016] "فمنها ما أشار إليه العلامة الأستاذ ميلن إدوارد أن حيوانا ..." الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي 4/1.

[1017] في المرجع السابق: الحيوان.

/[196] فوقه، وهكذا يضع جملة أدوار، فانظر كيف شملت الرحمة ما خُلق وما لم يخلق؛ فإن الطعام المخزون في السرداب رحمة ألهمَها الطائر لولده الذي سيُخلق.

ومنها رحمة النحل: فإنه متى فتح زَهرة أول النهار لِيَمتصّها يُلهَم أن لا يفتح زهرة في ذلك اليوم إلا ما كان من جنس تلك الزهرة؛ لرحمة النحل ورحمة الناس، فأما رحمة النحل فإن احتياله في فتح زهرات أخرى يطيل تعبه، وأما رحمة الناس فإن ما /[197] يعلق برجل النحلة من حبوب طلع الذكور من النبات إذا وصل إلى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه فأثمر ذلك النبات؛ لحصول الإلقاح بهذه الرحمة العجيبة[1018].

ومن عجائب الرحمة الخاصة بالنمل: أن الله خلق له حشرة تسمى عند الإفرنج (افس)[1019] يحاربها النمل ويغلبها، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويُسيمُها - أي يرعاها-[1020] في ورق الورد، ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتص منها/[198] مادة حلوة، فكأنه بقر له يشرب لبنه[1021].

ومن رحمة الله بالعنكبوت: أنها ألهمت النسيج البديع بهندسة فاقت هندسة البشر؛ لأنها هندسة إلهية، وهندسة البشر بتعليم البشر، فلذلك يغلط البشر ولا يغلط العنكبوت في الهندسة، ولما كان بيتها أوهن بيت وأضعفه ألهمها الله أن تبحثَ عن صَمْغ وغِراء من أماكنها وأشجارها، وتُلطخَ بها خيوطَها التي نسجتها، فتُكسِبُها لُزوجَة، فلذلك لا تمزقها/[199] الرياح إذا فاجأتها، وإذا مر بها ذباب التقطته بمادتها اللزجة[1022].

فانظر إلى آثار رحمة الله كيف كانت المادة الصمغية صائنة لبيت

[1018] انظر "النحل من الحيوانات الاجتماعية" في الموسوعة الحديثة 42/8 ومما ورد فيها أن أنواع النحل: "يبلغ عددها حوالي 10000 نوعا ...، وتترأس مجموعة النحل ملكة وهي الأنثى الوحيدة التي تبيض، وتحكم حوالي 300 ذكرا وما بين أربعين وستين نحلة عاملة عقيمة".

[1019] مثبتة في الهامش.

[1020] ما بين العارضتين إضافة من المؤلف.

[1021] انظر الحديث عن الحشرات في الموسوعة الحديثة 58/7- 61 ومما ورد فيها: "من المعلوم أن عدد أنواع الحشرات المعروفة يبلغ حوالي مليون نوع، أي ما يمثل 80% من مجموع الحيوانات الموجودة".

[1022] انظر الحديث عنها في الموسوعة الحديثة 56/7 و57 ومما ورد فيها: "وهناك حوالي 40000 نوع من العناكب".

العنكبوت الضعيف من التمزيق إذا هبت الرياح، مع أنها تقتلع الأشجار وتخرب الديار، ثم تكون شبكة صائد وحيلة محتال.

وهكذا ألهم الله الأنبياء وأوحى إليهم أن يعلموا العباد كيف يتبركون باسم الله في أول أعمالهم -كالقراءة والأكل- ذاكرين ربهم ورحمته الواسعة التي عمت سائر العوالم، فيمتلئ قلب العبد /[200]إيقانا بالرحمة واستبشارا بالنعمة وفرحا برحمة الرحمن الرحيم.

فإذا ابتدأ القارئ بالتسمية وامتلأ قلبه بتلك الرحمة انطلق لسانه بالحمد بعد أن أفعم قلبُه بالإجلال فقال: (الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمينَ)، هـ بخ[1023].

الفصل الرابع عشر: كلام الفخر في أسماء الله[1024]

ذكر الفخر الرازي(ت 606) هنا ما مفاده أنه اختُلف "هل لله تعالى

[1023] الجواهر في تفسير القرآن 3/1- 5 بتصرف.

[1024] هذا العنوان في هامش المخطوط ، قال ابن تيمية عن الفخر الرازي في شرح العقيدة الأصفهانية ص23 و24:

"... ولكن المصنف [أي شمس الدين محمد بن الأصفهاني صاحب العقيدة] سلك في ذلك طريقة **أبي عبد الله الرازي**، فأثبت العلم والقدرة والإرادة والحياة بالعقل، وأثبت السمع والبصر والكلام بالسمع، ولم يثبت شيئا من الصفات الخبرية [مثل اليدين والوجه، وكتاب "تأسيس التقديس" للفخر الرازي في تأويل الصفات الخبرية ...، نقضه شيخ الإسلام بكتاب: تخليص التلبيس من تأسيس التقديس" شرح قصيدة ابن القيم 290/2] ...، فلا يلزم نفي ما سوى هذه من الصفات والسمعُ قد أثبت صفات أخرى، وأيضا فإن **الرازي** ونحوه ممن لم يُثبت السمع طريقا إلى إثبات الصفات - ولا نزاع بينهم أنه طريق صحيح- لكن يفرقون بين ما أثبتوه وبين ما توقفوا في ثبوته ...، ولهم فيما لم يثبتوه طريقان: منهم من نفاه، ومنهم من توقف فيه فلم يحكم فيه بإثبات ولا نفي، وهذه طريقة محققيهم **كالرازي** والآمدي وغيرهما".

وفي ص37 منه: "وهذا الدليل أخذه من كلام أبي عبد الله **الرازي** وقد سلك فيه مسلك المتفلسفة".

وقال في معرض حديثه عن كلام الله تعالى في ص88: "وكان قدماء الصفاتية من السلف والأئمة والكلابية والكرامية والأشعرية يحققون هذا المقام ويثبتون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم فيه، ولكن **الرازي** ونحوه أعرض عنه وقال: هذا بحث لفظي[انظر الهامش 901 الآتي]، وزعم أنه قليل الفائدة، ثم **سلك مسلكا ضعيفا** في الرد عليهم قد بيناه في غير هذا الموضع".

هذا والفخر الرازي من بين كثير من العلماء الذين تراجعوا عن الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية بعدما خبروها، قال الرازي في آخركتابه "أقسام اللذات":

"لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ...، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي" شرح العقيدة الطحاوية ص227 و228 وشرح قصيدة ابن القيم 208/1 التي ورد فيها ترجمة مسهبة للرازي - اسمه ومكانته وعلومه وهفواته ومؤلفاته وولادته ووفاته- وذلك في 188/2- 191 منه.

بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا؟"[1025]

وأن قدماء الفلاسفة أنكروه[1026]، وقال غيرهم: لا يمتنع في قدرة الله أن يُشرّفَ بعضَ المقربين من /[201] عباده بأن يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة، فلا يمتنع وضع الاسم لتلك الحقيقة، وإذا أمكن ذلك وجب القطع بأن ذلك الاسم أعظمُ الأسماء، وهو المراد من ذكرهم للاسم الأعظم، هـ[1027].

أقول: وهذا الاسم وجوده معروف عند الكمّل رضي الله عنهم[1028]، وانظر الميزان والجواهر والجامع والبغية[1029]، ففيها الغنية.

1025 وذلك في المسألة التاسعة والعاشرة من مباحث الاسم العقلية ضمن الباب الثالث من الكتاب الثاني في مباحث (بسم الله الرحمن الرحيم) في التفسير الكبير 112/1.

1026 ودليلهم أنه إذا "ثبت أن أحدا من الخلق لا يعرف ذاته المخصوصة البتة لم يبق في وضع الاسم لتلك الحقيقة فائدة" التفسير الكبير 114/1.

1027 التفسير الكبير 114/1 و115 بتصرف.

1028 "المسألة الثانية عشرة: القائلون بأن الاسم الأعظم موجود، اختلفوا فيه على وجوه ...، القول الرابع: أن الاسم الأعظم هو قولنا: "الله"، وهذا هو الأقرب عندي ...، وإذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة" التفسير الكبير 115/1.

1029 مما ورد في كلام الشعراني عن الاسم الجامع والاسم الشريف - في كتابه الميزان: كتاب الصلاة- قوله: "... حكمة ذلك كون اسم الله اسما جامعا لحقائق الأسماء كلها".
وقوله كذلك: "فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم يقرأها [أي البسملة] مع الفاتحة ويتركها أخرى، فأخذ كل مجتهد بما بلغه من إحدى الحالين، وفي ذكر [كذا] تشريع الأكابر والأصاغر من أهل الكشف والحجاب: فمن رفع حجابَه حين يدخل في الصلاة كان مشاهدا للحق تعالى بقلبه فلا يناسبه ذكر الاسم الذي هو شعار أهل الحجاب، ومن يكشف حجابه فالمناسب له ذكر الاسم الشريف يتذكر به صاحب الاسم ..."
وانظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني: الباب الرابع، الفصل الثاني 119/1 والجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم لابن المِشْري 39/1، وهذا الكتاب مختصر من كلام الشيخ التجاني ومادته هي نفس مادة كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني، والعلة من تأليف "الجامع" لئلا يضيع كلام الشيخ التجاني "وإن كان بعض النجباء من الإخوان قيدوا جله" الجامع 3/1.
وانظر أيضا بغية المستفيد لشرح منية المريد لمحمد العربي العمري ص68، وفي ص177 منه: "اختلف في هذا الاسم اختلافا كثيرا، فقيل: إنه لا وجود له؛ بمعنى أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض ...، ومن جملة من اختار ذلك أبو جعفر الطبري وأبو الحسن الأشعري وابن حبان والقاضي أبو بكر الباقلاني، قال: ونحوه قول مالك وطائفة ...، وقال الشيخ البكري عقب حكايته ما تقدم: ... لا مانع أن تختلف الدّوالّ على الله تعالى بحسب وضعها، وهذا بديهي أو في حكمه... . ثم اختلف بعد في تعيينه على أقوال عديدة...".
هذا وقد أورد الرهوني في كتابه عمدة الراوين في تاريخ تطاوين - مخطوط- 38/10 إملاء شيخه محمد بن جعفر الكتاني عليه الذكر المشتمل على الاسم الأعظم، وذلك بقصبة طنجة عام 1325.

وأما **الأسماء الدالة على الذات باعتبار الصفات**[1030]:

فمنها "الشيء": فقد أطبق الجمهور على جواز تسميته تعالى به/[202] لأدلة منها: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾[1031]، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[1032]، وحديث: "كان اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ"[1033]، "ما مِن شَيْءٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ"[1034]، وخالف جهم بن صفوان في ذلك[1035].

ومنها "الموجود": والإجماع على إطلاقه عليه تعالى[1036].

[1030] هو القسم "الأول : الأسماء الدالة على الوجود"، ضمن "الباب الرابع في البحث عن الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية" الذي صدره الرازي بقوله: "أما الاسم الدال على الشيء بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة، فتلك الصفة: إما أن تكون هي الوجود، وإما أن تكون كيفية من كيفيات الوجود، وإما أن تكون صفة أخرى مغايرة للوجود ولكيفيات ذلك الوجود" التفسير الكبير 116/1، وقد فصل الكلام في هذا القسم الأول على اثني عشر لفظا: 116/1- 127.
قال ابن العربي في أحكام القرآن 802/2 و803:
"حقيقة الاسم: كل لفظ جُعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقا، فإن كان مشتقا فليس باسم وإنما هو صفة، هذا قول النحاة...، و"العالم" عندنا اسم، كـ"زيد" اسم، وأحدهما يدل على الوجود، والآخر يدل على الوجود ومعنى معه زائد عليه، والذي يعضد ذلك أن الصحابة وعلماء الإسلام حين عددوا الأسماء ذكروا المشتق والمضاف والمطلق في مساق واحد إجراءً على الأصل ونبذا للقاعدة النحوية".

[1031] الأنعام 19.

[1032] القصص 88.

[1033] خرجه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه) - الروم 27- 3019- 1166/3 من رواية عمران بن حصين أنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لناس من أهل اليمن، وتتمته: "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض"، وفي حلية الأولياء 260/8: "صحيح متفق عليه"، وفي شعب الإيمان 182- 204/1: "وروينا في هذا المعنى أحاديث كثيرة"، وانظر أيضا سنن البيهقي: كتاب السير، باب مبتدأ 2/9 وتحفة الأحوذي 325/8.

[1034] خرجه في المعجم الكبير: ما أسندت أسماء بنت أبي بكر 222- 83/24، وكذا في الأربعين في دلائل التوحيد للهروي: باب بيان أن الله تبارك وتعالى وتقدس شيء 8- 50/1.
والحديث بلفظ: "ما من أحد" أو"لا أحد" أو"ليس أحد" أو"لا شخص" في صحيح البخاري 997 و4358 و4361 و4922 و6968 وصحيح مسلم 901 و1499 و2760، وكذا في باقي كتب السنة.

[1035] سرد الرازي حججا أربعة لجهم وقال: "واعلم أن من الناس من يظن أن هذا البحث واقع في المعنى، وهذا في غاية البعد ...، إنما النزاع في أنه هل يجوز إطلاق هذا اللفظ عليه، فهذا نزاع في مجرد اللفظ لا في المعنى، ولا يجري بسببه تكفير ولا تفسيق" التفسير الكبير 117/1 و118، وانظر اختلاف المتكلمين في "هل يسمى الباري شيئا أم لا؟" في مقالات الإسلاميين ص 181.

[1036] "إطلاق لفظ "الموجود" على الله تعالى يكون على وجهين: أحدهما كونه معلوما مشعورا به، والثاني كونه في نفسه ثابتا متحققا" التفسير الكبير 118/1.

ومنها "ذات الله": وهو وارد في أخبار منها: إن من أعظم الناس أجرا الوزير الصالح من أمير يطيعه في ذات الله، ومنها: أن إبراهيم لم يكذب إلا في ثلاث، ثنتين في ذات الله[1037]، ومنها: /[203] لا تسبوا عليا فإنه كان مخشوشنا في ذات الله[1038]، ومنها: أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله[1039]، ومنها قول خُبيب:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصال شلو مُمَزّع[1040]

(والمراد بالذات: الحقيقة والماهية، لا الذات بمعنى: صاحبة كذا، أما في هذه الأخبار فالمراد مرضاة الله)[1041].

ومنها "النفس": وهذا وارد في القرآن: (تَعْلَمُ ما في نَفْسي ولا أَعْلَمُ ما في نَفسِكَ)[1042]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1043]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ

1037 في صحيح مسلم : باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم 2371- 1840/4 عن أبي هريرة مرفوعا: "لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله: قوله (إني سقيم) [الصافات 89] وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) [الأنبياء 63]، وواحدة في شأن سارة: فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: ... فإن سألك فأخبريه أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام ..."، وانظر أيضا صحيح ابن حبان 5737- 45/13.

1038 في المستدرك على الصحيحين 5654- 144/3 عن أبي سعيد الخدري قال: "شكا علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فينا خطيبا، فسمعته يقول: أيها الناس لا تشكوا عليا، فوالله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وفي مسند أحمد 11835- 86/3: "... أو في سبيل الله".

1039 في تعظيم قدر الصلاة للمروزي 639- 600/2 عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: "... قال: فأي المهاجرين أفضل؟ قال: من جاهد لنفسه وهواه في ذات الله ..."، وانظر أيضا نوادر الأصول في أحاديث الرسول: الأصل الثاني والستون والمائة 234/2.
وجميع الأخبار الواردة في "ذات الله" ذكرها في التفسير الكبير 119/1 عن "عبد الله الأنصاري الهروي في الكتاب الذي سماه بالفاروق".

1040 الشلو - بكسر الشين- والشلا - بفتحها- يُجمع على أشل وأشلاء - بسكون الشين- ، ومعناه: "الجلد والجسد من كل شيء، وكل مسلوخة أكل منها شيء فبقيّتها شلو وشلا ...، وأشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرق".
"والتمزيع: التفريق" اللسان: شلا ومزع.
وقصة إنشاد هذا البيت لخبيب بن عدي - لمّا عزم بنو الحارث بن عامر على قتله انتقاما لقتل خبيب أباهم الحارث بأحد- في الأغاني للأصفهاني: ذكر الأحوص وأخباره ونسبه 227/4، وانظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي: النوع السادس والثلاثون، الفصل السادس في الأذواء والذوات 413/1 واللسان: مزع.

1041 في الهامش بعبارة "صح"، وانظر التفسير الكبير 120/1.

1042 المائدة 118.

نَفْسَهُ﴾[1044]، وفي الحديث: "أنتَ كما أثنَيْتَ على نفسِك"[1045]، "فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسي"[1046] الحديث في أخبار 12[1047].

والنفس عبارة /[204] عن ذات الشيء وحقيقته وهُوّيته، وليس عبارة عن الجسم المركب؛ لأنه يؤدي إلى الحدوث، والله منزه عن ذلك سبحانه[1048].

ومنها لفظ "الشخص"، وهو وارد ففي الخبر: "لا شخصَ أغْيَرُ مِن اللهِ"[1049] الحديث، والمراد به الذات المخصوصة والحقيقة المعينة في نفسها تعينا باعتباره يمتاز عن غيره، لا الجسم المتشخص لما مر[1050].

ومنها "النور": وهو وارد في آية (اللهُ نورُ السَّماواتِ /[205] والأرْضِ)[1051]، وفي خبر: إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلقَ ثمَّ ألقى عَلَيْهِمْ مِن نورِهِ[1052]، وهو من المتشابه[1053]؛ لأن حقيقة النور في حقه تعالى محال، وأوّل[1054]

[1043] الأنعام 55، وهي في الهامش بعبارة "صح".

[1044] آل عمران 28 و30.

[1045] هو من دعاء رسول الله عليه السلام في صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود 486- 352/1 عن عائشة رضي الله عنها، وكذا في صحيح ابن خزيمة 655- 329/1 وصحيح ابن حبان 1932-258/5.

[1046] هو جزء من حديث قدسي - عن أبي هريرة مرفوعا- في صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها 6970- 2694/6 وفي صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى 2675- 2061/4.

[1047] كذا في المخطوط، وقد أورد في التفسير الكبير 120/1 و121 "في لفظ النفس" اثني عشر خبرا.

[1048] انظر التفسير الكبير 121/1 و122.

[1049] صحيح البخاري : كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا شخص أغير من الله 6980- 2698/6 وصحيح مسلم كتاب اللعان 1499- 1136/2 عن المغيرة بن شعبة مرفوعا.

[1050] أي قبل قليل، وانظر التفسير الكبير 122/1.

[1051] النور 35.

[1052] في مسند أحمد 664- 176/2 والمستدرك على الصحيحين 83- 84/1 وسنن البيهقي : كتاب السير 4/9 عن عبد الله بن عمرو مرفوعا:
"إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله عز وجل".

[1053] "أي ما يشتبه عليهم فهمه؛ لأن آيات الصفات هي المتشابه" تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات ص515.

[1054] "اختلف العلماء في الكفار المتأولين على قولين: ...الكفر يختص بالجاحد، والمتأول ليس بكافر، والذي نختاره كفر من أنكر أصول الإيمان ...- القول بالقدر: فمن أنكره فقد كفر- ...، اختلف علماء المالكية في تكفيرهم على قولين، فالصريح من أقوال مالك تكفيرهم" أحكام القرآن لابن العربي 802/2.

بوجوه منها: أنه في الآية بمعنى منور السماوات والأرض[1055].

ومنها "الحق": وهو تعالى مستحق لهذا الاسم؛ لأنه الموجود الذي يمتنع عدمه، واعتقاد وجوده ووجوبه هو الاعتقاد الحق، أي الصواب، والإخبار عنه بذلك أحق الأخبار وأصدقها[1056].

وأما إطلاق "الجوهر والجسم[1057] والإنّية[1058] /[206] والماهية[1059]" فممتنع عند المسلمين، خلافا للفلاسفة[1060] والجهمية[1061].

وأما **الأسماء الدالة على كيفية الوجود**[1062]:

فمنها "القديم": والمراد به عدم الافتتاح لوجوده[1063].

ومنها "الأزلي": أي الموجود بلا أولية، وهو قولهم: لا أول له[1064].

ومنها "الأبدي": وهو يفيد الدوام.

[1055] هذا وجه من وجوه التأويل الأربعة في التفسير الكبير 122/1.

[1056] انظر التفسير الكبير 126/1 و127.

[1057] انظر "شرح اختلاف الناس في التجسيم" في مقالات الإسلاميين ص207.

[1058] "تستعملها الفلاسفة كثيرا، وشرحه بحسب أصل اللغة أن لفظة "إن" في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود، ولما ... كان واجب الوجود أكمل الموجودات في تأكد الوجود وفي قوة الوجود لا جرم أطلقت الفلاسفة بهذا التأويل لفظ الإنية عليه" التفسير الكبير 126/1.

[1059] "قال سقراط : إن الباري تعالى لم يزل هوية فقط، وهو جوهر فقط" الملل والنحل 84/2.

[1060] انظر معتقداتهم في الملل والنحل، الباب الثاني: الفلاسفة 58/2.

[1061] انظر التفسير الكبير 125/1 و126. هذا وقد أورد الرازي في 124/1 و125 من تفسيره خبرين "في لفظ الصورة" تأوله العلماء على ثلاثة أوجه.

[1062] وهو القسم الثاني من الأقسام الثلاثة للأسماء الدالة على الصفات الحقيقية في التفسير الكبير 127/1- 130 حيث فصل الحديث عن أحد عشر اسما.

[1063] "يفيد في أصل اللغة طول المدة، ولا يفيد نفي الأولية" التفسير الكبير 127/1، وانظر اختلاف المتكلمين "في معنى القول في الله : إنه قديم" في مقالات الإسلاميين ص180.

[1064] فرق في التفسير الكبير 128/1 بين "الاسم الثاني : الأزلي، وهذا اللفظ يفيد الانتساب إلى الأزل، فهذا يوهم أن الأزل شيء حصل ذات الله فيه، وهذا باطل" و"الاسم الثالث: قولنا لا أول له، وهذا اللفظ صريح في المقصود"، لكن المؤلف هنا جمع بينهما.
وفي الملل والنحل 66/2 قول أنكسمانس الفيلسوف: "إن الباري تعالى أزلي لا أول له ولا آخر"، وفي 88/2 منه قول أفلاطون: "إن للعالم محدثا مبدعا أزليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية، كان في الأزل ولم يكن في الوجود رسم".

ومنها "السرمدي": وأصله السردي منسوب إلى السّرد، مصدر سَرَدَ، والسّرد: التّوالي والتّعاقب[1065]، ودخلت عليه الميم للمبالغة، والمراد به في حقه تعالى /[207] الدائم بلا نهاية.

فإن ورد في الكتاب والسنة أطلقناه وإلا فلا[1066]، ك"المستمر" و"الممتد" بمعنى الباقي الدائم[1067].

ومنها "الباقي": قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[1068].

ومنها "الدائم" و"واجب الوجود لذاته"[1069].

ومنها "الكائن": وهو كثير الورود في القرآن بحسب صفات الله نحو: ﴿وكانَ اللّهُ عَلى كلّ شَيْءٍ مُقْتدِرا﴾[1070]، ولم يرد في القرآن الاسم "الكائن"، لكن ورد في بعض الأدعيَة المأثورة عن /[208] النبي صلى الله عليه وسلم: يا كائنا قبلَ كلّ كَوْنٍ[1071].

[1065] "السّرد في اللغة : تقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا" اللسان: سرد.

[1066] انظر التفسير الكبير 128/1 وفيه قبل الجملة الأخيرة قول الرازي:
"الأصل في لفظ السرمد أن لا يقع إلا على الشيء الذي تحدث أجزاؤه بعضها عقيب البعض، ولما كان هذا المعنى في حق الله تعالى محالا كان إطلاق لفظ السرمدي عليه مجازا".
وفي التعريفات للجرجاني: باب السين 157/1: "السرمدي: ما لا أول له ولا آخر"، وفي اللسان: سرمد: "السرمد: الدائم الذي لا ينقطع".
وانظر تسمية طاليس - أول الحكماء السبعة- "الدهر المحض" ب"الديمومة و**السرمد** والبقاء" في الملل والنحل للشهرستاني 63/2، وفي 84/2 منه وصف سقراط الباري تعالى ب"البقاء و**السرمد** والدوام وحفظ النظام في العالم".

[1067] في التفسير الكبير 128/1 : "الاسم السادس: المستمر ...، يصدق في حق الزمان، أما في حق الله فهو محال ..."، "الاسم السابع: الممتد ...، أما في حق الله تعالى فعلى المجاز".

[1068] الرحمن 27، قال في التفسير الكبير 129/1: "واعلم أن كل ما كان أزليا كان باقيا، ولا ينعكس".

[1069] "واعلم أن كل ما كان واجب الوجود لذاته وجب أن يكون قديما أزليا، ولا ينعكس" التفسير الكبير 129/1.

[1070] الكهف 44.

[1071] انظر التفسير الكبير 129/1 و130 وقد **رد** فيه الرازي **تقسيم النحاة** "كان" إلى فعل تام وآخر ناقص بقوله : "لفظ "كان" لا يفيد إلا الحدوث والحصول والوجود، إلا أن هذا على قسمين، منه ما يفيد حدوث الشيء في نفسه، ومنه ما يفيد موصوفية شيء بشيء آخر. أما القسم الأول: فإن لفظ "كان" يتم بإسناده إلى ذلك الشيء الواحد؛ لأنه يفيد أن ذلك الشيء قد حدث = =

وأما **الأسماء الدالة على "الصفات الحقيقية التي تكون مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود"**[1072]

فأنكرها الفلاسفة والمعتزلة لإنكارهم هذه الصفات[1073]، وأثبتها أهل السنة وهو الحق[1074].

ثم إن منها ما هو صفة حقيقية **عارية عن النسبة والإضافة** وهي صفة الحياة لا غير[1075]، ومنها اشتق اسم "الحي" /[209] وهو وارد في القرآن، قال تعالى: (اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القيّومُ)[1076]، (وَعَنَتِ الوُجوهُ للحَيِّ القيّومِ)[1077]، (هُوَ الحَيُّ)[1078].

= = وحصل، وأما القسم الثاني: فإنه لا تتم فائدته إلا بذكر الاسمين ...، فقولنا: كان زيد عالما، معناه أنه حدث وحصل موصوفية زيد بالعلم، فثبت بما ذكرنا أن لفظ الكون يفيد الحصول والوجود فقط، إلا أنه في القسم الأول يكفيه إسناده إلى اسم واحد، وفي القسم الثاني لابد من ذكر الاسمين".

1072 هو القسم الثالث من الأقسام الثلاثة للأسماء الدالة على الصفات الحقيقية في التفسير الكبير 130/1- 134.

1073 أي إنكارهم "قيام هذه الصفات بذات الله تعالى"، وقد فصل في التفسير الكبير 130/1- 132في المسألة الأولى وجوه حججهم.

1074 انظر "المسألة الثانية في دلائل مثبتي القول بالصفات" في التفسير الكبير 132/1 و133.

1075 أما الصفات التي يلزمها حصول النسبة والإضافة حسب الرازي فمثل "العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم، والقدرة صفة يلزمها تعلقها بإيجاد المقدور" التفسير الكبير 133/1.
هذا والحياة عند الفلاسفة عبارة "عن علمه بذاته؛ لأن كل ما يشعر بذاته فيقال: إنه حي، وما لا يشعر بذاته لا يسمى حيا" المقصد الأسنى ص129 و130.

1076 البقرة 253.

1077 طه 108.

1078 غافر 65، وقد خصص الرازي المسألة الثالثة لرد قول الفلاسفة والمتكلمين بنسبية صفة الحياة، وخصص المسألة الرابعة ليتحدث عن صفة الحي في القرآن قائلا:
"إن التمدح لم يحصل بمجرد كونه حيا، بل بمجموع كونه حيا قيوما؛... فقوله: الحي، يعني كونه دراكا فعالا، وقوله: القيوم، يعني كونه دراكا لجميع الممكنات فعالا لجميع المحدثات والممكنات" التفسير الكبير 133/1 و134.
وفي المقصد الأسنى ص102: "... فالحي الكامل المطلق هو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله ...، وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله، وكل ذلك محصور في قلة".
وفي شرح العقيدة الطحاوية ص124 أن الله سبحانه "حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون، ومنه أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسِّنة دون خلقه فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال لكمال ذاته؛ فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة".

ومنها ما هو دال على **الصفات الإضافية**، ككونه "خالقا رازقا"، وهذا النوع من الإضافات غير متناه، فتكون الأسماء الدالة عليه غير متناهية، وتسمى هذه الصفة **صفة التكوين**[1079].

والمخبر عنه[1080] بها إما أن يكون مجردَ كونه"موجِدا"، وإما أن يكون "موجدا للنوع الفلاني" للحكمة الفلانية:

أما الأول[1081] فنحو /[210] "الموجد والمحدث والمكون والمنشئ والمبدع والمخترع والصانع والخالق والفاطر والبارئ".

وأما الثاني[1082] فيكاد يكون غير متناه ك"النافع والضار والمحيي والمميت والبر واللطيف والقهار والجبار والقابض والباسط والمنتقم والغفور والرحمن والرحيم والخافض والرافع" إلى ما لا نهاية له؛ لأن مقدورات الله غير متناهية[1083].

وأما **الأسماء الواقعة بحسب ا لصفات السلبية**[1084]:

/[211]فالقرآن مملوء بها، والسلب إما عائد إلى الذات أو الصفات أو الأفعال:

[1079] "قالت المعتزلة والأشعرية: التكوين نفس المكون، وقال آخرون: إنه غيره ..." التفسير الكبير 134/1.

[1080] أي عن "كونه تعالى فاعلا للأفعال" التفسير الكبير 135/1.

[1081] "وهو اللفظ الدال على مجرد كونه موجدا ...، فهذه ألفاظ عشرة متقاربة" التفسير الكبير 135/1.

[1082] أي "الألفاظ الدالة على إيجاد شيء بعينه" التفسير الكبير 136/1.

[1083] انظر "الباب الخامس في الأسماء الدالة على الصفات الإضافية" في التفسير الكبير 134/1-137.

[1084] "كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده ...، يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ...، عن المعتزلة.

وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة، وهذا النفي المجرد مع كونه - لا مدح فيه- فيه إساءة أدب ...، والمقصود أن غالب عقائدهم **السلوب**: ليس بكذا ليس بكذا، وأما الإثبات فهو قليل، وهي أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات ..." شرح العقيدة الطحاوية ص106 وما بعدها.

وفي الملل والنحل 49/1 و50 أن قول أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة: "إن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ..." إنما اقتبسه "من **الفلاسفة** الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه، وإنما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته، بل هي ذاته، وترجع إلى **السلوب** أو**اللوازم**".

- **فالأول** نحو: ليس جسما ولا جوهرا ولا في المكان ولا في الحيز ولا حالا ولا محلا، ومعلوم أن ذاته مخالفة لسائر الذوات وصفاته كذلك، وأنواع الذوات والصفات المغايرةِ لذاته غير متناهية، فالسلوب غير متناهية، ومن جملتها:﴿واللّهُ الغنيُّ وأنتمُ الفُقَراءُ﴾[1085]، ﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذو الرَّحْمَةِ﴾[1086]، ﴿لمْ يَلِدْ ولَمْ يولدْ﴾[1087].

- و(أما)[1088] السلوب العائدة **للصفات**: فكل صفة ناقصة يجب /[212] تنزيهه عنها[1089] نحو: ﴿لا تأخُذُهُ سنَةٌ ولا نَوْمٌ﴾[1090]، ﴿وَمَا كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[1091]، ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ[1092] مِثقالُ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأرْضِ﴾[1093].

﴿وما مسَّنا من لغوبٍ﴾[1094]، ﴿إنما قولُنا[1095] لشَيْءٍ إذا أرَدْناهُ أنْ نَقولَ لهُ: كُن، فيَكونُ﴾[1096]، ﴿وَما أمْرُ السّاعَةِ إلا كلمْحِ البَصرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ﴾[1097]، ﴿لقدْ سَمِعَ اللّهُ قوْلَ الذينَ قالوا: إنَّ اللّهَ فقيرٌ ونَحْنُ أغْنياءُ﴾[1098].

[1085] محمد 39.

[1086] الأنعام 134.

[1087] الإخلاص 3.

[1088] في الهامش بعبارة "صح".

[1089] "فمنها ما يكون من باب أضداد العلم، ومنها ما يكون من باب أضداد القدرة، ومنها ما يكون من باب أضداد الاستغناء، ومنها ما يكون من باب أضداد الوحدة" التفسير الكبير 137/1.

[1090] البقرة 254.

[1091] مريم 64.

[1092] في المخطوط: "عن علمه" وهو خطأ.

[1093] سبأ 3، وهذه الآيات من أقسام الصفات الواردة في "باب أضداد العلم" في التفسير الكبير 137/1.

[1094] ق 38.

[1095] في المخطوط: "أمرنا" وهو خطأ، وفي يس 81: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن، فيكون).

[1096] النحل 40.

[1097] النحل 77.

[1098] آل عمران 181، وهذه الآيات من أقسام الصفات الواردة في "باب أضداد القدرة" في التفسير الكبير 137/1.

﴿وهُوَ يُطعِمُ ولا يُطعَمُ﴾[1099]، ﴿وهُوَ يُجيرُ ولا يُجارُ عَلَيْهِ﴾[1100]. وأما السلوب العائدة إلى صفة الوحدة: فالقرآن سلوبها[1101].

- /[213] وأما الصفات السلوب العائدة إلى **الأفعال**:

فالقرآن سلوبها[1102] أيضا: ﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ[1103] وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلا﴾[1104]، ﴿وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلا سُبْحانَكَ﴾[1105]، ﴿وَما خلقْنا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبينَ، ما خَلَقْناهُما إلا بالحَقِّ﴾[1106]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعونَ﴾[1107]، ﴿وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾[1108]، ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾[1109]، ﴿ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ /[214] إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[1110]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ[1111] وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها﴾[1112]، ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفعَلُ﴾[1113]، ﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾[1114]، ﴿ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنا بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾[1115].

[1099] الأنعام 15.

[1100] المومنون 89، وهاتان الآيتان من أقسام الصفات الواردة في "باب أضداد الاستغناء" في التفسير الكبير 137/1 و138.

[1101] "وهو مثل نفي الشركاء والأضداد والأنداد، فالقرآن مملوء منه" التفسير الكبير 138/1.

[1102] "وهو أنه لا يفعل كذا وكذا، فالقرآن مملوء منه" التفسير الكبير 138/1.

[1103] في المخطوط: "السماوات" وهو خطأ.

[1104] ص 26.

[1105] آل عمران 191.

[1106] الدخان 36 و37.

[1107] المومنون 116.

[1108] الزمر 8.

[1109] البقرة 203.

[1110] النساء 146.

[1111] في المخطوط: "إن أحسنتم فلأنفسكم" وهو خطأ.

[1112] الإسراء 7.

[1113] الأنبياء 23.

[1114] هود 107 والبروج 16.

[1115] ق 29.

فأقسام السلوب غير متناهية، والأسماء الدالة عليها كذلك:

فمنها "القدوس": أي ذاته مخالفة للماهيات التي هي نقائص.

ومنها "السلام": أي ذاته غير متصفة بشيء من صفات النقص[1116].

ومنها "العزيز": أي لا نظير له.

ومنها "الغفار": أي مسقط العقاب عن المذنبين.

/[215] ومنها "الحليم": أي الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمتنع من إيصال الرحمة.

ومنها "الواحد": أي الذي لا يشاركه أحد في حقيقته ولا في صفة الإلهية ولا في خلق الأرواح والأجسام ولا في نظم العالم وتدبير أحوال العرش مع الذرة.

ومنها "الغني": أي المنزه عن الحاجات والضرورات.

ومنها "الصبور": أي الذي لا يعاجل بالعقوبة[1117]، وقس[1118].

وأما "**الأسماء الدالة على الصفات ا لحقيقية مع الإضافية**"[1119]:

- فمنها الأسماء الحاصلة بسبب "القدرة" وهي كثيرة:

﴿قلْ هُوَ القادِرُ/[216] علَى أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[1120]، ﴿أيَحْسبُ الإنسانُ أن لنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ؟ بَلى قادِرينَ عَلى أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾[1121]، ﴿أليْسَ ذلِكَ بقادِرٍ عَلى أن يُحْيِيَ المَوْتى؟﴾[1122]، ﴿تَبارَكَ الذي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ

[1116] "فالقدوس سلب عائد إلى الذات، والسلام سلب عائد إلى الصفات" التفسير الكبير 138/1.

[1117] هذا معنى الحليم، أما الصبور فقال في التفسير الكبير 139/1 : "والفرق بينه وبين الحليم أن الصبور هو الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه، والحليم هو الذي يكون كذلك مع أنه لا يمنعه من إيصال نعمته إليه".

[1118] انظر "الباب السادس في الأسماء الواقعة بحسب الصفات السلبية" في التفسير الكبير 137/1-139.

[1119] هو "الباب السابع" ويشمل تسعة فصول في التفسير الكبير 139/1- 152.

[1120] الأنعام 66.

[1121] القيامة 3 و4.

[1122] القيامة 39.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1123]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[1124]، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1125]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[1126].

ولفظ "الملك" يفيد القدرة وقد جاء على وجوه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1127]، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[1128]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[1129]، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[1130]، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1131]، ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ/[217] لِلرَّحْمَٰنِ﴾[1132]، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1133].

ولفظ "القوة" يقرب من القدرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1134]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ [الرَّزَّاقُ][1135] ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1136].

- ومنها الأسماء الحاصلة بسبب "العلم":

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾[1137]، ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا

[1123] الملك 1.

[1124] الكهف 44.

[1125] القمر 55.

[1126] المرسلات 23.

[1127] الفاتحة 4.

[1128] المومنون 117.

[1129] الحشر 23.

[1130] الناس 2، "واعلم أن ورود لفظ "المَلك" في القرآن أكثر من ورود لفظ "المالك"، والسبب فيه أن الملك أعلى شأنا من المالك" التفسير الكبير 139/1.

[1131] القمر 55.

[1132] الفرقان 26.

[1133] المائدة 40 والأعراف 158 والتوبة 116 والفرقان 2 الزمر 44 والزخرف 85 والحديد 2 و5 والبروج 9.

[1134] الحج 40 و74.

[1135] ساقطة من المخطوط.

[1136] الذاريات 58، والحديث عن هذه الأسماء هو "الفصل الأول في الأسماء الحاصلة بسبب القدرة" في التفسير الكبير 139/1.

[1137] البقرة 254.

بعلمه﴾[1138]، ﴿قد أحاطَ بكُلِّ شَيْءٍ علما﴾[1139]، ﴿إنَّ اللَّهَ عندَهُ علمُ السّاعَةِ﴾[1140]، ﴿عالمُ الغَيْبِ والشّهادَةِ﴾[1141]، ﴿واللَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾[1142]، ﴿إنَّكَ أنتَ عَلّامُ الغُيوبِ﴾[1143]، ﴿اللَّهُ أعْلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسالاتِه﴾[1144]، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانونَ أنفسَكُمْ﴾[1145]، /[218] ﴿واللَّهُ يَعْلمُ ما تُسرّونَ وَما تُعْلنونَ﴾[1146]، ﴿وَعَلمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلها﴾[1147]، ﴿عَلّمَ القُرْآنَ﴾[1148]، ﴿سُبْحانَكَ لا عِلمَ لنا إلا ما عَلّمْتَنا﴾[1149]، ﴿وَعَلمَكَ ما لمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[1150]:

ولا يجوز أن يقال "الله معلم"؛ لأن لفظ "معلم" مشعر بنوع نقيصة، كما لا يجوز إطلاق "علامة"؛ لأنه يشعر بنوع من الكد.

ومما يفيد العلم لفظ "الخبر"[1151] وهو وارد في القرآن نحو ﴿خبير﴾، وكذا لفظ "الشهادة" إذا أريد به المشاهِد العالم، ومنه ﴿عالم الغيب والشهادة﴾[1152]، ومنه ﴿شَهِدَ /[219] اللَّهُ أنَّهُ لا إلهَ إلا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُولو العِلمِ قائما بالقِسْطِ﴾[1153]، وقد ترجع الشهادة لصفة الكلام.

ومما يفيد العلم "الحكمة" ومنه:

[1138] فاطر 11 وفصلت 47.
[1139] الطلاق 12.
[1140] لقمان 33.
[1141] الأنعام 73 والتوبة 94 و105 والرعد 9 والمومنون 92 والسجدة 6 والزمر 46 والحشر 22 والجمعة 8 والتغابن18.
[1142] البقرة 282 والنساء 176 والنور35 و64 والتغابن11.
[1143] المائدة 109 116.
[1144] الأنعام 125.
[1145] البقرة 187.
[1146] النحل 19.
[1147] البقرة 30.
[1148] الرحمن 1.
[1149] البقرة31.
[1150] النساء 113.
[1151] "وهو كالمرادف للعلم، حتى قال بعضهم في حد العلم : إنه الخبر" التفسير الكبير 140/1.
[1152] انظر الهامش رقم: 1004 السابق.
[1153] آل عمران 18.

﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيما حَكِيما﴾[1154]، وقد يراد منها ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي. ومنه أيضا "اللطيف": أي العليم بالدقائق، وقد يراد به إيصال المنافع بطرق خفية عجيبة[1155].

- وأما الأسماء الحاصلة بسبب صفة "الكلام" فمنها:

﴿حَتّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾[1156]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى تكْلِيماً﴾[1157]، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[1158]، ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ/[220] أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً﴾[1159]، ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾[1160]، ﴿إِنَّهُ يَقولُ إِنَّها بَقَرَةٌ﴾[1161]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا﴾[1162]، ﴿ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[1163]، ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[1164]، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[1165]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يأمُرُكُمْ أَن تؤدّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها﴾[1166]، ﴿وَواعَدْنا موسى﴾[1167]، ﴿وَعْدا عَلَيْهِ حَقّا﴾[1168]، ﴿فأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى﴾[1169]، ﴿وَكانَ اللَّهُ شاكِرا عَلِيما﴾[1170]، ﴿فأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورا﴾[1171].

[1154] النساء 11 و24 والأحزاب 1 والإنسان 30.

[1155] انظر "الفصل الثاني في الأسماء الحاصلة بسبب العلم" في التفسير الكبير 140/1.

[1156] التوبة 6.

[1157] النساء 164.

[1158] الأعراف 143.

[1159] الشورى 51، وهذه الآيات في "اللفظ الأول: الكلام" في التفسير الكبير 141/1.

[1160] البقرة 30 والحجر 28.

[1161] البقرة 70.

[1162] النساء 122.

[1163] ق 29، وهذه الآيات في "اللفظ الثاني: القول" في المرجع السابق.

[1164] الروم 4.

[1165] الأعراف 54.

[1166] النساء 58، وهذه الآيات في "اللفظ الثالث: الأمر" في المرجع السابق.

[1167] الأعراف 142.

[1168] التوبة 112 والنحل 38، وهاتان الآيتان في "اللفظ الرابع: الوعد" في المرجع السابق.

[1169] النجم 10، وهذه الآية في "اللفظ الخامس: الوحي" في المرجع السابق.

[1170] النساء 147.

[1171] الإسراء 19، وهاتان الآيتان في "اللفظ السادس: كونه تعالى شاكرا لعباده"، وانظر هذا المبحث في "الفصل الثالث في الأسماء الحاصلة بسبب صفة الكلام" في المرجع السابق.

- وأما الدالة على "الإرادة" فمنها:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1172]، ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾،/[221]﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[1173]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1174]، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1175]، ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[1176]:

والكراهة عند الأشعرية عبارة عن أن يريد أن لا يفعل[1177].

- وأما الدالة على "السمع والبصر" فمنها:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1178]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1179]، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[1180].

وأما **الدالة على الإضافية مع السلبية:**

فمنها "الأول": ومعناه الذي يكون سابقا على غيره ولا يسبقه غيره، والأول إضافة والثاني سلب[1181].

[1172] البقرة 185، وهي في "اللفظ الأول: الإرادة" في المرجع السابق.

[1173] الزمر 8 وفيها: (ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكم).

[1174] الفتح 18، وهاتان الآيتان في "اللفظ الثاني: الرضا" في المرجع السابق.

[1175] المائدة 54، وهي في "اللفظ الثالث: المحبة" في التفسير الكبير 142/1.

[1176] الإسراء 38، وهي في "اللفظ الرابع: الكراهة" في التفسير الكبير 142/1، وانظر "الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية" في شرح العقيدة الطحاوية ص114 وما بعدها.

[1177] قال الرازي بعده: "وقالت المعتزلة: بل هي صفة أخرى سوى الإرادة"، انظر "الفصل الرابع في الإرادة وما يقرب منها" في التفسير الكبير 141/1 و142، وما يقرب من الإرادة هنا: الرضا والمحبة والكراهة.
وقول الأشعرية هذا هو قول بعض الزيدية في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ص70.

[1178] الشورى 9.

[1179] طه 46.

[1180] الأنعام 104، انظر "الفصل الخامس في السمع والبصر" قال في التفسير الكبير 142/1 في آخره: "فهذا جملة الكلام في الصفات الحقيقية مع الإضافية".

[1181] "فكونه سابقا على غيره إضافة، وقولنا : إنه لا يسبقه غيره فهو سلب" التفسير الكبير 142/1.

ومنها "الآخر": /[222] ومعناه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره[1182].

ومنها "الظاهر": أي بحسب الأدلة، وهو إضافة محضة.

ومنها "الباطن": أي الخفي بحسب الماهية، وهو سلب محض.

ومنها "القيوم": أي القائم بأمور عباده من غير احتياج إلى شيء، فهو واجب الوجود لذاته وصفاته، وكل ما سواه محتاج إليه في ذاته وصفاته[1183].

وأما **الأسماء الدالة على الذات والصفات الحقيقية والإضافية والسلبية** (وهي المعروفة ب**"الصفات الجامعة"**):

فمنها "الإله": أي المستغني عن كل ما سواه /[223]، المفتقر إليه كل ما عداه، والمشهور أنه لا يجوز إطلاقه على غير الله عز وجل[1184].

ومنها "العظيم والأعظم والكبير والأكبر وذو العظمة والجلال والإكرام والكبرياء والمتكبر والعلي والأعلى":

والمراد بالعظيم: العظيم بحسب مدة الوجود؛ لأنه أزلي أبدي، والكبرياء في الوجود والبقاء والدوام، والعلو: التنزه عن النقائص

[1182] "والحال فيه كما تقدم" التفسير الكبير 142/1.

[1183] "فالأول سلب والثاني إضافة" و"هذا اللفظ يدل على المبالغة في هذا المعنى، وهذه المبالغة تحصل عند اجتماع" هذين الأمرين، وكل هذا في "الفصل السادس في الصفات الإضافية مع السلبية" في التفسير الكبير 142/1.

[1184] انظر الفصل السابع في التفسير الكبير 143/1، والظاهر أن الرازي أخذ هذه التقسيمات من الغزالي رحم الله الجميع، ففي المقصد الأسنى: الفن الثاني ص 126- 128:
"الفصل الثاني في المقاصد والغايات: وفيه بيان وجه رجوع هذه الأسامي الكثيرة إلى ذات وسبع صفات على مذهب أهل السنة ...، فاعلم أن الصفات إن كانت سبعة فالأفعال كثيرة والأوصاف كثيرة والسلوب كثيرة، ويكاد يخرج جميع ذلك عن الحصر، ثم يمكن التركيب من مجموع صفة، أو صفة وإضافة، أوصفة وسلب، أوسلب وإضافة، ويوضع بإزائه اسم فتكثر الأسامي بذلك، وكان مجموعها يرجع إلى ما يدل منها على الذات، أو على الذات مع سلب، أو على الذات مع إضافة، أو على الذات مع سلب وإضافة، أو على واحد من الصفات السبع، أو على صفة وسلب، أو على صفة وإضافة، أو على صفة فعل، أو على صفة فعل وإضافة أو سلب. فهذه عشرة أقسام ...، فلا تخرج هذه الأسامي وغيرها عن مجموع هذه الأقسام العشرة، فقس ما أوردناه على ما لم نورده؛ فإن ذلك يدل على وجه خروج الأسامي عن الترادف مع رجوعها إلى هذه الصفات المحصورة المشهورة ".

والحاجات، ف"العظيم والكبير" من أسماء الذات[1185]، و"العلي" من أسماء الصفات على مذهب أهل التنزيه خلافا للمشبهة[1186].

وأما **الأسماء الحاصلة** /[224] **من باب الأسماء المضمرة:**

فمنها "أنا": ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾[1187]، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾[1188].

ومنها "أنت":﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1189].

ومنها "هو": ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[1190]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[1191]، وهو كثير في القرآن، ولفظ "هو" فيه أسرار وتأثير في القلب عجيب، وقد ذكر له في الأصل عشر فوائد كلها للخيرات موائد[1192].

ثم اختلفوا **هل أسماء الله توقيفية أم اصطلاحية:**

فمنهم /[225] من قال: لا يجوز إطلاق شيء من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا إذا كان واردا في القرآن والأحاديث الصحيحة.

ومنهم من قال: كل لفظ يدل على معنى يليق بجلال الله وصفاته فهو جائز وإلا فلا.

[1185] هذا عند المشبهة، أما "عند أهل التوحيد من أسماء الصفات" التفسير الكبير 145/1.

[1186] انظر التفصيل في العظيم والعلي وما اشتق منهما في "الفصل الثامن في الأسماء التي اختلف العقلاء فيها أنها هل هي من أسماء الذات أو من أسماء الصفات" في التفسير الكبير 143/1- 145.

[1187] النحل 2.

[1188] طه 13.

[1189] الأنبياء 87.

[1190] البقرة 163.

[1191] المزمل 8، "أعلى الأقسام هو قوله: أنا، وأوسطها: أنت، وأدناها: هو، وكلمة التوحيد وردت بكل واحدة من هذه الألفاظ ..." التفسير الكبير 145/1.

[1192] انظر الفصل التاسع في التفسير الكبير 145/1- 152.

وقال الغزالي(ت 505): الاسم غير والصفة غير[1193].

وإطلاق الاسم على الله لا يجوز إلا عند وروده في القرآن والخبر، وأما الصفات فلا يتوقف، ولكل حجة[1194].

وقد وردت في القرآن (أي وفي السنة)[1195] ألفاظ دالة على معاني لا يمكن إثباتها في حق الله كالاستهزاء والمكر والغضب والتعجب- في قراءة: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾[1196]- /[226] والتكبر والحياء، فتحمل[1197] على لازمها القريب وهو الإرادة، أو البعيد وهو الإهانة والتعذيب والإحسان، أي كالرحمة وشبهها من كل ما لا يصح وصف الله به على معناه الحقيقي اللغوي[1198].

[1193] وقد خصص الغزالي لهذا "الفصلَ الأولَ في بيان معنى الاسم والمسمى والتسمية" ضمن "الفن الأول في السوابق والمقدمات" في كتابه: المقصد الأسنى ص6- 20.

[1194] انظر حججهم في المسألة الأولى من "الباب الثامن في بقية المباحث عن أسماء الله تعالى" في التفسير الكبير 152/1 و153.

[1195] هذا من إضافة المؤلف.

[1196] الصافات 12، أي بضم التاء، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف في "القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم" ص 446.

[1197] هذه العبارة إلى آخرها ليست من كلام الرازي، وإنما عبارته هي: "القانون الصحيح في هذه الألفاظ : ...، فإذا سمعت الغضب في حق الله تعالى فاحمله على نهايات الأعراض [أي إيصال الضرر إلى المغضوب عليه]، لا على بدايات الأعراض [أي غليان دم القلب وسخونة المزاج]، وقس الباقي عليه" التفسير الكبير: المسألة الثانية من الباب الثامن 153/1 و154.

[1198] في تفسير القرطبي: سورة الفاتحة 150/1:

"ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة فهو صفة ذات ...، أو نفس العقوبة ... فهو صفة فعل".

وفي 101/16 منه - عند شرحه لقوله تعالى: (فلما آسفونا انتقمنا منهم) الزخرف 55- أنه قول القشيري وأنه "معنى قول الماوردي".

ويرد ابن تيمية هذا التأويل لصفة الغضب من خلال نصه على قاعدة جليلة هي "**القول في بعض الصفات كالقول في بعض**" شرحها بقوله:

"فإن كان المخاطب ممن يقول بأن الله حي بحياة عليم بعلم...، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته، فيجعل ذلك مجازا ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر...، وإن قلت: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، فيقال له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة ..." مجموع الفتاوى 17/3 و18، وانظر أيضا 45/6 وما بعدها و119 منه.

وفي بعض الكتب أن أسماء الله أربعة آلاف أو خمسة آلاف[1199]، وقد مر[1200] أن أقسام صفات الله بحسب السلوب والإضافات غير متناهية، بل كل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم الأعلى والأسفل /[227] كان اطلاعه على أسماء الله أكثر:

فمن طالع تشريح بدن الإنسان ووقف فيه على ما يقرب من عشرة آلاف نوع من أنواع الرحمة والحكمة في تخليق بدن الإنسان فقد حصل في عقله عشرة آلاف نوع من أسماء الله، ونبَّهَه ذلك على أنه لا حصر لكلماته تعالى، فلا حصر لأسمائه[1201]، هـ بخ كبير.

وفي الإبريز أنه لما ذكر للقطب مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه أن بعض العلماء ذكر أن أسماء الله أربعة آلاف، قال: "إني في لحظة قدر تغميضة العين /[228] وفتحها أشاهد من أسمائه تعالى ما ينوف على مائة ألف، والترقي هكذا على الدوام في كل لحظة"[1202]، هـ.

[1199] في التفسير الكبير 154/1 : "في بعض كتب التذكير ...، وأقول: هذا غير مستبعد".

[1200] أي في مباحث الأسماء والصفات قبل قليل، ص 148 وما بعدها.

[1201] انظر المسألة الثالثة من الباب الثامن في التفسير الكبير 154/1.

[1202] صدره أحمد بن المبارك بقوله : "وكنت داخلا معه ذات يوم من باب الفتوح [هو حي بمدينة فاس] فسألته عن أسمائه تعالى وعددها ..." الإبريز ص336.

ولمسألة التوقف أو الاجتهاد في تسمية الله تعالى جعل ابن القيم **ضوابط** منها قوله:

"ودخل في أسمائه سبحانه "**الواجد**" دون: الموجد؛ فإن الموجد صفة فعل ...، وهذا الفعل لم يجئ إطلاقه في أفعال الله في الكتاب ولا في السنة ...، وإنما الذي جاء: خلقه وبرأه وصوره وأعطاه خلقه ونحو ذلك.

فلما لم يكن يستعمل فعله لم يجئ اسم الفاعل منه في أسمائه الحسنى؛ فإن الفعل أوسع من الاسم؛ ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يَتَسَمَّ منها بأسماء الفاعل: كأراد وشاء وأحدث ...، وقد أخطأ أقبحَ الخطإ من اشتق له من كل فعل اسما، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف ....

وكذلك **باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به**؛ فإنه يخبر عنه بأنه: شيء وموجود ومذكور ومعلوم ومراد، ولا يسمى بذلك ... .

أما **الموجود** فإنه منقسم إلى كامل وناقص وخير وشر؛ **وما كان مسماه منقسما لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى** ...، وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنى فتأمله" مدارج السالكين 415/3 و416، وانظر في 436/3 منه أيضا تخبط المتصوفة والمتكلمين في الاصطلاحات والأسماء التي لا مسميات لها.

الفصل الخامس عشر: في الرحمة

اعلم أن الأشياء إما نافعة ضرورية[1203] في الدنيا كالنفَس، أو في الآخرة كمعرفة الله تعالى، وإما نافعة غير ضرورية في الدنيا كالمال، أو في الآخرة كالعلوم والمعارف، وإما ضرورية غير نافعة كالمرض والموت والهرم والفقر في الدنيا فقط[1204]، وإما غير ضرورية ولا نافعة كالفقر /[229] في الدنيا والعذاب في الآخرة: فلو انقطع النفس في الدنيا لحظة لمات الإنسان، ولو زالت معرفة الله في الآخرة لحظة لمات القلب، فهذه قطرة من بحار رحمة الله تدلك على معرفة كونه **رحمانا رحيما**.

واعلم[1205] أيضا أنك جوهر مركب من نفس وبدن وروح وجسد، ثم تأمل[1206] في مراتب القوى الحساسة المحركة والمدركة والعاقلة، وفي مراتب المعقولات وفي جهاتها و[اعلم][1207] أنه لا نهاية لها. ولو أن العاقل أخذ في اكتساب العلم بالمعقولات /[230] وسرى فيها سريان البرق الخاطف والريح العاصف وبقي في ذلك السير أبد الآبدين لكان الحاصل له من العلوم قدرا متناهيا ولكانت العلوم التي لم يصل إليها غير متناهية، والمتناهي في جنب غير المتناهي قليل في كثير، فعند هذا يظهر له صدق قوله تعالى: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[1208].

وتأمل[1209] في كيفية تركيب الأخلاط الأربعة وتشريحها في بدنك وتعرّف ما في كل واحد من الأجزاء من المنافع /[231] يظهر لك صدق قوله تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[1210]، وينجلي لك أثر من آثار

[1203] "النفع ضد الضر" اللسان: نفع، و"الضرورة مشتقة من الضرر، وهو النازل مما لا مدفع له" التعريفات: باب الضاد 896- ص180،

[1204] "ولا نظير لهذا القسم في الآخرة، فإن منافع الآخرة لا يلزمها شيء من المضار" التفسير الكبير 164/1.

[1205] في التفسير الكبير 165/1 : "فإذا أردت أن تعرف هذا المعنى على التفصيل فاعلم أنك جوهر ...".

[1206] هذا التأمل في النفس.

[1207] زيادة من التفسير الكبير 165/1.

[1208] الإسراء 85.

[1209] هذا التأمل في البدن.

[1210] إبراهيم36 والنحل 18.

رحمة الله في خلقك وهدايتك فتفهم شيئا قليلا من معنى قوله ﴿الرحمن الرحيم﴾[1211]، ثم اعلم أنه لا رحمة في الحقيقة إلا لله، فما كان منها على غير يد مخلوق ظاهر، وما كان على يده فهو بخلق الله، فثبت أن الرحمن الرحيم هو الله تعالى، هـ بخ[1212].

ومنه أيضا **فوائد:**

الأولى: عادة المدين الفرار من رب الدّيْن، والله يقول: عبادي أنتم غرمائي بكثرة /[232] ذنوبكم، ولكن لا تفروا مني بل فروا إليّ: ﴿ففرّوا إلى الله﴾[1213]؛ لأنه رحمن رحيم.

الثانية: قال عليه السلام: إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والطير والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة[1214].

قال: هذا تفهيم وإلا فبحار رحمة الله لا تعد ولا تحصى[1215].

الثالثة: قال عليه السلام: إن الله عز وجل /[233] يقول يوم القيامة للمذنبين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا رب، فيقول: ولم؟ فيقولون: رجونا عفوك وفضلك، فيقول الله عز وجل: إني قد أوجبت لكم مغفرتي[1216].

[1211] في المخطوط: الرحيم، وهو خطأ.

[1212] التفسير الكبير: الباب العاشر في البحث المتعلق بقولنا (الرحمن الرحيم) 164/1 وما بعدها بتصرف.

[1213] الذاريات 50.

[1214] الحديث باختلاف يسير في مسند أبي يعلى 6372- 258/11 و6445- 328/11 وفي صحيح ابن حبان: ذكر الأخبار عن خلق الله عدد الرحمة... 6147- 15/14 عن أبي هريرة مرفوعا، وانظر صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف 6104- 2374/5 وصحيح مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه 2752 و2753- 2108/4 ومسند أحمد 8396 و9607 و10285 و10680 و10822 و11547 و11548 و23771.

[1215] في فيض القدير : حرف الهمزة 234/2 أن رحمة الله تعالى "رحمة متناهية، فلا يعتريها التقسيم والتجزئة، وإنما قصد **ضرب المثل** للأمة ليعرفوا التفاوت بين القسطين، قسط أهل الإيمان منها في الآخرة وقسط كافة المربوبين في الأولى...".

[1216] هو باختلاف يسير عن معاذ بن جبل مرفوعا في المعجم الكبير 184- 94/20 و251- 125/20 ومسند الطيالسي 564- 77/1 وشعب الإيمان 1048- 20/2، وانظر أيضا مسند أحمد 22125- 238/5، وفيها: "للمؤمنين" بدل "للمذنبين". = =

الرابعة: قال عليه السلام: إن الله عز وجل ينشر لبعض عباده يوم القيامة تسعة وتسعين سجلا، كل واحد منها مثل مد البصر، فيقول له: هل تنكر من هذا شيئا؟ هل ظلمك الكرام الكاتبون؟ فيقول: لا يا رب، /[234] فيقول الله تعالى: فهل كان لك عذر في عمل هذه الذنوب؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: إن لك عندي حسنة وإنه لا ظلم اليوم، ثم يخرج بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله"، فيقول العبد: يا رب كيف تقع هذه البطاقة في مقابلة هذه السجلات؟، فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة أخرى، فطاشت السجلات وثقُلت البطاقة، ولا يثقُل مع ذكر الله عز وجل شيء[1217].

/[235] الخامسة: عُرض صبي للزيادة في يوم حار في بعض الغزوات فأبصرته امرأة فأخذته وأقعدته على بطنها تقيه الحر وتقول "ابني ابني"، فبكى الناس وأخبروه عليه السلام، فقال: أعجبتم من رحمة هذه بابنها، فإن الله أرحم بكم جميعا من هذه المرأة بابنها، ففرحوا[1218].

السادسة[1219]: مرض سيدنا موسى عليه السلام فشكا إلى الله عز وجل فدله على نبات فأكله فعوفي، ثم عاوده ذلك الوجع، فأكل ذلك /[236] النبات فازداد مرضه فأوحى الله إليه: ذهبت في المرة الأولى مني على الكلإ فحصل فيه الشفاء، وذهبت في الثانية منك إليه فازداد مرضك، أما علمت أن الدنيا كلها سمّ وترياقها اسمي؟، هـ.

= = قال في فيض القدير: حرف الهمزة 30/3: "رجَوْنا: أي أملنا منك ستر الذنوب ومحو أثرها، فيقول: قد أوجبت لكم عفوي ومغفرتي؛ لأنه عند ظن عبده به - كما في الخبر الآخر- فحقق لهم رجاءهم...، رواه الطبراني بسنديْن أحدهما حسن".

[1217] هو باختلاف يسير عن عبد الله بن عمرو مرفوعا في مسند أحمد 6994- 213/2، وسنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله 2639- 24/5، وصحيح ابن حبان 225- 461/1، والمستدرك على الصحيحين: كتاب الإيمان 9- 46/1 وفيه: "صحيح على شرط مسلم". وطاشت: بمعنى خفت في مقابل: ثقلت. انظر اللسان: طيش.

[1218] انظر صحيح البخاري : كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته 5653- 2235/5، وصحيح مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه 2754- 2109/4، والمعجم الصغير: باب من اسمه إسحاق 272- 173/1.

[1219] هي النكتة الأولى من النكت الأربعة والعشرين المستخرجة من البسملة في التفسير الكبير 167/1.

السابعة[1220]: تهجدت رابعة العدوية[1221] ثم نامت، فدخل سارق وأخذ ثيابها فلم يهتد للباب فوضعها فوجده، فنودي: ضع الثياب واخرج؛ فإن نام الحبيب فالسلطان يقظان، هـ.

/[237] الثامنة[1222]: خالطت الذئاب غنم راع عارف بالله فلم تضرها، فمر به رجل وناداه: متى اصطلح الذئب والغنم؟ فقال الراعي: حين اصطلح الراعي مع الله عز وجل.

التاسعة[1223]: كتب فرعون قبل التأله على باب قصره "بسم الله"، فلما أرسل إليه موسى عليه السلام ودعاه فلم يجبه، قال: يا رب كم أدعوه ولا أرى به خيرا، فقيل له: تريد إهلاكه، إنك تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على /[238] باب قصره. فمن كتب هذه الكلمة على بابه الخارجي أمن من الهلاك وإن كان كافرا، فما بالك بمن كتبه على سويداء قلبه من أول عمره إلى آخره.

العاشرة[1224]: سمى نفسه رحمانا[1225] رحيما، فكيف لا يرحم؟، وقف سائل على باب كبير فأعطي قليلا، فأتى في اليوم الثاني بفأس وأخذ يخرب الباب، فقيل له، فقال: إما أن يجعل الباب لائقا بالعطية أو العطية لائقة بالباب.

/[239] الحادية عشرة[1226]: (الله) إشارة للقهر والقدرة والعلو، (الرحمن الرحيم) إشارة إلى أن رحمته أكثر وأكمل من قهره.

الثانية عشرة[1227]: إذا اشترى عبيد الملوك دواب ونحوها طبعوها بطابع الملك حتى لا يطمع فيها غيره، فكأنه تعالى يقول: إن لطاعتك عدوا - وهو الشيطان- فإذا شرعت في عمل فاجعل عليه علامتي وقل "بسم الله الرحمن الرحيم" حتى /[240] لا يطمع العدو فيها.

[1220] هي النكتة الثانية في التفسير الكبير 168/1.

[1221] كانت رابعة العدوية زاهدة عابدة كثيرة البكاء والحزن، مناقبها كثيرة ومشهورة، من أقوالها: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. انظر الطبقات الكبرى للشعراني 122- 65/1.

[1222] هي النكتة الثالثة في التفسير الكبير 168/1.

[1223] هي النكتة الخامسة في التفسير الكبير 168/1.

[1224] هي النكتة السادسة في التفسير الكبير 168/1.

[1225] انظر الاختلاف في صرف "رحمن" ومنعه من الصرف في البرهان في علوم القرآن: القسم العاشر، ما جاء على فعلان 509/2.

[1226] هي النكتة السابعة في التفسير الكبير 168/1.

[1227] هي النكتة الثامنة في التفسير الكبير 168/1.

الثالثة عشرة[1228]: يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتمه لأبي بكر رضي الله عنه لينقش عليه "لا إله إلا الله"، فدفعه للنقاش وقال له: انقش فيه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فلما قرأه عليه السلام وجد فيه "لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق"، فقال له: ما هذا يا أبا بكر؟ فقال: لم أرد أن أفرق بين اسمك وبين اسم الله، وأما الباقي فما قلته، /[241] فقال له جبريل: أنا كتبت اسم أبي بكر؛ لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسم الله، فما رضي الله أن يفرق اسمه عن اسمك. فمن لم يفارق ذكر الله أكرم بمثل هذه الكرامة.

الرابعة عشرة[1229]: لما ركب سيدنا نوح عليه السلام السفينة قال: (بسم الله مجراها ومرساها)[1230] فنجاه الله بنصفها، فمن واظب عليها طول عمره كيف يُحرم النجاة، وأيضا لما قال سيدنا سليمان عليه السلام: (إنه /[242] من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)[1231] نال مملكة الدنيا والآخرة[1232]، فالمرجو أن العبد إذا قالها فاز بملك الدنيا والآخرة.

الخامسة عشرة: باء "بسم الله" من البر، فهو البار بالمومنين دنيا وأخرى بأنواع الكرامات، وأجلّ ذلك إكرامهم برؤية وجهه الكريم سبحانه.

والسين من اسمه: السميع يسمع دعاء الخلق من العرش إلى ما تحت الثرى[1233]، وانظر قصة اليهودي الذي أسلم شوقا لله، وقصةَ زيد بن حارثة [1234]، /[243] وقصة استسقاء سيدنا سليمان عليه السلام في

[1228] هي النكتة التاسعة في التفسير الكبير 169/1.

[1229] هي النكتة العاشرة في التفسير الكبير 169/1.

[1230] هي في "هود" 41، وعن ابن عباس مرفوعا: "أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا السفن - أو البحر- أن يقولوا: ... بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم" المعجم الأوسط 6138 - 184/6.

[1231] النمل 30.

[1232] انظر نوادر الأصول في أحاديث الرسول: الأصل الثالث والسبعون في خصال سألها سليمان عليه السلام 370/1- 376 ولم يذكر مسألة البسملة، وذكرها في فيض القدير: حرف الباء الموحدة 191/3.

[1233] "وأما الميم فمعناه أن من العرش إلى ما تحت الثرى ملكه وملكه" التفسير الكبير 170/1.

[1234] انظر اسمه ونسبه الكامل وإقامته عند رسول الله من قبل بعثته عليه السلام وإسلامه في مجمع الزوائد: باب فضل زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم 274/9 و275، وما أسنده عن النبي عليه السلام في مسند البزار: مسند زيد بن حارثة رضي الله عنه 163/4- 170، وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: باب الحاء 2530- 559/3.

الفخر (ت 606)[1235].

السادسة عشرة[1236]: حكمة ذكر هذه الأسماء الثلاثة أن المخاطبين في القرآن على أصناف ثلاثة، قال تعالى: (فمنهم ظالم لنفسه) الآية[1237]، وقال هنا: أنا "الله" للسابقين، "الرحمن" للمقتصدين، "الرحيم" للظالمين. وأيضا "الله" هو مجزل العطاء، و"الرحمن" هو المتجاوز عن زلات الأولياء، و"الرحيم" هو المتجاوز عن الجزاء. ومن كمال رحمته كأنه يقول:/[244] أعلم منك ما لو علمه أبواك لفارقاك، والمرأة لجفتك، والأمة لفرت منك، والجار لسعى في تخريب الدار، وأنا أعلم كل ذلك وأستره بكرمي لتعلم أني إله كريم.

السابعة عشرة[1238]: "الله" يوجب ولايته: (الله ولي الذين آمنوا)[1239]، و"الرحمن" يوجب محبته: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)[1240]، و"الرحيم" يوجب رحمته: (وكان بالمومنين رحيما)[1241].

الثامنة عشرة[1242]: /[245] قال عليه السلام: من رفع قرطاسا من الأرض فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" إجلالا له تعالى كُتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وإن كانا مشركين[1243].

[1235] انظر تفصيل هذه الفائدة في النكتة الثانية عشرة في التفسير الكبير 170/1.
وقصة استسقاء نبي الله سليمان عليه السلام وإجابة الله تعالى دعوة نملة في ذلك في سنن الدارقطني: كتاب الاستسقاء 1- 66/2 والمستدرك على الصحيحين: كتاب الاستسقاء 1215- 473/1 وتاريخ بغداد 6460- 65/12 عن أبي هريرة مرفوعا، وانظر رواياته في البداية والنهاية 20/2 وفيض القدير: حرف الخاء 438/3.

[1236] هي النكتة الثالثة عشرة في التفسير الكبير 171/1.

[1237] فاطر 32.

[1238] هي النكتة الرابعة عشرة في التفسير الكبير 171/1.

[1239] البقرة 256.

[1240] مريم 97.

[1241] الأحزاب 43.

[1242] هي النكتة الخامسة عشرة في التفسير الكبير 171/1.

[1243] انظر الورع لابن حنبل ص91 والكامل في ضعفاء الرجال: من ابتداء أساميهم "عين" ممن ينسب إلى **ضرب من الضعف**، من اسمه عمر 1220- 49/5 عن أنس مرفوعا، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية 87/1 وما بعدها: "باب ثواب من رفع قرطاسا من الأرض فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فيه عن علي عليه السلام وأنس وأبي هريرة ...، قال المصنف: ليس في هذه الأحاديث ما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ...". =

وقصة بشر الحافي[1244] في هذا الباب معروفة[1245].

وعن أبي هريرة(ت 57) أنه عليه الصلاة والسلام قال: يا أبا هريرة إذا توضأت فقل "بسم الله" فإن حفظتك لا تبرح تكتب لك الحسنات حتى تفرغ[1246]، وإذا غشيت أهلك فقل "بسم الله"[1247] فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات /[246] حتى تغتسل من الجنابة، فإن حصل من تلك المواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفَس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه -إن كان له عقب- حتى لا يبقى منهم أحد، يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل "بسم الله والحمد لله"[1248] يُكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة، وإذا ركبت السفينة فقل "بسم الله والحمد لله"[1249] يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها.

وعن أنس(ت 92) مرفوعا: ستر ما بين أعين /[247] الجن وعورات بني آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا "بسم الله الرحمن الرحيم"[1250].

= = وفي الفوائد المجموعة 871- ص277: "رواه ابن عدي عن أنس مرفوعا، وفي إسناده من قيل: إنه كذاب، وقيل: متروك، وقد روي من طرق وبألفاظ علامات الوضع عليها لائحة".

[1244] هو أبو نصر بشر بن الحارث، من أهل خراسان من أهل مرو، نزيل بغداد، سمع من حماد بن زيد وغيره واعتزل الناس ولم يحدث، مات ببغداد سنة 227 وهو ابن ست وسبعين سنة، تهذيب الكمال 682- 102/4 و103.

[1245] انظر توبته بسبب تعظيمه قرطاسا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" في شعب الإيمان : التاسع من شعب الإيمان هو باب في تعظيم القرآن، فصل في تعظيم المصحف 5661- 544/2، وتهذيب الكمال 682- 103/4.

[1246] هو باختلاف يسير في المعجم الصغير: باب الألف، من اسمه أحمد 196- 131/1.
قال في مجمع الزوائد: كتاب الطهارة، باب التسمية عند الوضوء 220/1: "رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن".
وفي المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لعلي القاري: حرف الياء الأخيرة 406- 209/1 والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة 32- ص13: "منكر".

[1247] انظر دعاء الوقاع : - "بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا" وأنه إن قدر ولد لا يضره الشيطان أبدا- في صحيح البخاري 141 و3098 و6025 و6961 وصحيح مسلم 1434 وغيرهما من كتب السنن.

[1248] هذه بداية أدعية ركوب الدابة في صحيح ابن حبان : باب المسافر 2697 و2698- 414/6 و415 والمستدرك على الصحيحين: كتاب الجهاد 2482- 108/2.
أما البدء بالتكبير ثلاثا ففي صحيح مسلم 1342 وصحيح ابن خزيمة 2542 وصحيح ابن حبان 2695 و2696.

[1249] مما ورد في دعاء ركوب الدابة في صحيح ابن حبان: باب المسافر 2697- 414/6: "الحمد لله الذي أكرمنا وحملنا في البر والبحر ...".
قال في مجموع الفتاوى 392/22: "ولهذا شرعت التسمية في افتتاح الأعمال كلها ...".

[1250] انظر مسند البزار : مسند علي بن أبي طالب 484- 128/2 والمعجم الأوسط 2504- 68/3 والكامل في ضعفاء الرجال: من اسمه زيد 699- 198/3.

التاسعة عشرة[1251]: كتب قيصر إلى سيدنا عمر: إن بي صداعا لا يسكن فابعث لي دواء، فبعث إليه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه زال وجعه، ففتشها فوجد فيها كاغدا مكتوبا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم".

العشرون[1252]: قال عليه السلام: من توضأ ولم يذكر /[248] اسم الله كان طهورا لتلك الأعضاء، ومن ذكر اسم الله كان طهورا لجميع بدنه[1253].

الواحدة والعشرون[1254]: طُلب بعض آية من سيدنا خالد بن الوليد[1255] رضي الله عنه على صحة الإسلام، فقال: ايتوني بسمّ، فأتوه بطاس من السم فأخذها بيده وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم" وأكل الكل وقام سالما بإذن الله تعالى[1256]، فقال المجوس: هذا دين حق.

الثانية والعشرون[1257]: /[249] مر سيدنا عيسى عليه السلام على قبر يعذب صاحبه، ثم مر عليه فوجده في رحمة، فصلى ودعا الله تعالى، فأوحى الله إليه: كان هذا العبد عاصيا، ومذ مات كان محبوسا في العذاب، فولدت امرأته ولدا وربته حتى كبر وسلمته إلى الكُتّاب، فلقنه المعلم "بسم

1251 هي النكتة السادسة عشرة في التفسير الكبير 171/1.

1252 هي النكتة السابعة عشرة في التفسير الكبير 172/1.

1253 هو باختلاف يسير في سنن الدارقطني : كتاب الطهارة، باب التسمية على الوضوء 12- 74/1 عن أبي هريرة مرفوعا، وسنن البيهقي الكبرى: كتاب الطهارة، باب التسمية على الوضوء 200 و201- 44/1 و45 قال البيهقي في رواية ابن عمر له مرفوعا: "وهذا أيضا ضعيف ...، وروي من وجه آخر ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا"، وانظر الاختلاف في الحكم على إسناده في فيض القدير: حرف "لا" 430/6.
وفي شرح سنن ابن ماجة 32/1 وتحفة الأحوذي 94/1: "والمراد الطهارة من الذنوب؛ لأن الحديث لا يتجزأ".

1254 هي النكتة الثامنة عشرة في التفسير الكبير 172/1..

1255 هو أبو سليمان سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي، أسلم بعد الحديبية، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، عنه ابن عباس - وهو ابن خالته- وغيره، استعمله أبو بكر على قتال أهل الردة ومسيلمة، ومات رضي الله عنه بحمص. انظر تهذيب التهذيب 228-107/3.

1256 في تهذيب التهذيب 228- 107/3 وهو يتحدث عن خالد بن الوليد :
"وقال محمد بن سعد: كان يشبه عمر في خلقته وصفته، ولما نزل الحيرة قيل له: احذر السم لا تسقيكه الأعاجم، فقال: ائتوني به، فأخذه بيده وقال: بسم الله، وشربه".

1257 هي النكتة التاسعة عشرة في التفسير الكبير 172/1.

الله الرحمن الرحيم"، فغفرت له[1258].

الثالثة والعشرون: قيل: حروف البسملة تسعة عشر، والزبانية كذلك، فالله تعالى يدفع بأسها عن عبده بحروف البسملة[1259].

/[250] الرابعة والعشرون: لما كانت سورة التوبة مشتملة على الأمر بالقتال لم تبدأ بالبسملة[1260]، ومن السنة أن يقال عند الذبح "بسم الله" فقط؛ لأن وقت القتل لا يليق به ذكر "الرحمن الرحيم"، فلما وُفق العبد لذكرها سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة دل ذلك على أنه ما خلقهُ للقتل والعذاب وإنما خلقه للرحمة والفضل والإحسان ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾[1261].

[1258] في الفوائد المجموعة 864- ص276 : "حديث: خير الناس المعلمون، كلما خلق الذكْر جدَّدوه، أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم، فإن المعلم إذا قال للصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله براءة للصبي وبراءة لوالديه وبراءة لمعلمه من النار. هو موضوع".
وقد ذكر في الكشاف "عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب (الحمد لله رب العالمين) فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة"، علق عليه ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 19/1 بقوله: "أخرجه الثعلبي من رواية أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عنه، قلت: إلا أن دون أبي معاوية من لا يحتج به، وله شاهد في مسند الدارمي عن ثابت بن عجلان قال: "كان يقال: إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم" يعني بالحكمة: القرآن".

[1259] انظر التفسير الكبير 172/1، وهو من قول ابن مسعود في تفسير القرطبي : البسملة 92/1، وفي فيض القدير: حرف الباء الموحدة 192/3 أنه مما ورد عن الخطيب "في الجامع بين آداب القارئ والسامع، عن أبي جعفر معضلا".
قال في المحرر الوجيز 54/1 معلقا على القول بترتب عدد ملائكة النار على حروف البسملة: "وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم، وهي نظير قولهم في ليلة القدر ...، ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمد ...".

[1260] "أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لِمَ لمْ تكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان وبراءة نزلت بالسيف" الدر المنثور للسيوطي: سورة التوبة 122/4، وفي روح المعاني: سورة التوبة 41/10: "ومثله عن محمد بن الحنفية وسفيان بن عيينة".

[1261] البقرة 105 وآل عمران 74 والأنفال 29 والحديد 20 و28 والجمعة 4، وما ذكر هنا من فوائد - ابتداء من الفائدة السادسة إلى هنا- أورده في التفسير الكبير: الباب الحادي عشر في بعض النكت المستخرجة من قولنا (بسم الله الرحمن الرحيم) 167/1- 173.

سورة الفاتحة

وفيها فصول:

الفصل الأول: في سبب نزولها

/[251] قال في الإتقان: الأكثرون على أنها مكية[1262]، بل ورد أنها أول ما نزل[1263]، ومن الأدلة على كونها مكية أنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، ولم يُحفظ في الإسلام صلاة بدونها كما لابن عطية(ت 546)[1264] وغيره[1265].

وقال مجاهد(ت 103) والزهري(ت 125) وعطاء(ت 103) وسوادة ابن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير[1266](ت 73): إنها مدنية[1267]، وورد عن أبي هريرة (ت 57) بإسناد جيد[1268].

وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة مبالغة في تشريفها[1269].

1262 انظر تفسير البغوي 37/1 وتحفة الأحوذي : باب ومن سورة فاتحة الكتاب 228/8.

1263 "اختلف الناس في أول ما نزل من القرآن ...، وقيل: الفاتحة" تفسير القرطبي 82/1.
"والمحفوظ أن أول مانزل: (اقرأ باسم ربك) وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك" فتح الباري: كتاب التفسير، سورة "اقرأ" 4670- 719/8، "وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم" شرح النووي على صحيح مسلم: باب بدء الوحي 208/2.

1264 انظر المحرر الوجيز 61/1.

1265 كالقرطبي في تفسيره 82/1.

1266 هو أبو هاشم عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد المكي الليثي ثم الجندعي، روى عن أبيه وعائشة وغيرهما، عنه جريج وخلق، ثقة حجة. انظر تهذيب التهذيب 524- 269/5.

1267 انظر المحرر الوجيز 61/1.

1268 في مصنف ابن أبي شيبة: باب ما نزل بمكة والمدينة 30139- 139/6: "حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة قال: أنزلت فاتحة الكتاب بالمدينة".

1269 "وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني؛ لأنها نزلت مرتين ..." تفسير البغوي: سورة الحجر 57/3.
وفي الناسخ والمنسوخ للكرمي ص230: "وقال بعضهم: نزلت مرتين: مرة بمكة حين فرض الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة"، "وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا = =

وحكى أبو الليث السمرقندي[1270] /[252] أنها نزلت نصفين: نصفها بمكة ونصفها بالمدينة، هـ بخ[1271].

الفصل الثاني: في أسمائها

وقد ذكر لها في الإتقان **خمسة وعشرين اسما**[1272]:

فاتحة الكتاب؛ لأنه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي قراءة الصلاة.

فاتحة القرآن؛ لما ذكر.

أم الكتاب، أم القرآن؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة - وجزم به البخاري(ت 256)[1273] -، ولتقدّمها وتأخر ما سواها[1274]، وقيل غير ذلك[1275].

القرآن العظيم؛ لاشتمالها /[253] على المعاني التي في القرآن.

(الوافية؛ لأنها وافية بما في القرآن من المعاني)[1276].

= = به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة ..." البرهان في علوم القرآن: النوع الأول معرفة أسباب النزول، فصل فيما نزل مكررا 29/1.

[1270] أي "في تفسيره" كما في تفسير القرطبي 82/1، وعقب عليه ابن كثير في تفسيره 9/1 بقوله: "وهو غريب جدا".

وهو أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، الفقيه له تفسير القرآن العظيم وتنبيه الغافلين، توفي سنة 393، وقال الصفدي والذهبي: 375. انظر طبقات المفسرين للداودي 346/2 وسير أعلام النبلاء 322/16.

[1271] الإتقان في علوم القرآن: النوع الأول معرفة المكي والمدني، فصل في تحرير السور المختلف فيها 12/1 بتصرف.

[1272] فإن كثرة الأسماء تدل "على شرف المسمى" تفسير الرازي 173/1 والإتقان 52/1.

[1273] في صحيح البخاري 1623/4 : "كتاب التفسير ...، باب ما جاء في فاتحة الكتاب: وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة".

[1274] هذا تعليل الماوردي في الإتقان 53/1.

[1275] انظر خمس تعليلات أخرى في الإتقان 53/1، فصلها الرازي قبله في التفسير الكبير 173/1- 175.

[1276] مثبتة في الهامش، وأورده في الإتقان 53/1 بعد "السبع المثاني".

"كان سفيان بن عيينة يسميها بهذا الاسم، قال الثعلبي: وتفسيرها أنها لا تقبل التنصيف..." التفسير الكبير 176/1.

السبع المثاني؛ لأنها سبع آيات، والمثاني من التثنية؛ لأنها تثنى - أي تكرر - في الصلوات في كل ركعة[1277].

الكنز؛ لما تقدم في أم القرآن[1278].

الكافية؛ لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها[1279].

الأساس؛ لأنها أول سورة[1280].

النور، سورة الحمد، سورة الشكر، سورة الحمد الأولى، سورة الحمد القصرى، الرّقية[1281]، الشفاء[1282]، الشافية، سورة الصلاة، الصلاة[1283]، سورة /[254] الدعاء[1284].

[1277] والمثاني إما من الثناء والمدح وإما من الثنيا والاستثناء وإما من التثنية والتكرير، "وقال جماعة أخرى : بل المثاني فاتحة الكتاب؛ لأنها تثنى قراءتها في كل صلاة" تفسير الطبري 103/1، وانظر الإتقان 53/1، وهذا التعليل هو الوجه السادس من بين الوجوه الثمانية "في سبب تسميتها بالمثاني" في التفسير الكبير 175/1 و176

[1278] قال في الكشاف 1/1 : "وتسمى أم القرآن؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد، وسورة الكنز والوافية لذلك".

[1279] عن عبادة بن الصامت مرفوعا : "أم القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عوضا منها" الفردوس بمأثور الخطاب 1688- 417/1.
وفي تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج: كتاب الصلاة 246- 291/1 أنه من رواية الحاكم "وقال: على شرطهما".

[1280] أي في ترتيب سور القرآن، وهذا التعليل هو الوجه الأول من الوجوه الثلاثة لتسميتها بالأساس في التفسير الكبير 176/1.
ومن كلام ابن عباس: "... وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم)، فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى" تفسير القرطبي 80/1.

[1281] وردت هذه التسمية في حكاية أبي سعيد كيفية رقية بعض الصحابة لسيد حي من أحياء العرب بالفاتحة وقول الرسول عليه السلام: "وما يدريك أنها رقية؟ ... قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما" في صحيح البخاري 2156- 795/2 وصحيح مسلم 2201- 1727/4 وسنن أبي داود 3418- 265/3 وغيرها.

[1282] في سنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب 3370- 538/2 عن عبد الملك بن عمير مرفوعا: " فاتحة الكتاب شفاء من كل داء".

[1283] "قال المرسي : لأنها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه" الإتقان 53/1، وحديث: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي في الموطإ 188- 84/1 وصحيح مسلم 395- 296/1 ومسند أحمد 7289- 241/2.

[1284] "وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به و تجنب ما نهى عنه والاستقامة عليه" فيض القدير: حرف الفاء 419/4.

سورة السؤال؛ لقوله: (وإيّاكَ نَسْتَعينُ) و(اِهْدِنا) لخ.

سورة تعليم المسألة، سورة المناجاة؛ لقوله: (إياك نعبد) لخ.

سورة التفويض؛ لقوله: (وإياك نستعين)[1285].

قال في الإتقان: ولم تجتمع قبلُ في غير هذا الكتاب[1286].

أقول: وقد ذكر الفخر(ت 606) منها **اثني عشر اسما** وبيَّن أسبابها، فانظره[1287].

الفصل الثالث: في فضلها

أخرج البخاري(ت 256) في صحيحه عن أبي سعيد الحارث بن المعلى الأنصاري(ت 74)[1288] أن النبي صلى الله عليه وسلم /[255] قال: لأعَلِّمَنَّكَ سورَةً هِيَ أعْظمُ سورَةٍ في القُرْآنِ، ثم قال: هي (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ) هِيَ السَّبْعُ المَثاني وَالقُرآنُ العَظيمُ الذي أوتيتُهُ[1289].

وفي الفخر(ت 606) عن أبي سعيد الخدري (سعيد بن مالك)[1290] (ت 74) مرفوعا: "فاتِحَةُ الكِتابِ شِفاءٌ مِنَ السُّمِّ"[1291].

[1285] "... وذلك لاشتمال الحمد على التفويض والافتقار إليه تعالى" فيض القدير: حرف الهمزة 484/1.

[1286] انظر الإتقان : النوع السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سوره 52/1 و53.

[1287] التفسير الكبير : الباب الأول من الكلام في سورة الفاتحة وفي ذكر أسماء هذه السورة 173/1- 177.

[1288] هو أبو سعيد، وأصح ما قيل في اسمه: الحارث بن نفَيْع بن المعلى الأنصاري، وأمه أميمة بنت قُرْط بن خنساء من بني سلمة، قال ابن الأثير: له صحبة، توفي سنة 74 أو73. انظر أسد الغابة لابن الأثير 142/6.

[1289] انظر صحيح البخاري : كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب 4204- 1623/4.

[1290] في الهامش بعبارة "صح".

[1291] شعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذكر فاتحة الكتاب 2368- 450/2، وانظر التفسير الكبير 178/1.

وعن حذيفة(ت 36)[1292] مرفوعا: إنَّ القومَ لَيَبعَثُ اللهُ عَلَيْهِمُ العَذابَ حَتْما مَقضِيا، فيَقْرَأُ صَبِيٌّ مِن صِبْيانِهِمْ في المَكْتَبِ (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ) فيَسْمَعُهُ اللهُ فيَرْفَعُ عَنْهُمُ العَذابَ بسَبَبِهِ أرْبَعينَ سَنَةً[1293].

وعن الحسين(ت 61)[1294] قال: أنزل الله /[256] تعالى مائة كتاب وأربعة كتب من السماء، فأودع علومَ المائة في الأربعة، ثم أودع علومَ هذه الأربعة في الفرقان، ثم أودع علوم الفرقان في المفصّل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمن علم تفسير الفاتحة كان كمن علم تفسيرَ جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان[1295].

قال الفخر: والسبب فيه[1296] أن المقصود من جميع الكتب الإلهية علم الأصول /[257] والفروع والمكاشفات، وهذه السورة مشتملة على هذه العلوم الثلاثة، فكانت كالمشتملة على جميع المطالب الإلهية:

وذلك أن العلوم البشرية إما علم ذات الله وصفاته وأفعاله - وهو علم الأصول[1297] -، وإما علم أحكام الله وتكاليفه - وهو علم الفروع[1298] -، وإما علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية[1299]، والمقصود من القرآن بيان هذه الأنواع الثلاثة، وهذه السورة مشتملة /[258] عليها:

ف"الحمد لله" إلى "الدين" إشارة لعلم الأصول؛ لأن الدال على وجوده وجودُ مخلوقاته، فقوله (رب العالمين) يجري مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده إلا بكونه ربا للعالمين. وقوله (الحمد لله)

[1292] هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان، صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 36 بعد مقتل عثمان في أوائل خلافة علي. انظر الاستيعاب 334/1.

[1293] انظر التفسير الكبير 178/1.
وهو " موضوع، كما قاله الحافظ العراقي وغيره، وقيل: إنه ضعيف" كشف الخفا: حرف الهمزة مع النون 672- 256/1.

[1294] هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل سنة 61 شهيدا بكربلاء عن ست وخمسين سنة. انظر شذرات الذهب 66/1 وسير أعلام النبلاء 280/3.

[1295] هو عن الحسن في شعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذكر فاتحة الكتاب 2371- 450/2، وانظر التفسير الكبير 178/1.

[1296] أي في تسمية الفاتحة بأم القرآن.

[1297] أي أصول الدين، وهو علم العقائد أو التوحيد أو الكلام أو الفقه الأكبر.

[1298] أي علم الفقه.

[1299] ويسمى علم السلوك أو الزهد أو التصوف أو الأخلاق.

إشارة إلى كونه مستحِقا للحمد، ولا يكون كذلك إلا إذا كان قادرا على كل الممكنات عالما بجميع المعلومات. ثم وصفه بنهاية الرحمة، وهو كونه رحمانا رحيما، ثم وصفه بكمال القدرة وهو قوله: (ملك يوم الدين) حيث لا /[259] يهمل أمر المظلومين، بل يستوفي حقوقهم من الظالمين.

ثم ذكر علم الفروع وهو العبودية ب"إياك نعبد" مازجا له بعلم الأصول وهو "وإياك نستعين"[1300].

ثم ذكر درجات المكاشفات وهي محصورة في حصول الهداية وتجلي درجات الأبرار في القلب وصَوْنها عن مضار الشهوات والشبهات الحاصلة للمغضوب عليهم والضالين، هـ بخ[1301].

وأخرج الترمذي(ت 279) والنسائي(ت 303) /[260] والحاكم(ت 450) من حديث أبي بن كعب(ت 30) مرفوعا: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني[1302].

وأخرج أحمد(ت 241) وغيره من حديث عبد الله بن جابر (الأنصاري البياضي)[1303]: أَخْيَرُ سورة في القرآن "الحمد لله رب العالمين"[1304].

[1300] "وهو أن أداء وظائف العبودية لا يكمل إلا بإعانة الربوبية" التفسير الكبير 174/1.

[1301] هو السبب الرابع من أسباب تسمية الفاتحة بأم القرآن في التفسير الكبير 174/1 بتصرف.
وقد فصل ابن القيم الحديث عما اشتملت عليه الفاتحة من "المطالب العالية" و"أنواع التوحيد الثلاثة" و"شفاء القلوب والأبدان" و"الرد على جميع المبطلين مجملا ومفصلا" و"معاني القرآن والعبادة والاستعانة" وغيرها من المباحث والعلوم في مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين).

[1302] انظر سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب 2875- 155/5 وكتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر 3152- 297/5 والسنن الكبرى: فضل فاتحة الكتاب 986- 318/1 والمستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة 2048- 744/1، والموطأ 186- 83/1 ومسند أحمد 8667- 357/2 وصحيح ابن خزيمة 500- 252/1 وصحيح ابن حبان 775- 53/3.

[1303] في الهامش بعبارة "صح".

[1304] في مسند أحمد: حديث عبد الله بن جابر 177/4: "... ثم قال: ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأَخْيَرِ سورة في القرآن؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: اقرأ (الحمد لله رب العالمين) حتى تختمها".
علق عليه ابن كثير في تفسيره 11/1 بقوله: "هذا إسناد جيد، وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار"، وفي مجمع الزوائد 310/6: "وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو سيء الحفظ، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات".
والحديث "موقوف في مسلم من حديث عبد الله بن عمر" كما في الأحاديث المختارة 112- 130/9.

وللبيهقي(ت 458) في الشعب والحاكم(ت 450) من حديث أنس (ت 92): أفضلُ القرآنِ "الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ"[1305].

وأخرج عبد الله في مسنده من حديث ابن عباس(ت 63): "فاتحةُ الكتابِ تعدِلُ /[261] ثلثي القرآنِ"[1306]، قال ابن عطية(ت 542): وهذا العدل إما أن يكون في المعاني وإما أن يكون تفضيلا من الله عز وجل لا يعلل، وكذلك يجيء عدل "الإخلاص" و"الزلزلة" وغيرهما[1307]،هـ من الثعالبي(ت 875)[1308].

وأخرج الدارمي(ت 255) والبيهقي(ت 458) في شعب الإيمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن عُمير[1309] مرفوعا: "فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ مِن كلِّ داءٍ"[1310].

[1305] في شعب الإيمان : فصل في فضائل السور والآيات، ذكر فاتحة الكتاب 2358- 444/2 عن أنس: "... يمشي رجل من أصحابه إلى جانبه فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ قال: فتلا عليه (الحمد لله رب العالمين)".
وانظر أيضا المستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة 2056- 747/1 وسنن النسائي 8011- 11/5 و10559- 181/6.
وفي صحيح ابن حبان 774- 52/3: "قال أبوحاتم: ... أراد به: بأفضل القرآن لك، لا أن بعض القرآن يكون أفضل من بعض؛ لأن كلام الله يستحيل أن يكون فيه تفاوت التفاضل".
وقال المناوي في فيض القدير: حرف الهمزة 46/2: "... وهي الفاتحة، بمعنى أن الله سبحانه جعل قراءتها في الثواب كقراءة أضعافها من سورة أخرى".

[1306] مسند عبد بن حميد: مسند ابن عباس 678 ص227، وانظر كشف الخفا: حرف الفاء 1816- 106/2، وفي شرح السيوطي لسنن النسائي 995- 172/2 أن الحديث "من المتشابه، وعليه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه".

[1307] المحرر الوجيز 62/1، وأورد حديث ابن عباس بعبارة: ويروى.
وبالنسبة لعدل بعض السور فقد أخرج البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل (قل هو الله أحد) 4726- 1915/4 عن أبي سعيد مرفوعا: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وفي المستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، ذكر فضائل سور وآي متفرقة 2078- 754/1 عن ابن عباس مرفوعا: "(إذا زلزلت) تعدل نصف القرآن، و(قل يا أيها الكافرون) ربع القرآن، و(قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن".

[1308] انظر تعليق ابن عطية على حديث ابن عباس في تفسير الثعالبي: تفسير فاتحة الكتاب 22/1.

[1309] هو أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي الكوفي، المعروف بالقبطي، رأى عليا وروى عن الأشعث بن قيس وغيره، عنه ابنه موسى وشهر بن حوشب وآخرون، كان أفصح الناس وتوفي سنة 136 تقريبا. انظر تهذيب التهذيب 765- 364/6.

[1310] سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب 3370- 538/2.
وعلق عليه في شعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذكر فاتحة الكتاب 2370- 450/2 بقوله: "وهذا منقطع، وهو شاهد لما تقدم". = =

وأخرج أبو الشيخ(ت 369) /[262] في الثواب[1311] عن عطاء قال: "إذا أردتَ حاجَة فاقرأ بفاتحةِ الكتابِ حتى تَختِمَها تُقْضَى إن شاءَ اللهُ"[1312].

وفي الموطإ والصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة(ت 57) مرفوعا: قال الله عز وجل: قسَمْتُ الصَّلاةَ بيْني وَبَيْنَ عَبْدي نِصفَيْنِ، فنِصْفُها لي ونِصْفُها لِعَبْدي ولِعَبْدي ما سَأَل، قال: يقول العبدُ (الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ)، فيقول الله: حمِدَني عبدي، ويقولُ العبدُ (الرحمنِ الرحيمِ)، فيقولُ /[263] اللهُ: أثنى عليَّ عَبدي، ويقولُ العبدُ (ملكِ يومِ الدّينِ)، فيقولُ اللهُ: مَجَّدَني عبْدي، ويقولُ العبدُ (إيّاكَ نعْبُدُ وإيّاكَ نسْتعينُ)، فيقولُ اللهُ: هذا بيْني وبيْن عبْدي، أوَّلُها لي وَآخِرُها لِعَبْدي وَلهُ ما سَألَ، ويقولُ العبدُ: (اِهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ) لخ، فيقولُ اللهُ: هذا لِعَبْدي وَلِعَبْدي ما سَألَ هـ[1313].

وفي جواهر المعاني أن قراءتها مرة واحدة فيها أجرُ خَتمة من القرآن الكريم، وفيها أكثر من أجر كل تسبيح وقع في كورة /[264] العالم، وأن لتاليها في كل مرة سبعة قصور وسبع حور بعدد كل حرف من حروفها ومن حروف القرآن، وهذا في غير الصلاة، أما فيها فيتضاعف مرتين للقاعد، وأربع مرات للقائم، وهذا للفذ، أما المصلي في جماعة فيزداد التضاعف إلى ما لا نهاية له، مع زيادة أجر تسبيح العالم وقيام ليلة القدر وعبادة سنين وختمات قرآن في كل حرف، وهذا لمن لم /[265] يفهم

= = ومعنى "شفاء من كل داء: من أدواء الجهل والمعاصي والأمراض الظاهرة؛ لما حوته من إخلاص العبودية والثناء على الله وتفويض الأمر إليه والاستعانة به والتوكل عليه وسؤاله مجامعَ النعم كلها، وهي الهداية التي تجلب النعم وتدفع النقم، وذلك من أعظم الأدوية الشافية الكافية" فيض القدير : حرف الفاء 419/4.

[1311] أي "في كتاب الثواب" فيض القدير : حرف الفاء 420/4،

[1312] انظر فيض القدير : حرف الفاء 420/4.

وفي كشف الخفا: حرف الفاء 1816- 107/2: "ولأبي الشيخ في الثواب عن عطاء ...، ويستأنس لذلك بحديث: خير الدواء القرآن، وما أشبهه، انتهى، وقال القاري: لا أصل له بهذا اللفظ، وكذا غالب فضائل السور التي ذكرها بعض المفسرين".

[1313] انظر الموطأ: باب القراءة خلف الإمام 188- 84/1 وصحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة 395- 296/1 ومسند أحمد 7289- 241/2 و7823- 285/2 و9934- 460/2 وصحيح ابن خزيمة: باب فضل قراءة فاتحة الكتاب 502- 252/1 وصحيح ابن حبان: ذكر كيفية قسمة فاتحة الكتاب 776- 54/3 وذكر الخبر الدال على أن الفرض على المأموم والمنفرد قراءة فاتحة الكتاب في صلاته 1784- 84/5 وذكر الزجر عن ترك قراءة فاتحة الكتاب 1795- 96/5.

معنى التفسير، وأما من علم التفسير فيضاعف له الأجر مرتين، وهو مائتا حسنة لكل حرف، ولا تكتب لقارئ الفاتحة سيئة في تلك السنة، وهذا في غير نية الاسم الأعظم، وأما قراءتها بنية الاسم الأعظم فلا يحيط بفضلها إلا الله عز وجل، ويُجاورُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في عليين، وفيها من الأسرار المكتومة ما لا يجوز إفشاؤه، هـ بخ[1314].

ومن بعض رسائل سيدنا تاج الأولياء مولانا أحمد التجاني(ت 1230) /[266] رضي الله عنه ونفعنا به ما نصه:

"وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إن قدر على أن تكون كلية وإلا فالأبقع خير من الأسود، وأقل ذلك شكراللسان، فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر، فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوةُ الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله [عليه][1315] /[267] شكرا، وليَنْو عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه الظاهرة والباطنة والحسية والمعنوية، والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه والعاجلة والآجلة والمتقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة، ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة - من مرة إلى مائة-، فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا وكان ثوابُه المزيدَ من نعمه على قدر /[268] رتبته بحسب وعده الصادق"[1316]، هـ وبالله التوفيق.

الفصل الرابع: في إعرابها

لاشك أنها اشتملت على سائر العلوم، ومنها علم النحو، فلا بأس أن نتعرض لاستخراج القواعد النحوية منها فنقول:

[1314] "وهذه الخاصية في الفاتحة فقط دون ما عداها من المتلوات التي كملت فيها حروف الاسم" انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني 117/1- 119 وفيه أن هذه الأخبار مما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم شفويا.

أقول: وهذا -عند أهل الظاهر- مما لا سبيل إليه إلا الرواية المسندة.

[1315] ساقطة من المخطوط ، والتصويب من جواهر المعاني وبلوغ الأماني 164/2.

[1316] جواهر المعاني وبلوغ الأماني: الباب الخامس، الفصل الرابع في رسائله 164/2.

"**الحمد لله**": مبتدأ وخبر، ف"الحمد" مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على الدال ورافعه الابتداء على مذهب سيبويه(ت 180) وهو الاهتمام به /[269] وجعله أوّلا ليؤتى له بثان[1317]، ورفع بالضمة؛ لأنه اسم مفرد، والخبر "لله" على تقدير "مستحَق" أو "مختَصّ" أو "مملوك"[1318]، أو ب"استُحق" أو "اختص"، واللام حرف جر، وما بعده مجرور بالكسرة الظاهرة على الهاء[1319]؛ لأنه اسم مفرد منصرف، والجار له اللام، وعلى التقدير الأول الجملة اسمية صغرى، وعلى الثاني جملة اسمية كبرى؛ لأن الصغرى هي المبتدأ والخبر المفرد، والكبرى /[270] هي المبتدأ وخبره الجملة[1320].

و"**رب العالمين**": نعت لاسم الجلالة، ونعت المجرور مجرور بالكسرة الظاهرة على الباء، وهو في الأصل مصدر "رَبَّه يَرُبّه رَبّا"[1321] ثم وُصف به على حد "زيد عدل"[1322]، فهو رب بمعنى رابّ[1323] أو مُرَبّ[1324]، وهو مضاف و"العالمين" مضاف إليه مجرور بالياء[1325]

[1317] "هذا باب يُختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنيا عليها ما بعدها ...، وإنما استحبوا الرفع فيه لأنه صار معرفة وهو خبر فقويَ في الابتداء ...، وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعرف، وهو أصل الكلام" كتاب سيبويه 328/1.
قال الزجاجي في كتاب اللامات: باب لام الاستحقاق ص65: "... يقدر سيبويه فيهما معنى الاستقرار، تقديره عنده: المال مستقر لزيد، **والحمد مستقر لله تعالى**، وكذلك يقدر في الظروف كلها معنى الاستقرار، والفراء يقدر معنى الحلول".

[1318] انظر مشكل إعراب القرآن لمكي 68/1.

[1319] "اعلم أنه متى وقع الجار والمجرور صفة لموصوف أو صلة لموصول أو خبرا لمخبر عنه أو حالا لذي حال، تعلق الجار والمجرور بمحذوف وجوبا تقديره : **كائن**؛ لأن الأصل في الصفة والحال والخبر الإفراد، أو تقديره: **استقر**؛ لأن الأصل في العمل للأفعال فيه تقدير "استقر" اتفاقا؛ لأن الصلة لا تكون إلا جملة، والوصف مع مرفوعه المستتر فيه مفرد حكما ...، ومثال الخبر: (الحمد لله)" موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: الباب الثاني في الجار والمجرور ص82.

[1320] انظر انقسام الجملة إلى صغرى وكبرى في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام : الباب الثاني في تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها ص497.
قال الدكتور مازن المبارك في ملحقه برسالة المباحث المرضية لابن هشام ص54: "وحين فصل ابن هشام حديثه عن ... الجملة الصغرى والجملة الكبرى ... لم يخرج عما أصلوه ولم يخالف ما اصطلح جمهورهم عليه من معناها".

[1321] أي ملكه أو أصلحه أو رباه، كما في لسان العرب : ربب.

[1322] وهو وصف "بالمصدر للمبالغة" الكشاف 10/1.

[1323] أي اسم فاعل "حذفت ألفه فأصله راب، كما قالوا: رجل بار وبَرّ" تفسير البحر المحيط 19/1.

[1324] انظر تفسير القرطبي 96/1 وتفسير التحرير والتنوير 166/1.

[1325] انظر إعراب القرآن للنحاس 120/1.

المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها؛ لأنه ملحَق بجمع المذكر السالم[1326]، /[271] كما في الخلاصة.

و"**الرحمن الرحيم**": نعتان لاسم الجلالة بعد نعته ب"رب العالمين" على وجه المدح والثناء[1327]، وهما مجروران كالأول بالكسرة الظاهرة على النون في "الرحمن" والميم في "الرحيم"، والجار للتوابع الثلاثة هو الجار للمتبوع وهو اللام على القول الصحيح عند النحاة[1328]، وهما من أمثلة المبالغة كما مر[1329]، وكلاهما اسم مفرد، والأول غير /[272] منصرف للوصفية وزيادة الألف والنون[1330]، وجر بالكسرة لدخول "ال" عليه، والثاني منصرف.

و"**ملك يوم الدين**": نعت رابع لاسم الجلالة مجرور بالكسرة؛ لأنه اسم مفرد منصرف، وهو مضاف ل"يوم" على تقدير "في"، و"يوم" مضاف للدين على تقدير اللام أي: ملك في يوم للدين" أي الجزاء والحساب[1331]، و"يوم" و"الدين" مجروران بكسرة؛ لأنهما اسمان مفردان منصرفان، والجار ل"يوم" "ملك"، وللدين /[273] "يوم" على الأصح[1332].

و"**إياك**": ضمير منفصل، وحد الضمير "إيا"، والكاف حرف خطاب، وهو منصوب مبني على السكون في الألف، والكاف مبني على

1326 انظر ما يلحق بجمع المذكر السالم - وهو "أربعة أنواع : أحدها أسماء جموع وهي: أولو وعالمون وعشرون وبابه ..."- في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: الباب الثالث باب جمع المذكر السالم 52/1 وجامع الدروس العربية: الملحق بجمع المذكر السالم 16/2.

1327 " ... فناسب ذلك الوصف بالرحمانية والرحيمية لينبسط أمل العبد في العفو إن زلّ ويقوى رجاؤه إن هفا" تفسير البحر المحيط 19/1.

1328 "فالسنة المأخوذ بها في ذلك إتباع الصفتين [أي الرحمن الرحيم] إعراب اسم الله سبحانه، والقياس يبيح أشياء فيها ..." الخصائص لابن جني: باب في امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس 398/1.
قال في التبيان في إعراب القرآن4/1 وفي اللباب في علل البناء والإعراب: باب النعت 406/1 - وهما للعكبري-: "والعامل في الصفة هو العامل في الموصوف".

1329 أي في آخر الفصل الثاني وآخر الفصل الثالث السابقيْن.

1330 انظر الاختلاف في صرف "رحمن" ومنعه من الصرف في البرهان في علوم القرآن : القسم العاشر ما جاء على فعلان، التنبيه الثالث 509/2 وقد صدره بقوله: "الثالث: أنه لو جرد عن الألف واللام لم يُصرف لزيادة الألف والنون في آخره مع العلمية أو الصفة".

1331 انظر الكشاف 11/1 و12.

1332 انظر إعراب القرآن للنحاس 122/1.

الفتح، وناصبه "**نعبد**" على أنه مفعول به مقدم عليه، و"نعبد" فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على الدال، ورافعُه التجردُ من الناصب والجازم[1333]، وافتتح بنون المتكلم ومعه غيره وهي إحدى الحروف الأربعة التي يفتتح بها المضارع، وهي /[274] حروف "أنيت": همزة المتكلم ونون المتكلم ومعه غيره وياء الغائب وتاء المخاطب، وفاعله ضمير المتكلم ومعه غيره مستتر فيه وجوبا تقديره "نحن".

وهكذا إعراب "**و إياك نستعين**" حرفا بحرف، والواو فيه عطفت جملة على جملة، وأصل "نستعين" "نَسْتَعْون" ثقلت الكسرة على الواو فنُقلت للعين، فوقعت الواو ساكنة عقب كسرة فقلبت ياء[1334]، كما قال في الكافية:

والواو إن يسكن وما قبل انكسر /[275] فياء اقلبه كميزان اشتهر[1335].

وجملة "**اهدنا الصراط المستقيم**": صغرى مؤلفة من فعل أمر وفاعل مضمر ومفعول أول - وهو ضمير المتكلم وغيره معه- ومفعول ثان وهو "الصراط" ونعت وهو "المستقيم"[1336]، و"اهد" فعل أمر من "هدى يهدي" مبني على حذف الياء[1337]؛ لأن مضارعه - وهو "يهدي"- يجزم بحذفها:

والأمر مبني على ما يجـــزم به مضارعه يا من يفهـــــم
كصم وصل وادعي وارغبوا /[276] وكارغبا وكارغبي يا زينب[1338]

و"نا": مبني على السكون في الألف؛ لأن "كل مضمر له البنا يجب"[1339].

[1333] انظر إعراب القرآن للنحاس 122/1 و123 وفيه الاختلاف في إعراب "إياك" وفي علة رفع "نعبد" التي اختار المؤلف هنا منها قول الفراء.

[1334] انظر إعراب النحاس 123/1 والمحرر الوجيز 76/1.

[1335] انظر تفصيل هذه القاعدة في سر صناعة الإعراب لابن جني: إبدال الياء من الواو 732/2 من غير نظم.

[1336] انظر إعراب القرآن للنحاس 123/1 ومشكل إعراب القرآن 70/1 و71.

[1337] "مبني عند البصريين؛ حَذفُ الياء منه بناء، ومعرب عند الكوفيين؛ حَذفُ الياء منه جَزم" مشكل إعراب القرآن 70/1.

[1338] هذه القاعدة مفصل فيها الحديث في المفصل في صنعة الإعراب: الباب الثالث الأمر، كيف يصاغ الأمر من المضارع ص339 وفي أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : باب شرح المعرب والمبني 37/1 وفي مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب السابع في كيفية الإعراب ص874 من غير نظم.

و"الصراط" و"المستقيم": منصوبان بالفتحة الظاهرة على الطاء والميم؛ لأنهما اسمان مفردان وناصبهما "اهد".

و"**صراط**": بدل شيء من شيء وهو الصراط المستقيم[1340]، أو عطف بيان عليه[1341] منصوب أيضا ب"اهد".

و"**الذين**": مضاف إليه ما قبله، وهو اسم موصول موضوع لجمع الذكور العقلاء مبني على فتح النون[1342]، وبني لشبهه /[277] بالحرف في الافتقار إلى ما بعده افتقارا مُؤصّلا، وكل حرف مبني فكذا ما أشبهه من الأسماء في أحد أنواع الشبه المعروفة[1343].

و"**أنعمتَ عليهم**": جملة لا محل لها من الإعراب[1344]، صلة "الذين"، والعائد من الصلة إلى الموصول الضميرُ المجرور ب"على" وهو "هم" المخصوص بالعقلاء أيضا[1345]، و"أنعمت" فعل ماض وفاعل، حد الفعل "أنعم" وهو في الأصل مبني على الفتح، ولما اتصلت به تاء الضمير بني على السكون، وتاء المخاطب ضمير /[278] مبني؛ لأنه ضمير، "وكل مضمر له البنا يجب"[1346]، وعلة بنائه شبهه بالحرف في الوضع على

[1339] "وكل مضمر له البنا يجب ولفظ ما جر كلفظ ما نصب"
شرح ابن عقيل: النكرة والمعرفة 92/1، وفي مبحث المعرب والمبني 31/1 منه: "وكذلك (نا) اسم؛ لأنها مفعول وهو مبني لشبهه بالحرف في الوضع في كونه على حرفين".

[1340] وهو "بدل كل من كل، وهو بدل الشيء مما هو طبق معناه" أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: باب البدل 401/3.

[1341] "إبانة عن الصراط المستقيم، أيّ الصراط هو؟ إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطا مستقيما" تفسير الطبري 177/1.
وفي تفسير التحرير والتنوير 192/1: "بدل أو عطف بيان من الصراط المستقيم، وإنما جاء نظم الآية بأسلوب الإبدال أو البيان ... لفائدتين ...".

[1342] "وفي (الذي) خمس لغات ..." التبيان في إعراب القرآن 9/1.

[1343] انظر مشكل إعراب القرآن 71/1.

[1344] "والجملة الثانية مما لا محل له : الواقعة صلة لاسم موصول ...، والموصول له محل بحسب ما يقتضيه العامل" موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: الباب الأول، المسألة الثالثة في بيان الجمل التي لا محل لها من الإعراب ص54.

[1345] انظر إعراب القرآن للنحاس 124/1 ومشكل إعراب القرآن 71/1.

[1346] انظر التعليق رقم 1205 السابق.

حرف واحد[1347]، وبني على الفتح للفرق بينه وبين تاء المخاطبة والمثنى والمجموع.

و"عليهم"[1348] يتعلق ب"أنعمت" على أنه في حكم المفعول به[1349].

و"**غير**" بدل من ضمير "عليهم"[1350] مجرور بالكسرة الظاهرة على الراء؛ لأنه اسم مفرد منصرف وهو من الأسماء اللازمة للإضافة[1351] فلذلك أضيف إلى "**المغضوب عليهم**"، والمضاف إليه /[279] في الحقيقة هو "ال"[1352] الموصولة بالصفة الصريحة التي هي اسم المفعول[1353]. و"عليهم" هو النائب عن الفاعل متعلق به[1354].

ولا يجوز أن يكون "غير" نعتا[1355] ولا عطف بيان[1356]؛ لأنه يشترط في كل منهما أن يطابق التابعُ[1357] المتبوعَ في التعريف أو التنكير[1358]،

[1347] فالتاء "اسم لأنه فاعل، وهو مبني لأنه أشبه الحرف في الوضع في كونه على حرف واحد"، وهذا واحد من "وجوه شبه الاسم بالحرف" في شرح ابن عقيل: المعرب والمبني 31/1.

[1348] "وحكى اللغويون في (عليهم) عشر لغات ..." تفسير البحر المحيط 26/1 و27.

[1349] انظر موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب : الباب الثاني في الجار والمجرور ص75.

[1350] هو قول ابن كيسان في إعراب القرآن للنحاس 125/1.

[1351] "(غير) اسم مبهم إلا أنه أعرب للزومه الإضافة" مشكل إعراب القرآن 72/1.

[1352] "وقد تقام الألف واللام مقام "الذي" لكثرة الاستعمال طلبا للتخفيف" عند الكوفيين كما في الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة القول في علة بناء "الآن" 521/2، وفيه أيضا: مسألة هل يكون للاسم المحلى ب"ال" صلة كصلة الموصول 722/2 حيث أورد حجج الكوفيين المثبتين وكذا مخالفيهم البصريين.
وانظر أيضا اللباب في علل البناء والإعراب: باب الموصول والصلة 127/2، وفي 113/2 منه: "وإنما سميت هذه موصولات؛ لأنها نواقص تتم بما توصَل به، ولذلك بنيت؛ لأنها كبعض الكلمة أو كالحرف الذي يفتقر إلى جملة".
هذا و"صلة الموصول لا تكون إلا جملة أو شبه جملة، ونعني بشبه الجملة: الظرف والجار والمجرور، وهذا في غير صلة الألف واللام" شرح ابن عقيل: الموصول 154/1.

[1353] "ال : على ثلاثة أوجه، أحدها أن تكون اسما موصولا بمعنى "الذي" وفروعه، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين، قيل: والصفات المشبهة، وليس بشيء ..." مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب الأول ص73.

[1354] انظر إعراب القرآن للنحاس 125/1 وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب : الباب الثاني في الجار والمجرور ص75.

[1355] بل جوزه الطبري في تفسيره 180/1 و181 وفصل في تعليل ذلك، كما جوزه النحاس في إعراب القرآن 125/1 قائلا :
"خفض على البدل من (الذين)، وإن شئت نعتا"، وكذا مكي في مشكل إعراب القرآن 72/1 والزمخشري في الكشاف 16/1 و17 الذي علل وقوع (غير) صفة للمعرفة بقوله:
"فليس في (غير) إذا الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف"، وفي التبيان في إعراب القرآن 10/1 علله بجوابين.
= =

و"الذين" معرفة و"غير" من الأسماء المتوغلة في الإبهام وإن أضيفت إلى معرفة فلا تفارق التنكيرَ[1359]، فتعين أن يكون بدلا؛ لأنه لا يشترط فيه هذا الشرط والله أعلم[1360].

وقوله "**ولا الضالين**": معطوف على "المغضوب عليهم" بواو العطف، فهو من عطف /[280] المفرد، و"لا" مؤكدة للنفي المأخوذ من "غير"[1361]، و"الضالين" مجرور بالياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها؛ لأنه جمع مذكر سالم، ونونه مفتوحة.

= = قال في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: باب المستثنى 275/2: "وأصل (غير) أن يوصف بها: إما نكرة ...، أو معرفة كالنكرة نحو (غير المغضوب عليهم)"، ومثله في البحر المحيط 28/1.
أما ابن كثير فقال في تفسيره 31/1: "قرأ الجمهور (غير) بالجر على النعت"، وجمع بين الإعرابين في تفسير التحرير والتنوير 195/1 بقوله: "والوصف والبدلية سواء في المقصود".

[1356] "وكل ما لا يوصف لا يعطف عليه عطف بيان" موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: الباب الرابع ص172.

[1357] قال الحسن بن محمد العطار (ت 1250) في منظومته:

وعندهم أن التوابع أربـــــع ... على نسق للاسم في عمل تجري
فنعت وتوكيد وعطف كذا بدل ... وتفصيلها يأتيك متضح الذكـــر

مجموع أمهات المتون ص495.
"والتوابع: هي الكلمات التي لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها، بمعنى أنها تعرب بإعراب ما قبلها" جامع الدروس العربية 221/3، وفيه أنها خمسة أنواع إذ جعل العطف نوعين: عطف البيان والمعطوف بالحرف.

[1358] "باب النعت: ... الصفة كالموصوف في التعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والإعراب؛ لأن الصفة هي الموصوف في المعنى ... . باب عطف البيان: ... وليس هو ها هنا ببدل؛ لأنه كالموصوف في التعريف والتنكير وجميع ما ذكرناه في الصفة، وليس البدل كذلك" اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري 405/1 و409.

[1359] "أسماء توغلت في إبهامها فهي نكرات وإن أضيفت إلى المعارف، وهي نحو: غير..." المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري: الفصل الرابع المجرورات، الإضافة إلى غير ومثل وشبه ص116.
وفي الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة القول في العامل في المستثنى النصب 263/1: "فلما كان فيه هذا الإبهام المفرط أشبه الظروف المبهمة".

[1360] "والبدل يجوز أن يخالف المبدل منه في التعريف والتنكير والإظهار والإضمار ..." اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري: باب البدل 410/1.

[1361] انظر إعراب القرآن للنحاس 125/1 و126 وفيه أيضا أنّ "(لا) زائدة عند البصريين".
"وقيل: (لا) بمعنى غير؛ ويؤيده قراءة عمر: غير المغضوب عليهم وغير الضالين، ذكرها أبو عبيد وسعيد بن منصور بإسناد صحيح، وهي للتأكيد أيضا" فتح الباري: كتاب التفسير، باب (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) 9/9.

فأخذ من هذه السورة: أن المبتدأ مرفوع، وأن الاسم المفرد يرفع بالضمة، وينصب بالفتحة، ويجر بالكسرة ك"الحمد" و"رب" و"الصراط"، وأن خبر المبتدإ يكون جارا ومجرورا، وأن جمع المذكر السالمَ وما ألحق به يُجر بالياء، وأن النعت يتبع منعوته في الإعراب والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع والتذكير، /[281] وأن حرف الجر يجر ما بعده، وأن المضاف إليه مجرور بالمضاف، وأن العامل في التابع هو العامل في المتبوع، وأن الفعل المضارع عند تجرده من الناصب والجازم مرفوع، وأن البدل لا يلزم مطابقته للمبدل منه إلا في الإعراب، إلى غير ذلك مما يستوعب جلّ أبواب النحو والله الموفق.

الفصل الخامس: في معانيها

أما معنى "**ال**"[1362] في "الحمد" ففيه أقوال أربعة:

الأول للجمهور أن معناها الاستغراق حتى لا يخرج فرد من أفراد الحمد القديم /[282] وغيره عن اختصاصه بالله واستحقاق الله له[1363].

الثاني أن معناها تعريف الجنس، أي الحقيقة[1364]، وهو للزمخشري (ت 538)[1365]، وعليه المحققون من علماء المعاني والبيان.

[1362] انظر أنواع الألف واللام التي للتعريف في كتاب اللامات : لام التعريف ص43 وما بعدها، وشرح ابن عقيل: المعرف بأداة التعريف 178/1 وما بعدها.

[1363] "والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة" تفسير النسفي 6/1.
أي "جميع المحامد والشكر الكامل لله ...، جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم عليهم به من النعم التي لا كفاء لها في الدين والدنيا والعاجل والآجل" تفسير الطبري 138/1 و139.
وقولك: (الحمد لله) "يتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ...، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه وآخر دعوى أهل الجنة" كتاب التسهيل لعلوم التنزيل32/1.

[1364] هذا اصطلاح خاص بالزمخشري وهو لا يفيد الاستغراق، ومعنى الجنس المفيد للاستغراق في قول الزجاجي: "وقد تدخل لتعريف الجنس، وذلك أن تدخل على اسم واحد من جنس فتكون تعريفا لجميعه لا لواحد منه بعينه" كتاب اللامات: لام التعريف ص43، وقول ابن عقيل: "ولاستغراق الجنس نحو (إن الانسان لفي خسر) وعلامتها أن يصلح موضعها: كل" شرح ابن عقيل: المعرف بأداة التعريف 178/1.

[1365] "ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو ... من بين أجناس الأفعال" الكشاف 10/1، ويرد فيه على القائلين بالاستغراق بقوله: "والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وَهْم منهم".
= =

والاختصاص المذكور مأخوذ من لام "لله"[1366]؛ لأنه إذا اختص الجنس والحقيقة بالله صَدَق اختصاصُ الأفراد به، وإلا لم يختص به الجنس[1367].

الثالث أنها للعهد الخارجي، أي أن معناها تعريف الحقيقة في ضمن فرد خارجي معهود في الأذهان[1368] على حد (إذ هما في الغار)[1369]، نقله ابن عبد السلام[1370] وأجازه الواحدي(ت 468)[1371]، /[283] واختاره (أبو عبد الله محمد)[1372] ابن النحاس(ت 698)[1373]:

= = وانظر شرح كلام الزمخشري في تفسير التحرير والتنوير 159/1 و160 الذي مما ورد فيه: "فلا يفيد هذا التعريف، أعني تعريف الجنس، إلا توكيد اللفظ وتقريره وإيضاحه للسامع".
وقد وجَّه أحمد بن المنير في الانتصاف - وهو بهامش الكشاف- 9/1 و10 كلام الزمخشري: "وهو تعريف الجنس" بقوله: "والعهد: إما أن ينصرف ...، وإما أن ينصرف العهد فيه إلى الماهية باعتبار يميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو: أكلت الخبز وشربت الماء، ... وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها، وإنما يوجبه الجنسي خاصة، فالزمخشري جعل تعريف (الحمد) من النوع الثاني من نوعي العهد، وإن كان قد عبر عنه بتعريف الجنس؛ لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه، وغير الزمخشري جعله للجنس فقضى بإفادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد".
وعلق الألوسي في روح المعاني 72/1 على اختيار الزمخشري بقوله: "ولا يبعد أن يقال: إن اختيار الزمخشري كون التعريف للجنس وكون القول بالاستغراق وهم لا يبعد أن يكون رعاية لنزعة اعتزالية وأن يكون لنكتة عربية؛ لأنه جعل أصل المعنى: نحمد الله حمدا ...".

1366 لام الاختصاص هاته قول الزمخشري في كتابه المفصل في صنعة الإعراب : الاختصاص ص70، أما الزجاجي فيجعلها لام الاستحقاق في كتاب اللامات: باب لام الاستحقاق ص65 ، وكذا ابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: حرف اللام ص275 يجعلها للاستحقاق، وهو عنده المعنى الأول للام الجر المشتملة على اثنين وعشرين معنى.

1367 انظر تفسير التحرير والتنوير 160/1، وفيه أيضا : "ويجوز أن يكون لام التقوية، قوّت تعلق العامل بالمفعول لضعف العامل بالفرعية وزاده التعريف باللام ضعفا؛ لأنه أبعد شبهه بالأفعال".

1368 فرق الجرجاني بين العهد الخارجي والذهني بقوله : "والعهد الخارجي هو الذي يذكر قبله الشيء، والعهد الذهني هو الذي لم يذكر قبله شيء" التعريفات: باب العين 1022- ص204.

1369 التوبة 40، وانظر البرهان في علوم القرآن: قاعدة في التعريف والتنكير 88/4.

1370 هو شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي ثم المصري الشافعي، الإمام العلامة سلطان العلماء، برع في الأصول والعربية وجمع بين فنون التفسير والحديث والفقه والخلاف فبلغ رتبة الاجتهاد، من تصانيفه المفيدة: تفسير في مجلدين، وكتاب قواعد الأحكام في مصالح الأنام، وكتاب مجاز القرآن وغيرها، ولد سنة 577 أو578 وتوفي عام 660. انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 440/1 وشذرات الذهب 301/5 وطبقات المفسرين للداودي 315/1 والفتح المبين في طبقات الأصوليين 73/2.

1371 انظر السراج المنير 8/1 وفيه: "... كما نقله ابن عبد السلام وأجازه الواحدي على معنى أن الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمده به أنبياؤه وأولياؤه مختص به، والعبرة بحمد من ذكر؛ فلا فرد منه لغيره".

1372 في الهامش بعبارة "صح".

وذلك أن شيخه أبا العباس المرسي[1374](ت 685) رضي الله عنه سأله عنها فقال: يا سيدي إنهم يقولون إنها للاستغراق؟، فقال له: بل هي للعهد، فقال: وأين المعهود يا سيدي؟ فقال: إن الله عز وجل حمد نفسه بنفسه قبل أن يخلق خلقه ثم قال: (الحمد لله)، كأنه قال: يا عبادي احمدوني بالحمد الذي حمدت به نفسي في الأزل؛ لأنكم عاجزون عن حمدي كما يجب لي، فقال: أشهد بالله يا سيدي إنها لعهدية[1375]، هـ بمعناه والله أعلم.

الرابع أنها للكمال، زاده بعضهم، قال: كما أفاده سيبويه(ت 180) في الداخلة على الصفات كـ(الرحمن /[284] الرحيم) [1376]، قال البيضاوي (ت 699): إذ الحمد في الحقيقة كله لله؛ إذ ما من خير إلا وهو موليه بواسطة أو بغير واسطة كما قال: (وما بكم من نعمة فمن الله)[1377] هـ.

و"ال" التي للكمال من قبيل "ال" الاستغراقية إلا أن الاستغراق فيها ادعائي لا حقيقي[1378].

[1373] هو بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الحلبي، شيخ الديار المصرية في علم اللسان، كان ذكيا مشهورا بالصدق والعدالة وحسن الأخلاق، تخرج به جماعة من الأئمة وفضلاء الأدب، ولم يصنف شيئا إلا ما أملاه شرحا لكتاب "المقرّب"، ولد سنة 617 وتوفي عام 698. انظر شذرات الذهب 442/5 وبغية الوعاة 13/1 ومعرفة القراء الكبار 729/2.

[1374] هو من أكابر العارفين وأجلّ من أخذ عن أبي الحسن الشاذلي، توفي سنة 686. انظر الطبقات الكبرى للشعراني 310- 12/2.

[1375] "واستأنس له بما صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله: اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" روح المعاني 74/1، وقد صدره بقوله: "ومن الغريب أن بعضهم جعلها للعهد، قال الفاكهي: سمعت شيخنا أبا العباس المرسي يقول لابن النحاس: ما تقول في الألف واللام في (الحمد) أجنسية هي أم عهدية؟ ...".

[1376] "فإذا قال: هذا العالم جد العالم، فإنما يريد معنى: هذا عالم جدا، أي هذا قد بلغ الغاية في العلم" كتاب سيبويه 13/2 و14.
وفي 94/2 منه: "إذا قلت: هذا الرجل، فقد يكون أن تعني كماله".
"وجعل سيبويه صفات الله تعالى كلها من ذلك" البرهان في علوم القرآن: قاعدة في التعريف والتنكير 88/4.

[1377] النحل 53، وانظر تفسير البيضاوي 47/1، والأقوال الأربعة في لام التعريف في السراج المنير 8/1 و9.

[1378] وهو الاستغراق باعتبار صفات الأفراد: و"الاستغراق إما أن يكون باعتبار حقيقة الأفراد، أو باعتبار صفات الأفراد ...، والثاني نحو قولك: أنت الرجل، أي الجامع لصفات الرجال المحمودة، ...وضابط الثانية أن يصح حلول "كل" محلها على جهة المجاز، فإنه لو قيل: أنت كل الرجل، لصح ذلك على جهة المبالغة" شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام: المعرفة وأقسامها ص113، وفي مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب الأول ص73: "... نحو: زيد الرجل علما، أي الكامل في هذه الصفة، ومنه: (ذلك الكتاب)".

وذلك أن "ال" وضعها الواضع لتعريف الجنس والحقيقة[1379]، (أي لتعيين تلك الماهية والحقيقة وتشخيصها في ذهن المخاطب بمدخولها:

فإذا أريد بمدخولها الماهية -لا باعتبار وجودها في فرد-؛ فهي -1- "الجنسية": ونسبتها للجنس لكونه مدخولها لا لدلالتها عليه؛ فالنسبة لأدنى ملابسة[1380].

وإن أريد به الماهية - باعتبار وجودها في فرد مبهم-؛ فهي التي -2- "للعهد الذهني"[1381]: ونسبتها إليه لكونه المراد بمدخولها لا لدلالتها عليه أيضا؛ لأن الدلالة عليه حاصلة من قرينة خارجية[1382]، وأما "ال" فإنما تدل على تعيين الموضوع له وهو الماهية:

مثال الأولى "التمرة خير من الجرادة" و"الرجل خير من المرأة"[1383] و"الحمد لله" - على القول الأول[1384]-، ومنه "ال"[1385] /[285] الدّاخلةُ على المعرّفات كلها.

(ومثال الثاني: (كمثل الحمار يحمل أسفارا)[1386]،

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني فأعفّ ثم أقول: لا يعنيني[1387]

﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾[1388]، "ادخل السوق"، "اشتر اللحم"، "كل

[1379] انظر تفصيله في البرهان في علوم القرآن: قاعدة في التعريف والتنكير 88/4 وما بعدها.

[1380] "والجنسي: هو الذي ينضم إليه شمول الآحاد نحو: الرجل أفضل من المرأة، وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها، وإنما يوجبه الجنسي خاصة" الانتصاف لأحمد بن المنير، وهو بهامش الكشاف 10/1.

[1381] "والعهد : ...، وإما أن ينصرف العهد فيه إلى الماهية باعتبار يميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو: أكلت الخبز وشربت الماء" الانتصاف لأحمد بن المنير، وهو بهامش الكشاف 9/1 و10.

[1382] "وهذا معنى قول ابن بابشاذ: إن تعريف العهد لما ثبت في الأعيان، وتعريف الجنس لما ثبت في الأذهان ..." البرهان في علوم القرآن: قاعدة في التعريف والتنكير 88/4.

[1383] "... إذ لم ترد به رجلا بعينه ولا امرأة بعينها، وإنما أردت أن هذا الجنس - من حيث هو- أفضل من هذا الجنس - من حيث هو-، ولا يصح أن يراد بهذا أن كل واحد من الرجال أفضل من كل واحدة من النساء؛ لأن الواقع بخلافه ...، و"ال" هذه هي التي يعبر عنها بالجنسية، ويعبر عنها أيضا بالتي لبيان الماهية وبالتي لبيان الحقيقة" شرح قطر الندى: المعرفة وأقسامها ص113.

[1384] وقد مر قبل قليل وهو : "الأول للجمهور أن معناها الاستغراق".

[1385] في الهامش بعبارة "صح".

[1386] الجمعة 5.

الخبز"، "اشرب الماء"، ﴿قل سيروا في الارض﴾[1389] لخ: فهذه الألفاظ تدل على الماهية و"ال" على تعيينها، وما قبلها من الأفعال ونحوها على الفرد المبهم.

وإن أريد بمدخولها الماهية ـ في ضمن الفرد المعين ـ فهي "ال" التي "للعهد الخارجي"[1390] وينقسم إلى ذكري وعلمي وحضوري، ونسبت إليه أيضا؛ لأن مدخولها مراد به ذلك بقرينة خارجية، /[286] أما هي فإنما تدل على تعيين الموضوع له الذي هو الماهية الموضوع لها اسم الجنس:

مثال الأول: ﴿فعصى فرعون الرسول﴾[1391]، ومثال الثاني: ﴿إذ هما في الغار﴾[1392]، ومثال الثالث: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[1393]، ف"رسول" و"غار" و"يوم" دالة على الماهية، و"ال" دالة على تعيينها، والدال على الفرد المعين ما احتف به من القرائن.

وإن أريد بمدخولها الماهية في ضمن جميع الأفراد فهي "الاستغراقية": وإنما نسبت إليه لكون مدخولها مرادا به الاستغراق لا

[1387] البيت من بحر الكامل لعبد الله بن همام السلولي في دلائل الإعجاز: فروق في الحال لها فضل تعلق بالبلاغة ص163 وعجزه: "فمضيت ثُمّتَ قلت: لا يعنيني"، وكذا ـ من غير ذكر نوع البحر ـ في الخصائص: باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول 330/3، وفي شرح ابن عقيل: التوابع، النعت 196/3، وفي الفصول المفيدة في الواو المزيدة: فصل الربط بالواو أو بالضمير في جملة الحال ص170، وفي لسان العرب ومختار الصحاح: ثمم، وفي روح المعاني: الفرقان 72- 51/19 ويس 32- 6/23. والبيت لرجل من بني سلول كما في الخزانة 57/1 بتحقيق هارون.
وقد استشهد العلماء بهذا البيت إما لنعت المعرَّف بالألف واللام الجنسية بالجملة، أو للدلالة على أن فعل "أمُرّ" بمعنى "مررت"، أو لشرح "ثمّت" بضم الثاء وفتح ـ أو إسكان ـ التاء، أو في الحديث عن الإعراض عن أهل اللغو.

[1388] يوسف 13.

[1389] الأنعام 11 والنمل 69 والعنكبوت 20 والروم 42.

[1390] "والعهد إما أن ينصرف العهد فيه إلى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد، كالتعريف في نحو: (فعصى فرعون الرسول) ..." حاشية أحمد بن المنير على الكشاف 9/1.

[1391] المزمل 15.

[1392] التوبة 40.

[1393] المائدة 4، وانظر "ال" العهدية والمعهود ذكري أو ذهني أو حضوري في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب الأول ص72.

لدلالتها عليه؛ لأنها لا تدل إلا على التعيين كما تقدم، والدال على استغراق الأفراد قرينة خارجية كالاستثناء)[1394]، ثم إن الاستغراق على أقسام ثلاثة:

حقيقي: نحو (إن الإنسان لفي خسر)[1395] بدليل الاستثناء[1396].

وعرفي: نحو "جمع الأمير الصّاغة"[1397]، ﴿فلما جاء السحرة﴾[1398].

وادعائي: نحو "أنت الرجل علما"، وهي المعروفة ب"ال" التي للكمال[1399].

/[287] (ثم إن مدخول "ال" هو اسم الجنس[1400]، وهو ما وضع للماهية، وهل في ضمن فرد أم لا؟ خلاف:

والاسم ما وضع للحقيقـــهْ بقيد الإفراد فذي طريقهْ

وقيل: ما وضع للحقيقـــهْ من حيث هو أتى حقيقهْ

والفرد أيضا فيه غير معتبر وأول حققه ذوو النظـــر)[1401].

[1394] ذكر المؤلف كل هذا في الهامش - بعبارة "صح"- بعدما شطب على ما في المتن.

[1395] العصر 1.

[1396] "... ويظهر أثره في صحة الاستثناء منه مع كونه بلفظ المفرد ...، سواء أكان الشمول باعتبار الجنس كالرجل والمرأة، أو باعتبار النوع كالسارق والسارقة ...، خلافا للإمام فخر الدين ومن تبعه في قولهم: إن المفرد المحلى بالألف واللام لا يعم، ولنا الاستثناء ..." البرهان في علوم القرآن: قاعدة في التعريف والتنكير 89/4.

[1397] وذلك "إذا جمع صاغة بلده أو أطراف مملكته فحسب، لا صاغة الدنيا" الإيضاح في علوم البلاغة: القول في أحوال المسند إليه ص46.

[1398] في الهامش بعبارة "صح"، وهي في "يونس" 80 و"الشعراء" 41.
وفي روح المعاني 146/8 - الأعراف 56-: "الاستغراق عرفي والظاهر أن المراد للتكثير".

[1399] انظر "ال" الجنسية "لاستغراق الأفراد" أو "لاستغراق خصائص الأفراد" – وهو الاستغراق الادعائي- أو "لتعريف الماهية" في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب الأول ص73.

[1400] "ومن أصناف الاسم : اسم الجنس وهو ما علق على شيء وعلى كل ما أشبهه ..." المفصل في صنعة الإعراب: الباب الأول ص23.
"واسم الجنس: وهو ما كان بين واحده وجمعه الهاء نحو: نخلة ونخل وتمرة وتمر" اللباب في علل البناء والإعراب: باب جمع التكسير 180/2.
"والفرق بين المعرف ب"ال" وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيد والمطلق، وذلك لأن ذا الألف واللام يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد" مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب الأول ص73.

[1401] هي في الهامش بعبارة "صح".

و"**الحمد**"[1402] مصدر حمِد يحمَد حمدا[1403]، على وزن: سمِع وفهِم.

وهو في اللغة العربية (والعرف الشرعي)[1404] "الوصفُ بالجميل على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل"[1405].

ف"الوصف": /[288] جنس في الحد صادق بكل كلام قديما أو حادثا.

و"بالجميل": أي الحسن[1406]، مخرج للوصف بالقبيح؛ فإنه ذم لا حمد[1407]، والمراد بالجميل كونه جميلا في:

-1- نفس الأمر، أو -2- عند الواصف، أو -3- عند الموصوف به في اعتقاد الواصف[1408].

و"على الجميل": "على" بمعنى لام العلة، أي لأجل الجميل[1409]، والمراد ب"الجميل" الأخير ما يشمل الفضائلَ: - جمع فضيلة- وهي

[1402] انظر كلام الرازي عن الحمد والمدح والشكر في ص 217.

[1403] "وقد حمِده حمْدا ومَحْمَدا ومَحْمَدة ومَحْمِدا ومَحْمِدة، نادر، فهو محمود وحميد، والأنثى حميدة" اللسان: حمد.

[1404] في الهامش بعبارة "صح".
قال قصارة في حاشيته على شرح بناني على السلم للأخضري: كراسة 2 ص2: "والواقع هنا والله أعلم هو عرف الصوفية ومن يجري مجراهم، على أن عباراتهم في اصطلاحهم مختلفة".

[1405] انظر التعريفات : باب الحاء ص125 والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: باب الحاء، فصل الميم ص295 و296، وفيهما أيضا تعاريف أقسام الحمد: الحالي والعرفي والفعلي والقولي، وانظر تفسير النسفي 5/1 وتفسير الشربيني السراج المنير 7/1 وتفسير الجلالين: الأنعام 1- ص162 وروح المعاني 73/1 و76.

[1406] انظر اللسان : جمل.

[1407] "وليس الثناء في نفسه بمحمود ولا مذموم، وإنما يُحمَد ويُذم بحسب المقاصد" فيض القدير: حرف الميم 153/6.

[1408] انظر معاني الحسن وموارده في التعريفات: باب الحاء ص117 وفي التوقيف على مهمات التعاريف : باب الحاء، فصل السين ص279.

[1409] "وقيل: (على) بمعنى اللام، أي لأجلها" تفسير القرطبي: (وما ذبح على النصب) المائدة: 4- 57/6.
قال في جمع الجوامع: "الحروف: ... الرابع عشر: "على" ... والتعليل"، قال الجلال المحلي: "نحو: (ولتكبروا الله على ما هداكم) [البقرة 184] أي لهدايته إياكم" شرح المحلي على متن جمع الجوامع: الكتاب الأول في الكتاب ومباحث الأقوال 548/1، وشرح الهلالي على منظومة "الجواهر المنطقية" للقادري: الكراسة الأولى ص8.

الصفات التي لا تتعدى للغير كالحياة والقدرة[1410]، والفواضلَ - جمع فاضلة- وهي الصفات التي تتعدى للغير كالكرم والعفو[1411].

وخرج بتقييد المحمود عليه ب"الاختياري" /[289] **المدحُ** فإنه يعم الاختياري وغيره[1412]، تقول: "مدحت اللؤلؤة على حسنها" دون "حمدتها"[1413]، هذا قول الأكثر[1414].

وإنهما **غير مترادفين** بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا[1415]، (وهو الأوفق وعليه اقتصر الهلالي[1416] في شرح القادرية[1417].

1410 "الفضل والفضيلة معروف : ضد النقص والنقيصة، والجمع فضول ...، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، والفاضلة: الاسم من ذلك" اللسان: فضل.

1411 انظر السراج المنير 7/1. "قال قتادة : (ذي المعارج) [المعارج 3] ذي الفواضل والنعم" اللسان: - عرج- وتفسير ابن كثير 419/4، "والفواضل: الأيادي الجميلة" اللسان: فضل.
"الخيرات ... وهي الفواضل، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (وأولئك لهم الخيرات) [التوبة 89]: جمع خيرة، ومعناها الفاضلة من كل شيء" فتح الباري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة براءة 315/8.
وفي بغية المستفيد لشرح منية المريد ص76: "والفضائل: جمع فضيلة وهي الصفات، والفواضل: جمع فاضلة وهي الأفعال".

1412 "المدح : الثناء باللسان على الصفات الجميلة، خلقية كانت أو اختيارية، فهو أعم من الحمد" التوقيف على مهمات التعاريف: باب الميم، فصل الدال ص645.

1413 "فثبت أن المدح أعم من الحمد" التفسير الكبير 218/1، وانظر أيضا تفسير ابن كثير 24/1.
وقال الخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل 16/1: "وقيل: بينهما فرق، وهو أن المدح قد يكون قبل الإحسان وبعده، والحمد لا يكون إلا بعد الإحسان".

1414 "الجمهور على أن الحمد النعت بالجميل على الجميل الاختياري، والمدح : النعت بالجميل وإن لم يكن اختياريا" فيض القدير: حرف الهمزة 490/1.

1415 انظر السراج المنير 8/1.
"... وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد" الخصائص: باب في الاشتقاق الأكبر 134/2.

1416 هو أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي النظار المتبحر الفقيه اللغوي، المشارك في العلوم الإسلامية، له شرح على مختصر خليل لم يكمل، وشرح على خطبة القاموس واصطلاحه وغيرهما، توفي سنة 1175. انظر الفكر السامي 290/2.

1417 انظر شرح الهلالي على منظومة "الجواهر المنطقية" للقادري: الكراسة الأولى ص6، وفيه: "اشتهر هنا تقسيم الحمد إلى مقيد ومطلق، ومرادهم بالمقيد ما ذكر فيه المحمود عليه - كما في عبارة الناظم-، وبالمطلق ما لم يذكر كما في الفاتحة بحسب الظاهر. وهو تقسيم - مع قلة جدواه- يوهم أن الحمد يصح انفكاكه عن المحمود عليه، وهو لا يصح؛ لأن تقييد الوصف بكونه لأجل جميل اختياري أو قديم مأخوذ في تعريف الحمد، فهو لا يكون إلا مقيدا أبدا إما بإنعام أو كمال، سواء ذكر القيد أو لم يذكر".

قال شيخنا مولانا أحمد بن الخياط رحمه الله: وقد اقتصر عليه غير واحد من شيوخنا المحققين هـ.

ورجحه_قصارة في حاشية السّلم تبعا لشيخه اليازغي[1418]، وكذا اقتصر عليه الشيخ الطيب ابن كيران_في تفسيره)[1419].

وقال الزمخشري: هما أخوان **مترادفان**[1420].

(ومثله للعارف الفاسي[1421] في حاشية الصغرى[1422]، والمحلي في شرح جمع الجوامع)[1423] ، وأورد على قول الأكثر أن حمد الله عز وجل لأجل صفاته الذاتية ـ كالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام- لا يسمى حمدا على هذا القيد مع أنه حمد قطعا، وأجيب بأنها لما كانت مبدأ للأفعال الاختيارية ـ كالخلق والرزق والإماتة /[290] والإحياء- كان الحمد عليها حمدا على تلك الأفعال الاختيارية[1424].

[1418] انظر حاشية قصّارة على شرح بناني على السلم للأخضري : الكراسة الثانية ص1.
واليازغي هو عبد الكريم بن علي اليازغي أصلا الفاسي مفتي فاس وفقيهها في عصره، له مشاركة واطلاع وصلابة في الحق، توفي سنة 1199. انظر الفكر السامي 293/2.

[1419] في الهامش بعبارة "صح".

[1420] "وأما **الحمد فهو المدح والوصف بالجميل**، وهو شعبة واحدة من شعب الشكر، وإنما كان رأسه؛ لأن فيه إظهار النعم والنداء عليها والإشارة بها" الفائق في غريب الحديث للزمخشري: حرف الحاء، الحاء مع الميم 314/1، وأكده في فيض القدير: حرف الهمزة 490/1 بقوله: "والمدح والحمد مترادفان على ما في الفائق" .

[1421] هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفهري الفاسي حافظ وقته المتفنن في المعقول والمنقول، لقبه والده بسيوطي زمانه، من تآليفه الكثيرة: اللمعة في القراءات السبعة، والطالع المشرق في المنطق، والقطب الداني في البيان والمعاني وغيرها، ولد سنة 1040 وتوفي عام 1096. انظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين 108/3 والفكر السامي 283/2 وفهرس الفهارس 133/2.

[1422] "وصريح كلام "الفائق" أنهما مترادفان، وبه يسلم التعريف من خروج الصفات الذاتية لله عن أن تسمى حمدا لكونها قديمة ..." حاشية أبي زيد الفاسي على شرح صغرى السنوسي - في العقيدة-: كراسة1 ص7 و8.

[1423] في الهامش بعبارة "صح". قال الجلال المحلي في شرحه على متن جمع الجوامع 16/1:
"نحمدك اللهم: أي نصفك بجميع صفاتك يا الله؛ إذ الحمد كما قال الزمخشري في الفائق: "الوصف بالجميل"، وكل من صفاته تعالى جميل، ورعاية جميعها أبلغ في التعظيم المراد بما ذكر، إذ المراد به إيجاد الحمد لا الإخبار بأنه سيوجد".

[1424] انظر فيض القدير: حرف الهمزة 490/1، وقال النسفي في تفسيره 6/1:
"وقيل: المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا، والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الأفضال، والحمد يشملها".

وردَّ هذا الجوابَ الشيخُ بناني(ت 1194)[1425] في شرح السلم بأنه تكلف وتمحل[1426].

(وردَّهُ قصارة في حاشيته تبعا لليازغي[1427]، والشيخ الطيب ابن كيران بأنه لا تكلف فيه[1428]، وعليه حمل المحققون كلام الرازي[1429].

والحاصل أن الثناء على الوصف الاضطراري مدح، وعلى غيره - وهو الاختياري وما لا يوصف باختيار ولا اضطرار كالأوصاف

[1425] هو أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني الفاسي أصلا ودارا، فقيه مشارك له حاشية على الزرقاني متقنة وشرح على السلم في المنطق وغير ذلك، توفي سنة 1194. انظر الفكر السامي 292/2.

[1426] قال بناني : "وما أجيب به عن خروج الصفات القديمة من تعريف الحمد - بناء على ذلك التقييد: من أنها لما كانت مبدأ للأفعال الاختيارية كان الحمد عليها حمدا على تلك الأفعال الاختيارية- تمحل غير سديد، فلا يعول عليه ولا على ما يَحُوجُ إليه من ذلك التقييد" حاشية قصارة على شرح بناني على السلم للأخضري: كراسة2 ص1.

[1427] قال قصارة : "قوله: تمحل غير سديد، أي تكلف، وحمل الكلام الإمام على غير ظاهره، ومع كونه متكلفا غير سديد؛ لأنه يكون الحمد على الأفعال الاختيارية لا على الصفات القديمة.
قال **شيخنا اليازغي**: الحق مع الإمام أن المحمود عليه يشترَط فيه كونه اختياريا وأن الحمد والمدح متغايران؛ ولذا يقال: مدحتُ اللؤلؤة على صفائها، ومدحتُ زيدا على وضاءة خده ورشاقة قده، دون: حمدت، ومن زعم أن الحمد والمدح أخوان يلزمه أن يصح حمد اللؤلؤة؛ وهو خلاف الاستعمال.
وكلام الإمام مقيد بالاختياري حقيقة كالحمد على الأفعال الاختيارية، أو حكما: كالحمد على الصفات القديمة، وهو وإن لم يشعِر كلامه بذلك لكنه هذا مراده من كلامه، كما صرح بذلك من تصرف في كلامه ممن هو أدرى بمراده هـ" حاشية قصارة على شرح بناني على السلم للأخضري: كراسة2 ص1 و2.

[1428] "وقال شيخنا المحقق سيدي الطيب ابن كيران أول تفسيره:
ولإشعار الحمد بالاختيار اختير في افتتاح القرآن على المدح؛ فكانت أول جملة من القرآن الحكيم مفيدة أنه تعالى فاعل بالاختيار لا بطبع أو تعليل، وهي قاعد عظيمة في أصول الدين" حاشية قصارة على شرح بناني على السلم للأخضري: كراسة2 ص2.

[1429] وكلام الرازي هو : "إن الذي يحمد ويمدح ويعظم في الدنيا إنما يكون كذلك لأحد وجوه أربعة: إما لكونه كاملا في ذاته وفي صفاته منزها عن جميع النقائص والآفات وإن لم يكن منه إحسان إليك، وإما لكونه محسنا إليك ومنعما عليك، وإما لأنك ترجو وصول إحسانه إليك في المستقبل من الزمان، وإما لأجل أنك تكون خائفا من قهره وقدرته وكمال سطوته، فهذه الحالات هي الجهات الموجبة للتعظيم" التفسير الكبير 230/1، اختصره المؤلف في ص224.
على أن الرازي صرح في المسألة الرابعة من "الباب الثالث في الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة" 182/1 بكون الحمد على الأفعال الاختيارية قائلا: "هذه الآية [أي (الحمد لله)] تدل على أن إله العالم ليس موجبا بالذات بل هو فاعل مختار، والدليل على أن الموجب بالذات لا يستحق على شيء من أفعاله الحمد والثناء والتعظيم: ... إذا انتفع بسخونة النار أو ببرودة الجمد فإنه لا يحمد النار ولا الجمد ...، فلما حكم بكونه مستحقا للحمد والثناء ثبت أنه فاعل بالاختيار".

القديمة- حمد؛ لأنها مبدأ للاختيار، وتجنب المجاز في الحد إذا لم تقم عليه قرينة)[1430]، فانظره.

وقولنا "على جهة التعظيم والتبجيل":

"على" فيه بمعنى "مع"[1431]، أي حال كون الوصف مصاحبا لجهة هي قصد التعظيم والتبجيل، وخرج به: -1- ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية نحو (ذق إنك أنت العزيز الكريم)[1432]، -2- أو على قصد الإخبار لا غير.

وتناوَلَ الظاهرَ والباطنَ، إذ لو تجرد الثناء على الجميل عن مطابقة الاعتقاد /[291] أو خالفتْه أفعالُ الجوارح لم يكن حمدا، بل تهكم أو تمليح، وهذا لا يقتضي دخول الجنان والأركان في التعريف؛ لأن المطابقة وعدم المخالفة اعتبرا فيه شرطا لا شطرا[1433].

[1430] هي في الهامش بعبارة "صح".
والحد هو "الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر... .
وعند أهل الميزان: قول دال على ماهية الشيء .
وعند أهل الأصول: ما يميز الشيء عما عداه، وهو بمعنى قول الباقلاني وغيره: الحد الجامع المانع، ويقال: المطرد المنعكس .
وعند أهل الله: الفصل بينك وبين ربك لتعددك وانحصارك في الزمان والمكان المحدودين" التوقيف على مهمات التعاريف: باب الحاء فصل الدال ص269 و270.
و**يُتجنَّب المجاز في الحد**؛ لأن "المجاز على خلاف الأصل، وإنما يُصار إليه بقرينة صارفة عن الأصل، والأصل عدم القرائن" مسائل خلافية في النحو للعكبري: مسألة الكلام والجملة ص41.
قال الموصلي في المثل السائر: المقالة الثانية في الصناعة المعنوية، النوع الأول في الاستعارة 343/1: "ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هي الأصل، وإنما يعدل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه، وذلك السبب ... إما أن يكون لمشاركة بين المنقول إليه في وصف من الأوصاف، وإما أن يكون لغير مشاركة ...".

[1431] "وقيل : (على) بمعنى (مع)، أي وهم مع ما يفعلون بالمومنين شهود" تفسير القرطبي: البروج: 7- 294/19، وانظر أيضا تهذيب الأسماء للنووي 143/3 وعون المعبود: باب في فضل الحرس 129/7.
أما في كتاب معاني الحروف ص23 فقد ذكر الزجاجي أن "على" تجيء في مكان "من" وبمعنى "عند"، وفي ص85 منه أن اللام هي التي تجيء بمعنى "من أجل" وبمعنى "مع"، وفي شرح ابن عقيل: حروف الجر 23/3 وما بعدها أن "على" تجيء بمعنى الاستعلاء وبمعنى "في" وبمعنى "عن".

[1432] الدخان 49، وانظر أمثلة للسب "بكلام ظاهره المدح" في تفسير القرطبي: النور: 2- 173/12.

[1433] وعليه يمكننا القول - بغض النظر عن القول بالشرطية أو الشطرية-: إذا صدق حمد الحامد فهو شاكر، وإذا صدق شكر الشاكر فهو حامد؛ فالنظر هنا إلى مؤدى كل منهما وهو تحصيل العبودية لله تعالى.

وأما **الحمد عرفا** - أي في العرف العام - فهو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أم غيره، سواء كان كلاما باللسان أو اعتقادا ومحبة بالقلب والجنان أو عملا وخدمة بالأركان[1434]:

فمورد اللغوي الشرعي خاص ومتعلقه عام في النعمة وغيرها، ومورد العرفي العام عامّ[1435] ومتعلقه خاص وهو النعمة[1436]، فبينهما[1437] العموم والخصوص من /[292] وجه.

و**الشكر** لغة وشرعا هو الحمد عرفا عاما؛ (فكلاهما يحصل باللسان والجنان والأركان)[1438]، وعرفا شرعيا أيضا وصوفيا: صرفُ العبدِ جميعَ ما أنعم اللهُ به عليه من سمع وبصر إلى ما خلق لأجله[1439].

و**المدح** لغة : الوصف بالجميل على الجميل مطلقا على جهة التعظيم

1434 "أما فعل القلب: فهو أن يعتقد فيه كونه موصوفا بصفات الكمال والإجلال.
وأما فعل اللسان: فهو أن يذكر ألفاظا دالة على كونه موصوفا بصفات الكمال.
وأما فعل الجوارح: فهو أن يأتي بأفعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفا بصفات الكمال والإجلال" التفسير الكبير 228/1، وانظر التعريفات : باب الحاء ص125 والتوقيف على مهمات التعاريف: باب الحاء، فصل الميم ص295.

1435 ذلك أنه ينضاف فعل الجنان والأركان إلى اللسان في مورد الحمد، وهما شرطان غير داخلين في تعريف الحمد، فيصير كالشكر أعم - من جهة المورد- من المدح.

1436 فالحمد العرفي كالشكر من حيث المورد والمتعلق.

1437 أي الحمد والمدح.

1438 في الهامش بعبارة "صح".

1439 انظر التعريفات: باب الشين ص168 و169 والتوقيف على مهمات التعاريف: باب الشين، فصل الكاف ص435.
هذا وقد مال الطبري في تفسيره: الفاتحة 1- 138/1 إلى أن أهل المعرفة بلغات العرب لا يمانعون من إيقاع كل من الحمد والشكر مكان الآخر، رد عليه ابن كثير في تفسيره 24/1 بقوله: "وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان ...، ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين، والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا".

والتبجيل[1440]، وعرفا: ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل[1441].

فالشكر لغة وشرعا أعم من المدح والحمد من وجه؛ لأنه لا يختص باللسان[1442]، وأخص منهما من وجه آخر؛ لأنه يختص بالثناء على الإنعام.

والشكر عرفا أخص من الجميع كما هو ظاهر[1443].

وضد الحمد الذم، وضد الشكر الكفرانُ[1444]، وضد المدح الهجوُ[1445]، والله أعلم.

/[293] و**لام** "لله" للملك عند المحلي، أو الاستحقاق[1446]، أو الاختصاص[1447]، وقيل: للتعليل[1448].

[1440] " ... فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول" المفردات في غريب القرآن: كتاب الحاء ص131.

[1441] انظر التفسير الكبير 219/1.

[1442] بل يكون بالقلب واللسان والجوارح.

[1443] ذلك أن المعنى العرفي للشكر - كما سبق قبل قليل- ينصرف إلى الجانب العبادي العملي حيث تسخير جميع جوارح العبد لتحقيق العبودية لله وحده.

[1444] انظر الكشاف 9/1، وتفسير النسفي 6/1.

[1445] انظر السراج المنير 7/1 و8.
"قال ابن الصدر: ... حيث قابل [أي أبو تمام] المدح باللوم، والصواب مقابلته بالذم والهجاء" كشف الظنون 1325/2.

[1446] "... على أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمدوه" تفسير الجلالين ص2.

[1447] وعند الرازي للاختصاص والملك والقدرة والاستيلاء، "واللام في قولك : الحمد لله، يحتمل هذه الوجوه الثلاثة ..." التفسير الكبير 220/1.
وقد ذكره المؤلف أيضا عن الرازي في ص 218.

[1448] "وقيل - وهو من الغرابة بمكان-: إن اللام للتعليل، أي الحمد ثابت لأجل الله تعالى" روح المعاني 76/1.
وانظر "للاّم الجارة اثنان وعشرون معنى" في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: حرف اللام ص275.
ومما أصّل به الزجاجي لمطلق اللامات الإحدى والثلاثين قوله: "تلخيص ذلك أن تعلم أن **لام الإضافة** تجمع لام الملك ولام الاستحقاق ... ولام المفعول من أجله ...، كل هذه اللامات متشعبة من لام الإضافة" كتاب اللامات: باب معرفة أصول هذه اللامات ص148.

والأوْلى أنها للاختصاص بالمعنى الأعم الصادق بالملك وبالاستحقاق[1449]، لا بالمعنى الأخص المقابل لهما[1450]، فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية[1451].

(وقال البناني في شرح السلم: واللام للاستحقاق، ولا يصح كونها للملك[1452]؛ لأن من أقسام الحمد حمدَ الله لنفسه في أزله وحمدَه نفسَه بكلامه، وكلامه قديم، والقديم لا يصح أن يملك هـ[1453].

قال شيخنا ابن الخياط: ولام الاستحقاق قيل: هي الواقعة بين معنى وذات[1454]، ولام الاختصاص هي الواقعة بين ذاتين لا تملك إحداهما الأخرى، وإلا فللملك، لكن المراد بالاختصاص هنا ما هو أعم مما مر[1455]، فيصح أن تكون اللام هنا للاختصاص، ويصح أن تكون لهما معا من باب استعمال المشترك في معنييه معا[1456] هـ)[1457].

1449 قال العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب: باب حروف الجر 360/1: "فصل: وأما لام الجر فمعناه الاختصاص، وهذا يدخل فيه الملك وغيره؛ لأن كل ملك اختصاص وما كل اختصاص ملكا، وقولك: "السرج للدابة" للاختصاص، ولام التعليل كقولك: جئت لإكرامك، للاختصاص أيضا لا للملك".
وفي مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: حرف اللام ص275: "وللام الجارة اثنان وعشرون معنى: أحدها: الاستحقاق ... والثاني: الاختصاص ...، والثالث: الملك ...، وبعضهم يستغني بذكر الاختصاص عن ذكر المعنيين الآخرين"، لذا "كان المملوك والمستحق حاصلين للمستحق والمالك" كتاب اللامات: باب لام الاستحقاق ص65.

1450 "وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة" السراج المنير 8/1.

1451 انظر السراج المنير 8/1.

1452 "لام الاستحقاق خافضة لما يتصل بها كما تخفض لام الملك، ومعنياهما متقاربان، إلا أنا فصلنا بينهما؛ لأن من الأشياء ما تستحق ولا يقع عليها الملك، ولام الاستحقاق كقوله عز وجل: (الحمد لله رب العالمين)" كتاب اللامات: باب لام الاستحقاق ص65.

1453 انظر حاشية قصارة على شرح بناني على السلم للأخضري : كراسة2 ص7 وفيه أن اليفرني هو الذي علل بقوله: "لأن من أقسام الحمد ... لا يصح أن يملك".

1454 هو قول ابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : حرف اللام ص275 وقد مثل له قائلا: "نحو: الحمد لله، والعزة لله، والملك لله، والأمر لله، ونحو: (ويل للمطففين) [المطففين 1]، و(لهم في الدنيا خزي) [البقرة 114 والمائدة 41]، ومنه: وللكافرين النار، أي عذابها".

1455 "ولام الاستحقاق لا يقتضي التعميم؛ لأن المستحِقّ للشيء قد لا يدركه، والمقتضي للتعميم كونها للملك، والله تعالى أعلم" حاشية ابن الخياط على شرح محمد الفاسي لنظم ألقاب الحديث لمحمد العربي الفاسي - المسمى: الطّرفة، أو: الدّرة-: كراسة2 ص5.

1456 قال في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : حرف اللام ص275: "وأكثرهم يمنعه" أي "استعمال المشترك في معنييه دفعة".
وقال الشربيني في تفسيره السراج المنير 5/1: "... إعمالا للفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقي والمجازي عند من يجوّزه كإمامنا الشافعي".

1457 هي مستدركة في الهامش بعبارة "صح".

"وجملة (الحمد لله): خبرية لفظا إنشائية معنى؛ لحصول الحمد بالتكلم بها مع الإذعان لمدلولها[1458].

ويجوز أن تكون موضوعة شرعا للإنشاء[1459].

وقيل: خبرية لفظا ومعنى[1460]، قال بعضهم: وهو التحقيق؛ إذ ليس معنى كونها إنشائية إلا أنها جملة إنشاء الحامد /[294] الثناء بها، وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى"[1461].

والتحقيق أنها خبرية لفظا قصد بها الثناء على الله بمضمونها كما لجماعة من المحققين والله أعلم[1462].

[1458] "وقال الملا خسرو : هي وأمثالها إخبارية لغة، ونقلها الشارع للإنشاء لمصلحة الأحكام، واعترَض على إنشائيتها بأن الاستغراق ينافيه ويستلزم كون الحامد منشئا لكل حمد، ومن المحال إنشاء الحمد القائم بغيره" روح المعاني 76/1.
قال في تفسير التحرير والتنوير 162/1 - بعدما حكى مذهبين للعلماء فيها: الأول قال بخبريتها، وانقسم بدوره إلى من قال بمحض خبريتها ومن قال بأنها خبر أريد منه إنشاء، والثاني قال بمحض إنشائيتها- :
"والحق الذي لا محيد عنه أن (الحمد لله) خبر مستعمل في الإنشاء؛ فالقصد هو الإنشائية لا محالة، وعدل إلى الخبرية لتحمل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص والاهتمام، وشيء من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة إنشاء نحو: حمدا لله، أو: أحمد الله حمدا".

[1459] "... على أنها من الصيغ التي نقلتها العرب من الإخبار إلى إنشاء الثناء كما نقلت صيغ العقود وأفعال المدح والذم، أي نقلا مع عدم إماتة المعنى الخبري في الاستعمال" تفسير التحرير والتنوير 162/1.

[1460] انظر تفسير التحرير والتنوير 161/1.

[1461] هو قول الخطيب الشربيني في السراج المنير 8/1.

[1462] هو في تفسير الجلالين ص2.
قال في روح المعاني 75/1 و76:
"اختلف في جملة الحمد هل هي إخبارية أم إنشائية، فالذي عليه معظم العلماء أنها إخبارية كما يقتضيه الظاهر؛ لما يلزم على الإنشاء من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد...؛ لأن الإخبار بثبوت جميع المحامد لله تعالى هو عين الحمد، كما أن قولك: الله واحد، عين التوحيد ...؛ إذ الحمد إظهار الصفات لا ثبوتها، وأيضا المخبر بالحمد لا يقال له: حامد. ...، والذي أرتضيه أنها إخبارية كما عليه المعظم ويد الله تعالى مع الجماعة ... .
ولا تظن من كلامي هذا أني أمنع أن يكون الحمد بجملة إنشائية رأسا - معاذ الله-، ولكني أقول: إن الجملة هنا إخبارية وإن الحمد يصح بها على ما ذكرناه، والبحث بعدُ محتاج إلى تحرير ولعل الله تعالى يوفقه لنا في مظانه، والظن بالله تعالى حسن".
وانظر مذاهب العلماء فيها في تفسير التحرير والتنوير 160/1 وما بعدها.

و"رب": أصله مصدر "رَبَّهُ يَرُبُّهُ رَبّا": إذا ربّاه[1463] تربية[1464]، "وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا[1465]، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل" [1466].

وقيل: هو نعت[1467] من "ربّه يرُبّه فهو رَبّ" كقولك "نَمّ[1468] يَنِمّ فهو نَمّ"، أي فهو صفة مشبهة[1469]، ثم سمي به المالك؛ لأنه يحفظ ما يملكه ويُربّيه[1470].

ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا[1471] /[295] كقوله تعالى: (ارجع إلى ربك)[1472].

[1463] هو قول المبرد في تفسير القرطبي : آل عمران78- 122/4.

[1464] لفظ التربية مشتق في لغتنا العربية من أحد الأفعال التالية:
أ- من الفعل ربا يربو رُبُوّا ورباء: أي زاد ونما، وأرْبَيْتُه: نمّيته. ورَبَوْت في بني فلان أربو: نشأت فيهم.
ب- من الفعل رَبِيَ يَرْبَى رَبا ورُبُوّا: ومعناه نشأ وترعرع، وربّيت فلانا أربّيه تربية وترَبَّيته: أي غَذوْته، وهذا لكل ما يَنْمِي كالولد والزرع ونحوه.
ج- من الفعل رَبَّ يَرُبّ رَبّا: بمعنى مَلكه وأصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه وحفظه ورعاه، وترَبَّيْته ورَبَبْته وربَّيْته: بمعنى واحد، وترَبَّبه وارتبَّه وربّاه تربية: أحسن القيام عليه ووَلِيَه حتى يفارق الطفولية كان ابنَه أو لم يكن، وربَّبه تربيبا وتربَّبَه: بمعنى ربّاه.
انظر مقدمة في التربية وعلم النفس ص11 واللسان: ربب وربا.

[1465] تفسير التحرير والتنوير 166/1 وفيه: "تدريجا" بدل "شيئا فشيئا". وانظر ما ذكره المؤلف عن الرازي في الفرق بين تربية الله وغيره في ص 225.

[1466] تفسير البيضاوي 51/1 و52، وجوّز هذا الإعراب في الكشاف 10/1 من غير ذكر معنى التربية، وانظر أيضا البحر المحيط 19/1 وتفسير القرطبي 96/1 الذي أورد قول الهروي وغيره:
"يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربّه يرُبّه فهو ربّ له ورابّ".

[1467] هو قول النحاس في إعراب القرآن 120/1.

[1468] في الكشاف 10/1: "نمّ عليه".

[1469] "والرب إما مصدر وإما صفة مشبهة ...، وإن كان صفة مشبهة على الوجهين فهي واردة على القليل في أوزان الصفة المشبهة؛ فإنها لا تكون على "فَعْل" من: فعَل يَفْعُل، إلا قليلا" تفسير التحرير والتنوير 166/1.

[1470] انظر تفسير البيضاوي 52/1.
"والأظهر أنه مشتق من "ربّه" بمعنى : ربّاه وساسه، لا من "ربّه" بمعنى: ملكه؛ لأن الأول الأنسب بالمقام هنا؛ إذ المراد أنه مدبر الخلائق وسائس أمورها ومبلغها غاية كمالها ..." تفسير التحرير والتنوير 166/1.

[1471] أي بالإضافة.

[1472] يوسف 50، وانظر الكشاف 10/1 وتفسير القرطبي 96/1 الذي حكاه عن الصحاح ثم أضاف قائلا:
= =

و"**العالمين**":اسم جمع[1473] "عالَم" - بفتح اللام - (أي من يعقل)[1474]، وليس جمعا له[1475]؛ لأن العالم عام في العقلاء وغيرهم، و"العالمين" خاص بالعقلاء[1476]، والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم منه، قاله ابن مالك (ت 672)[1477] والموضِّحُ[1478] (ت 761).

وذهب كثير إلى أنه جمع "عالم" حقيقة[1479]، وعليه فقيل: إنه أصناف الخَلق العقلاء وغيرهم[1480]، قاله أبو الحسن ابن سِيدَهَ (ت 458)، وهو

= = متى أدخلت الألف واللام على (رب) اختص الله تعالى به؛ لأنها للعهد، وإن حذفتا منه صار مشتركا بين الله وبين عباده ..."، وقد رَدَّ في تفسير التحرير والتنوير 167/1 و168 دعوى تخصيص إطلاق "رب" بالله تعالى بأدلة قال عقبها: "فهذا إطلاق للرب مضافا وغير مضاف على غير الله تعالى في الإسلام؛ لأن اللفظ عربي أطلق في الإسلام" كما وجَّه نهي الحديث النبوي عن قول "رب" للسيد بأنه "نهي كراهة للتأديب ...، وأما بالإطلاق فالكراهة أشد".

[1473] "الاسم الدال على أكثر من اثنين ... إن كان موضوعا لمجموع الآحاد فهو اسم جمع، سواء كان له واحد كركب، أو لا كرهط" روح المعاني 78/1.
واسم الجمع مما **يلحق بجمع المذكر السالم** كما في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: الباب الثالث، باب جمع المذكر السالم 52/1 وجامع الدروس العربية: الملحق بجمع المذكر السالم 16/2.

[1474] في الهامش بعبارة "صح"، وهي من إضافة المؤلف.

[1475] "وجمع العالم شاذ؛ لأنه اسم جمع، وجمعه بالواو والنون أشذ للإخلال ببعض الشروط التي لهذا الجمع، والذي أختاره أنه ينطلق على المكلفين لقوله تعالى: (إن في ذلك لآيات للعالمين) [الروم 22]، وقراءة حفص بكسر اللام توضح ذلك" البحر المحيط 19/1، "وقيل: جمع العالم الخلق: العوالم" اللسان: علم.

[1476] "واشتقاقه من العلم عند مَن خص العالم بمن يعقل" التبيان في إعراب القرآن 5/1.

[1477] قال الثعالبي في تفسيره 23/1 بعدما نسبه لابن مالك في شرح التسهيل: "وفيه نظر".
وابن مالك هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الجياني نزيل دمشق، الإمام النحوي الشافعي، أستاذ زمانه في العربية والقراءات، من تآليفه في العربية: التسهيل، والكافية، والخلاصة في ألف بيت، ونظم في القراءات قصيدتين، ولد سنة 598 أو600 أو601 وتوفي عام 672. انظر غاية النهاية في طبقات القراء 180/2 وشذرات الذهب 339/5 وطبقات الشافعية للداودي 5/2.

[1478] في السراج المنير 9/1 : "وتبعه ابن هشام في توضيحه".
وابن هشام هو جمال الدين أبو عبد الله عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، العلامة النحوي الفاضل، تفقه على المذهب الشافعي ثم تحنبل،أتقن العربية وتخرج به جماعة من العلماء، من مؤلفاته النافعة: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، والتوضيح على ألفية ابن مالك وغيرهما، توفي سنة 761. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 68/2.

[1479] "وهذا القول الذي قلناه قول ابن عباس وسعيد بن جبير، وهو معنى قول عامة المفسرين" تفسير الطبري 143/1، وهو قول الزجاج أيضا في معاني القرآن وإعرابه 46/1. = =

ظاهر [كلام][1481] الجوهري(ت 400)[1482]، وقيل: أصناف العقلاء فقط وهم الإنس والملائكة والجن، قاله أبو عبيدة[1483]، وقيل: المراد به هنا الناس؛ لأن كل واحد[1484] /[296] عالم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير[1485].

(قال أبو حيان: و"ال" في "العالمين" للاستغراق)[1486].

"الرحمن الرحيم": مرّ الكلام عليهما[1487]، وكرّرا لما سيُقَرَّرُ إن شاء الله[1488].

= = "ولم يجمع "فاعَل" هذا الجمع إلا في لفظين: عالم وياسَمِ، اسم للزهر المعروف بالياسمين ...، ولقد أبدعوا [أي العرب] إذ جمعوه جمع العقلاء مع أن منه ما ليس بعاقل تغليبا للعاقل ...، فإنه لا يوجد في كلام العرب إطلاق "عالم" على مجموع ما سوى الله تعالى، وإنما أطلقه على هذا علماء الكلام في قولهم: العالم حادث، فهو من المصطلحات" تفسير التحرير والتنوير 168/1، وقد سبق إلى هذا ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير 12/1.

[1480] واشتقاقه "من العلامة عند مَن جعله لجميع المخلوقات" التبيان في إعراب القرآن 5/1، وهو "أصح هذه الأقوال؛ لأنه شامل لكل مخلوق وموجود، دليله قوله تعالى: (قال فرعون: وما رب العالمين؟ قال: رب السماوات والأرض وما بينهما) [الشعراء 23]، ثم هو مأخوذ من العَلَم والعلامة؛ لأنه يدل على موجده" تفسير القرطبي 97/1.

[1481] ساقطة من المخطوط، والتصويب من السراج المنير 9/1.

[1482] "والعالَم: الخلق، والجمع: العوالم. والعالمون: أصناف الخلق" الصحاح: علم.
والجوهري هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري التركي اللغوي، كان إماما في اللغة والأدب، من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، من مصنفاته: كتاب في العروض، ومقدمة في النحو، وكتاب الصحاح في اللغة المتداول اليوم بين أيدي الناس، توفي سنة 393 وقيل: 400. انظر بغية الوعاة 446/1 وشذرات الذهب 142/3.

[1483] وهو قول الفراء كذلك في تفسير القرطبي 97/1، وقال به الزمخشري في الكشاف 10/1.

[1484] في السراج المنير 9/1: واحد منهم.

[1485] انظر تفسير البيضاوي 54/1 والسراج المنير 9/1 الذي ختم فيه الخطيب الشربيني تفسيره للعالمين بقوله: "فإن قيل: لم جمع جمع قلة مع أن المقام يستدعي الإتيان بجمع الكثرة؟ أجيب بأن فيه تنبيها على أنهم وإن كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه تعالى".

[1486] في الهامش بعبارة "صح"، وقول أبي حيان هذا في البحر المحيط 19/1 غير متصرف فيه، قال في الكشاف 11/1: "ليشمل كل جنس مما سُمّي به"، وعلق عليه في تفسير التحرير والتنوير 168/1 و169: "والتعريف فيه للاستغراق بقرينة المقام الخطابي ...، استغراق الأجناس يستلزم استغراق أفرادها استلزاما واضحا؛ إذ الأجناس لا تقصد لذاتها لاسيما في مقام الحكم بالمربوبية عليها، فإنه لا معنى لمربوبية الحقائق ...، الجمع قرينة على الاستغراق ...، فكان استغراق الجموع مساويا لاستغراق المفردات أو أشمل منه".

[1487] مر الكلام عليهما في "البسملة": الفصل الأول ص99 والفصل الثاني ص101 والفصل الثالث ص104 وما بعدها، والفصل الحادي عشر بكامله ص132 والفصل الثالث عشر بكامله ص136 والفصل الخامس عشر بكامله أيضا ص161، وكذا في "سورة الفاتحة": الفصل الرابع ص181.
هذا وسيأتي الكلام عليهما في أوائل التنبيه الخامس عشر ص313.

[1488] "كرره للتعليل، على ما سنذكره" تفسير البيضاوي 55/1.

و"مالك يوم الدين": قرأه عاصم(ت 127) والكسائي(ت 189) ويعقوب(205) "مالك"[1489]، ويعضّده (يوم لا تمْلِكُ نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)[1490]، وقرأ الباقون "ملِكِ" بدون ألف[1491]، ويعضّده (لمن المُلكُ)[1492].

"والمالك: هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء - من المِلك-، والمَلِك: هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين - من المُلك-."[1493].

و"يوم الدين": "يوم الجزاء /[297] على الأعمال والحساب بها"[1494]، ومنه حديث "كما تَدين تُدان"[1495] ومنه (غَيْرَ مَدِينِينَ)[1496] أي محاسبين[1497].

[1489] وكذا "خلف في اختياره" القراءات العشر المتواترة ص1، "وروي عن الكسائي أنه خَيَّر في ذلك" الكشف عن وجوه القراءات السبع 25/1.

[1490] الانفطار 19، وهي بكسر لام (تمِلك) "يدل على (مالك)؛ لأنه لما نفى عنهم المِلك الذي هو مصدر المالك وجب أن يكون هو المالك، ولو قال: "تملُك" - بضم اللام- لدل على (مَلِك)؛ لأن المُلك مصدر (ملك)، والمِلك مصدر (مالك)" الكشف عن وجوه القراءات السبع 26/1.

[1491] انظر القراءات العشر المتواترة ص1.

[1492] غافر 16. وقد أجمعوا على ضم الميم من قوله: (المُلك) كما في الكشف عن وجوه القراءات السبع 27/1 الذي ذكر فيه مكي حججا متعددة لكلا الفريقين 25/1- 33، واختار من خلالها القراءة بغير ألف قائلا:

"فالجواب أن القراءتين صحيحتان حسنتان، غير أن القراءة بغير ألف أقوى في نفسي لما ذكرته من الحجج ولما فيه من العموم ..." 29/1، وانظر كذلك حجة القراءات لابن زنجلة ص77- 79، وقراءة (مِلك) اختيار الطبري أيضا في تفسيره 149/1 و150 والزمخشري في الكشاف 11/1.

[1493] تفسير البيضاوي 56/1 و57 وفيه: "كيف يشاء" بدل: "كيف شاء"، وانظر أيضا التوقيف على مهمات التعاريف: باب الميم، فصل الألف ص632 وفصل اللام ص675، وتفسير التحرير والتنوير 175/1.

"ومن ملح هذه المادة [أي : ملك] أن جميع تقاليبها الستة مستعملة في اللسان، وكلها راجع إلى معنى القوة والشدة، فبينها كلها قدر مشترك، وهذا يسمى بالاشتقاق الأكبر" البحر المحيط 20/1.

[1494] تفسير الثعالبي 23/1 وفيه أنه قول ابن عباس وغيره، وقال القرطبي في تفسيره 100/1: "كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل عليه قوله تعالى ...".

[1495] انظر معاني القرآن وإعرابه 47/1.

والحديث ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 2203- 33/2 و6386- 124/4، وقال المناوي بعدما حكى ضعفه: "قال الزركشي: ورواه البيهقي في الأسماء والصفات وفي الزهد عن أبي قلابة مرسلا [انظر كتاب الزهد الكبير للبيهقي: الجزء الرابع 710 ص277] بلفظ ...، وبه يتقوى. وقال ابن حجر: له شاهد مرسل خرجه عبد الرزاق عن أبي قلابة يرفعه، قال: ورجاله ثقات، ورواه أحمد في الزهد عن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء، فذكره" فيض القدير: حرف الكاف 48/5.

[1496] الواقعة 89، وشرح هذه اللفظة في تفسير مجاهد: سورة الواقعة ص646.

[1497] انظر تفسير القرطبي 100/1 وتفسير الثعالبي 23/1.

والمراد به يوم القيامة، وخص بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهر فيه لأحد إلا لله عز وجل: (لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار)[1498].

"**إياك نعبد**": أي لا نعبد غيرك[1499] بل نخصك بالعبادة، وتقديم المعمول يفيد الحصر والتخصيص[1500].

"و(نعبد): معناه نُقيمُ الشرع والأوامر مع تذلّل واستكانة"[1501]؛ لأن "العبادة أقصى غاية الخُضوع والتذلل، ومنه "طريق مُعَبّد" /[298] أي مذلل، ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى"[1502].

"**وإياك نستعين**": معناه لا نطلب العون من سواك وإنما نطلبه منك على أمورنا كلها، وضمير الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة، أو له ولسائر الموحدين؛ أدْرَجَ عبادتَه في تضاعيف عبادتهم وخَلط حاجته بحاجتهم لعلها تُقبل ببركاتها ويُجابُ إليها، ولهذا شرعت الجماعة[1503].

"**اهدنا الصراط المستقيم**": /[299] معناه أرشدنا الطريق الواضح القويم؛ فالهداية معناها الإرشاد[1504]، والصراط هو الطريق الواضح[1505]،

[1498] غافر 16، وانظر تفسير الجلالين ص2.

[1499] هو قول ابن عباس في تفسير البيضاوي 68/1.

[1500] "كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا" الإتقان : النوع الخامس والخمسون، في الحصر والاختصاص 140/2، وانظر أيضا البرهان في علوم القرآن: القول في التقديم والتأخير 236/3 وتفسير النسفي 7/1.
وفي فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني 22/1: "وتقديمه [أي الضمير المنفصل] على الفعل لقصد الاختصاص، وقيل: للاهتمام، والصواب أنه لهما ولا تزاحم بين المقتضيات ...".

[1501] تفسير الثعالبي 24/1.

[1502] تفسير البيضاوي 66/1، وانظر أيضا تفسير النسفي 7/1 وفتح القدير 22/1 وروح المعاني 86/1.

[1503] انظر تفسير البيضاوي 67/1 وروح المعاني 88/1، وقد فصل في التفسير الكبير 247/1-249 الحديث عن الحكم المستنبطة من ذكر النون ضمن الفائدة الرابعة من فوائد هذه الآية.

[1504] "والهداية في اللغة الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد" المحرر الوجيز 77/1.

[1505] "أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن (الصراط المستقيم) هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ...، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ...، ثم تستعير العرب (الصراط) فتستعمله في كل قول وعمل وُصفَ باستقامة أو اعوجاج" تفسير الطبري 170/1 و171.

والمستقيم أي القويم، فالسين والتاء زائدتان للتأكيد، أي الكامل في الاستقامة وعدمِ الاعوجاج[1506].

والمراد به الإسلامُ والدِّينُ الحقّ والقرآنُ[1507] على طريق الاستعارة التصريحية[1508] بجامع النجاة في مصاحبة الكل.

و"**صراط الذين أنعمت عليهم**" : هو الدين الحق أيضا، المُنْعَمُ عليهم

[1506] "استقام : استفعل بمعنى الفعل المجرد من الزوائد، وهذا أحد معاني "استفعل" وهو أن يكون بمعنى الفعل المجرد، وهو: قام، والقيام: هو الانتصاب والاستواء من غير اعوجاج" البحر المحيط 26/1.

[1507] "اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول؛ فروي ..." تفسير ابن كثير 29/1.
والصراط بمعنى الإسلام: قول جابر بن عبد الله وابن عباس وعبد الرحمن بن زيد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في تفسير الطبري 173/1- 176.
وأيضا الصراط بمعنى الدين الحق هو قول ابن الحنفية في 174/1 و175 منه.
أما بمعنى القرآن فهو قول علي وعبد الله [أي ابن مسعود، كما ورد في مجمع الزوائد: كتاب التفسير، سورة آل عمران 326/6] وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في 171/1- 173 من تفسير الطبري.
هذا وخطأ الرازي مَن جعل معنى الصراط: الإسلام أو القرآن بقوله: "وهذا لا يصح؛ ... ومَن تقدّمَنا مِن الأمم ما كان لهم القرآن والإسلام، وإذا بطل ذلك ثبت أن المراد: اهدنا صراط المحقين المستحقين للجنة" التفسير الكبير 256/1 و257.
وقد جانب الرازي رحمه الله تعالى الصواب في هذا؛ لأن قارئ القرآن - الهادي للتي هي أقوم- ما عساه يسأل لينجو من الخسر إن لم يسأل هدى الإسلام والقرآن؟، ثم إن الإسلام دين الأنبياء والرسل قاطبة من لدن آدم إلى محمد عليهم صلوات الله أجمعين؛ إذ الله تعالى هو الذي سمّى خلقه - أتباع رسله جميعا- المسلمين في الكتب المنزلة (من قبل، وفي هذا) [الحج 76] أي في القرآن المهيمن على - والمصدّق لما في- الكتب السابقة، ولن يكون العبد محقا مستحقا للجنة إن ابتغى غير الاسلام دينا.

[1508] "الاستعارة: إجراء الكلام على غير ما هو له في الأصل للمبالغة" رسالتان في اللغة للرماني: باب الحدود ص74.
وفي التعريفات: باب الألف ص35 والتوقيف على مهمات التعاريف: باب الهمزة، فصل السين ص58: "الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه ...، ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يسمى **استعارة تصريحية وتحقيقية** نحو: لقيت أسدا في الحمام".
قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث: الهمزة مع الياء 68/1: "وباب الاستعارة أوسع لأن يحاط له".
أما في المثل السائر للموصلي: المقالة الثانية، النوع الأول في الاستعارة342/1: "وهذا الموضع ... - وهو الاستعارة- كثير الإشكال غامض الخفاء"، وفي 343/1 وما بعدها منه بعدما ذكر أنها "جزء من المجاز" بيّن علة تسميتها وحقيقتها وإشكالاتها.

هم النبيئون والصديقون والشهداء /[300] والصالحون[1509].

و"**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**": تقدم أنه بدل من "الذين أنعمت"، وجوز بعضهم الوصفية وهو تكلف[1510].

والمغضوب عليهم: اليهود[1511]؛ لقوله: ﴿وباءو بغضب من الله﴾[1512] وغير ذلك، والضالون: النصارى؛ لقوله: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾[1513].

وقيل: المغضوب عليهم: الكفار، والضالون: المنافقون[1514].

وقيل: المغضوب عليهم: أهل البدعة، والضالون: عن السنة[1515].

1509 انظر تفسير الطبري 177/1 وما بعدها، وقد استدل بقوله تعالى: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا، وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما، ولهديناهم صراطا مستقيما، ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصّديقين والشهداء والصالحين) النساء 66- 69.

1510 انظر إعراب (غير) في الفصل الرابع من "سورة الفاتحة" - ص184- والتعليقات عليه.

1511 انظر ما روي في هذا - ومن ضمنه المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- في تفسير الطبري 185/1- 188.

1512 آل عمران 112.

1513 المائدة 79، وانظر ما روي في هذا - ومن ضمنه المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- في تفسير الطبري 192/1- 195.

ومعنى المغضوب عليهم والضالين هنا قول الجمهور "وجاء ذلك مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ...، وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأعلى وأحسن" تفسير القرطبي 104/1 و105.

1514 انظر تفسير القرطبي 104/1، وصدره في التفسير الكبير 261/1 بقوله: "ويحتمل أن يقال" معللا إياه بمناسبته لما ورد في البقرة من ذكر المؤمنين أولا: - ويناسب (أنعمت عليهم)-، ثم (الذين كفروا) ثانيا: - ويناسب (المغضوب عليهم)-، ثم المنافقين ثالثا: - ويناسب (الضالين)-.

1515 "قلت : وهذا حسن، وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأعلى وأحسن" تفسير القرطبي 105/1.

/[301] تنبيهات:

الأول: إفادة الفاتحة التوحيد[1516]

قال **الفخر**(ت 606): اعلم أنه لما قال الله عز وجل (الحمد لله) فكأن سائلا قال: "الحمد لله" منبئ عن أمرين: أحدهما وجود الإله والثاني كونه مستحقا للحمد، فما الدليل على ذلك؟ فأجاب عن الأول بقوله: (رب العالمين)، وعن الثاني بقوله: (الرحمن الرحيم).

وتقرير الأول[1517]: أن علمنا بوجود الإله نظري لا يمكن تحصيله إلا بالدليل، ولا دليل على وجود الإله إلا أن هذا /[302] العالم المحسوس بما فيه من السماوات والأرضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان محتاج إلى مدبر يدبره وموجد يوجده ومرب يربيه ومُبق يبقيه؛ فكان قوله "رب العالمين" إشارة إلى الدليل الدال على وجود الإله القادر الحكيم.

وفي "العالمين"[1518] إشارة إلى أن كل ما سوى الله مفتقر إلى الله في وجوده إلى إيجاده وفي بقائه إلى إبقائه، فكان هذا إشارة إلى أن كل جوهر وعرض برهان على وجود الإله الحكيم القادر القديم /[303] كما قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[1519].

وسبب[1520] التعليق ب"رب العالمين" دون "خالق" - مثلا - التنبيه على أن كل ما سوى الله مفتقر إليه في حال حدوثه وفي حال بقائه، وعلى أن كل موجود سواه دليل على إلاهيته؛ فلذا كانت هذه السورة "أم القرآن"[1521] لأنها كالأصل والمعدن وغيرها كالجداول المتشعبة منه:

فقد افتتح "الأنعام" ب ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل

[1516] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1517] في الهامش عنوان: "الوجود"، والسؤال الأول هو: ما الدليل على وجود الإله؟.

[1518] في الهامش عنوان: "السلوب والمعاني والمعنوية"، وفي التفسير الكبير 179/1: "ثم فيه لطائف، اللطيفة الأولى".

[1519] الإسراء 44.

[1520] هي اللطيفة الثانية في التفسير الكبير 180/1.

[1521] هي اللطيفة الثالثة في التفسير الكبير 180/1.

﴿الظلمات والنور﴾، وذلك كله قسم من /[304] أقسام قوله "رب العالمين"؛ لأنها قسم من أقسام ما سوى الله وهو العالم الذي هو سبحانه ربه.

وافتتح "الكهف" بقوله: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ والكتاب سبب لتربية الأرواح بالمعارف[1522]، و"رب العالمين" إشارة إلى التربية العامة، فكان أعم وأشمل[1523].

وافتتح "سبأ" بقوله: ﴿الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾: فبين في "الأنعام" أن السماوات والأرض له، وبين في "سبإ" أن ما فيهما له، والكل /[305] قسم من أقسام العالمين التي هو ربها.

وافتتح سورة الملائكة[1524] بقوله: ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا﴾: والفرق[1525] بين "فاطر" و"خالق" أن الفاطر هو المحدِث لذواتها، وخالقُها مقدّرها، والكل من أنواع العالمين[1526].

ثم إن لفظة "رب"[1527] كما دلت على وجود الله تعالى دلت على تعاليه في ذاته عن المكان والحيز والجهة؛ لأن العالمين يتناول كل موجود سوى الله ومنه المكان والزمان، فإن المكان عبارة /[306] عن الفضاء والفراغ والحيز، والزمان عبارة عن المدة التي يحصل بسببها القبلية والبعدية، فقوله "رب العالمين" يدل على كونه موجدا لهما وخالقا لهما، والخالق لابد أن يكون سابقا على المخلوق متعاليا عنهما وإلا انقلبت حقيقة ذاته، وذاك محال[1528].

وتعليق الحمد بالربوبية[1529] يدل على أنه تعالى فاعل بالاختيار لا

[1522] "فكان هذا إشارة إلى التربية الروحانية فقط" التفسير الكبير 180/1.

[1523] أي في حق كل العالمين.

[1524] أي سورة فاطر.

[1525] في الهامش عنوان" "الفاطر والخالق".

[1526] هي المسألة الأولى من مسائل "الباب الثالث: في الأسرار المستنبطة من هذه السورة" في التفسير الكبير 179/1- 181 بتصرف.

[1527] في الهامش عنوان: "في لفظ الرب التنزيه عن المكان لخ."

[1528] هي المسألة الثانية من مسائل الباب الثالث في التفسير الكبير 181/1 بتصرف.

[1529] في الهامش عنوان: "الاختيار".

بالطبع والعلة وإلا لم يستحق الحمد على ربوبيته[1530]، ولما خلق الله العالم مطابقا لمصالح /[307] العباد كان الإتقان ظاهرا في العالمَيْن العلوي والسفلي، وفاعل الفعل المتقن يجب أن يكون عالما، فقوله: "الحمد لله" دليل على وجود الإله وكونه منزها عن المكان والحلول وفي نهاية القدرة والعلم والحكمة[1531].

وتقرير الجواب الثاني[1532] في قوله ﴿الرحمن الرحيم ملك يوم الدين﴾: أن العبد إما في السلامة والسعادة وإما في الألم والفقر والمكاره، فإن كان في الأول فأسبابه لم تحصل إلا بخلق الله فكان رحمانَ[1533] رحيما، وإن كان في الثاني فإن /[308] كان من العباد فالله سبحانه وعد بأنه ينتصف للمظلومين في يوم الدين، وإن كانت من الله فالله سبحانه وعد بالثواب؛ فكان مستحقا للحمد على كل حال فظهر أن قوله ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ مرتب ترتيبا لا يمكن في العقل وجود كلام أكمل وأفضل منه.

ولما تمّم الكلام على الصفات المعتبرة في الربوبية أردفه بالكلام المعتبر في العبودية:

والإنسان مركب من جسم /[309] وروح، والمقصود من الجسد أن يكون آلة للروح في اكتساب الأشياء النافعة للروح، فأفضل أحوال الجسد إتيانه بأعمال تعين الروح على اكتساب السعادات الروحية الباقية، وهي الأعمال التي تدل على تعظيم المعبود وخدمته، وهذه أول درجات السعادة وهو المراد بقوله: (إياك نعبد)، فإذا واظب عليها ظهر له أنه عاجز عن الإتيان بها إلا بإعانة الله، وهذه هي الدرجة الوسطى وهو المراد بقوله: /[310] ﴿وإياك نستعين﴾، ثم إذا تجاوز هذا المقام لاح له أن الهداية لا تحصل إلا من الله وهو المراد بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[1534]:

والصراط المستقيم هو الطريق الحق في الاعتقادات وفي الأعمال:

1530 هو ملخص المسألة الرابعة من مسائل الباب الثالث في التفسير الكبير 182/1.

1531 هي المسألة الخامسة من مسائل الباب الثالث في التفسير الكبير 182/1 بتصرف.

1532 أي الجواب عن السؤال الثاني وهو : ما الدليل على كونه تعالى مستحقا للحمد؟.

1533 في التفسير الكبير 182/1 : رحمانا.

1534 في التفسير الكبير 183/1 : "وفيه لطائف".

فمن توغل في الإثبات وقع في التشبيه وإثبات الجسمية والمكان، ومن توغل في التنزيه وقع في التعطيل ونفي الصفات، والطريق المستقيم الإقرار الخالي عن التشبيه والتعطيل.

ومن قال: "فعل العبد كله منه" /[311] وقع في القدر والاعتزال، ومن قال: "لا فعل له" وقع في الجبر، وهما طرفان معوجان، والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد كسبا مع الإقرار بأن الكل بقضاء الله وخلقه.

وأما في الأعمال: فمن بالغ في الشهوات وقع في الفجور، ومن بالغ في تركها وقع في الجمود، والصراط المستقيم هو الوسط وهو العفة[1535]، هـ بخ[1536].

التنبيه الثاني: لابد من الشيخ[1537]

قال أيضا: قال بعضهم:

"لما قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لم يقتصر عليه بل قال: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾، /[312] وهذا يدل على أن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية[1538] والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه سواء السبيل ويجنبه عن مواقع الأغاليط؛ وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب من الغلط، فلابد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل، فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات"[1539]، هـ بخ.

/[313] **أقول**: وطلب الشيخ المرشد واجب ولو بالسفر إليه، لكن هذا الوجوب من طريق النظر لا من طريق الحكم الشرعي حتى يكون تاركه في حكم الشرع الظاهر آثما[1540].

[1535] وهي اللطيفة الأولى في التفسير الكبير 183/1.

[1536] التفسير الكبير : "الباب الثالث في الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة" 179/1- 183 بتصرف.

[1537] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1538] في المخطوط: الهواية، والتصويب من التفسير الكبير 184/1.

[1539] هي اللطيفة الثالثة من لطائف (اهدنا الصراط المستقيم) في التفسير الكبير 183/1 و184.

[1540] هذه اللفظة في الهامش بعبارة "صح".

قال عبد الوهاب الشعراني عن المريد:

ونص جواب تاج العارفين وقطب الواصلين سيدنا ومولانا أحمد التجاني(ت 1230) رضي الله عنه ونفعنا به في ذلك هو قوله:

ليس في نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا على كل فرد من جميع العباد، ولا عذر لأحد في [ترك][1541] ذلك من /[314] طريق الشرع، ولا عذر لأحد في غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه، فليس في الشرع إلا وجوب ذلك وتحريم غيره لوجوب العقاب عليه.

ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذي يُعلم كيفية الأمور الشرعية التي يُطلب فعلها من العبد أمرا ونهيا وفعلا وتركا، فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل، ولا يسع أحدا تركه[1542].

وما وراء ذلك من المشايخ لا يجب طلبه من جهة /[315] الشرع، لكن يجب طلبه من طريق النظر:

بمنزلة المريض الذي أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كل جهة وانعدمت الصحة في حقه، فنقول له: إن شاء البقاء على هذا المرض بقي كذلك، وإن طلب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له: يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلة وأصلها والدواء المزيل [لها][1543]

= = "ومن شأنه أن لا يتتلمذ إلا لشيخ قد تضلع من علوم الشريعة؛ وذلك ليكفيه عن الاجتماع على غيره ... .

ومن شأنه أن لا يكون له إلا شيخ واحد، فلا يجعل له قط شيخين؛ لأن مبنى طريق القوم على التوحيد الخالص ... .

ومن شأنه - **إن كان له شيخ**- أن يلازمه ...، ومن الواجب عليه إذا مات شيخه أن يتخذ له شيخا يربيه زيادة على ما رباه الشيخ الأول؛ فإن الطريق لا قرار لها ... .

ومن شأنه إذا سافر إلى شيخ ليأخذ عنه الطريق فقابله الشيخ بالجفاء والتعبيس في وجهه أن يصبر ولا يتزلزل ...؛ فإن الطريق عزيزة عند أهلها ..." الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ص39 وما بعدها.

[1541] ساقطة من المخطوط ، والتصويب من جواهر المعاني وبلوغ الأماني 129/1.

[1542] قال أحمد زروق: "قاعدة: لاعلم إلا بالتعلم عن الشارع أو من ناب منابه فيما أتى..." قواعد التصوف ص15.

وقال الشيخ إبراهيم الدسوقي القرشي: "والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة ودخلوا تحت الأوامر لاستغنوا عن الأشياخ، ولكن جاؤوا إلى الطريق بعلل وأمراض فاحتاجوا إلى حكيم" الطبقات الكبرى للشعراني 286- 174/1.

[1543] في المخطوط: له، والتصويب من جواهر المعاني وبلوغ الأماني 129/1.

وكيفية تناوله كما وكيفية ووقتا وحالا والسلام هـ، انظر الجواهر والرماح والبغية وبالله التوفيق[1544].

التنبيه ا لثالث: [علاقة الفاتحة بأحوال العبد من خلال الخير والشر]

قال الفخر أيضا: /[316] من لطائف هذه السورة أن أحوال العالم ممزوجة بالخير والشر والمحبوب والمكروه - والخير أكثر من الشر- والشخص دائم التغير بينهما، وذلك يقتضي الحدوث ويدل على وجود الإله القادر، ولغلبة الخير تدل على أن ذلك الإله الرحيم القادر؛ فيكون مستحقا للحمد، ولكون هذا المعنى حاضرا في عقل كل عاقل علمهم كيفية الحمد بقوله: (الحمد لله)، ثم نبّه على أن مَن اشتغلتَ بحمده لا ينبغي أن يكون إلهك فقط بل هو إله العالمين؛ /[[317] لأنك لمّا[1545] حكمتَ بافتقارك إليه كان هذا المعنى قائما بكل العالمين للمماثلة بدليل مشاهدة التغيرات، وإذا حصل الاشتراك في العلة وجب حصول الاشتراك في المعلول؛ فاقتضى كونه رب العالمين، فظهر أن الموجود الذي يَقدر على خلق هذه العوالم من عرش وكرسي وسماوات وكواكب لابد أن يكون قادرا على إهلاكها وأن يكون غنيا عنها، فهذا القادر القاهر الغني في غاية العظمة والجلال، /[318] فيقع في القلب أن مع ذلتي كيف أتقرب إليه؟، فذكر الله ما يجري مجرى العلاج، وأنه "الرحمن الرحيم" أي أنا وإن كنت عظيم القدرة والإلهية عظيم[1546] الرحمة، فأنا الرحمن الرحيم وأنا مالك يوم الدين

[1544] انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني: الباب الرابع، الفصل الثالث في معرفة حقيقة الشيخ 129/1، ورماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر الفوتي: الفصل الثاني عشر 97/1 و98، وبغية المستفيد لشرح منية المريد ص112.

قال الرهوني - صاحب المخطوط- في تأليفه "فيما تلزم معرفته من العقائد والعبادات والآداب":

"و**الطبيب** الذي يشخص المرض ويصف الدواء **هو الشيخ المربي**، فعلى من فتح الله به عليه أن يطرح نفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله، وأن يتبرأ من علمه وعمله إلا مما يأتيه من قبَله، ومن حجب عنه فعليه من إكثار الصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينعم الله به عليه، أو يشفيه بفضله من داء النفس ويطهره لقبول الموارد الإلهية، أو يجمعه بعين الرحمة صلى الله عليه وسلم فيتولى مداواته بروحانيته المصطفوية صلى الله عليه وسلم.

وشرط الشيخ: أنه إذا رأيته ذكرتَ الله عند رؤيته لما ترى عليه من نور التوحيد والعرفان ووصلك إلى ربك عز وجل بهمة موروثة من سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم" عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للرهوني - مخطوط- 105/10.

[1545] هي في الهامش بدون عبارة "صح"، وفي المتن: إنما.

[1546] في التفسير الكبير 185/1: إلا أني مع ذلك عظيم.

أرحمك في الدنيا وفي دار الجزاء: إن أتيتني بالخير قابلت الخير الواحد بما لا نهاية له من الخيرات، وإن أتيتني بالمعصية قابلتها بالصفح والمغفرة.

ثم أمر[1547] العبد بالشريعة: وهي العبادة، وبالطريقة: وهي الاستمداد /[319] وطلب الإعانة[1548]، (وبالحقيقة: وهي رؤية)[1549] الأمر كله لله، وهي طلبُ الهداية منه.

ولما كانت الروح[1550] الواحدة لا تقدر على القيام بما تقوم به الأرواح المجتمعة أدخل روحَه في زمرة الأرواح الطاهرة فقال: (صراط الذين أنعمت عليهم).

ولما كان الاتصال بالأرواح الطاهرة يوجب مزيد القوة بيّن أن الاتصال بغيرها[1551] يوجب الخيبة فقال: (غير المغضوب عليهم) وهم الفساق، (ولا الضالين) وهم الكفار، فكملت المعارج البشرية /[320] والكمالات الإنسانية[1552].

وأيضا خلق الإنسان محتاجا لجر الخير ودفع الشر، ولا يمكنه ذلك إلا بواسطة أسباب، فإذا نظر إلى تلك الأسباب والوسائط نظرَ اعتبار علم أنها عاجزة مثله لا تملك نفعا ولا ضرا وأنه لابد من مسببها، فحينئذ يشاهد أن لا نافع ولا ضار إلا الله فيعلم أنه وحده المستحق لجميع المحامد فيقول: ﴿الحمد لله﴾.

ثم ينظر إلى أن أمر العوالم لا ينتظم إلا بتقدير الله عز وجل فيقول: ﴿رب العالمين﴾.

/[321] ثم ينظر إلى العوالم فيجدها منظومة على الوصف الأكمل

[1547] في التفسير الكبير 185/1 : ثم لما قرر أمر الربوبية بهذا الطريق أمره بثلاثة أشياء... .

[1548] "وهو أن يحاول السفر من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فيرى عالم الشهادة كالمسخر لعالم الغيب، فيعلم أنه لا يتيسر له شيء من الأعمال الظاهرة إلا بمدد يصل إليه من عالم الغيب" التفسير الكبير 185/1.

[1549] في الهامش بعبارة "صح".

[1550] في التفسير الكبير 185/1: ثم إن هاهنا دقيقة وهي أن الروح... .

[1551] أي بالأرواح الخبيثة.

[1552] وهو "مشرع آخر من لطائف هذه السورة" ضمن الباب الثالث في التفسير الكبير 184/1- 186 بتصرف.

ناطقة بالإقرار بكمال رحمته فيقول: ﴿الرحمن الرحيم﴾ فيعلم أن جميع مصالحه الدنيوية إنما تهيأت برحمة الله، ويتعلق قلبه بمعرفة حاله بعد الموت فكأنه يقال: ﴿مالك يوم الدين﴾ ليس إلا الذي عرفته أرحم الراحمين (الرحمن الرحيم) فينشرح صدره وينقطع قلبه إلى الله عز وجل ويعلم أن خدمة المخلوق لا فائدة فيها، ويتوجه لعبادة الله /[322] فيقول: ﴿إياك نعبد﴾. وعند هذه المشاهدة التوحيدية يتوجه إلى الله بطلب الإعانة فيقول: ﴿وإياك نستعين﴾، ثم يطلب الهداية من الله عز وجل للطريق المستقيم - طريق الأنبياء والصالحين - والبعد من طريق المغضوب عليهم والضالين الذين يخدمون المخلوق ويطمعون فيما عنده ويعرضون عن توحيد الله وعبادته فيقول: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لخ[1553].

/[323] **التنبيه الرابع:** [بين الحمد والمدح والشكر]

قال الفخر أيضا: هاهنا ألفاظ ثلاثة الحمد والمدح والشكر[1554]:

والمدح يحصل للحي وغيره كاللؤلؤة، ويكون قبل الإحسان وبعده، وقد يكون منهيا عنه كمدح من لا يستحق المدح، وهو عبارة عن القول الدال على كونه مختصا بنوع من أنواع الفضائل.

والحمد: عبارة عن القول الدال على كونه مختصا بفضيلة وهي فضيلة الإنعام، فيكون المدح أعم من الحمد لما ذكر.

والفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد /[324] يعم ما إذا وصل الإنعام إليك أو إلى غيرك، والشكر خاص بالواصل إليك:

فلذا قيل: ﴿الحمد لله﴾ دون "المدح لله" دلالة على أن المحمود حي فاعل بالاختيار، ولم يقل "الشكر لله" لعموم الحمد دونه كما مر، هـ بخ[1555].

[1553] وهو "مشرع آخر من لطائف هذه السورة" ضمن الباب الثالث في التفسير الكبير 1/186- 188 بتصرف.

[1554] انظر الحديث عن هذه الألفاظ في ص 193 وما بعدها.

[1555] هي الفائدة الأولى في الفصل الأول من الباب الخامس في التفسير الكبير 1/218 و219 بتصرف، وانظر ص 194 وما بعدها من هذا الكتاب.

التنبيه الخامس: [سر التعبير ب"الحمد لله"]

قال أيضا: إنما قيل "الحمد لله" ولم يقل "أحمد الله"[1556] ليفيد أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وبعدهم سواء حمدوا أو لم يحمدوا؛ إذ هو محمود في الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم، /[325] ولأن "الحمد لله" معناه: أن الحمد حق لله يستحقه لذاته[1557]، بخلاف "أحمد الله"، ولأنه لو قيل "أحمد الله" لم يكن حامدا حمدا يليق به، ولما قيل "الحمد لله" كان المعنى: من أنا حتى أحمد؟ لكنه محمود بجميع حمد الحامدين، ولأن الحمد عبارة عن اعتقاد[1558] كون المحمود منعما، فإذا قال الإنسان "أحمد الله" مع غفلته كان كاذبا بخلاف ما إذا قال: "الحمد لله" فإنه يكون صادقا كان غافلا أو حاضرا، هـ بخ[1559].

التنبيه السادس: ["ال" (الحمد لله) وفضل هذه الجملة]

أجاز الفخر في اللام الاختصاص والملك والقدرة[1560]، /[326] وفي "ال" الاستغراق والجنس ومر ما في ذلك[1561]، ثم قال: وحروف "الحمد لله" ثمانية وأبواب الجنة ثمانية[1562]، فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه

1556 وهذا على مذهب من نصب (الحمد)، قال في الكشاف 9/1 : "وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله".
وفي معاني القرآن وإعرابه 45/1: "الرفع أحسن وأبلغ في الثناء على الله عز وجل".
أما في إعراب القرآن للنحاس 119/1 فورد ما يلي: "وقرأ ابن عيينة ورؤبة بن العجاج (الحمدَ لله) على المصدر، وهي لغة قيس والحارث بن سامة، والرفع أجود من جهة اللفظ والمعنى ..."، "ولهذا أجمع عليها السبعة ..." البحر المحيط 18/1.

1557 ويظهر هذا أيضا من خلال قراءة (الحمد) بالرفع؛ فهو "أجود من جهة اللفظ والمعنى، فأما اللفظ فلأنه اسم معرفة خبّرت عنه، وأما المعنى فإنك إذا رفعت أخبرت أن حمدك وحمد غيرك لله جل وعز" إعراب القرآن للنحاس 119/1.

1558 فهو صفة للقلب.

1559 هي الفائدة الثانية في الفصل الأول من الباب الخامس في التفسير الكبير 219/1 و220 بتصرف.

1560 "واللام في قولك: (الحمد لله) يحتمل هذه الوجوه الثلاثة ...، فالحمد لله : بمعنى أن الحمد لا يليق إلا به، وبمعنى أن الحمد مِلكه ومُلكه، وبمعنى أنه هو المستولي على الكل والمستعلي على الكل" التفسير الكبير 220/1.

1561 انظر تفصيل ذلك والتعليق عليه في "الفصل الخامس في معانيها" ص191.

1562 حديث "في الجنة ثمانية أبواب" في صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة = = 3084- 1188/3.

استحق ثمانية أبواب الجنة، هـ بخ[1563].

التنبيه السابع: [من فضل "الحمد لله"]

قال أيضا: في الحديث: إذا أنعم الله على عبد نعمة فقال: "الحمد لله" فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي أعطيته ما لا قدر له فأعطاني ما لا قيمة له[1564].

وتفسيره: أن نعم الله على العبد وإن بلغت ما بلغت فمحامد الله فوقها إلى ما لا نهاية له في الماضي /[327] والمستقبل، وكلها داخلة في قول العبد "الحمد لله"، فكأنه تعالى يقول: عبدي إذا قلت "الحمد لله" في مقابلة النعمة فالذي بقي لك من تلك الكلمة طاعات غير متناهية، فلابد من مقابلتها بنعمة غير متناهية، فقول العبد "الحمد لله" يوجب سعادات لا آخر لها وخيرات لا نهاية لها، هـ بخ[1565].

التنبيه ا لثامن: [موجبات الحمد وسر التعبير به ومكانته]

قال أيضا: وجود ما سوى الله واقع بإيجاده تعالى - وهو نعمة- فثبت أن لا موجود في عالم الأرواح والأجسام العلوية والسفلية /[328] إلا ولله عليه نعمة، وهي موجبة للحمد، فقول العبد "الحمد لله" معناه: الحمد لله على إنعامه على كل مخلوق من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي

= = وفي التمهيد لابن عبد البر 186/7 وما بعدها استدلال على أن في الجنة أبوابا متعددة.
قال القرطبي في تفسيره - الزمر 70- 286/15: "... وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية، وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة، وانتهى عددها إلى ثلاثة عشر بابا".
على أن المناوي في فيض القدير: حرف الفاء 448/4 وجّه الخلاف بقوله: "والظاهر أن الأبواب الأصول ثمانية، وما زاد عليها كالخوخ المعهودة".

[1563] هو اختصار الفائدة الثالثة والرابعة والخامسة في الفصل الأول من الباب الخامس في التفسير الكبير 220/1 و221.

[1564] الذي وجدته في سنن ابن ماجة: باب فضل الحامدين 3805- 1250/2 عن أنس مرفوعا: "ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: (الحمد لله) إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ".
ونفسه باختلاف يسير في المعجم الأوسط 1357- 93/2 وشعب الإيمان 4405- 98/4 و4406- 99/4.
وقد شرحه في فيض القدير: حرف الميم 428/5 حيث الخلاف في: هل الحمد أفضل من النعم أم لا؟.

[1565] هي الفائدة الثامنة من الباب الخامس في التفسير الكبير 223/1 بتصرف.

وجن وإنسي وذات وصفة وجسم وعرض إلى أبد الآباد، وأشهد أنها حقك ومِلكك وليس لأحد معك فيها شركة[1566].

ثم إن التعبير بالتحميد هنا أولى من التعبير بالتسبيح[1567]؛ لأن التسبيح تنزيه[1568]، والتحميد يدل على كونه فوق التمام؛ لأنه لا يكون محسنا إلا إذا كان عالما غنيا قادرا[1569]، فالابتداء بالحمد أولى من التسبيح[1570].

/[329] ثم إن الحمد له تعلق بالماضي وبه تُغلق أبواب النيران، وبالمستقبل وبه تفتح أبواب الجنان، وتأثيره في الماضي سد أبواب الحجاب وفي المستقبل فتح أبواب المعرفة[1571]، ولا نهاية لدرجات جلال الله، فلا نهاية للعبد في معارج معرفة الله، ولا مفتاح لها إلا قولنا "الحمد لله"؛ فلذا سميت سورة الحمد الفاتحة[1572].

و"الحمد لله" جملة شريفة جليلة لكن لابد من ذكرها في موضعها وإلا لم يحصل المقصود، ولذا قال السري السقطي[1573]: أقمت ثلاثين سنة أستغفر الله /[330] من قولي مرة "الحمد لله" لما احترق سوق بغداد ولم تحرق حانوتي.

فيجب إجلالها عن استعمالها في نعم الدنيا[1574]، هـ بخ[1575].

1566 هي الفائدة التاسعة من الباب الخامس في التفسير الكبير 223/1 و224 بتصرف.

1567 "يقال : سبحان الله والحمد لله، فما السبب هاهنا في وقوع البداية بالحمد؟" التفسير الكبير 224/1.

1568 "فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاما" التفسير الكبير 224/1.

1569 "إذ لو لم يكن كذلك لكان اشتغاله بدفع الحاجة عن نفسه يمنعه من دفع حاجة العبد" التفسير الكبير 224/1.

1570 هي الفائدة العاشرة من الباب الخامس في التفسير الكبير 224/1 بتصرف.

1571 أي سد أبواب الحجاب عن الله تعالى، وفتح أبواب معرفته جل وعلا.

1572 هي الفائدة الحادية عشرة من الباب الخامس في التفسير الكبير 224/1 بتصرف.

1573 ذكره ابن تيمية ضمن "شيوخ المسلمين المشهورين بالزهد والعبادة" في مجموع الفتاوى 118/21.
وهو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي، خال الجنيد وأستاذه، صحب معروفا الكرخي، أول من تكلم في التوحيد ببغداد وإليه ينتمي أكثر المشايخ بها، وبها توفي رحمه الله تعالى سنة 251. انظر الطبقات الكبرى للشعراني 144- 74/1.

1574 لا ننس أن الحمد كما يكون للنعم يكون للمصائب أيضا، ثم شكر العبد للنعمة وفرحه بها لا يعني بالضرورة محبته لحلول المصائب بالآخرين، بل هو تحقيق لعبوديته لله من خلال ما ابتلاه به من نعم، فكل حالة من أحوال العبد الدنيوية مطلوب فيها نوع من أنواع العبادات، ولكل مقام مقال.

1575 هي الفائدة الثانية عشرة من الباب الخامس في التفسير الكبير 224/1 و225 بتصرف. ==

أقول: وهذا مقام عال لا يليق بكل الناس[1576].

ثم قال: وأول ما قال سيدنا آدم عليه السلام لما عطس: "الحمد لله"[1577]، وآخر ما يقوله أهل الجنة: "الحمد لله رب العالمين"[1578]، فاجتهد حتى[1579] يكون أول أعمالك وآخرها مقرونا بحمد الله؛ لأن الإنسان عالم أصغر، فيجب أن توافق أحواله العالم الأكبر، هـ بخ[1580].

/[331] **التنبيه ا لتاسع**: لا إضمار في جملة الحمد[1581]

قال الفخر(ت 606) أيضا: من الناس من قال: التقدير "قولوا: الحمد لله"، وهو ضعيف؛ لأن الإضمار إنما يصار إليه ليصح الكلام، وهذا الإضمار يوجب فساده؛ لأن قوله "الحمد لله" كلام تام في نفسه لا يحتاج إلى إضمار، ولأنه يدل على استحقاقه تعالى للحمد حُمد أو لم يحمد، ولأنهم قالوا: لا ينبغي أن يقال للولد: افعل كذا؛ لأنه قد لا يمتثل فيكون عاقا وإثمه أكبر بخلاف ما إذا قيل له: يجب فعل كذا، فإنه إذا لم يفعل كان إثمه أخف، /[332] وكذا هنا[1582].

= = وأصل هذه الفكرة تعريف الشكر بقولهم: "الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة" كما قال الشبلي، ومعناه عندهم: "أن يفنى برؤية المنعم عن رؤية نعمه".

والذي رجحه ابن القيم في تعريف الشبلي - وهو الصواب-: "أن لا تحجبه رؤية نعمه ومشاهدتها عن رؤية المنعم بها، وهذا أكمل ... .

والكمال: أن تشهد النعمة والمنعم؛ لأن شكره بحسب شهود النعمة، فكلما كان أتمّ كان الشكر أكمل، والله يحب من عبده أن يشهد نعمه ويعترف له بها ويحبه عليها، لا أن يفنى عنها ويغيب عن شهودها" مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) لابن القيم 245/2.

[1576] المقام العالي في العبودية هو أن ألبَس كل حالة من حالات الدنيا لبوسَها من نوع العبادة الموائمة لها حسبما حدده الشرع الحنيف، وإلا فما عسى المرء يفعل إن نجا دكانه واحترقت دكاكين جيرانه؟، وما نيل مقامات الدين إلا بواسطة نِعَم الدنيا أونقمها.

نعَم، المقام العالي في الأدب ومراعاة أحاسيس الناس: ألا يجهر العبد بالحمد - الشكر- أمامهم وقد حلت بهم المصائب.

[1577] انظر سنن الترمذي 3368- 453/5 والسنن الكبرى للنسائي 10046- 63/6 وصحيح ابن حبان 6165- 37/14 و6167- 40/14 والمستدرك على الصحيحين 214- 132/1 و3036- 287/2 و7681- 292/4.

[1578] وذلك في قوله تعالى : (وآخِرُ دَعْواهم أن الحمدُ لله ربّ العالمين) يونس 10.

[1579] في المخطوط: حتى ان.

[1580] هي الفائدة الثالثة عشرة من الباب الخامس في التفسير الكبير 225/1 بتصرف.

[1581] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1582] هي الفائدة الرابعة عشرة من الباب الخامس في التفسير الكبير 225/1 بتصرف.

التنبيه العاشر: [بم يجب الشكر؟]

قال أيضا: اختلفوا هل شكر المنعم واجب بالشرع أو بالعقل؟، فمنهم من قال: بالشرع لقوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[1583] وقوله: (رسلا مبشرين ومنذرين)[1584]، ومنهم من قال: بالعقل قبل مجيء الشرع وبعده بدليل قوله تعالى: (الحمد لله)[1585]، هـ بخ[1586].

وهذه المسألة أشار لها السبكي في قوله: وشكر المنعم واجب بالشرع هـ.

التنبيه الحادي عشر: الواجب والممكن، والثاني هو العالم[1587]

قال أيضا: اعلم أن **الموجود** إما واجب لذاته أو ممكن لذاته:

/[333] والأول هو الله عز وجل لا غير.

والثاني ما سواه وهو العالَم، سمي به؛ لأن فيه علامة تميزه عن موجده، وهو إما متحيز أو صفة لمتحيز[1588]، أو لا ولا[1589].

[1583] الإسراء 15.

[1584] النساء 165.

[1585] ذلك أن الحمد حقه تعالى "وملكه على الإطلاق، وذلك يدل على ثبوت هذا الاستحقاق قبل مجيء الشرع" التفسير الكبير 227/1.
وهذا على مذهب المعتزلة "وهو مبني على قولهم بالحسن والقبح العقليين"، وأهل السنة "على وجوبه شرعا" روح المعاني - إبراهيم 9- 191/13، وانظر أيضا مدارج السالكين 488/3.
والذي أميل إليه هو تضافر السمع والعقل وتساوقهما لوجوب الشكر؛ قال ابن القيم في مدارجه 488/3 وما بعدها:
"والحق أن وجوبه ثابت بالعقل والسمع والقرآن على هذا يدل ...، ولكن هاهنا أمر آخر، وهو أن العقاب على ترك هذا الواجب يتأخر إلى حين ورود الشرع كما دل عليه قوله تعالى ...، وقد ذكرنا هذه المسألة مستوفاة في كتاب: مفتاح دار السعادة".

[1586] انظر التفسير الكبير : الفائدة السادسة عشرة من الباب الخامس 227/1.

[1587] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1588] وهو قول المتكلمين: "إن كل ممكن أو كل محدث أو كل مخلوق فهو إما متحيز وإما قائم بمتحيز. وكثير منهم يقول: كل موجود إما متحيز وإما قائم بمتحيز، ويقولون: لا يعقل موجود إلا كذلك، كما قاله طوائف من أهل الكلام والنظر" مجموع الفتاوى 339/17.

[1589] أي لا متحيز ولا صفة لمتحيز، وعليه فأقسام الموجود الممكن لذاته أقسام ثلاثة، و"المتفلسفة كابن سينا وأتباعه والشهرستاني والرازي [أي في "المطالب العالية" الذي قال عنه في مجموع الفتاوى 327/17: "وهو في المطالب العالية يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين، وهو في مسألة الحدوث والقدم حائر"] وغيرهم لما أرادوا إثبات موجود ليس كذلك [أي لا متحيز = =

والمتحيز[1590]: إما قابل للقسمة أم لا، والأول هو الجسم، والثاني هو الجوهر الفرد.

والجسم إما من العلوية[1591] أو السفلية:

والعلوية: هي الأفلاك والكواكب وأمور أخرى ثبتت بالشرع كالعرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة.

وأما السفلية فإما بسيطة أو مركبة.

أما البسيطة: فهي العناصر الأربعة ـ كرة الأرض /[334] بما فيها، وكرة الماء وهي البحر المحيط وما يعب فيه وما يخرج منه، وكرة الهواء، وكرة النار ـ.

والمركبة: هي النبات والمعادن والحيوان على كثرة أقسامها وتباين أنواعها.

وصفة المتحيز هو العرض[1592].

وما ليس بمتحيز ولا صفة له هو الأرواح[1593]، وهي إما سفلية أو علوية:

أما السفلية فهي إما خيّرة وهم صالحو الجن[1594]، وإما شرّيرة وهي

= = ولا قائم بمتحيز] كان أكبر عمدتهم إثبات الكليات كالإنسانية المشتركة والحيوانية المشتركة ..." مجموع الفتاوى 339/17.

[1590] وهو القسم الأول.

[1591] أي من الأجسام العلوية.

[1592] وهو القسم الثاني "وهو الممكن الذي يكون صفة للمتحيزات" التفسير الكبير 229/1.

[1593] وهو القسم الثالث من أقسام الموجود الممكن لذاته.

و"روح الإنسان التي تفارقه بالموت ـ على قول الجمهور الذين يقولون: هي عين قائمة بنفسها ـ ليست عرضا من أعراض البدن كالحياة وغيرها، ولا جزءا من أجزاء البدن كالهواء الخارج منه، فإن كثيرا من المتكلمين زعموا أنها عرض قائم بالبدن أو جزء من أجزاء البدن، لكن هذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والخلف ولقول جماهير العقلاء من جميع الأمم، ومخالف للأدلة العقلية" مجموع الفتاوى 340/17.

"والنفوس عند الفلاسفة ومن حذا حذوهم ثلاثة: النباتية والحيوانية والفلكية" روح المعاني ـ الأنبياء 35- 45/17.

[1594] "الجن : سموا أرواحا؛ لكونهم لا يُرَوْنَ فهم بمنزلة الأرواح" اللسان: روح.

مردة الشياطين[1595].

والأرواح العلوية إما متعلقة بالأجسام وهي الأرواح الفلكية، وإما غير متعلقة /[335] بالأجسام وهي الأرواح المطهرة[1596].

ولو كتب الإنسان ألف ألف مجلد في شرح هذه الأقسام[1597] لما[1598] وصل إلى أقل مرتبة[1599]، وكلها مفتقرة إلى إيجاد الموجد، والله تعالى إله العالمين.

وبذلك يظهر لك شيء قليل من تفسير "الحمد لله رب العالمين"، وكل من كان أكثر إحاطة بأحوال هذه الأقسام الثلاثة كان أكثر وقوفا على تفسير قوله "رب العالمين"[1600].

التنبيه الثاني عشر: الفروق بين تربية الله وغيره[1601]

قال أيضا: المربي قسمان:

1595 "النقل الظاهر على أكثر الفلاسفة إنكار الجن، وليس ذلك مذهب جميعهم، فقد ذهب جمع عظيم من قدمائهم إلى وجودهم، وهو مذهب جمهور أرباب الملل وأصحاب الروحانيات، ويسمونهم بالأرواح السفلية، وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية، إلا أنها أضعف" روح المعاني -الحجر27- 35/14 ثم ذكر الألوسي اختلاف مثبتي الجن في هل هم أجسام أم لا.

1596 الحديث عن الأرواح الفلكية ونظيرتها البشرية مما اقتبسه الرازي من قدماء الفلاسفة، علق عليه في روح المعاني بقوله :

"ولعل مقصوده [أي الرازي] بذلك تنظير أمر الحفظة مع العبد بأمر الأرواح الفلكية معه على زعم الفلاسفة في الجملة، وإلا فما يقوله المسلمون في أمرهم وما يقوله الفلاسفة في أمر تلك الأرواح أمر آخر، وهيهات هيهات أن نقول بما قالوا؛ فإنه بعيد عما جاء عن الشارع عليه الصلاة والسلام" وذلك عند قوله تعالى: (له معقبات ...) الرعد 12- 114/13.

هذا ورأي "الفلاسفة في الأرواح البشرية والعقول المفارقة والنفوس الفلكية أنها لا تموت...؛ لأن الأرواح والعقول المذكورة لا أبدان لها عند الفلاسفة" روح المعاني - الأنبياء 35- 46/17.

1597 اعتبر ابن تيمية اصطلاحات المتكلمين مضايق وضَّح أسباب السقوط فيها بقوله :

"وأصل ذلك أنهم أتوا بألفاظ ليست في الكتاب ولا في السنة وهي ألفاظ مجملة، مثل متحيز ومحدود وجسم ومركب ونحو ذلك، ونفوا مدلولها وجعلوا ذلك مقدمة بينهم مسلمة ومدلولا عليها بنوع قياس ..." مجموع الفتاوى 304/13.

1598 في المخطوط : ما بلغ لما، وهو خطأ.

1599 أي من مراتب هذه الأقسام.

1600 هي الفائدة الأولى من الفصل الثاني في تفسير قوله: (رب العالمين) في التفسير الكبير 228/1 و229 بتصرف.

1601 هذا العنوان في هامش المخطوط.

أحدهما: أن يربي شيئا ليربح عليه /[336] المربّي، وتربية الخلق كلها كذلك؛ لأنهم إنما يربون غيرهم ليربحوا عليه إما ثوابا أو ثناء.

والقسم الثاني: أن يربِّيَه ليربح المربَّى - بالفتح-، وهو الحق سبحانه.

وتربيته سبحانه تخالف تربية غيره: منها أنها لا لغرض، ومنها أن تربية غيره تنقص من خزائنه[1602] وهو منزه عن النقصان، ومنها أن غيره يبغض الملحّين وهو يبغيهم[1603]، ومنها أن غيره لا يحسن حتى يطلب منه وهو يحسن أبدا قبل السؤال وبعده، ومنها أن غيره ينقطع إحسانه /[337] بموت أو فقر بخلافه، ومنها أن إحسان غيره يختص بقوم دون قوم وإحسانه عام كما قال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[1604]، فثبت أنه رب العالمين[1605].

ثم إن من يحمد[1606] ويعظم في الدنيا إنما يكون لأحد وجوه أربعة:

كمال ذاته وصفاته، أو إحسانه بالفعل، أو رجاء إحسانه، أو الخوف منه.

فكأنه يقول: إن كنتم تعظمون الكمال الذاتي فاحمدوني فإني إله العالمين، وإن كنتم تعظمون الإحسان فاحمدوني فأنا رب العالمين، وإن كنتم تعظمون للطمع فأنا أرحم الراحمين، وإن كنتم تعظمون للخوف /[338] فأنا ملك يوم الدين، هـ بخ[1607].

[1602] أي في خزائن ومال الإنسان المربِّي.

[1603] عن عائشة مرفوعا : "إن الله يحب الملحين في الدعاء" مسند الشهاب: الباب السابع 1069- 145/2 وشعب الإيمان 1108- 38/2.

قال في فتح الباري: كتاب الدعوات 95/11: "وأخرج الطبراني في الدعاء بسند رجاله ثقات، إلا أن فيه عنعنة بقيّة عن عائشة مرفوعا" وذكر الحديث، ثم حكى بعده قول الشيخ تقي الدين السبكي: " ... وإن كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من الترك لكثرة الأدلة الواردة في الحث عليه".

[1604] الأعراف 156.

[1605] هي الفائدة الثانية من الفصل الثاني في التفسير الكبير 230/1 بتصرف.

[1606] في الهامش عنوان: "الحمد لأحد أمور 4".

[1607] هي الفائدة الثالثة من الفصل الثاني في التفسير الكبير 230/1 بتصرف.

التنبيه الثالث عشر: التربية على وجوه[1608]

قال الفخر أيضا: وجوه تربية الله للعبد غير متناهية:

فمن أمثلتها[1609]: لما وقعت قطرة النطفة من صلب الأب إلى رحم الأم: فانظر كيف صارت علقة أولا ثم مضغة ثانيا ثم تولدت منها أعضاء مختلفة مثل العظام والغضاريف والرباطات والأوتار والأوردة والشرايين، ثم اتصل البعض بالبعض ثم حصل في كل واحد منها نوع خاص من أنواع القوى فحصلت القوة الباصرة في العين /[339] والسامعة في الأذن والناطقة في اللسان، فسبحان من أسمع بعظم وبصّر بشحم وأنطق بلحم، وكُتُبُ التشريح كلها تدل على تربية الله تعالى للعبد[1610].

ومنها[1611] "أن الحبة الواحدة إذا وقعت في الأرض:

فإذا وصلت نداوة الأرض إليها انتفخت ولا تنشق من شيء من الجوانب إلا من أعلاها وأسفلها مع أن الانتفاخ حاصل من جميع الجوانب.

أما الشق الأعلى فيخرج منه الجزء الصاعد [من الشجرة، وأما الشق الأسفل فيخرج منه الجزء الغائص في الأرض وهو عروق الشجرة.

فأما الجزء الصاعد][1612] فبعد صعوده يحصل له ساق ثم ينفصل من ذلك الساق /[340] أغصان كثيرة ثم يظهر على تلك الأغصان الأنوار أولا ثم الثمار ثانيا، ويحصل لتلك الثمار أجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة، وهي القشور ثم اللبوب ثم الأدهان.

وأما الجزء الغائص من الشجرة: فإن تلك العروق تنتهي إلى أطرافها، وتلك الأطراف تكون في اللطافة كأنها مياه منعقدة، ومع غاية لطافتها فإنها تغوص في الأرض الصلبة الخشنة، وأودع الله فيها قوى جاذبة تجذب الأجزاء اللطيفة من الطين إلى نفسها.

[1608] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1609] في الهامش عنوان: "تربية الحيوان".

[1610] هو المثال الأول ضمن الفائدة الرابعة من الفصل الثاني في التفسير الكبير 231/1 بتصرف يسير.

[1611] في الهامش عنوان: "تربية الحبوب".

[1612] زيادة من التفسير الكبير 231/1.

/[341] والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد إليه من الغذاء والإدام والفواكه والأشربة والأدوية كما قال تعالى: ﴿إنا صببنا الماء [صبا][1613] ثم شققنا الأرض شقا﴾[1614] الآيات"[1615].

ومنها[1616]: أنه وضع الأفلاك والكواكب بحيث صارت أسبابا (أي عادية)[1617] لحصول مصالح العباد، فخلق الليل ليكون سببا للراحة والسكون، وخلق النهار ليكون سببا للمعاش والحركة: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل﴾ إلى (بالحق)[1618]، ﴿وهو الذي جعل لكم[1619] النجوم لتهتدوا بها في/[342] ظلمات البر والبحر﴾[1620]، ﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا﴾ الآية[1621].

وإذا تأملت في عجائب المعادن والنبات والحيوان وحكمة الرحمن في خلق الإنسان حكمت بأن أسباب تربية الله كثيرة ودلائل رحمته ظاهرة، وعند ذلك يظهر قطرة من بحار أسرار قوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[1622].

وإذا نظرت إلى كونه يملك عبادا غيرك - كما قال سبحانه: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[1623] - وأنت ليس لك رب سواه، ثم إنه يربيك كأنه ليس /[343] له عبد سواك وأنت تخدمه كأن لك ربا غيره، تعرفْ مقدار حسن هذه التربية:

أليس يحفظك في النهار من الآفات من غير عوض وبالليل من المخافات من غير عوض بعد أن كنت في أول الليل في المحرمات؟ فما أكبر هذه التربية وما أحسنها.

[1613] ساقطة من المخطوط.

[1614] عبس 25- 32.

[1615] هو المثال الثاني ضمن الفائدة الرابعة من الفصل الثاني في التفسير الكبير 231/1.

[1616] في الهامش عنوان: "تربية الأفلاك".

[1617] هذا من شرح المؤلف.

[1618] يونس 5.

[1619] ساقطة من المخطوط.

[1620] الأنعام 98.

[1621] النبأ 6 و7.

[1622] هو المثال الثالث ضمن الفائدة الرابعة من الفصل الثاني في التفسير الكبير 231/1 بتصرف يسير.

[1623] المدثر 31.

أليس من التربية أنه صلى الله عليه وسلم قال: "الآدمي بنيان الرب، ملعون من هدم بنيان الرب"[1624]؛ فلذا قال تعالى: ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾[1625]، ما ذاك إلا الملك الجبار /[344] الواحد القهار سبحانه، هـ بخ[1626].

التنبيه الرابع عشر: تقرير طنطاوي للحمدلة[1627]

قال الشيخ **طنطاوي** في تقرير الحمدلة بعد البسملة ما نص المراد منه:

يقول القارئ: عرفت[1628] رحمة الله سارية في العوالم وأن من أنعم عليه بنعمة يشكر مسديها:

فالولد يشكر أبويه على التربية، والضعيف يشكر القوي على إنقاذه من الذلة، والمتعلم يشكر أستاذه.

والأمم كالأفراد: فإننا نرى كل أمة تمدح رجالها الذين أفادوها في صناعة أو تجارة، وكذا أنبياؤها وعلماؤها الذين أضاءوها بنعمة الدين /[345] والعلم، يجيش في نفس القارئ تلك الرحمات العامة فيشكر مسديها بقلبه وجوارحه.

وهي قسمان: رحمات واصلة على يد الناس كما مر[1629]، ورحمة واصلة من غيرهم كإشراق الشمس ونعمة السحاب وجريان الماء وعجائب النبات وجمال الطبيعة وبهاء النجوم.

[1624] ذكره الجرجاني في معرض شرحه للفظ "الحسن" في التعريفات: باب الحاء ص117.
وفي "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" للثعالبي (ت 429) 38- ص37: "قال النبي: من هدم بنيان الله فهو ملعون، يعني من قتل نفسا، وهذه من استعاراته التي لا شيء أحسن منها".

[1625] الأنبياء 42.

[1626] هي الفائدة السادسة من الفصل الثاني في التفسير الكبير 232/1 بتصرف.

[1627] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1628] قال الشيخ طنطاوي:
"فإذا ابتدأ القارئ بالتسمية وامتلأ قلبه بتلك الرحمة، فلا جرم ينطلق لسانه بالحمد بعد أن أفعم قلبه بالإجلال، فيقول: (الحمد لله)، يقول القارئ: ها أنا ذا عرفت..." الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات 5/1.

[1629] أي كالوالدين والشجعان والعلماء والأنبياء والمحسنين.

وهذه النعم[1630] ليس لها مصدر إلا الله عز وجل، والحمد إنما يكون حقيقة للمحسن الحقيقي، فالحمد إنما يكون لله تعالى.

فكأن القارئ يقول: هاأنا قد عرفت أن الرحمة الواصلة /[346] للعباد مرجعها إلى الله عز وجل، فليكن كل حمد صادر من الألسنة راجعا لله عز وجل؛ لأنه هو المختص بالرحمة التي كانت سببا في الثناء[1631].

ثم قال: قد تبين أن الحمد والعبادة مختصان بالله، والقرآن طافح بهذه المعاني وقد ظهرت آثاره في أقوال السلف الصالح وأفعالهم: وبالشريعة من الحدود والأحكام والبيع والقرض والميراث وأحكام القضاء من الجنايات والمخالفات المبينة في كتب الفقه حكموا وعدلوا[1632]، وهي الأحكام الشرعية المعروفة /[347] التي تدرس في بلاد الإسلام، وآياتها[1633] محدودة (نحو 150)[1634] فأما آيات العلوم الكونية فإنها تبلغ نحو سبعمائة وخمسين (750) آية، كلها في عجائب الكون ومنافعه.

فعناية الله توجهت إليها أكثر من توجهها إلى أحكام الفقه، فكما أن من قبلنا درسوا الشريعة وأحكموها وسادوا بها فهكذا يجب أن يكون في هذه الأمة من يرون الكون خلق الله وآياته وعجائبه وحكمه فيدرسون علوم الهيئة والفلك /[348] والحساب والهندسة وعلم المعدن والنبات والحيوان وسائر علوم هذه الدنيا، ويرون أن ذلك من الدين.

فيكون علم الدين قسمين:

الأول علم الآفاق والأنفس من معرفة العوالم العلوية والسفلية[1635].

والثاني علم الشريعة، فترى العالم الديني شارحا للنبات والحيوان والآخر يدير معملا كيماويا امتثالا لقوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق

[1630] أي بقسميها.

[1631] الجواهر في تفسير القرآن 5/1 بتصرف.

[1632] أي فعل السلف الصالح: أنهم حكموا وعدلوا بالشريعة.

[1633] في الهامش عنوان: "آيات الأحكام [ ] وآيات العلوم 750".

[1634] ترك المؤلف فراغا بين الصفر والواحد، وانظر الجواهر في تفسير القرآن 3/1.

[1635] قال طنطاوي بعدها:"المشروحة في هذا التفسير" المرجع السابق 7/1.

وفي أنفسهم) إلى (شهيد)[1636]، وقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

والعالم: علوي وسفلي /[349] والله ربهما والمسلمون خلفاؤه في الأرض بالعدل بين الناس وبالبحث ومعرفة العوالم.

فكما برع آباؤنا في القضاء فلنقم نحن بذلك وندرس علوم العوالم كلها باعتبار أن ديننا يأمرنا به وإلا فما الفرق بين ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾[1637] وبين قول ﴿فصل لربك وانحر﴾[1638]؟

كلاهما أمر والأمر للوجوب، فإذا قرأنا الأحكام الشرعية فلنقرأ العجائب الكونية ولنعمل بها فنرقي الزراعة والصناعة والتجارة.

وكيف يقول الله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾[1639]؟ /[350] وظهوره إنما هو بهذه المزية؛ لأن الديانات الأخرى لا تتعرض لعلوم الكائنات والإسلام يدعو إليها[1640].

إن أرباب المذاهب[1641] اختلفوا في مسائل الشريعة، فإذا قرأوا علوم الآفاق التي أرشد إليها القرآن لم يكن بينهم اختلاف فيها ؛ لأنها مكشوفة ظاهرة، **فليقرأ المسلمون في الشرق والغرب علوم الأنفس والآفاق ليكون الخلاف بينهم في الشريعة يسيرا** جدا بالنسبة لما اتفقوا عليه.

ليقف العالم بين الناس شارحا لهم /[351] جمال الزهر وبهجة القمر وبدائع النبات وغرائب الطب والمعادن ليفهم غيره، وليكثر من هذا؛ لأن علوم الخلق من العوالم العلوية والسفلية غذاء وعلوم الشريعة دواء، وكيف يعيش الإنسان بدون غذاء وهو إذا تعاطى الدواء وحده هلك؟! بل الغذاء هو الدائم الطلب، أما الدواء فإنما يكون عند انحراف الصحة، فيا أيها المسلمون اطلبوا علوم الغذاء وعلوم الدواء -أي العلوم الكونية والعلوم الشرعية-، وجميعها يطلبها القرآن، /[352] واعتنى بعلوم الغذاء أكثر من

[1636] فصلت 52.

[1637] يونس 101.

[1638] الكوثر 2، وفي الجواهر في تفسير القرآن 8/1 بدل هذه الآية قوله: (فاستقم كما أمرت) هود 112.

[1639] التوبة 33 والفتح 28 والصف 9.

[1640] "وهذه خاصة به لا يشاركه فيها دين من الأديان" الجواهر في تفسير القرآن 8/1.

[1641] "من شيعة وسنية ومالكية وحنابلة وحنفية وشافعية وزيدية" الجواهر في تفسير القرآن 8/1.

علوم الدواء:

إذ قدم تربيته للعالمين ورحمته للمخلوقين على عبادته وهداية الصراط المستقيم، كأنه يشوقنا إلى دراسة رحماته ويأمرنا بمعرفة كلماته الكونية وآياته الرحمانية وعجائبه الحِكمِية وما خلق من البهجات وزوق من المصنوعات.

فإذا تأمل الإنسان ما ذكرناه كان حمده حقيقيا إذا عمل بمقتضاه، ولما كان كل حمد لابد له من سبب يستوجبه - وقد /[353] ذكرنا السبب وهو الرحمة- وكان الإجمال لا يغني عن التفصيل ذكر الله أهم النعم وهي أنه مربي العالمين فقال: (رب العالمين) أي مربي العوالم كلها ومرقيها من حال النقص إلى حال الكمال وغاية التمام، فهو الذي يتعهد النبات بالتغذية والإنماء، وهكذا الحيوان والإنسان وكذا العوالم العلوية، وهذه من التربية التي كان مبدؤها الرحمة[1642].

وهذه **مسائل من التربية**[1643]:

الأولى: الذرة وتربية حبوبها في /[354] سنابلها:

إن لكل عود من أعواد الذرة ذكورا في أعلاه وإناثا في وسطه، أما

[1642] الجواهر في تفسير القرآن : الشريعة الإسلامية والنظر في الآفاق وفي الأنفس 1/7- 9.

[1643] في الهامش عنوان: "مسائل من التربية".

"للتربية في أذهان المربين معان مختلفة تتفرع كلها من عملية النمو والزيادة، إلا أن أبعاد هذا النمو اختلفت من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان آخر ومن مربّ إلى مربّ ...، فقد قصد بها أحيانا **عملية غرس المعلومات والتدريب على المهارات** ... مرادفة للتعليم ...، وقد يقصد بها أيضا أنها **عملية روحية وأخلاقية** تربط الإنسان بخالقه ...، وقد يقصد بالتربية أنها **عملية إعداد القوى البشرية المدربة** التي يحتاجها المجتمع في مجال العمل والإنتاج ...، وقد يقصد بالتربية أكثر من ذلك عندما **تهتم بالنمو الجسمي والنمو العقائدي الإيديولوجي والنمو السياسي والنمو الاجتماعي.**

و**الخلاصة**: أن مفهوم التربية لدى المربين قد يضيق ليركز على جانب واحد وهو الجانب العقلي المعرفي، وقد يتسع أكثر لكي يشمل أكثر من جانب، وقد يصبح مفهوما عاما شاملا يقصد به تنمية الكائن البشري وترقيته ليبلغ كماله الممكن ... جسميا وعقليا وروحيا واجتماعيا، وهذا هو المعنى الشامل للتربية في فكرنا التربوي المعاصر" مقدمة في التربية وعلم النفس ص12.

أقول: هذا كله متعلق بالإنسان؛ لأنها تربية تتعلق بالمربِّي الذي هو الإنسان، أما ما عندنا هنا فهو أعم: ذلك أن التربية تشمل الإنسان حتى وهو جنين في بطن أمه، كما تشمل كل ما يخضع للزيادة والنمو من نبات وثمار وحيوان ...؛ لأنها تربية تتعلق برب العالمين سبحانه عز وجل.

الذكور فهو أغصان بيضاء فيها طلع مخفي عن الناس (أي عنك)[1644]، وذلك الطلع ينزل على السنبلة التي هي مجمع الحَبّ وله خيوط طويلة حريرية حمر أو بيض، تلك الخيوط الدقيقة مثقوبة من أوسطها ثقبا لا يشعر به الناس، فينزل الطلع من أعلى العود إلى تلك الخيوط ويسري حتى يصل إلى محل الأنثى - أي محل الحب- /[355] فتلقح تلك الأنثى فتخرج حبة واحدة بذلك التدبير، فانظر كم في تلك السنبلة من حبة! وكيف كان لكل حبة رحم مخصوص ولِقح ينزل على ذلك الخيط حتى يصل في التجويف إلى الأم فتحمل بتلك الحبة[1645]!.

المسألة الثانية: حبة القمح:

اعلم أن لكل حبة من حبات السنبلة ثلاثة أغشية ملتفة حولها، وفي أعلى تلك الأغشية (السّفَا: جمع سَفَاة)[1646] كأنها أسِنّة تحمل أكياسا مملوءة طلعا كطلع النخل أو كطلع الذرة، ومتى وقع طلع /[356] الذكور عليها حملت بتلك الحبة[1647].

وإذا كانت عناية الله قد بهرت وظهرت في حبة ذرة وحبة قمح، فكم من حبات فيهما يزدردها الإنسان[1648]!.

ولا فرق بين الإنسان وباقي الحيوان إلا بهذه العلوم: لو كان المدار على الخبز والماء والملابس والزينة لقال لنا الله تعالى: الحمد لله الذي أروانا، أو الذي أشبعنا، أو الذي جاء لنا بمال أو ولد، بل قال لنا: الذي شمل العالم بتربيته، فكأنه يراد منا أن نكون مفكرين علمـاء لا أن نكون نأكل كما تـأكـل

1644 في الهامش بعبارة "صح".

1645 "ولقد ذكرت هذا في كتابي: جواهر العلوم، وأوضحته أيما إيضاح" الجواهر في تفسير القرآن 9/1. وانظر أيضا الموسوعة الحديثة 45/7 حيث جعله ضمن "الكورموفيتات" الصنف الثالث من أصناف النباتات.

1646 وهو "شوك البُهْمَى والسنبل وكل شيء له شوك" اللسان : سفا.

1647 "... ويُزرع القمح في العالم أجمع وتوجد منه أنواع كثيرة، ومن بين مميزاته مقاومة الأمراض والنضج المبكر والقدرة على التكيف مع المناخ ...، وهناك أنواع نجيلية أخرى مجاورة للقمح هي بدورها ذات أهمية غذائية كبرى، ومنها الجودر (أو السلت أو الشيلم) وهو شبيه بالقمح ويعوضه في البلدان الشمالية حيث المناخ البارد لا يمكن من نضجه، ثم الشعير...، والأرز..." الموسوعة الحديثة 45/7 وهو ضمن "الكورموفيتات" الصنف الثالث من أصناف النباتات.

1648 "وهو أشبه بالبهائم" الجواهر في تفسير القرآن 9/1.

الأنعام ونموتُ /[357] كما تموت الدود.

ولو كان المراد أن نعرف الله بأنه مثيب ومعاقب على الحسنات والسيئات لقال لنا: الحمد لله رب الحسنات والسيئات، إن الله واسع الرحمة عظيم الهبة واسع العطايا؛ فالاقتصار في الوعظ على الثواب والعقاب عيب.

المسألة ا لثالثة: تربية التمرة في النخلة[1649]:

ذلك أن النخلة تجذب ما رقّ وراقَ من خلاصة العناصر الأرضية لتتغذى بها أجزاؤها فيرتفع ذلك الغذاء فيغذي جذع النخلة بما غلظ منه، وأما خلاصته فتذهب /[358] صاعدة إلى الجريد[1650] فيتغذى بها ويبقى ما هو ألطف من تلك الخلاصة فيرتفع إلى القِنوان فيتغذى القنوُ بتلك اللطائف، ثم ما رق وراق من ذلك يرتفع إلى شماريخ[1651] فتتغذى به وترتفع الخلاصة إلى التمرة فتقابلها في أولها تلك [التي][1652] على فمها المسماة بالقِمع[1653]، وذلك القِمعُ مصفاة تصفي الغذاء وتأخذ ألطفَه وتوصله إلى جِرمِ التمرة، وهذه الخلاصة المصفاة يؤخذ ما غلظ منها فيصير نواة، وما لطف يكون جِرمَ التمرة الحلوَ اللذيذَ، /[359] ثم جعل هناك منسوج حريري رقيق صفيق فوق النواة فاصلا بينها وبين المادة الحلوة لئلا تصل المرارة من النواة إلى ما فوقها فتذهب بالحلاوة، وجعل في شق النواة ذلك الفتيل الطويل

1649 "وأسرة النخليات من رتبة الأغريضيات أو مستطيلات الأزهار التي تضم حوالي 1200 نوعا منتشرة في المناطق الاستوائية الرطبة ...، والنخيل من النباتات العريقة في القدم التي تكتسي اليوم أهمية اقتصادية قصوى؛ حيث توفر العديد من المواد الأولية النافعة للإنسان من الناحية الغذائية أو الصناعية ...، وهو نبتة ذات منفعة كبيرة عرفت منذ القديم لدى العرب حيث كانوا يسمونها: شجرة الحياة، وقد يصل علوها ثلاثين مترا، وتبلغ مرحلة النضج في سنها الثانية عشرة ..." الموسوعة الحديثة 43/7 وهو ضمن "الكورموفيتات" الصنف الثالث من أصناف النباتات.

1650 "والجَريدة: سَعفة طويلة رطبة، ... وقيل: الجريدة للنخلة كالقضيب للشجرة، ... والجمع جريد وجرائد. وقيل: الجريدة السَّعَفة ما كانت: بلغة أهل الحجاز، ... الجريد: الذي يُجرَد عنه الخوص ولا يسمى جريدا ما دام عليه الخوص، وإنما يسمى سَعَفا. وكل شيء قشرته عن شيء فقد جردته عنه" اللسان: جرد.

1651 في الجواهر في تفسير القرآن 10/1 : "شماريخ التمر".

"الشِّمْراخ والشُّمروخ [بضم الشين]: العِثْكال [بإسكان الثاء] الذي عليه البُسْر، وأصله في العذق وقد يكون في العنب"، "والعِثْكال والعُثْكول والعُثْكولة: العِذق، ... والعثكال والعثكول: الشِّمراخ، وهو في النخل بمنزلة العُنقود من الكَرْم" اللسان: شمرخ وعثكل.

1652 إضافة من الجواهر في تفسير القرآن 10/1.

1653 "والقِمَع والقِمْع: ما التزق بأسفل العنب والتمر ونحوهما" وهو أيضا "ما على التمرة والبُسْرَة. وقَمَعَ البسرة: قلع قِمعَها وهو ما عليها وعلى التمرة" اللسان: قمع.

ووظيفته إيصال الغذاء إلى سائر أجزاء التمرة.

فتأمل، صُفّيَ الغذاءُ سبع مرات حتى وصل إلى ما يأكله الإنسان من التمر والرطب والبُسر:

فتصفيه الجذور في الأرض من خلاصة العناصر، ثم جذع النخلة ثم الجريد ثم القنو ثم الشماريخ فالمصفاة /[360] فالنواة.

فتعجب من تربية الله للتمرة والرطبة، وكيف راعاها حق رعايتها حتى صارت إلى ما هي عليه الآن من اللذة والمنفعة.

المسألة الرابعة: تربية الله للؤلؤ في البحر:

ويسمى الدر والمرجان[1654]، وهو حيوان يعوم على وجه الماء، ثم يهبط في الأعماق وهو داخل صَدَف من المواد [الكلسية][1655] وقاية له من الأخطار، والدر يتكون في لحمه. ومن العجب مخالفة هذا الحيوان لما يُعرف من سائر الحيوانات أن الحيوان يشم بأنف ويأكل ويشرب بفم ويتنفس /[361] بهما، ويمنع المضار عنه بيديه وقرونه وقواه، أما حيوان اللؤلؤ فله شبكة دقيقة - كشبكة الصياد متداخلة عجيبة النسج- تكون مصفاة له، فيدخل إلى جوفه الماء والهواء وموادّ الغذاء، ويمنع الرمال وغيرها من المضار من الدخول في جوفه، وتحت تلك الشبكة أفواه: لكل فم أربع شفاه تقبل الملائم من تلك المواد وتدفع غيره.

واللؤلؤ ينشأ من تجمع رمل أو حيوانات ضارة تدخل قَسْرا الصّدَفةَ، فيفرز حيوانها مادة /[362] لَزِجَة يغطيها بها ثم تجمد وتتحجر. ومن اللؤلؤ ما هو أصغر من العدسة، ومنه ما هو أكبر من بيضة الحمام، وينبت في خليج فارس وخليج المكسيك وجزيرة سيلان[1656].

1654 الدّرَّة : "هو ما عظم من اللؤلؤ، والجمع: دُرّ ودُرّات ودُرر" اللسان: درر، "المرجان: صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحَبّ الذي يخرج من الصدفة، والمرجان أشد بياضا؛ ولذلك خص الياقوت والمرجان فشبه الحور العين بهما" اللسان: مرجن.

1655 في المخطوط : الكاسية، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 10/1.

1656 "يُعدّ المحار من أهم صفيحيات الخياشيم، أي الرخويات المتوفرة على قوقعة بمصراعين؛ وذلك لأنها تنتج **اللآلئ** بكيفية طبيعية أو اصطناعية ...، اللآلئ الرفيعة والثمينة لم تشتهر إلا خلال القرن العشرين بفضل تطور تقنيات الفرز والانتقاء والتجميع والتركيب ...، واللؤلؤ الرفيع هو الذي يكون طبيعيا ...، وتكون اللآلئ الاصطناعية أكبر حجما من اللآلئ الرفيعة ...، وتختلف أنواع = =

فتعجب من تربية الله لحبة الذرة وحبة القمح والتمرة والدّرّة في البحر التي تتحلى بها الحسان وتيجان الملوك، ألا وإن حليتها في صدور الحكماء وعلم تربيتها في أفئدة العلماء أبقى أثرا وأشرف ذكرا وأرفع مقاما.

المسألة الخامسة: تربية الجنين في بطن أمه:

إن للأجنة علما خاصا /[363] يدرس في مدارس العالم الراقي، وهي من التربية الإلهية الداخلة في قوله: (رب العالمين): إن الحيوان المنوي الجاريَ من الحيوانات التي تعد بالآلاف ومئات الآلاف في الماء المهين يسارع في مجراه عند مصبه حتى يلاقي حيوانا من التي سارعت جارية من ماء الإناث، فيلتقيان ويُكوّنان خلية واحدة، ثم تكبر بالانقسام: اثنين فأربعة فثمانية وهكذا يستمر إلى تسعة أشهر[1657].

ومن عجب أن هذا الانقسام العددي في الخلايا يتبعه نظام مدهش في الأعضاء والشرايين /[364] والأوردة والعروق والرباطات واللحم والشحم والظفر والشعر والحواس المدهشة الدقيقة الصنع، فالعجب من انقسام الخلية المكونة من الحيوان المذكر ومن الحيوان المؤنث إلى المضاعفات بنظام تام آلافا مؤلفة يتبعها نظام في الأعضاء، فكان ظفر

= = اللؤلؤ الرفيع باختلاف مناطق التقاطها: فأكبرها حجما يوجد بشواطئ المحيط الهادي والمحيط الهندي واستراليا وتاهيتي وغينيا الجديدة وكاليدونيا الجديدة ..."الموسوعة الحديثة: عالم الحيوانات 63/7.

هذا وإن للبحر أنظمة بيئية شاسعة "يمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات أساسية: الأنظمة المحيطية (البحر المفتوح)، والأنظمية القاعية الساحلية (القيعان القليلة العمق قرب الشواطئ)، وأنظمة حاجز **المرجان**، ثم أنظمة المياه العميقة.

... من بين أشكال أنظمة الحياة البحرية الأكثر تطورا ما يمثله الوسط القعري ذو الأساس الصخري المعروف بحاجز مرجان عرق اللؤلؤ، ولكي ينمو هذا الشكل ويتطور فهو يحتاج باستمرار إلى مياه دافئة ...، وتكون فقيرة لا يتوفر سطحها سوى على كمية قليلة من المواد الغذائية والعناصر العلقية النباتية ...، وهو ضعيف من الناحية الطاقية حيث يستهلك أكثر مما ينتج... .

وعلى غرار الأنظمة البيئية للحواجز المرجانية وغيرها من الأنظمة البيئية المتسمة بالنضوج، فالأنظمة البيئية العمقيّة غير قابلة للاستغلال من قِبَل الإنسان ؛لأنها تقوم باستهلاك كل ما تنتجه وكل ما تستقبله من مواد" المرجع السابق: الأنظمة البيئية المائية 54/8 و62 و64.

[1657] في الجواهر في تفسير القرآن 10/1 :

"ثم تكبر بالانقسام: 2، 4، 8، 16، 32، 64، 128 وهكذا بطريق المتوالية الهندسية المحتوية على بيوت الشطرنج ذات الأسرار العجيبة في علم الأرتماطيقي، وهكذا التكاثر المنتظم السريع بهذه المتوالية يستمر إلى تسعة أشهر".

ومخ وماء زجاجي في العين.

حضانة الفراخ بدون دجاج[1658]

ومن العجب أن أماركيا أراد استخراج الفراخ من البيض بدون واسطة الدجاج وحضنها، فخطر له أن يجعل البيض في حرارة تضارع /[365] الحرارة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له، فلما جمع البيض وابتدأ العمل قال له فلاح: لابد لك من تقليب البيض كل 24 ساعة مرة؛ لأني رأيت الدجاجة تقلبه هكذا، فقال له: إن الدجاجة تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل منه حرارة جسمها، وحرارتنا محيطة به.

فلما جاء وقت الفقْس لم تَفْقِس واحدة، فرجع إلى نصيحة الفلاح ونجح في عمله، واضطربوا في سر ذلك فظهر لهم أن الفرخ لما يُخلق في البيض إذا بقي بدون تحريك انحدرت المواد إلى الجهة السفلى من /[366] جسمه فتمزقت أوعيته، فإذا كان رأسه في الجهة السفلى وقع له ذلك وهكذا[1659]، فانظر إلى تربية الله عز وجل.

المسألة السادسة: تربية الولد باللبن:

اعلم أن الله عز وجل خلق اللبن في الثدي قبل أن يولد الجنين، وكلما كبر ازداد اللبن حتى إذا تم حَملُه ووُلِد دَرّ اللبن المناسب لسنّه، وكلما كبِر اقترب اللبن من طبعه وتناسَب مع قوّته حتى حرّم الأطباء رضاعَ حديثِ الولادة من امرأة قديمة العهد بها؛ لأن الطفل لا يتحمل /[367] لبنها، وقالوا أيضا: الأولى بكل طفل أمه في الرضاعة؛ فإن لبنها أنسب له.

وذلك من التربية التي تضمنها لفظ: (الحمد لله رب العالمين)، ومن عجب أن العجوز والصغيرة لا تشتهيان ولا تقترب منهما الرجال لحكمة الله عز وجل؛ لأنهما لا قبل لهما بالحمل ولا بالولادة ولا الإرضاع، فهذه الحكمة ناطقة بلسان فصيح قائلة: ما جعل الذكر والأنثى في الحيوان[1660] إلا للإنتاج، فأما الشهوات واللذات فإنما هي مقدمات وممهدات وبالله التوفيق.

[1658] هذا العنوان في هامش المخطوط، وعنونه في الجواهر في تفسير القرآن 11/1 بقوله: "حكاية".

[1659] "فإذا بقيت رأسه لم تحرك مثلا تمزقت من الأسفل لكثرة المواد في الجهة السفلية، وهكذا بقية الأعضاء" الجواهر في تفسير القرآن 11/1.

[1660] في الجواهر في تفسير القرآن 11/1 : في الإنسان والحيوان.

/[368] **المسألة ا لسابعة:** التربية الطبية:

قال الأطباء: مراعاة الصحة أفضل من استعمال الدواء، يعني أنك إذا حافظت على جسمك وراعيت صحتك ونظمت أغذيتك لم تحتج إلى الدواء، وقالوا: إن جميع الاستفراغات والمسهلات للبدن مثلُ الصابون للثوب إذا كثر استعماله أبلاه سريعا، وأكثر المسهلات سُمّية قاتلة إذا لم يُعرف القدر المستعمل منها، وربما يحرك المسهل أخلاطا رديئة كامنة /[369] في الجوف فيثور منها علل عظيمة وداء لا دواء له، فترك المسهل والاستفراغات جميعا أولى وأوفر ما وجد الإنسان سبيلا إلى السلامة، إلا عند الضرورة الملجئة فيستعمل منها القدر اليسير الأسلم.

وقالوا: متى أمكنك أن تعالج المريض بالغذاء فلا تعطه شيئا من الأدوية، ومتى قدرت أن تعالجه بدواء خفيف فلا تعالجه بدواء مركب ولا قوي، ولا تستعمل الأدوية الغريبة المجهولة ما أمكنك إلا أن يصح لك منها شيء بالتجربة، وإذا مالت /[370] شهوة المريض إلى غذاء لا يوافقه فأعطه منه اليسير: هذا من تربية الله للناس بعلم الطب، والعالَم كله لا يزال فيه طفلا لا يدري منتهاه[1661].

المسألة الثامنة: التربية في المدارس والتعليم:

علم التربية في المدارس يدرس للمدرسين، ومنه مسألة واحدة من تربية الله للعالمين:

اعلم[1662] أن الله خلق المخ وجعله مركزا للفكر والخيال والتذكر والحس المشتركِ والحافظة، ومادته: سمراء من خارجها بيضاء من داخلها.

/[371] وقد[1663] ربى الله مخ الناس فجعل أدناهم يبلغ مخه نحو ست عشرة أوقية، وأعلاهم - وهم النابغون- يبلغ المخ فيهم أربعا وستين أوقية.

وقد تبين لك فيما تقدم أن أجسامنا مركبة من خلايا كثيرة تتكاثر بالانقسام، والمخ منها مركب من آلاف الآلاف من الخلايا

[1661] انظر الموسوعة الحديثة الجزأين 3 و4 بكاملهما في الطب وتاريخه وعلاجه.

[1662] في الهامش عنوان: "المخ مركز الفكر والخيال".

[1663] في الهامش عنوان: "وزنه".

الدقيقة، وهذه الخلايا أشكالُها صغيرة مستديرة حولها نُتوءات صغيرة.

فمن عجائب صنع الله أن جَعَلَ هذه الخلايا لوحا محفوظا في الدماغ لما يرد على النفس /[372] من السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

فهناك خلايا مختصة بقبول المحسوسات: فمنها ما هو للسمع ومنها ما هو للبصر ومنها ما هو للشم وهكذا، ومنها ما هو للتفكر والتعقل ومنها ما هو للتذكير ومنها ما هو للقوة الناطقة ومنها ما هو للقوة الكاتبة والصانعة في اليد.

فإذا اختل منها بعض الخلايا تعطلت القوة الكامنة فيها، ولا ينفع فيها التعليم البتة: فلو أن الخلايا المعدة لعلم الأعداد فُقدت فإنه لا يمكنه أن يتعلمه أبدا، /[373] فكأن هذه الخلايا المختلفة رياض وغياض يخرج فيها مختلف الزرع والشجر والفاكهة والأبّ، ولكل منطقة من مناطق الأرض مزارع خاصة بها كالقطن والنخل، فهكذا هنا في خلايا المخ.

ونتيجة هذه المعرفة في التعليم: أن المعلم إذا ألقى الدرس على التلميذ فنظره ببصره مكتوبا بخط جميل وسمِع نُطْقَ المعلم ونَطَقَ به هو وكتبه بخط جميل، فهناك تكون آثار أربعة:

آثار البصر وآثار السمع وآثار النطق وآثار الكتابة، كل ذلك في المخ، وهناك /[374] تتكيف الخلايا المختصة بها ويحصل بينها علاقات فتمتد خلايا النطق بخيوط رقيقة إلى خلايا السمع وخلايا البصر وخلايا الكتابة، فتتعاون وتحفظ الكلمة في ذهن التلميذ ويصير الدرس مفهوما جدا.

وإن قصر في بعض هذه - كأن قَبُحَ خطّ الكاتب أو لم يُصغِ التلميذ أو لم يكتُب بيده- كان الأثر في العقل ضعيفا والحفظ ضائعا.

وهذه الخلايا المتصلة المتعاونة محالّ لما يسمى (الحس المشترك) الذي يجمع ما تأتي به الحواسّ، /[375] ثم تأخذه القوة المتخيّلة فتحلل فيه وتركب، ثم القوة المفكرة فتستنتج، ثم القوة الحافظة فتحفظه وهكذا.

فهذه المسألة من علم (البيداجوجيا)[1664]: وهو فن يعرف به كيفية

[1664] وهو علم التربية أو علم أصول التدريس: "La pédagogie"، كما في المنهل: قاموس فرنسي عربي.

تربية الناشئين على أكمل وجه، وهو يستمد من علم التشريح وعلم النفس كما رأيت[1665]، وهذه التربية داخلة في قوله تعالى: (رب العالمين).

المسألة التاسعة: تربية العقول الكبيرة

تربية الله للعقول الكبيرة بعلم المنطق لإدراك العلوم العالية، فنقول:

اعلم أن كل حاسة من الحواس الخمس لا /[376] يمكنها أن تحكم بما ارتسم فيها، ولكن الذي يحكم هو العقل:

مثلا إذا رأى الإنسان سرابا وسط النهار، فليست الباصرة مخطئة في رؤيته وإنما المخطئ هو الفكر في استنتاجه إذ ظنّه ماء، وإنما سبيل المفكرة أن تتربص وتنظر حكم القوة اللامسة والقوة الذائقة، فإذا لمسَه باليد وذاقه باللسان فعرفه ماء فبها وإلا فلا.

وهكذا إذا نظر الإنسان بقوة الباصرة تفاحة مصنوعة من كافور مصبوغة /[377] كلون التفاح فورد خبرها إلى المتخيلة فالمفكرة، فليس للمفكرة أن تحكم أن طعمها ورائحتها وملمسها مثل التفاحة، فلابد لها أن

1665 "تعني التربية عملية نمو الكائن البشري لتصل به إلى درجة الكمال الممكن جسميا وعقليا وروحيا واجتماعيا، وهذا هو المعنى الشامل للتربية في فكرنا التربوي المعاصر" مقدمة في التربية وعلم النفس ص12.

هذا وقد تحدث بعض الباحثين عن **تطور مفهوم التربية** قديما وحديثا، فجعلوا التربية في **العصور القديمة** مرادفة للحياة نفسها، وذلك بتعلم الكائن البشري للحياة ذاتها، وحتى بعد ظهور نظام الدولة والتعليم النظامي بقي السواد الأعظم من الأفراد يتربى ويتعلم عن طريق الحياة وتجاربها، وجعلوا التربية في **العصور الوسطى النصرانية** مقتصرة على تعليم القلة التي تمثل الطبقة الأرستقراطية من أمراء وفرسان ورجال دين، أما سواد الناس فبقيت تربيتهم عن طريق الحياة ذاتها، وجعلوا التربية في **العصور الإسلامية** عامة يُقبِل عليها عامة الناس ليست قاصرة على طبقة أو جنس أو موقع جغرافي، وتشمل الإنسان من جميع نواحيه المتكاملة: الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والنفسية والاجتماعية، وفي **العصور الحديثة** حيث المنهج الواقعي المعتمد على المعرفة الحسية والتجريب والتطبيقات التكنولوجية في جميع مجالات الحياة، تعقدت ثقافة العصر فاشتدت الحاجة إلى مفهوم أكثر اتساعا للتربية؛ بحيث تشمل التربية الاجتماعية والتربية العلمية والتربية التقنية والتربية اليدوية والتربية السياسية والتربية الدولية وغيرها، بل تجاوز مفهوم التربية المؤسسات التعليمية المنظمة ليصبح المجتمع كله مؤسسة تربوية، وذلك مدى الحياة وعبر مختلف مخترعاته الآلية. انظر مقدمة في التربية وعلم النفس ص12-21.

أقول: عند غياب استنطاق نصوصنا الشرعية - الكتاب والسنة-، يتوهم المرء أمام تفريخ عدة عناوين وأسماء وصفات من طرف الغرب أن شرعنا خلو من هذه الشمولية والتنوع والتكامل في تحمل المسؤولية التربوية من البداية إلى النهاية ومن طرف الجميع؛ فالعبرة بالمعاني والأوصاف لا بالأسماء والأشكال.

تستخبر قوة الذائقة والشامة واللامسة، وحينئذ يمكن الحكم عليها بالإثبات [أو][1666] النفي.

هذه من تربية الله للعقلاء، فإذا سقط الفراش في النار ومات فالعيب على ضعف قوته المفكرة الضئيلة؛ لأنها حكمت على ضوء النار أنه كضوء الشمس وقنعت بالقوة الباصرة، وهنا كان يجب أن يحكم القوة اللامسة /[378] ليعرف الحار من البارد.

وهكذا سائر البشر يذهبون في الدنيا والدين ضحية جهلهم وحكمهم بأحكام مقدماتها ناقصة، وهذا من قوله تعالى: (رب العالمين).

وكلما كان الحامد[1667] أعرف بصفات المحمود كان أصدق حمدا، وكلما قل علمه كان أقرب للكذب في حمده: فلا تعرف محامد الله حتى يقرأ نظام الطبيعة؛ لأنها أفعاله وآثار قدرته، وهي كتاب التاريخ الذي حفظ في سجل الدهر، فمن أراد أن يحمد الله حق حمده فليقرأ علم الطبيعة ودقائق التكوين، /[379] فلا يترك علما إلا درسه ولا فنا إلا عرفه، وحينئذ يحمد الله حق حمده، فإذا قال: (الحمد لله) كان ذلك على الحقيقة.

ومجامع تلك النعم والمحامد كل العلوم، ومجملها في "العالمين"[1668]؛ لأنه جمع "عالم"، وهو ما سوى الله تعالى.

والعالم علوي وسفلي:

العلوي[1669]:

والعلوي هو الكواكب والشمس والقمر والسيارات وأقمارها، ومعرفتها تحصل بضرب المثل الآتي:

تصَوَّر امرأة جميلة طويلة القامة كثيرة الحلي والحلل مشرقة الوجه

[1666] في المخطوط: و، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 12/1.

[1667] هي في الجواهر في تفسير القرآن 13/1 بعنوان : "الحمد يكون على مقدار علم الحامد".

[1668] في الهامش عنوان: "العوالم"، وهي في الجواهر في تفسير القرآن 13/1 بعنوان: "معنى العالمين".

[1669] هذا العنوان في هامش المخطوط.

قال أندري براهتش André brahic الأستاذ بجامعة "Paris-Denis Diderot": "الذين يُهيْمنون اليوم على سوق البحث الفضائي سيكونون ضمن أوائل العالم الصناعي في المستقبل" اكتشاف النظام الشمسي: مقال بمجلة Pour la science عدد300 ص45.

قد ولدت عشر فتيات دونها في القامة /[380] والحسن، وقد أحطن بها وأخذن يَدُرْنَ حولها بنِسَب معلومة ومواقيت محدودة، وكل واحدة من الفتيات العشر ولدت عشر فتيات دونها أيضا في القامة والحسن وهُنّ يدُرْن حولها بنسب معلومة وأوقات معلومة، ثم كل واحدة من هذه الفتيات المائة ولدت عشر فتيات دونها أيضا في القامة والحسن، فالجيل الأول عشر والثاني مائة والثالث ألف والرابع عشرة آلاف، والعاشر: عشرة آلاف ألف ألف، أي عشرة بلايين، وكل جيل /[381] أقل مما قبله جمالا وقامة وحلا وإشراق وجه، وأرقى مما بعده:

فالمرأة[1670] الأولى ذات الجمال هي المَجَرّة التي تُرى في الليالي المظلمة مستطيلة في السماء كسحابة بيضاء.

(أقول: قال في القاموس: والمَجَرّةُ - بهَاء-: باب السماء)[1671].

وهذه أصل الشموس[1672] ومنشؤها ومستقرها ومستودعها، وهي شموس لا نهاية لعددها (في علوم المخلوقات)[1673]، بَعُدت عن الأبصار وتباعدت في الأقطار حتى صغرت في العيون وتضامّت، فصار كل ألف ألف ألف منها يكاد يكون ذرة من اللبن في أعين الرائين.

فهذه المجرة - فيها هناك على /[382] أبعاد لا يتصورها العقل- أصل الشموس وأمّها، وحولها شموس، كل شمس حولها شموس، وهكذا إلى أن ينقطع الفكر عن التصور ويقف العقل عن التعقل.

وآخر هذه الشموس مقابل للفتيات اللاتي في الجيل العاشر، وشمسنا كفتاة منهن لا يحصر عدد أترابها من الشموس كما كثر عدد فتيات ذلك الجيل، وإذا نسبت هذه الفتيات في الحسن إلى الأم كانت أقل من القردة

[1670] في الهامش عنوان: "المجرة أصل الشموس".

[1671] في الهامش بعبارة "صح"، وفي القاموس المحيط: باب الراء، فصل الجيم: "والمَجَرّ ... بالهاء [أي المَجَرّة]: باب السماء أو شَرَجُها".

"و**المجرّة**: عبارة عن مجموعة من الكواكب والنجوم يصل عددها مائة ألف، ولا يُرى منها بالعين المجردة سوى 3000، وهي على شكل قرص مسطح ذي مركز مقبّب ويبلغ قطره حوالي مائة ألف سنة ضوئية ...، ومجموع المجرات يُكوِّن العالم أو الكون الذي يشمل أنظمة شمسية أخرى" الموسوعة الحديثة 8/1.

[1672] "وأم كل شيء: أصله وعماده ...، وللنجوم: المجرة" القاموس المحيط: باب الميم، فصل الهمزة.

[1673] هي إضافة من المؤلف.

بالنسبة إلى الإنسان.

فهكذا /[383] **الشمس** المضيئة عندنا:

هي بالنسبة للشمس الأولى كالليل[1674] بالنسبة للنهار، وفي الحجم كالذرة[1675] بالنسبة للجبل مع أنها أكبر من الأرض ألف ألف مرة وثلاثمائة ألف مرة (1300000)، وفيها من الجمال والبهاء ما يبهر العقول:

إنها ترسل ضوءها على الأرض فيضيء الطرق ويفتح الأعين فتُرى الصورُ المرسومة على سطح الهواء جلية واضحة، وتُرسِل الحرارة فيجري الماء وينمو النبات والحيوان والإنسان وتصبح الأرض مخضرة باجتماع الشمس والعناصر والهواء، /[384] ثم إن سيرها وانتقالها من مكان إلى مكان بحساب متقن يعرف الناس به الحساب والسنين، فلا يضلون في أحوالهم الزراعية والصناعية والمدنية[1676].

هذه بعض محاسن الشمس وعجائب جمالها الذي لا نسبة بينه وبين جمال الشمس الأولى، وقد قلنا: إن لها نظائر تسير معها حول شمس

[1674] في الجواهر في تفسير القرآن 13/1: كالفجر.

[1675] في المرجع السابق : كالبطيخة.

[1676] "تعتبر **الشمس** الكوكب الرئيسي في النظام الشمسي ...، وفي العصور القديمة كانت رمز القوة والبهاء حتى إن البعض كان يخوّلها مرتبة الألوهية ...، ويمكن القول: إن الأرض بدون هذا الكوكب تبقى عرضة للبرد والظلام والفناء... .

والشمس عبارة عن كرة مشِعّة تدور حول نفسها في نفس اتجاه دوران الكواكب الأخرى...، أما من حيث حجمها فإن الشمس تُعدّ من بين الكواكب المتوسطة، وهي عبارة عن نقطة صغيرة تائهة وسط المجرة ...، وإذا اقتربنا من الشمس فإنها سوف تظهر لنا وكأنها فُرن نووي هائل وكتلة غازية متوهّجة ...، وتقدّر حرارة سطح الشمس ب 6000 درجة، وحرارة باطنها تفوق العشرين مليون درجة.

... فالنواة هي الطرف الباطني من الشمس وتستحيل رؤيته بالمرقاب أو الرّاصدة ...، حرارتها تتعدى 20 مليون درجة.

... الأبحاث الحديثة المنجزة بواسطة آلات فوتوغرافية متطورة وخاصة أثناء فترات الكسوف أثبتت ... أن سطح الشمس جَبَلِي الشكل ومُحَدّب إلى حد ما وتَشوبه شقوق عميقة وواسعة قد تتسع لاحتواء كتلة الأرض مُكبِّرة عشرة أو عشرين مرة، وهذه الشقوق والثغرات قد سبق لغاليلي أن اكتشفها سنة 1611 وعُرفت آنذاك بالسّفع الشمسية ... .

الشمس لا تدور على النحو الذي تدور به الأجسام الصلبة ...، والمحيط الهوائي الشمسي هو ذلك الغلاف الغازي الخارجي ...، ويشمل المحيط الجوي الشمسي ثلاث طبقات ...، ويصاب جو الشمس باضطرابات عنيفة تثير مَقذوفات غازية، وهذه الأخيرة عبارة عن التهابات غازية ترتفع إلى علوّ يصل 500000 كلم، وبسرعة 500 كلم في الثانية، وتبقى هذه المَقذوفات الغازية معلقة ما وراء السطح لمدة عدة أسابيع ثم تسقط بعد ذلك..." الموسوعة الحديثة 18/1- 23.

أخرى، وهذه الأخرى لها نظائر وهكذا.

فما مقدار السنة[1677] التي تسيرها حول شمس أخرى؟ وربما كانت آلاف آلاف من السنين المعلومة، فكيف يكون جمال الشمس /[385] الأولى ومقدار عظمتها وبُعدها؟

وهذه[1678] الشمس التي هذه وصفها حولها **السيارات الثمانية** وهي: نبتُون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والأرض والزّهَرَةُ وعطارد[1679].

(أقول: أما نبتون وأورانوس فلم أظفر الآن فيهما بشيء[1680].

وأما زحل ففي القاموس: "زَحَـل": زال وأعيا وتنحّـى[1681]، وزُحَـلُ:

[1677] "و**النهار** هو الزمان الذي تستغرقه [أي الكواكب] أثناء القيام بدورة كاملة حول نفسها، وبطبيعة الحال فإن لكل "نهار" مدته الزمانية الخاصة به؛ فنهار الأرض مثلا يستغرق 24 ساعة، ونهار عطارد يعادل 88 يوما أرضيا، أما نهار المشتري فيعادل عشرة أيام من الأيام الأرضية.

أما **السنة** فهي الزمان الذي يلزم كل كوكب لإنجاز دورة حول الشمس؛ وهكذا فالسنة الأرضية تستغرق 365 يوما، وسنة المشتري تعادل اثنتي عشرة سنة أرضية، بينما تعادل سنة المريخ 687 يوما" الموسوعة الحديثة 25/1.

[1678] في الهامش عنوان: "السيارات".

[1679] "وحسب اقترابها من الشمس تترتب الكواكب على هذا النحو: عطارد ثم الزهرة فالأرض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونيبتون وبْلوتون" الموسوعة الحديثة 25/1، وفي 36/1 منه: "بلوتون: كوكب تابع يفلت من نيبتون".

[1680] "أما **أورانوس** فهو من بين الكواكب التي كانت مجهولة من قِبَل الفلكيين القدامى ولم يُكتشف إلا سنة 1781، وهو يقع على بُعدِ 2870 كلم من الشمس، أما قطره فيعادل أربعة أضعاف مقياس قطر الأرض [يقدر ب: 12470 كلم، ونصف قطرها الاستوائي : 6687,23 كلم، ونصف القطر القطبي ب: 6356,86 كلم] ...، ويبدو أن حرارة أورانوس تبلغ 200 درجة مئوية تحت الصفر، وأن محيطه الجوي السميك يشتمل على الهيدروجين والمِيتان، وتجدر الإشارة إلى أن **كل المعلومات** التي نتوفر عليها حول هذا الكوكب **تقريبية** نظرا للبُعْد الشاسع بينه وبين الأرض.

ويتوفر أورانوس على خمسة كواكب تابعة تنتقل بكيفية غريبة... .

أما كوكب **نيبتون** فقد تمّ اكتشافه مؤخرا سنة 1846، وحركته من البطء بمكان؛ إذ لن يظهر مرة أخرى - في النقطة التي لوحِظ فيها لأول مرة- إلا سنة 2011، ومنذ ذلك العهد ما زال لم يتم دورة كاملة في مداره.

ونيبتون يتوفر على كوكبين تابعين: أحدهما وهو تريتون أكبر من القمر؛ إذ إن نصف قطره يبلغ 2500 كلم، ويتنقل في الاتجاه المعاكس للحركة المَدارية للكوكب.

بلوتون: كوكب تابع يفلت من نيبتون، واكتُشِف كوكب بْلُوتُون بدوره سنة 1930 وهو أبعد كوكب من الشمس، ولا تُعرَف بالضبط مقاييس قطره وكتلته ..." الموسوعة الحديثة 36/1 وكذا ص19 و41.

[1681] "فهو زَحِل وزحْليل" القاموس المحيط: باب اللام، فصل الزاي.

كوكب من الخُنّس هـ[1682].

وأما المشتري ففيه: المشتري نجم معروف[1683].

وأما المِريخ ففيه: المَرْخُ: شجر سريع الوَرْي، ومَرَخَ: مزح، وجسدَه[1684]: دهنه بالمَروخ أي الدهن[1685]، ومِرّيخ - كسِكّين-:الأحمق وسهم طويل ونجم من الخنس هـ[1686].

وأما الزّهرة ففيه: والزّهَرَة - كتؤدة-: نجم معروف[1687] هـ.

[1682] انظر المرجع السابق، وفي باب السين، فصل الخاء منه: "والخُنّس - كرُكّع-: الكواكب كلها، أو السيارة، أو النجوم الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، وخنوسها: أنها تغيب".

"ويأتي بعد المشتري كوكب **زحل** وهو أضخم كوكب في النظام الشمسي، وهو على نفس ضخامة المشتري، وله محيط هوائي هائل ...، وتحيط بزحل حلقة ضخمة فضية اللون ...، ويبدو أن الحلقة مكونة من عدد لا يُحصى من الجُسَيْمات الدقيقة التي قد تعتبر من بقايا قمر قديم كان مقتربا من زحل إلى درجة انفجاره وتَشْظِيته.

وإلى غاية 1979 كان يُعتقد أن زحل يتوفر على عشرة كواكب تابعة له وأنه محاط بأربع حلقات. إلا أنه في 2 سبتمبر 1979 تأكد العلماء من وجود التابع الحادي عشر" الموسوعة الحديثة 34/1.

[1683] انظر القاموس المحيط : باب الواو والياء فصل الشين، وفي باب الراء فصل الحاء منه: "والأحور: كوكب، أو هو المشتري"، وفي باب السين فصل الباء منه: "البرْجيس - بالكسر-: نجم، أو هو المشتري".

"أما المشتري فهو أضخم الكواكب في النظام الشمسي، ومن أهم خاصيته كون سرعة دورته جد مرتفعة؛ ولهذا السبب يتميز قرصُه بشكله المسطّح ...، وقد اكتشف الفلكيون أخيرا أن المشتري يرسل موجات إشعاعية يحتمل أن تكون منبعثة من مصدر موجود على سطح الكوكب نفسه ...، ويتوفر المشتري على اثني عشر كوكبا تابعا ..." الموسوعة الحديثة 32/1.

[1684] أي مرخ جسده.

[1685] "وهو ما يُمرخ به البدن من دهن وغيره، كمَرَّخَه" المرجع السابق : باب الخاء فصل الميم.

[1686] "... وسهم طويل له أربع قُذذ، ونجم من الخنس" المرجع السابق.

"أما المريخ فهو كوكب تسهل رؤيته من على سطح الأرض ...، يشبه المريخ إلى حد ما كوكبَنا، مع أنه أصغر منه بعض الشيء ...، وهكذا فالفصول فيه على نفس التقسيم الموجود في فصول الأرض بفارق أنها تَطول أكثر؛ إذ تستغرق السنة المريخية 687 يوما، ومحيط المريخ الجوي ضعيف جدا ويوجد فيه غاز أنهيدْريد الكربون بوفرة ...، أما الأوكسجين فهو منعدم تماما...، ويتنادر الماء في المريخ ...، ومن الراجح أن ثلاثة أرباع المساحة المريخية تكسوها مناطق صحراوية ...، وهناك كوكبان تابعان يدوران حول المريخ وهما: فوبوس وديموس ..." الموسوعة الحديثة 29/1.

[1687] "... في السماء الثالثة" القاموس المحيط: باب الراء فصل الزاي.

"أما الزهرة فهي من الكواكب الأكثر لمعانا، وهو يعادل تقريبا الأرض من حيث الحجم والكتلة، وقد أطلق عليه القدماء عدة ألقاب حسب ظهوره في المساء أو في الفجر ...، وهو محاط بجو سميك ...، وهو جو خال تماما من الأوكسجين والبخار المائي، ...يدور في اتجاه عكسي على خلاف الكواكب الأخرى؛ إذ تشرق فيه الشمس من الغرب وتغرب في الشرق، ولا تتوفر الزهرة بدورها على كواكب تابعة" الموسوعة الحديثة 27/1. = =

وأما عُطارِدُ ففيه: "عطارد نجم من الخنس في السماء السادسة"[1688] هـ)[1689].

فأرضنا سيارة تسير حول الشمس؛ فالشمس أمّ والسيارات فتيات حولها، كما أنها فتاة لأم قبلها، والأرض ولدت القمر فجرى حولها، كما أن زحل والمشتري وغيرهما لها أقمار تجري حولها.

والأقمار أقل جمالا وحجما وبهجة من السيارات[1690]، والسيارات أقل من الشموس، والشموس /[386] ترتقي طبقا عن طبق إلى الأم التي في المجرة.

وما يقال في هذه المجرة يقال في مجرات أخرى: (وما يعلم جنود ربك إلا هو)[1691]: فتلك عرائس في الجو سائرات وجنود مصطفات إلى أن تقف العقول.

وهذه الشموس وحركاتها ونظامها لا تمكن معرفتها إلا بعلم العدد والحساب والهندسة وعلم الجبر والفلك: (هو الذي جعل الشمس ضياء)

= = هذا و"يوجد أكبر عدد من البراكين في الزهرة Vénus، فقد لوحظ أكثر من 100000 قبة على شكل أتراس مقلوبة..." اكتشاف النظام الشمسي: مقال بمجلة Pour la science: عدد300 ص43.

[1688] القاموس المحيط : باب الدال فصل العين، وفيه: "يُصْرَفُ ويُمْنع".

"يقع عطارد والزهرة بين الشمس والأرض، ويُعرفان بالكواكب الداخلية أو السفلية، أما الكواكب الأخرى فتدور خلف الأرض وهي تُعرف بالكواكب الخارجية أو العلوية.

وعطارد هو الكوكب الأصغر حجما في النظام الشمسي؛ إذ تصغر كتلته كتلة الأرض عشرين مرة، وهو في نفس الوقت أقرب الكواكب إلى الشمس ...، وتصعب جدا معاينة هذا الكوكب وذلك لقربه الشديد من الشمس ...، ولا يتوفر عطارد على محيط جوي كما هو الشأن بالنسبة للأرض؛ وذلك راجع إلى ارتفاع درجة حرارته ...، ولا يتوفر عطارد على كواكب تابعة له" الموسوعة الحديثة 26/1.

[1689] هي من إضافة المؤلف في الهامش بعبارة "صح".

[1690] "والكواكب السيارة عبارة عن أجسام سماوية منطفئة، ونحن نتمكن من رؤيتها؛ لأنها تعكس نور الشمس، وتُعرَف قدرتُها العاكسة ب"البياض"، ويرجع أصلها إلى العلاقة الموجودة بين الضوء المنعكس وبين النور المُلتقَط من الشمس" الموسوعة الحديثة 25/1، وفي 16/1 منه ما يلي:

"وما دامت الأجسام السماوية معلقة في الفضاء البَيْساري (بين السيارات) فهي لن تسقط ، ولكنها حين تجذبها الأجواء الأرضية فإنها تهوي من أعلى؛ ولذلك تسمى بالأنجم السيارة أو الرّجُم أو النّيازك، وأغلب هذه القطع الصخرية ينتهي بها المطاف إلى الانسحاق الذي لا تنجو منه في بعض الأحيان سوى القطع الضخمة التي تجري نحو الأرض مخلفة عند وقوعها ثقوبا واسعة".

[1691] المدثر 31.

إلى (يعلمون)[1692].

فإن قيل: هذه أمور قالها الفرنجة، **فهل في ديننا ما يؤيد ذلك؟**[1693]

قلنا: نعم[1694]، بل ورد أن تلك العوالم /[387] فيها سكان أرقى من بني آدم وهم صالحون؛ قال عليه السلام: "إن لله أرضا بيضاء، مسيرةُ الشمس فيها ثلاثون يوما[1695] مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة، مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله تعالى يُعْصَى في الأرض، ولا يعلمون أن الله خلق آدمَ عليه السلام وإبليسَ"[1696].

فإذا كانت تلك الأرض مسيرة الشمس ثلاثين في ثلاثين، تكون

[1692] يونس 5.

وفي معجم المصطلحات العلمية والفنية - الكاف ص598-: "النظرية الكويكبية: نظرية تفترض أن الكواكب تكونت بالجاذبية من تجمع كويكبات صغيرة حول نواة منها.

الكويكبات: أجرام صغيرة يتراوح قطرها بين 10 و500 ميل، وعددها كبير، وتسبح ما بين المريخ والمشتري".

[1693] كل مسائل التربية هاته في الجواهر في تفسير القرآن 9/1- 14 تحت عنوان : الشريعة الإسلامية والنظر في الآفاق وفي الأنفس.

[1694] في الجواهر في تفسير القرآن 14/1 : "فهل ورد في ديننا ما يؤيد ذلك؟ فقلت: إن ديننا لا يمنع ذلك ولا يثبته، وفيه: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[الإسراء 85] (ويخلق ما لا تعلمون)[النحل 8] (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[النور 46]، إلى هنا قد أجملنا الكلام على العالم العلوي".

[1695] في المخطوط : أياما، وهو خطأ.

[1696] جواهر القرآن ودرره للغزالي: الفصل الثالث ص15.

وقد أخرج الأصبهاني في كتاب العظمة: ما ذكر من عباد الله عز وجل في أرضه وما خصوا به من النعم 9534- 1441/4 عن "بعض أئمة الكوفة قال: قام ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوهم فسكتوا، فقال: ما كنتم تقولون؟ قالوا: يا نبي الله نظرنا إلى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء وأين تذهب، وتفكرنا في خلق الله عز وجل.

فقال صلى الله عليه وسلم: كذلك فافعلوا، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله، فإن لله تبارك وتعالى وراء المغرب أرضا بيضاء، بياضها نورها - أو نورها بياضها-، مسيرة الشمس أربعين يوما، فيها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين.

قيل: يا نبي الله من ولد آدم هم؟ قال: ما يدرون خُلق آدم أو لم يخلق.

قيل: يا نبي الله فأين إبليس عنهم؟ قال: ما يدرون خلق إبليس أم لم يخلق"، وكذا أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور: - النجم 41- 663/7،

قال في كشف الخفا: حرف التاء الفوقية 1004- 370/1: "قال النجم: إن العراقي قال في جزء له: رويناه من حديث عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم خرج ..." وذكره، وأورده ابن كثير في آخر شرحه لسورة الطلاق من تفسيره 411/4 قائلا: "قال الإمام أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه: التفكر والاعتبار ... عن عثمان بن أبي دهرس ...، وهذا **حديث مرسل، وهو منكر جدا**".

مسافتها تسعمائة يوم، وهذا فوق الأفق، ومثلها تحت الأفق، وفيها قوم عقلاء صالحون، فهذا يشير إلى ما ذكرناه والله أعلم، هـ بخ[1697].

(وفي كنز العلوم: الكوكب: النجم، وفي اصطلاح الفلكيين العصريين: الأجرام السماوية الدائرة حول الشمس خاصة[1698]، أما التي لا تدور حول شمسنا ولا حول شمس غيرها فيقال لها "النجوم"، والدائرة حول شمسنا ثمانية، وترتيبها على قدر بعدها عن الشمس: عطارد والزّهَرة والأرض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون، وهذا الأخير أبعدها هـ)[1699].

/[388] وقال طنطاوي أيضا لدى قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾[1700]:

اعلم أننا على هذه الأرض محبوسون تحيط بنا أنواع من الآلام والشهوات فتحجبنا عن معرفة العوالم وإدراك حقائقها والتفرج على عجائبها، ولما كان عالم السماوات أعظم ما نشاهد وفيه أنواع الجمال اتجهت إليه أنظار العقلاء ورجال الدين.

مذهب القدماء في الأفلاك والكواكب[1701]

وأقدم ما وصل إلينا من العلم بذلك ما ذكره اليونان وتبعهم علماء الإسكندرية أيام البطالسة، واستقرت /[389] آراء هؤلاء على أن الأرض في مركز العالم (أي عليها مداره)[1702]، وأن القمرَ وعُطاردَ[1703] والزّهَرةَ

[1697] الجواهر في تفسير القرآن 12/1 وما بعدها بتصرف.

[1698] انظر معجم المصطلحات العلمية والفنية: الكاف ص598.

[1699] في الهامش بعبارة "صح". وانظركنز العلوم واللغة لمحمد فريد وجدي: حرف الكاف ص 774، والموسوعة الحديثة 9/1 و16 و25.

[1700] البقرة 28.

[1701] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1702] هي من إضافة المؤلف.

[1703] كذا في المتن، وأثبت المؤلف في الهامش: "دا" بالتنوين؛ ليدل على أن عطارد "يُصرف ويُمنع" كما في القاموس المحيط: باب الدال فصل العين.

والشمسَ والمِريخَ والمشتري وزحلَ سيارات حولها، (وعلى ترتيبها قول الشاعر:

زحل شرى مريخه من شمسه فتزهرت بعطارد أقماره)[1704].

وكل واحد منها في فلك دائر حول الأرض من الشرق إلى الغرب، فأما السيارات فإن لها سيرا خاصا بها تسيره إلى الشرق عكس الحركة اليومية للأفلاك السبعة، وتكون تلك الكواكب على أفلاكها أشبه بنملة دائرة على عَجَلَة تسير في طريق يخالف سيرها، وبهذه الحركة الكوكبية يتكون شهرُ القمر وسنتُه[1705] وسنون لسائر الكواكب.

/[390] ويقولون: إن هناك فلكيْن آخريْن يحيطان بالأفلاك السبعة، وهما: فلك الثوابت فالأطلس، وقالوا: نحن علينا أن نفرض فلكا ثامنا لتكون فيه الثوابت[1706]، وفلكا تاسعا يكون مبدأ الحركة اليومية[1707].

وأما ترتيب الأفلاك على هذا المنوال[1708] فله أدلة مطولة لكنها ضعيفة جدا[1709]، حتى إن فلك الشمس لما جعلوه رابعا شبهوه بشمس القلادة في جيد الحسناء؛ لأنها تكون في الوسط. وأما بقية الأفلاك فقد يستدلون عليها بأن /[391] الكوكب الأسفل يكسف الأعلى، والكاسف

1704 هي من إضافة المؤلف في الهامش بعبارة "صح".
والبيت غير معزو في كتاب: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان للألوسي الحفيد ص50 وعجزه: فتزاهرت لعطارد الأقمار، وانظره أيضا غير معزو في حاشية ابن الخياط على شرح البوري الفلالي على أرجوزة الطيب بن كيران: كراسة1 ص7.

1705 في الجواهر في تفسير القرآن 47/1: وسنة الشمس.

1706 أي الكواكب الثابتة.

1707 "اعلم أن أصحاب الأرصاد وأرباب الهيئة زعموا أن الأفلاك تسعة ..." التفسير الكبير- البقرة 28- المسألة الخامسة 156/1.
وفي حاشية ابن الخياط على شرح البوري الفلالي على أرجوزة الطيب بن كيران: كراسة1 ص7:
"الأفلاك - وفاقا وخلافا بين أهل الهيئة- تسعة:
أولها فلك القمر ...، ثم زحل، ثامنها: فلك الثوابت؛ ويسمى في لسان الشرع **بزعمهم** بالكرسي، تاسعها: الفلك الأطلس - أي العاري عن الكواكب-؛ ويسمى في لسان الشرع بزعمهم بالعرش.
واختلفوا: هل الأفلاك هي السماوات أو غيرها؟ والتحقيق عندهم الثاني".

1708 انظر ترتيبها "ولا طريق إلى معرفة هذا الترتيب إلا من وجهين ..." عند أصحاب الهيئة في التفسير الكبير 156/1.

1709 انظر وجوه ضعفها الثلاثة في المرجع السابق: المسألة الخامسة 156/1 و157.

يكون تحت المكسوف، وقد ظهر أثر هذا في إنجيل "بَرْنَابَا"[1710].

ثم إن فلسفة اليونان نقلت إلى العربية على يد الفارابي(ت 339)[1711] وابن سينا[1712](ت 428) وقررت أن الأفلاك تسعة: وهي سبع سماوات[1713] والكرسي والعرش، والكرسي[1714]: فلك الثوابت، والعرش: هو الفلك المحيط

[1710] "وهو أقرب الأناجيل إلى الحق، قال المسيح: الحق أقول أن السماوات تسع، موضوعة بينها السيارات التي تبعد إحداها عن الأخرى مسيرة رجل خمسمائة سنة، وكذلك الأرض على مسيرة خمسمائة سنة من السماء الأولى ..." الجواهر في تفسير القرآن 47/1.

و"برنابا" معدود في الصف الأول من أتباع المسيح، وهو إما من الحواريين الإثني عشر وإما من الرسل السبعين: فبناء على "إنجيل برنابا" هو ضمن الحواريين، وبناء على "رسالة أعمال الرسل" هو ضمن الرسل.

وإنجيل برنابا الذي يمكن أن يكون حلقة وصل بين المسيحية والإسلام لاتعترف به الكنيسة ولا تقيم له وزنا؛ وذلك لما ورد فيه.

وقد قام الدكتور خليل سعادة - مترجم هذا الإنجيل- بدراسة حول نسبته إلى برنابا ليخلص إلى أن واضعه يهودي تعمق في اليهودية ثم تنصر ثم اعتنق الإسلام. إلا أن الدكتور أحمد شلبي دحض حجته ليخلص إلى:

أنه كان يُنصّ على "أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى: إنجيل برنابا"؛ ولهذا "احترقت وفنيت نسخ هذا الإنجيل كلها، وسلمت هذه النسخة من ظلام العصور الوسطى وظهرت في عصر النور حيث أصبح حرق الكتب جريمة لا تغتفر، وبهذا استطاعت هذه النسخة الفريدة أن تُحْيي ما أوشك أن يندرس من معالم هذا الإنجيل".

هذا وقد ترجَم هذا الإنجيلَ إلى العربية في مطلع القرن العشرين خليل سعادة وقدم له، ونشره محمد رشيد رضا وقدم له كذلك.

انظر مقارنة الأديان الجزء الثاني: المسيحية لأحمد شلبي ص217- 222.

هذا وسبب منع النصارى لهذا الإنجيل ما ذكِر - في الباب 220 منه- يُبَشّر بما يلي: "وسيبقى هذا **إلى أن يأتي محمد رسول الله** الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله"؛ مما أدى بالراهب اللاتيني "فرامينو" - أحد المقربين إلى البابا "سكتش الخامس" الذي وجد في مكتبته هذا الإنجيل مكتوبا بالإيطالية- لما عرَف "الحقّ ساطعا أسلم وعمل على نشر الكتاب وأخرجه من الأسوار المنيعة التي حبسه البابوات بداخلها" كتاب توحيد الخالق 90/1.

[1711] هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرْخان بن أوْزَلغ التركي الفارابي شيخ الفلسفة وأحد الأذكياء، لزم يوحنا بن جيلان النصراني وأخذ عنه المنطق، وكان من أبرع من يضرب بالعود وله تصانيف مشهورة قال عنها الإمام الذهبي: "من ابتغى الهدى منها ضل وحار"، توفي سنة 339. انظر سير أعلام النبلاء 416/15 وشذرات الذهب 350/2.

[1712] هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سينا، يلقب بالشيخ الرئيس، اشتهر بالفلسفة والطب وكان شاعرا، نقل إلينا كثيرا من علوم اليونان القدماء، وألف أيضا في اللغة والاقتصاد والسياسة، ولد ببخارى سنة 370 وتوفي في همذان سنة 429. انظر مقدمة كتابه : الرسالة الألواحية.

[1713] في الجواهر في تفسير القرآن 47/1 : وقررت أن الأفلاك تسعة، فوثق بذلك علماء الإسلام الذين درسوها، وقالوا: هي سبع سماوات ...".

[1714] في المرجع السابق : فالسماوات السبع تقدم ذكرها، والكرسي.

الذي به الحركة اليومية لسائر الأفلاك، وبها الشروق والغروب[1715].

مضت قرون فاستيقظ حكماء الإسلام ورأوا أن هذا المذهب باطل لمخالفته للشرع والعقل، وقالوا: إن القول بأن السماوات سبع في القرآن /[392] ليس حاصرا، فالعدد ليس له مفهوم، فإذا قال رجل: "عندي فرسان"، فلا ينافي أن عنده ألفا.

(أقول: من جملة من ذكر ذلك الفخر الرازي في أوائل سورة البقرة لدى قوله تعالى: (فسواهن سبع سماوات))[1716].

وهذه الأفلاك القديمة لا يمكن فناؤها عند اليونان، وكذلك الكواكب، وهذا مخالف للدين والعقل.

وقالوا: إن الأرض تدور حول نفسها، وليس هناك فلك أطلس ولا غيره، وإنما هذه الكواكب دائرة في الفضاء.

وهذه الآراء كانت في القرن السادس والسابع أيام ظهور الدول التركية وغيرها[1717]، ولقد كان[1718] **توطئة للرأي الحديث** الذي ملأ الآفاق وعرفه الخاص والعام، /[393] وملخصه:

أن هذه العوالم كلها من شموس وأرضين وأقمار كانت في قديم الزمان كالدخان المنتشر سريعة الحركات[1719]، فبسرعة الحركة آلاف

[1715] انظر حكاية هذا الرأي مع أدلته والرد عليها في المرجع السابق 156/1 وما بعدها، وفي 157/1 منه: "ومن أصحاب الهيئة من قطع بإثبات أفلاك أخر غير هذه التسعة ...".

[1716] هي من إضافة المؤلف في الهامش بعبارة "صح"، والآية في "البقرة" 28.
قال الرازي: "فإن قال قائل: فهل يدل التنصيص على (سبع سماوات) على نفي العدد الزائد؟ قلنا: الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد" التفسير الكبير 158/1.

[1717] في الهامش: "ط: أي بعدما كانت قديمة كما يأتي عنه".

[1718] في الجواهر في تفسير القرآن 47/1: كان ذلك.

[1719] "ظهرت عدة فرضيات ونظريات بشأن **أصل النظام الشمسي** ...، إلا أن فرضية أو نظرية لم تَحْسِم بكيفية قطعية تَضارُبَ الآراءِ حول الموضوع، ويمكن تصنيف هذه النظريات...:
- نظريات تقول بأن المادة التي تتكون منها عناصر النظام الشمسي يرجع أصلها إلى سديم سابق للوجود.
- نظريات تعلل تكوُّنَ وتشكّلَ الكواكب التابعة إلى مرور نجمة بقرب الشمس.
- نظريات تُرجعُ أصلَ الكواكبِ إلى "إعصارات" واضطرابات المادة.
ويمكن تصنيف نظرية "كانط Kant" و"لابلاص Laplace " التي ظهرت في القرن الثامن عشر ضمن مجموعات النظريات الأولى..." الموسوعة الحديثة 37/1. = =

آلاف من السنين تكونت الشموس ودارت ملايين من السنين ثم انفصلت عنها السيارات، وشمسنا إحدى تلك الشموس، فولدت عطاردَ والزهرةَ والأرضَ والمريخَ والمشتريَ وزحلَ وأورانوسَ ونَبتونَ، فهذه ثمان سيارات.

ثم إنهم وجدوا بين المريخ والمشتري نحو 600 نجمة صغيرة جدا، ولو اجتمعت كلها لم تصل /[394] لمقدار جرم القمر، وأكبرها المسماة "سرس"، لا يزيد قطرها على خمسمائة ميل، وبعضها لا يزيد قطره على عشرة أميال، وربما كان هناك نجمات أصغر منها لا يمكن رؤيتها[1720].

= = يقول أندري براهتش في مقاله "أصل العوالم": "لقد تغير كل شيء في أواخر السبعينات لما كان الفلكيون يضاعفون ملاحظاتهم حول النظام الشمسي بفضل الكشوفات الفضائية على وجه الخصوص. فبتجميعهم الإشارات [القرائن] التي سادت في بداية تاريخنا أبطلوا مئات السيناريوهات المتخيَّلة من قبل، وعادوا تقريبا إلى الفرضية التي صاغها "لابلاص" و"كانط" في أواخر القرن الثامن عشر: سديم بدائي مكون من غاز وغبار كان أصل النظام الشمسي عندما انهار بفعل وزنه ..." L'origine des mondes: مقال في مجلة Pour la science عدد 300 ص50.

هذا ولا يزال الجدل قائما حول ماهية الكون جليا من خلال مقال: البحث عن المادة المعتمة The search for dark matter لكلاين David B.Cline - وهو أستاذ الفيزياء والفيزياء الفلكية بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلس، وهو **متخصص** في البحث عن المادة المعتمة- جاء فيه:

"ليس الكون من حولنا على الحال التي يظهر بها لنا؛ فالنجوم تشكل أقل من واحد في المئة من كتلته، ويشكل الغاز المتخلخل برمته مع أشكال المادة العادية الأخرى أقل من خمسة في المئة، وتشير تحركات هذه المادة المرئية إلى أنها مجرد حطام طاف على بحر غير مرئي من مادة مجهولة، إننا لا نعرف سوى القليل عن ذلك البحر، والعبارات التي نستخدمها لوصف مكوناته من قبيل "**المادة المعتمة**" و"**الطاقة المعتمة**" ليست سوى تعبيرات عن **جهلنا بها**.

وعلى مدى 70 عاما جمع الفلكيون بانتظام أدلة ظرفية (غير مباشرة) عن وجود المادة المعتمة - والجميع يتقبلون ذلك على أنه حقيقة-؛ لكن الدليل الظرفي غير شاف... .

إن ما نعرفه بشكل جوهري هو أن المادة المعتمة تتكتل معا موفرة مرتكزا ثقاليا للمجرات وللبنى الأكبر من قبيل تجمعات المجرات ...، والطاقة المعتمة ... هي جوهر منفصل لم يظهر في المشهد إلا منذ عام 1998، إنها منتشرة في الفضاء بشكل متجانس.

... فبدلا من استنتاج وجود المادة المعتمة من خلال النظر إلى أجسام نائية يمكن للعلماء أن يبحثوا عنها هنا في الأرض ...، **وقريبا يمكن** أن نعرف ماهية الكون فعلا؛ **فإما** أن يثبت أن المادة المعتمة حقيقة، **وإما** سيتعين على النظريات التي تقوم عليها الفيزياء الحديثة أن تُقتلَ بسلاحها.

... بدأ البحث الجاد عن **إشارات المادة المعتمة** في أواخر ثمانينات القرن العشرين، وكانت **نتائجها جميعها باستثناء واحدة صفرا** حتى الآن" مجلة العلوم المجلد 19، العددان 184 و185 ص51 و55، أغسطس/ سبتمبر **2003**.

[1720] "إن المنطقة السماوية الموجودة بين المريخ والمشتري مكتظّة بحشد من الكواكب الصغيرة ذات مدارات متباينة، وقد قدِّرَ عددها بحوالي 100000 كوكبا على الأقل، وهي في أغلب الحالات صغيرة الحجم: = =

ثم إن هذه السيارات تدور حول الشمس: فعطارد يتم دورته في 28 يوما من أيامنا، والزهرة في226، والمريخ في 321، والأرض في سنة، والمشتري في 11 سنة و313 يوما، وزحلُ في 29 سنة و[167][1721] يوما، وأورانوس في 48 سنة و7 أيام، ونبتون في 168 سنة و248 يوما./[395] ويظن أن هناك سيارات أخرى حول الشمس لم تظهر[1722].

وقد بحث علماء العصر عن تلك النجيمات (600)[1723] الصغيرة التي بين المشتري والمريخ [بحسب][1724] القاعدة التي وضعوها لبعد السيارات عن الشمس فظنوها شظايا من تلك النجمة البائدة التي كان يجب أن تكون بين المشتري والمريخ.

ثم[1725] إن بُعْدَ عطارد عن الشمس 36 مليون ميل، والزهرة 67، والأرض 93 ، والمريخ 143، والمشتري 484 ، وزحل 887[1726]، وأورانوس 1782، ونبتون 2792.

/[396] والزهرة وعطارد هما السيارات الأدنيان؛ لأن فلكهما ضمن فلك الأرض، أما بقية السيارات فتسمى السيارات العليا؛ لأن فلكهـــا خـارج

= = فكوكب سيريس - وهو أكبرها كتلة- يتوفر على نصف قطر يبلغ 325 كلم، إلا أن الكواكب الأخرى لا يتعدى نصف قطرها كيلمترين، وأشكال هذه الكواكب الصغيرة غير منتظمة وهي تسافر مجتمعة في كوكبات متعددة ....

وقد طرَحَ اكتشاف هذا العدد الهائل من الكواكب الصغيرة مشكلا ...: يتساءلون عن السبب في كون النظام الشمسي - الذي لا يشمل سوى بعض الكواكب الضخمة- يستقبل أجساما سماوية أخرى ...، والفرضية... هي القائلة بأن هذه الكواكب الصغيرة هي بقايا كوكب آخر..." الموسوعة الحديثة 31/1.

[1721] في المخطوط : 127، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 48/1.

[1722] "جميع الصعوبات الموجودة في دراسة تكوّن الكواكب آتية من كوننا لا نعرف إلا مجموعة شمسية واحدة : مجموعتنا، لو استطعنا ملاحظة مئات المجموعات من كل الأحجام ومن كل الأعمار لكان البحث عن أصولنا أسهل، إننا ما زلنا بعيدين كثيرا" أصل العوالم: لأندري براهتش، مجلة Pour La science: عدد300 ص52.

[1723] هو من إضافة المؤلف.

[1724] في المخطوط : بسبب، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 48/1.

[1725] في الهامش عنوان: "أبعاد السيارات 8 عن الشمس".

[1726] تبعد الشمس عن الأرض بحوالي 150 مليون كلم، أي ما يعادل ثمان دقائق و17 ثانية في حساب السنوات الضوئية، أما عطارد - أقرب الكواكب إلى الشمس- فيبعد بمسافة 59 مليون كلم فقط، ويقع محور زحل على 90 درجة من خط الأرض والشمس. انظر الموسوعة الحديثة 19/1 و26 و34.

عن فلك الأرض[1727].

أما الكواكب الثابتة فلا يحصر عددها إلا الله تعالى، ولقد بحثها العلماء فوصلوا إلى معرفة مئات الملايين بالمنظار المعظّم وبالآلة الراسمة المسماة "فوتوغرافية"[1728].

واعلم أن نور الشمس يسير في الثانية الواحدة 186 ألف ميل، وفي السنة ستة بلايين، والبليون: ألف مِليون[1729].

/[[397] واعلم أن أقرب نجم (يصل نوره إلينا)[1730] في أربع سنين نورية[1731]: فإذا كان ضوء الشمس يصل إلينا في ثمان دقائق وثمان عشرة ثانية وبُعدُها عظيم جدا، فما بالك بأقرب كوكب ثابت وهو أربع سنين! وأين ثمان دقائق من أربع سنين؟.

ومن الكواكب ما لا يصل ضوءه إلينا في أقل من ألف سنة نورية.

والشعرى العَبور يصل ضوءها إلينا في تسع سنين نورية.

(قال في القاموس: من أحاديث العرب أن الشِّعرى العَبور قطعت المجرة فسميت عبورا، وبكت الأخرى على إثرها حتى غَمِصت - أي سال

[1727] انظر الموسوعة الحديثة 26/1 وفيه: "الكواكب الداخلية أو السفلية" في مقابل "الكواكب الخارجية أو العلوية".

[1728] "إن المِقراب والرّاصدة - المعروف بالتيلسكوب- من أهم الأدوات التي يستعملها الفلكيون لمعاينة الظواهر الفضائية، ... تمَّ صُنْعُه انطلاقا من النموذج الذي اخترعه غاليلي أول مرة سنة 1609. وقد حل التلسكوب الانعكاسي محل التلسكوب الانكساري القديم ...، وقد تمكن الفلكيون من الاستفادة من تطور آلات التصوير الفوتوغرافي المتطور..." الموسوعة الحديثة 2/1. "ويُعَدّ **مِكشاف** الDama بكتلته البالغة 100 كيلوغرام أكبر مكشاف في العالم"، وهو مُعَد للبحث عن المادة المعتمة. انظر مقال: "البحث عن المادة المعتمة" لكلاين في مجلة العلوم المجلد 19 ص54: 2003.

[1729] "يستعمل العلماء وحدة "السنة الضوئية" للحديث عن بُعد النجوم والمسافة الفاصلة بينها وبين الأرض أو فيما بينها.

والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في السنة الواحدة : وإذا سلمنا بأن الضوء يسري وينتشر بسرعة 3000000 كلم في الثانية، فالسنة الضوئية تعادل 9 تريليونات ونصف من الكيلوميترات (التريليون يساوي مليون بليون)" الموسوعة الحديثة 10/1.

[1730] مكررة في المخطوط.

[1731] وهي نجمة الظلمان أو العيّوف، "وتليها نجمة "النسر الواقع" وتبتعد عن الأرض بأربع وعشرين سنة ضوئية، أما النجمة القطبية فتبعد عن الأرض 400 سنة ضوئية" الموسوعة الحديثة 10/1.

من عينها الغمَصُ (أي العَمَش)[1732]- فقيل لها: الغَموص والغُميْصاء، قال: وهما شِعرَيَان[1733].

وقال في الشعرى[1734]: إنهما أختا سهيل[1735].

وقال في سهيل: إنه نجم يطلع عند نضج الفواكه، أي ولا يرى إلا في موضع من الأندلس يُسَمَّى به)[1736].

والنسر الطائر يصل ضوءه إلينا في أربع عشرة سنة نورية، والنسر الواقع في ثلاثين سنة، والعَيوق في اثنتين وثلاثين /[398] سنة نورية، والسماك الرامح في خمسين سنة نورية.

واعلم أنهم قسموا **الكواكب الثابتة** باعتبار ضوئها، فما كان منها أضوأ سمّوْه القدر الأول، وما يليه القدر الثاني.

و**القدماء** أوصلوها إلى ستة أقدار، و**المحدثون** أوصلوها إلى عشرين:

فالقدر الأول ضوءه كامل وعدد نجومه أربع منها: الشعرى العبور، والنسر الواقع، والسماك الرامح، والقدر الثاني عدد نجومه 27 نجما ومنها سعد السعود، والقدر الثالث عدده 73 /[399] نجما منها الفرقدان، والقدر الرابع عدده 189، والقدر "5" 650، والقدر السادس 2200، وهكذا يتزايد العدد ويقل الضوء، فيكون القدر العشرون 76مليونا وضوءها ضعيف جدا.

ومجموع الذي علمه نوع الإنســان إلى الآن 224 مليونا من النجــوم،

[1732] "والغَمَص: ما سال من الرّمَص" القاموس المحيط: باب الصاد فصل الغين.
"وأما الرّمَص فهو مثل العَمَش" اللسان: خفش.
"الرمص في العين كالغمص: وهو قذى تلفظ به، وقيل: الرمص ما سال، والغمص ما جَمَد"، وقيل عكس هذا، وقيل غيره في اللسان: رمص.

[1733] انظر القاموس المحيط: باب الصاد فصل الغين، وفي اللسان - غمص- الاختلاف في تسمية العَبور والغُمَيْصاء.

[1734] أي العَبور والغُميْصاء.

[1735] انظر القاموس المحيط: باب الراء فصل السين، وفي اللسان: شعر: "تزعم العرب أنهما أختا سهيل".

[1736] في الهامش بعبارة "صح"، وفي القاموس المحيط: باب اللام فصل السين: "وسُهَيْل - كزُبَيْر-: حصن بالأندلس وواد بها، ونجم عند طلوعه تَنْضج الفواكه وينقضي القيظ".

هذا هو الذي عرفه الإنسان من السماوات، فقس ما ذكره علماء الإسكندرية وإنجيل "برنابا" مع ما عرفه الإنسان الآن:

إن عظمة الله تجلت في هذا الزمان، ألا ترى إلى ما جاء /[400] في إنجيل "برنابا" مما أشبه كلام القدماء أن بين كل سماء وأخرى خمسمائة عام، وذكر أن السماوات تسع[1737]، فيكون مجموع المسافات 4500[1738] بسفر الإنسان، وهو قدر يسير جدا بالنسبة لما عرف الآن:

ألا ترى أن هذه المسافة يقطعها الضوء في أقل من أربع دقائق، فكان[1739] ملكُ الله المعلومُ للناس فيما مضى لا يزيد على نصف المسافة بيننا وبين الشمس البالغة ثمانَ دقائق وثواني، وأي شيء بُعد الشمس؟! إن بُعدَها يسير جدا، إن الشمس لقريبة، وأين ثمان دقائق /[401] من أربع سنين التي هي لأقرب كوكب ثابت؟ بل أين بُعدها من بعد الكوكب الذي يستغرق ألف سنة في وصول ضوئه إلينا؟.

ولو أردت أن تعرف مقدار الزمن الذي يصل فيه ضوء الكواكب إلينا ونحن نشاهدها كل ليلة، لم تشكّ أن كثيرا منها سافر ضوءها إلينا قبل خلق الأرض حتى وصل إلى أعيننا الآن، ومنها كواكب قد هلكت قبل خلق الأرض ونحن نشاهد ضوءها الذي أرسلته قبل خفائها وهو مسافر إلينا، هـ بخ[1740].

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إن الله لا /[402] يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾[1741] ما نصه:

اللطيفة الأولى[1742]: اعلم أن الذرة[1743] منها تتركب هذه الأجسام، وقد

[1737] "وهي عند المسلمين سبع، يزيد عليها الكرسي والعرش" الجواهر في تفسير القرآن 49/1.

[1738] أي سنة.

[1739] في المرجع السابق : فكأن.

[1740] الجواهر في تفسير القرآن: تفسير سورة البقرة 46/1- 49 بتصرف يسير.

[1741] الآية: 5.

[1742] هي أربع لطائف في الجواهر في تفسير القرآن 20/2- 25، اقتصر المؤلف هنا على ذكر الأولى منها.

[1743] "إن كل الأجسام تتكوّن من مجموعات صغيرة من المواد القارة المعروفة بالجُزَيْئات أو الذرّات، وهذه الجزيئات نفسها تتكون من جُسَيْمات دقيقة الحجم تُعرَف بالذرات. = =

قلنا إنها مركبة من الجواهر الفردية، ومن الأجسام تكون هذه الأجرام العظيمة من السماوات والأرض، أما الشموس والأقمار والأرضون فقد استوفيناها في سورة البقرة[1744]، إنما الذي يهمنا الآن أن نبحث فيما هو فوق ذلك مما كشف **حديثا**، وها خلاصة ما قيل عن العوالم السديمية /[403] في آخر تقرير رفع إلى أكاديمية العلوم بفرنسا[1745]:

= = والذرة ذات حجم دقيق جدا لا يُمْكِن لأي جهاز لحد الآن أن يُمكِّننا من رؤيته. ورغم دقة حجمها فالذرة تتوفر على نواة ذات قطر يَصْغُر الذرّة نفسَها بآلاف المرات ..." الموسوعة الحديثة 7/1.

[1744] أي عند قوله تعالى في الآية 28 : (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، وهو بكل شيء عليم).

[1745] في الجواهر في تفسير القرآن 20/2 : "في هذا العام"، وهو في شهر مارس سنة 1923 كما هو مذكور بعد أسطر في ص 258.

قال أندري براهتش André Brahic في **أكتوبر 2002**: "حتى سنة 1901 لم يكن أحد يَعرف سبب تلؤلؤ النجوم، وكلّ العالم يَجهل وجودَ المجرّات، ولم يُعرَف عن الكواكب والأقمار التابعة لها سوى أنها نقط ضوء في السماء، فلا تُدرس أساسا إلا حركتها: فيالها من انقلابات منذ قرن فقط.

اكتُشفت المجرات بين سنة 1920 و1930، وخلال سنوات 1940 و1950 فهم الفلكيون منبع لمعان النجوم، ومنذ السبعينات تمت زيارة الكواكب الواحد تِلو الآخر؛ مع العلم أن الإنسان استغرق 2000 سنة ليفهم حركة هذه النقط الضوئية المسماة: كواكب، وليتحقق من أن الأرض تدور حول الشمس استغرق أقل من 30 سنة ليزور عوالم المجموعة الشمسية.

الإنسان مشى على القمر وحَمَل معه أحجارا ليحللها في مختبراته، وأرْسَل روّادا آ ليين اكتشفوا المريخ... ووضعوا مجسات ذاتية الحركة [أوتوماتيكية] على الزهرة Vénus... .

اكتشاف المجموعة الشمسية يتم على مراحل: الأولى تركز على التحليق فوق الكواكب، و**الثانية** تدور حولها، و**الثالثة** تستند إلى النزول على الجِرْم المدروس والغوص في باطنه، و**الرابعة** تتم بحمل عيِّنات مادية إلى الأرض لتحليلها في المختبر.

فنحن ما زلنا بعيدين عن اكتشاف كل أسرار القمر على الرغم من أن هذه المراحل قد أنجِزَتْ بالنسبة له. أما فيما يتعلق بالمريخ والزهرة والمشتري [Mars, Vénus et Jupiter] فقد نُفذَت المرحلة الثانية والثالثة، على أن موعد هاتين المرحلتين بالنسبة لزحل Saturne وأورانوس Titan ابتداء من 2004، وذلك بواسطة مجسة: Cassini-huygens.

... لا أحد كان يتخيّل - حين إرسال المجسات- ذلك الكم الهائل من الاكتشافات القادمة من المجسات في صيف 1979... .

من الآن فصاعدا تعتبر نظرتنا للنظام الشمسي مخالفة لما كانت عليه في القرن 19؛ حيث كانت تُختزل في كون الكواكب تدور منعزلة في الفراغ حول الشمس، بيد أن الفضاء بين الكواكب مملوء بالغاز والغبار والبلاسما [الجبلة] وبجزيئات الطاقة المرتفعة ومختلف التفاعلات التي تربط باستمرار بين أجسام النظام الشمسي (الريح الشمسية، القذف الشهابي، اصطدامات الخ).

وليس مطلوبا هنا وصف كل هاته الأجسام، الكواكب التسع، السبعين - إلى الثمانين- قمرا المعروفة، عشرات الآلاف من النيازك، آلاف المليارات من المذنبات، بل سنقتصر على وصف بعض الظواهر التي كانت مجهولة خلال ظهور أول عدد من مجلة Pour la science منذ 25 سنة:

= =

إذا نظرت إلى السماء في ليلة صافية أبصرت غيوما بيضاء كأنها لبن وهي عبارة عن سُدُم[1746] سابحة في الفضاء الذي لا يتناهى (في علمنا)[1747]، كما كانت أرضنا وشمسنا في الأحقاب والدهور قبل ملايين الملايين من السنين، ثم إن المسافات التي تفصل هذه العوالم [عنا][1748] لا تقع تحت حصر، فالكيلومطر لا يصلح فيها مقياسا، ولا قطر الأرض ولا قطر دائرتها حول الشمس، وقد اصطلحوا /[404] على مسافة[1749] تبلغ **ثلاث سنين وسدس سنة نورية** وسموها: "بُرسُكَ".

والسنة النورية[1750] أمر يفوق الوصف: فإن النور يسير في الثانية بسرعة 300ألف كيلومتر، فما بالك إذا جرى سنة أو ثلاث سنين وسدس سنة الذي جعلناه مقياسا!، فانظر الآن ما جاء في ذلك التقرير الذي وقع في شهر **مارس سنة 1923**، فقد جاء فيه: أن سَدِيمَ "ماجلون" يبعد عن

= = ليست الأرض الكوكب الوحيد المَكْسُوّ بالبراكين، إلا أنه عندما أعلِن في مارس 1979 أن صور المجسات أظهرت براكين نشطة على سطح المشتري Jupiter، ظن عدد من العلماء أنها خدعة [مزحة]، وبعد ذلك بأقل من 20 سنة دهشنا من تعدد مظاهر بركانية في المجموعة الشمسية... .

عند إصدار أول عدد من مجلة Pour la science كان معروفا 33 كوكبا تابعا، واليوم اكتُشف أكثر من 70...، فوجئنا باكتشاف عوالم مختلفة؛ قطر بعضها يصل إلى 5000 كلم، وبعضها الآخر لا يتعدى بعض الكيلومترات...، كل قمر عالم بذاته... .

منذ 1986 اكتُشِفت الأجسام الصغيرة للنظام الشمسي بانتظام: 5 نيازك [نجوم صغيرة سيارة] شوهدت من قريب مع صورة مذنب هالي الملتقطة بمجسة جيوطو Giotto : كانت أوروبا رائدة...، هذه التحليقات الفضائية أكدت ثبوت ما كان الفلكيون يشكون فيه منذ 1950: وهو وجود نواة داخل المذنبات... .

في فاتح يناير 1977: لم يكن معروفا سوى حلقات زحل Saturne، والآن نعرف أن الكواكب **الأربعة العظمى** تحتوي على أنظمة حلقية: فحَوْل المشتري Jupiter ...، وأورانوس Uranus ...، ونبتون Neptune ... .

استكشاف النظام الشمسي قدَّم وفرة من الاكتشافات الأساس، وكان وقعا مباشرا على التفكير العلمي ...، بفضل علم دراسة الكواكب La planétologie نرجو أن تبذل مجهودات بارزة في ميادين متعددة مثل علوم دراسة البراكين وأحوال الطقس والمناخ ..." اكتشاف النظام الشمسي: مقال بمجلة Pour la science عدد300 ص43- 45.

[1746] في الجواهر في تفسير القرآن 21/2 : "أي سحب".

[1747] هي من إضافة المؤلف.

[1748] إضافة من الجواهر في تفسير القرآن 21/2.

[1749] أي لهذا القياس.

[1750] في الهامش عنوان: "السنة النورية وسير النور". وانظر معنى السَّنة الضوئية في هامش ص 250.

الأرض 35 ألف بُرسُك، أي نحو 110 ألف سنة نورية وأن السّدُمَ[1751] التي تمَكّن العلم /[405] من قياسها هي كما يأتي:

1- ستة سُدُم تبعد عنا 65 برسكا، أي نحو 207 سنة إذا نحن سرنا إليها بسرعة النور.

2- ثلاثة نجوم سَديمية معروفة باسم "نوفا"[1752] تبعد عنا 175 برسكا، أي نحو 435 سنة نورية.

3- خمسون سديما مظلما ونيرا تبعد عنا 320 بُرْسكا، أي نحو 1014 سنة نورية.

4- سبعون سديما تبعد عنا 900 برسكا.

5- تسعة وستون (69) تبعد عنا 23ألف برسك، أي نحو 72847 سنة نورية.

6- /[406] سَديمان حلزونيان على بعد 200 برسك، أي نحو 635 سنة نورية.

7- ستة عوالم سديمية تبعد عنا 150ألف برسك، أي نحو 475 ألف سنة نورية.

ويبعد السديم أنْدْروميدُ عنا 450 ألف برسك، أي نحو مليون وأربعمائة وخمسة وثمانين ألف سنة نورية، ويسير هذا السديم بسرعة 1200 كيلومتر في الثانية، وكذا السديم المعروف باسم "ماجلون" فإنه يبعد

1751 "بالإضافة إلى الاختلاطات الكوكبية تحتوي المجرة كذلك على عدة سُدُم دُنيا تعرف بالسدم المَجَرية، وهي صنفان: فمنها السدم الضوئية المكوَّنة من الغازات المُضيئة المنذّرة، ومنها السدم المظلمة والمكوَّنة من غُبار دقيق وداكن يَحول دون رؤيتها للنّجوم الموجودة خَلفها.

وقبل معرفة حقيقة وطبيعة السدم الموجودة خارج المجرة كان يُعتقد أنها مكوَّنة من خليط غازي بالغ الندرة، إلا أن طيفها الذي يشبه طيف الاختلاطات الكروية مَكّن من التأكد من طبيعتها الكوكبية.

وتقع إحدى هذه السدم في كوكبة أندروميد ويمكن تمييزها بالعين المجردة. أما السدم البعيدة فهي تبعد عن الأرض بعِدَّة ملايين سنين ضوئية" الموسوعة الحديثة 8/1.

1752 "وقد أورد الجيولوجي الإيطالي فيدريكو ساكو (F. Sacco) سنة 1944 نظرية النجوم الجديدة (Novae)، والتي يمكن إدراجها ضمن الصنف الثالث [أي من أصناف فرضيات أصل النظام الشمسي]، وهي تبنّي فكرة ترى بأن النظام الشمسي قد تكوَّن على إثر انفجار الشمس" الموسوعة الحديثة 38/1.

عن النظام الشمسي بسرعة [568][1753] كيلومتر في الثانية.

وتسير /[407] المجرة التي يعد النظام الشمسي والسيارات - وفي جملتها الأرض- من توابعها بسرعة 560 كيلومتر في الثانية جاذبة وراءها الشمس والسيارات مع الأرض وكلّ نجوم السماء، هـ بخ[1754].

وقال لدى قوله تعالى: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾[1755] ما نص المراد منه نقلاً عن بعض الفلكيين[1756]:

كيف يقوى الفكر البشري على الإحاطة بما لا يتناهى من الشموس والكواكب التي لا تعرف نهايتها؟

فتأمل أيها القارئ واعلم /[408] أنه لو قدر لنا أن نعيش ملايين الملايين من السنين وأن نكشف [طريقة][1757] للمواصلات أسرع من القُطُرات والسيارات والطيارات، طريقة يمكننا السير بها بسرعة النور - أي بسير 300 ألف كيلومتر في الثانية-، فإذا تم ذلك لنا أصبحت الكرة الأرضية ضيقة بنا وصرنا بطبيعة الحال نتوق إلى الطواف حول هذا الكون الواسع، فنخرج من الأرض الضيقة غير آسفين عليها، قاصدين أقرب الكواكب، وهو القمر/[409] الذي يبعد عنا 389 ألف كيلومتر[1758]، ولكن هذه المسافة الهائلة نقطعها في ثانية وثلث بسيارتنا المدهشة التي تسير بسرعة النور، ومتى وصلنا إلى القمر رأينا الأرض منه كوكبا يزيد حجمه أربعة أضعاف عن حجم البدر لمّا كنا ننظر إليه من الأرض.

ثم ننتقل منه إلى المريخ وهو أقرب السيارات إلينا وعلى مسافة خطوتين منا حسب الاصطلاح الفلكي؛ لأنه لا يبعد عنا سوى 60

[1753] في المخطوط: 560، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 21/2.

[1754] هي اللطيفة الأولى من المبحث الثاني: فيما هو أكبر من الذرة في الآية، في الجواهر في تفسير القرآن 20/2 و21 بتصرف يسير.

[1755] آل عمران 109.

[1756] وهو "العلامة فلامريون الفلكي المشهور" الجواهر في تفسير القرآن 145/2.

[1757] في المخطوط : طريقا، والتصويب من المرجع السابق 146/2.

[1758] في الموسوعة الحديثة 52/1 : "تبلغ المسافة التي تفصل بينه وبين الأرض 384000 كلم ...، البُعد الأدنى عن الأرض (الأوج): 405506 كلم، البُعد الأدنى عن الأرض (الحضيض): 363300 كلم، معدل المسافة: 384403 كلم".

[مليون][1759] كيلومطر، والمريخ أصغر من الأرض لا يزيد قطره /[410] عن نصف قطرها إلا قليلا، ومادته نحو عشر مادتها، وجَوّه أقل كثافة من جَوّها، ومتى وصلنا إلى المريخ رأينا سكانه -إن كان به ساكن- ينظرون إلى أرضنا التي هي نجمة الصبح عندهم - كما ننظر نحن إلى الزهرة- ويسألون هل هي مسكونة؟، وقد أجمعوا على أنها غير صالحة للسكنى؛ لأن هواءها ثقيل جدا، ولاسيما وأن قربها من الشمس يحول دون نمو الحياة فيها، أما المريخ فهو الكرة المتوسطة الصالحة للحياة؛ /[411] إذ لا برد ولا حر فيها[1760].

وهذا القول نسمع مثله في كل السيارات والكواكب الآهلة بالسكان[1761]

1759 إضافة ضرورية من الجواهر في تفسير القرآن 46/2.

1760 "... وقبل الرحلات الفضائية نحو المريخ كان الاعتقاد السائد أن هذا الكوكب يتوفر على ظروف قابلة لاستقبال أشكال الحياة الإنسانية، إلا أنه تأكد اليوم أن الأمر عكس ذلك وأن المريخ كوكب تستحيل فيه الحياة" الموسوعة الحديثة 29/1.

1761 هناك في كتاب الله جل وعلا ما يشير إلى وجود مخلوقات في السماوات وهي قوله تعالى: (ومن آياته خلقُ السماوات والأرض **وما بَثَّ فيهما من دابة**، وهو على **جمعِهم إذا يشاء** قدير) الشورى 27.
انقسم فيها المفسرون إلى قسمين: الأول رأي مجاهد القائل: "يدخل في هذا الملائكة والناس". قال ابن كثير: "وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم؛ وقد فرقهم في أرجاء أقطار السماوات والأرض".
الثاني رأي الفراء القائل: "أراد ما بث في الأرض دون السماء كقوله: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) [الرحمن 20] وإنما يخرج من الملح دون العذب"، وكذا قول أبي علي: "تقديره: وما بث في أحدهما؛ فحذف المضاف".
أما قوله: (وهو على جمعهم) "أي يوم القيامة" انظر تفسير القرطبي 21/16 وتفسير ابن كثير 125/4.
أقول: مما يدل على أن الملائكة في السماء قوله تعالى: (يكاد السماوات يتفطرن من فوقهن، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) [الشورى 3]، لكن البت في معنى اللفظ القرآني يحتاج إلى دراسة مفهومية معمقة شمولية تستوعب جميع الألفاظ والمساقات القرآنية والحديثية ذات العلاقة بالموضوع - أيّ علاقة كانت-؛ وهو ما يسمى بالدراسة المصطلحية.
أما ما تثيره الآية الكريمة من تساؤل في ظل ما يشغل الفلكيين المعاصرين من سماعهم لأصوات أناس عقلاء آتية من خارج النظام الشمسي - سمعنا هذا في أوائل الثمانينات لما كنا طلبة بالجامعة- هو: هل توجد مخلوقات أخرى مبثوثة في السماوات؟ أم أن المناطق التي تصدر منها تلك الأصوات لن تكون إلا مكان استراق الجن للسمع كما قال جل وعلا حكاية عنهم: (وإنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرسا شديدا وشهبا، وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع؛ فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) الجن 8 و9.
قال عبد المجيد الزنداني: "... قال تعالى: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) [الرحمن 33] (فبأي آلاء ربكما تكذبان) كما أخبر القرآن أن المحاولة [أي محاولة الإنسان النفوذ والخروج من أقطار السماوات والأرض] ليست فرضا وإنما ستكون فعلا، ولكنها لن تنجح حتى يتمكن الإنسان= =

والتي نمر بها في سياحتنا المدهشة.

ثم نبرح من المريخ إلى زحل الذي يبعد عن الشمس نحو 882 مليون ميل، فنصل إليه في نحو سبع دقائق إذا سرنا بسرعة النور. ويبلغ حجم زحل 745 ضعفا من حجم الأرض، والسنة فيه تعادل 29 سنة تقريبا من سني الأرض، ولهذا السيار تسعة أقمار[1762] لا ترى من أرضنا إلا بالمنظار.

وبعدما نجتاز السيارات واحدا فواحدا نصل إلى نجم /[412] "ألفا"

= = من الخروج من نواحي وجهات السماوات السبع. بل إن المحاولة ستُمنَع عند مكان معين وستفشل بفعل شواظ النار والنحاس اللذين يرسلهما الله سبحانه؛ قال تعالى بعد الآيتين السابقتين: (يُرسَل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران).

وإذن فالمجال مفتوح أمام الإنسان لغزو الفضاء ...، حتى إذا بلغ به الأمر أن يصل إلى منطقة يتمكن فيها من استراق السمع من الملإ الأعلى فلا شك أنه عندئذ سيجد ما وجد سلفه الجن شهابا رصدا ...، وبهذه الآيات يكون القرآن أول من أخبر عن احتمال أو إمكان غزو الإنسان للفضاء في وقت كان فيه الغزو أمرا مستحيلا" كتاب توحيد الخالق: الإسلام وغزو الفضاء 73/3 وما بعدها.

ومن أواخر ماورد بشأن صلاحية الحياة على الكواكب ما يلي:

"جزء صغير فقط من مجرتنا ملائم لوجود حياة متطورة: ...كنا نستمتع جدا بتصورنا وجود كائنات ذكية على سطح القمر أو المريخ أو الزهرة أو المشتري أو حتى على الشمس، لكن العلماء يخبروننا في هذه الأيام أن سكان المريخ الذين شقوا القنوات عليه، وأن الواحات الباردة داخل الشمس: ليست سوى أفكار طريفة من طراز قديم؛ فالباحثون يشككون في الأفكار المتعلقة بوجود حياة ذكية في أرجاء مجرة درب التبانة [أي مجرتنا؛ فهي مرادفة لها]، وكما أن معظم النظام الشمسي غير ملائم لوجود كائنات متعددة الخلايا، فقد يكون هذا الأمر نفسه صحيحا في جزء كبير من مجرتنا.

... في هذه المرحلة من بحثنا، ما زلنا بعيدين إلى حد ما عن معرفة تفاصيل المنطقة المجرية الصالحة للحياة ...، ويمكننا القول بشيء من الثقة: إن الحشود الكروية والقرص الخارجي ومركز المجرة هي أمكنة يكون احتمال وجود حياة فيها ضعيفا جدا ...، ويبدو الكون الواسع أقل تماما في صلاحيته للحياة من مجرتنا: فقرابة 80 في المئة من النجوم في الكون تقيم في مجرات أقل تألقا من درب التبانة ...؛ فإن درب التبانة صالح جدا للحياة: إنه مجرة قرصية -disc galaxy- ذات مدارات مرتَّبة ونشاط قليل الخطر نسبيا ..." ملاذات للحياة في كون عدائي Refuge for life in a hostile universe: مقال لكونزاليس Guillermo Gonzalez وبراون لي Donald Brownlee ووارد Peter Ward - ثلاثتهم أعضاء في برنامج البيولوجيا الفلكية في جامعة واشنطن-، مجلة "مجلة العلوم" المجلد 19: غشت وشتنبر 2003، ص51 و61 و62.

[1762] "وإلى غاية 1979 كان يُعتقد أن زحل يتوفر على عشرة كواكب تابعة له وأنه محاط بأربع حلقات، إلا أنه في 2 سبتمبر 1979 تأكد العلماء من وجود الكوكب التابع الحادي عشر، وذلك بفضل المركبة الأمريكية بيونير 2" الموسوعة الحديثة 34/1.

الذي هو أقرب النجوم إلى الشمس[1763]؛ لأنه لا يبعد عنها سوى [276][1764] ألف ضعف بُعد الشمس، فالقطار الذي يسير إليه بسرعة 60 كيلومتر في الساعة لا يبلغه إلا بعد 75 مليون سنة، ولا تصل القنبلة إليه إلا بعد مليون ونصف مليون سنة بعد انطلاقها، وإذا وقع فيه انفجار هائل فإننا لا نسمع صوت هذا الانفجار إلا بعد مرور ثلاثة ملايين سنة على وقوعه.

وإذا واصلنا سيرنا مسافة مائة مليار كيلومتر بلغنا نجما يَعدّه /[413] علماء الفلك من نجوم القدر الثاني عشر، ثم نجما آخر يبعد عن الأرض 6520 سنة إذا سرنا إليه بسرعة النور، ثم آخر وهكذا على التوالي.

وكلما تقدمنا في الفضاء الذي لا يتناهى رأينا عوالم جديدة يتألف كل منها من ألوف من الشموس، ويبعد الواحد عن الآخر مليارات المليارات من الأميال، إلى أن نصل إلى المجرة التي تبدو لسكان الأرض ذرات من الرمال، كل ذرة منها شمس محرقة، ثم نبلغ بعدما نسير ألوفا أخرى من السنين بسرعة النور إلى مجرة /[414] أخرى فأخرى، إلى ما لا نهاية له (أي في علمنا)[1765]، فينقضي عمرنا الذي فرضناه ملايين الملايين من السنين ونحن في وسط الفضاء الذي لا يتناهى لم نتقدم خطوة ولم نبلغ غاية (لملك الله عز وجل).

وكثيرا ما نشاهد حولنا - إبان سيرنا في الفضاء بسرعة النور- عوالم مندثرة تدلنا على أن كل شيء في الكون عرضة للموت، ولكنه ينبعث بشكل آخر، ولا يتغير منظر السماء علينا في هذه الرحلة الهائلة [إلا][1766] في وضع النجوم.

/[415] وإذا حاولنا أن نكشف موضع الأرض اضطررنا إلى البحث عن مركز الشمس، أما النجوم فتكون بالنسبة إلينا كما كانت ونحن على الأرض، فإذا أحصيناها من أي وجه كان وجدناها 19 نجما من القدر

[1763] أما "أقرب نجمة إلى الأرض - إذا استثنينا الشمس- هي الظّلمان أو العيّوف، وهي تبتعد عن الأرض بأربع سنوات ضوئية، أما النجمة القطبية فتبعد عن الأرض 400 سنة ضوئية" الموسوعة الحديثة 10/1.

[1764] في المخطوط : 271، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 46/2.

[1765] هي إضافة من المؤلف.

[1766] في المخطوط : لا، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 147/2.

الأول، و60 من القدر الثاني، و182 من القدر الثالث، و520 من القدر الرابع، و1600 من القدر الخامس، و4800 من القدر السادس، وهذا كل ما يرى بالعين المجردة، و13 ألفا من القدر السابع، ثم يزداد عددها سرعة كما لو كنا نرقبها من الأرض، /[416] حتى يبلغ عدد نجوم القدر الخامس عشر 40 مليونا، أما نجوم القدر السابع عشر والثامن عشر فلا يقع تحت حصر.

فنستدل من ذلك على أننا لو سرنا في الفضاء بسرعة النور مليارات المليارات من السنين لما تغير شكله بالنسبة إلينا، ولما اختلفت مناظره كثيرا عما كانت عليه ونحن في الأرض.

ونقول الآن: إن الحياة موجودة في النظام الشمسي، موجودة في الأرض بلا جدال، /[417] موجودة في المريخ والزهرة على الغالب، وإن السيارات الأخرى- مثل عطارد والمشتري وزحل وغيرها- ليست قفراء، ولكن **سكانها يختلفون عنا** على ما يظن اختلافا كبيرا في تركيبهم الكيماوي.

وكما أن للشمس ثمان سيارات يتألف منها نظامها الشمسي، كذلك النجوم التي كل منها شمس هائلة؛ فقد أثبت العلم أن للنجوم سيارات عديدة، ورصد العلماء أخيرا هذه[1767] السيارات وعرفوا /[418] كثيرا عن أحوالها[1768].

[1767] في المرجع السابق: بعض هذه.

[1768] انظر مبحث "النجوم" - بصور موضحة- في الموسوعة الحديثة 9/1- 16.

وفي مقال "أصل العوالم: L'origine des mondes" لأندري براهتش ما يلي:

"لماذا توجد النجوم؟: ... العناصر الأساس لِتَكوّن نجمة: - الغاز والغبار- توجد بكميات وافرة في الوسط البَيْن- نجمي. فمنذ 25 سنة مكّنت الدراسة المنهجية لامتدادات موجة الوسط الذي يملأ فضاء ما بين النجوم من إعادة إنشاء الظروف الفيزيائية والكيميائية المتحكمة في هذا التكوّن، ومِن فهْم أن الغيوم الجزيْئية الضخمة ذات الكثافة العالية تجمع في أحشائها كل الظروف التي تنتج ولادة النجوم، وهذه كيفيتها: ... .

الاكتشاف الأكثر أهمية خلال التسعينات هو وجود الصحون وقذائف المادة في المحيط المباشر للنجوم الأولية الفتية ...؛ فصحون الغاز والغبار هي - كما رأينا- أماكن مفضلة لظهور كواكب جديدة.

لقد أثبت اكتشاف الكواكب خارج النظام الشمسي - منذ بعض السنين- أن المحيط المباشر للنجوم أغنى بكثير مما كنا نتوقع.

هل الأنظمة الشمسية كذلك متشابهة؟: العوالم التي اكتشفنا حتى الآن مختلفة كثيرا عن جيراننا لنظامنا الشمسي، لا يمكننا القول باكتشاف نظام مشابه لنظامنا إلا إذا وجدنا كواكب مقيمة = =

ولا يخفى أنه كان للعلوم الرياضية شأن كبير في الاكتشافات الفلكية، فلولاها ما اكتشف السيار نبتون[1769]، ولولاها لما عرف شيء كثير عن حقيقة العوالم السابحة في الفضاء الذي لا يتناهى، وقد لجأ علماء الفلك إلى الرياضيات في تقدير عدد العوالم الآهلة بالسكان، فقالوا: إذا فرضنا أن لكل من النجوم المعروفة لدينا ثمان سيارات كما للشمس، وأن ثلاث سيارات من هذه /[419] السيارات الثمان تصلح للحياة، كان عدد العوالم الآهلة بالأحياء 300 مليون أرض كأرضنا على أقل تقدير؛ لأن ما أحصي من النجوم حتى القدر الخامس عشر بلغ مائة مليون نجم إلى الآن.

أما نجوم القدر السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر - لخ- التي لا يحصيها عدّ ولا تقع تحت حصر ولا حدّ فلم تدخل في حسابنا؛ لأننا اقتصرنا على النجوم التي رصدها البشر ودرسوها، على أن ما قيل عن النجوم المعروفة يقال /[420] مثله عن النجوم التي لم يتوصل البشر بعد إلى معرفتها، وحينئذ يصير عدد العوالم الآهلة بالسكان الأحياء أعظم من أن يَحدّه رقم أو يقع تحت حصر.

ولا ندري لماذا يكون بين سيارات النظام الشمسي سيارات تصلح للحياة، ولا يكون مثل ذلك بين سيارات النجوم، وقد ثبت أن النجوم ليست سوى شموس عظيمة لها سيارات كما للشمس، ولكل نجم منها نظام مستقل كالنظام الشمسي /[421] مرّ أو سيمرّ في مثل الدور الذي تجتازه الشمس وتوابعها الآن:

فكما أن النظام الشمسي كان سديما واحدا ثم تجزأ أجزاء عديدة، ثم جمدت هذه الأجزاء[1770]، كذلك بعض النجوم، وكما أن نور الشمس يحتوي

= = في السطح الاستوائي على مدرات دائرية؛ وهذا ما يزال بعيد المنال. ومع ذلك فملاحظة صحون الكواكب الأولية والكواكب خارج النظام الشمسي خطوة أولية تجعلنا نتفاءل - قبل الذكرى المئوية بكثير لمجلة Pour la science- باكتشاف أرض جديدة..." مجلة Pour la science: عدد 300 ص52.

[1769] انظر التعليق عليه في هامش ص241.

[1770] انظر مبحث "بنية النظام الشمسي" بصُوَر موضّحة في الموسوعة الحديثة 1/24-38.
وفرضية تكوّن النظام الشمسي هذه نظرية كانط ولابلاص، فصل الحديث عنها أندري براهِتش في مقاله: أصل العوالم - بمجلة Pour la science عدد 300 ص50 وما بعدها-، ومما ورد فيه ما يلي: = =

على أشعة ضرورية للحياة كذلك نور النجوم، فضلا عن أن المواد التي تتألف منها الشمس والسيارات هي المواد عينها التي تتألف منها النجوم كلها تقريبا، فلما نريد أن نحصر الحياة في نظامنا /[422] الشمسي، بل في الأرض التي نعيش على سطحها، وليست الحياة الأرضية من أرقاها - وهو الإنسان- إلى أدناها - وهو الإسفنج والمرجان- سوى نتيجة القوى الطبيعية العاملة في الأرض، وفي كل كوكب تتوافر لها فيه شروط العمل المتوافرة بلا جدال في جميع العوالم السماوية مهما اختلفت أحوالها.

وإذا لم يصح هذا القول إلا على سيارة واحدة من السيارات التابعة لكل نجم معروف /[423] كان لنا [100][1771] مليون عالم آهل بالسكان. أما إذا صح على ثلاث سيارات - كما يرجح أن يكون في السيارات التابعة للشمس- فيزيد عدد العوالم المسكونة حينئذ على 300 مليون.

وإذا اتخذنا هذه النسبة أساسا للبحث فيما يحتمل أن تكون عليه السيارات التابعة للنجوم التي لم يتمكن العالم من التعرف إليها بعد، بلغ عدد العوالم المأهولة بأحياء - كالأحياء الأرضية- حدا لا يحصيه عدّ /[424] ولا يحدّه حدّ.

ثم قال:

إن جميع ما في الكون من عوالم ومجرّات وشموس ونجوم وأقمار مرّ - أو يمرّ الآن أو سيمرّ في المستقبل- بمثل الدور الذي يجتاز اليوم عالمنا النجمي وعالمنا الشمسي أي دور صالح لنمو الحياة:

فقبل مئات الملايين من القرون كانت عوالم كثيرة كعالمنا الحالي موجودة في الطبيعة، ولكنها ليست العالم الذي نحن فيه؛ لأن تلك العوالم قد دمرت الآن، ولأن عالم اليوم لم يكن موجودا في تلك الأثناء، كانت حينئذ نجوم وشموس وأقمار /[425] وسيارات وأيام وليال وقرون وفصول وسنوات وأحياء وحوادث، ولكن غير النجوم والشموس والكواكب والأحياء - لخ- الموجودة اليوم: الأرض التي نحن عليها لم تكن قد تكونت

= = "... وبمجرد ما توقف تقلصُ الشمس وقع تبريد مفاجئ على المستوى الفلكي، وتجمّد جزء مهم من الغاز على شكل حبات بمقدار الميكرومتر إلى الميلمتر، وخلال بعض عشرات الملايين من السنين ظهر قرص من الحبات ...".

[1771] إضافة ضرورية من الجواهر في تفسير القرآن 148/2.

بعد، بل كانت سَدِيما ليس فيها ماء ولا هواء ولاحياة ولا شيء من العناصر، كانت كلها غازا- أي دخانا- ملتهبا يحتوي على جراثيم الحياة وبذور الوجود، إذا صح هذا التعبير[1772].

الإنسانية وتاريخها والبشر ومجهوداتهم وكل ما /[426] في الأرض من جماد وحيوان لم يكن موجودا في هذا السديم إلا بهيئة نطفة أو جنين، ولم يكن محل الأرض سوى غاز متموج في الفضاء الذي لا يتناهى، وقد قلنا "محل الأرض" وذلك خطأ؛ لأن الأرض كسائر النجوم والشموس والسيارات لا تمكث دقيقة في محل واحد، بل تسير على الدوام في الفضاء الواسع، لم تكن أرضنا موجودة حينئذ بل كانت نجوم وشموس وسيارات أخرى آهلة بالسكان كما هي الحالة /[427] اليوم، وكان هؤلاء السكان يعيشون ويموتون ويتألمون ويسرون ويحبون ويكرهون ويتكاثرون جيلا بعد جيل مثلنا تقريبا، وكانت لهم حضارة وشرائع وعلوم وآداب تتناسب مع درجة رقيّهم في مختلف الأدوار التي مروا بها، وكانوا يعتقدون كما نعتقد أن الخليقة كلها تقف عندهم ولا تتعدى دائرة فلكهم، وقد انقرضوا كما سننقرض نحن؛ لأن الأبدية التي لا بداية ولا نهاية لها تجرف أمامها الممالك والدول والشعوب والعوالم /[428] التي توالت وستتوالى إلى الأبد، أما القدرة الخالدة التي تعمل إلى الدوام فإنها باقية وكل [ما][1773] عداها فان؛ لأن الماضي والمستقبل غير موجودين في نظرها؛ لأن كل شيء بالنسبة إليها حاضر، وإن محاولتنا البحث في هذه العوالم وكيف كانت كمحاولة النملة دَرْسَ تاريخ الأرض:

فكما أن النملة تظن تاريخ البشر محصورا[1774] في تاريخ وَكْرها، كذلك نحن، وكما أنها تظن نفسها صاحبة الحقل الذي تعيش فيه /[429] وتعتقد أن كل ما في الكون ملك لها، وتجهل وجود أحياء أخرى غيرها، كذلك نحن بالنسبة إلى العوالم الأخرى:

فما يمكننا - والحالة هذه- أن نعرفه عن العوالم المنقرضة أقل بكثير مما قد تعرفه النملة عن عالمنا الأرضي، وليس من السهل على عقلنا

[1772] "كوكب الأرض : ...، ولاشك أن أصل هذا الكوكب - المتميز بالحياة والنظام- لا يختلف عن أصل غيره من الكواكب الأخرى ..." الموسوعة الحديثة 40/1.

[1773] في المخطوط : من، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 150/2.

[1774] في المخطوط : محصور، وهو خطأ.

المحدود أن يتصور الأبدية التي لا حدّ لها، وأن يقتنع بأن عوالم أخرى قبل عالمنا الحالي كانت تدور حول شموسها منذ الأزل، وأنه لم يكن لها بداية ولن يكون لها نهاية، ولكنها هي الحقيقة /[430] التي تدل على عظمة الخالق جل وعلا وجلال الخليقة.

وبعد مئات الملايين من القرون تصبح الأرض التي نحن عليها صحراء قاحلة؛ لأن عالمنا الشمسي لا يعود حينئذ صالحا للحياة، بل تنطفئ الشمس وتظلم السيارات وتنقرض الأحياء منها، وستظل مواصلة سيرَها في الفضاء الواسع ملايين الملايين من القرون إلى أن تصطدم بعالم آخر قد يعيد إليها الحرارة والنور والحياة بقوة هذا الاصطدام، ولكن السّدُم التي /[431] نراها الآن تكون قد تحولت حينئذ إلى شموس تدور حولها كواكب يتعاقب فيها الليل والنهار، وتنمو على سطحها الحياة، وهكذا على التوالي إلى ما لا نهاية له؛ فالفضاء الآن ممتلئ بعوالم لا يحصيها عدّ:

منها ما ظهر حديثا، أي منذ ملايين من السنين، ومنها ما بلغ دور الشيخوخة، ومنها ما أصبح في حالة الانحلال، ومنها ما لايزال سُدُما غازية:

فها هنا عوالم ممتلئة حياة، وهناك شموس منطفئة، وهنالك سدم في حالة التكون، والقدرة /[432] الإلهية[1775] لا تنقص ولا تزيد، بل هي في حالة نشاط أبدي تعمل على تحويل عوالم الكون من حال إلى حال، هـ بخ[1776].

وقال في أول سورة المائدة ما نص المراد منه:

إن الأرض التي نحن عليها ليست أرقى عالم في الوجود، بل الظاهر أنها عالم متأخر؛ بدليل أن الكشف الحديث دلنا على أن هناك ما يقرب من ثلاثمائة مليون أرض، وتلك الملايين بعضها عوالم أوسع من أرضنا وألطف وأجمل وأبهى /[433] وأعظم بما لا حد له، هـ بخ[1777].

[1775] في الجواهر في تفسير القرآن 150/2: وقوى الطبيعة.

[1776] هي اللطيفة الثانية من الفصل الثاني من القسم السابع في المرجع السابق 146/2- 150 بتصرف يسير.

[1777] انظر المرجع السابق : سورة المائدة، المقصد الثالث 150/3. = =

وقال لدى قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾[1778] ما نصه:

معلوم أن بُعْدَ الأرض عن الشمس 93 مليون ميل، وهذه المسافة يطيرها طائر بسرعة مائة ميل في الساعة الواحدة، وهذه أعظم سرعة للطير- وهي سرعة الطيّارات الحربية أيضا- ، فهذا الطائر بهذه السرعة يصل من الأرض إلى الشمس- بحيث لا يقف ولا ينام ليلا ولا /[434] نهارا، صيفا وشتاء- في مدة مائة سنة وست سنوات ونحو 7 أشهر، وهذا الطائر بهذه السرعة يقطع عرض النظام الشمسي من طرف إلى طرف في مدة 6372 سنة، وهذه[1779] يقطع فيها هذا النظام المشتمل على الشمس وسياراتها- مثل نبتون وأورانوس وزحل لخ-، فالشمس وسياراتها- التي عرفت حديثا وتقدمت في هذا التفسير وعرضها ما ذكرناه[1780]- لم تخرج عن كونها كوكبا صغيرا من مئات الملايين من /[435] الكواكب، وأبعادُها عظيمة جدا، وهذا الطائر يقطع مليون ميل في 416 يوما، ويقطع مليون المليون ميلا في أكثر من مليون سنة.

ومليون المليون من الأميال المذكورة ليس شيئا مذكورا في أبعاد النجوم: فإن أقرب النجوم إلينا من السيارات نجم يسمى "ألفا" في صورة "قنطورس"، وبُعدُه عنا 25 مليون مليون ميل، فهذا الطائر لا يصل إليه إلا بعد 25 مليون سنة، فهذا الطائر لا يصلح أن نجعله مقدّرا بطيرانه بُعد الكواكب، /[436] ولذلك جعلوا المقياس سير النور، وهو يقطع 186000

= = أقول: إن الرقي والتقدم وعلو الشأن لا يقاس بمجرد لطف وجمال وبهاء الأشكال والتضاريس وشساعة المساحات وما إلى ذلك، بل ضابطه هو توفر مُقوِّمات الحياة للإنسان بنِعَمِها المُسَخَّرَة في عمارة الأرض بما شرعه الخالق من السنن والفرض.

والأرض هي المتوفرة على مقومات الحياة تلك المُختصَرَةِ في قوله تعالى: (**ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**) البقرة 36: فالإنسانُ والأرضُ - من خلق الله- والاستقرارُ والمتاعُ - من نعم الله- وخوفُ المحاسبة بعد الموتِ - الذي هو من قضاء الله-: أركانُ كلِّ عمران حضاري راشد: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود 60؛ وذلك بشرط العمل الجماعي الموَحّد المتكامل بدليل ميم الجمع في خطاب الله للإنسان: (ولكم).

ومسألة بسيطة هي أنه لولا إيجاد الله لهذا الإنسان على **هذه الأرض** لما اكتشف ما اكتشفه من عوالم... .

[1778] الأنعام 98.

[1779] أي وهذه المدة.

[1780] انظر الجواهر في تفسير القرآن: سورة الأنعام، المقصد الثاني 4/71- 78.

ميلا في الثانية الواحدة ويصل من الشمس إلينا في نحو ثمان دقائق وثمان ثوان؛ لأن بعدها عنا نحو ستة ملايين مليون ميل.

فنجم "ألفا قنطورس" المذكور يبعد عنا نحو أربع سنوات نورية وربع سنة، وهو يبعد عنا 25 مليون ميل فلا يصل نوره الخارج منه في هذه الدقيقة إلا بعد أربع سنوات وثلاثة أشهر، وقد سافر في كل دقيقة 11 مليون ميل فأكثر، وإذا أطفئ هذا الكوكب /[437] جهلنا انطفاءه مدة أربع سنين وثلاثة أشهر.

ومع هذا فذلك ليس شيئا مذكورا في جانب **الكواكب المدهشة في البعد** جدا:

فلننس الشمس ولننس نجمة "قنطورس" وأمثالها، ولنسر في الفلوات والمساحات الواسعة السماوية، ولننظر هذا الملك المعدّ لنا لتسبح فيه أرواحنا وتطلع على العوالم الجميلة:

فهناك ما بُعدُهُ من 120 سنة نورية إلى 140 سنة نورية أيضا، وهي نجوم الثريا وكذلك "القلاص"، /[438] وهناك نحو 70[1781] مجموعة مثل مجموعة الثريا ومجموعة القلاص تبعد 300[1782] سنة نورية. والمساحة[1783] التي فيها هذه المجموعات السبعون تبلغ مائة ألف سنة نورية. ووجد بُعد سَدِيم ممسك الأعنة خمسة آلاف سنة نورية، وسديم الدجاجة[1784] كذلك خمسة آلاف سنة نورية، وسديم العقاب بعده سبعة عشر ألف سنة نورية، وقطر المجرة مائة ألف سنة نورية، وبُعد السديم الذي في المرأة المسلسلة[1785] نحو ستمائة ألف /[439] سنة نورية، وسديم مجلان

[1781] في المرجع السابق 88/4 : 80.

[1782] في المرجع السابق : 1300.

[1783] في المرجع السابق : والمسافة.

[1784] "إن النجوم متناثرة في الفضاء اللامحدود دون أن تخضع إلى نظام وترتيب محدودين؛ فبعضها متقارب والبعض الآخر بعيد جدا، وإذا قمنا برسم خطوط خيالية تصل بين نقطها فإننا سنحصل على رسوم غريبة، وهذه الرسوم هي المُظهرة لشكل كواكب النجوم المختلفة، وقد ألهَم الشكلُ المُمَيِّز لكل كوكبة الأقدمين صُوَرا للحيوانات والأشياء والشخصيات الأسطورية"؛ فكان الإنسان "يربطها بحياته أثناء السلم والحرب وبأعماله المعاشية كالزراعة والصيد وغيرها وإبداعاته الأدبية والشعرية" الموسوعة الحديثة 16/1.

[1785] "... فمجرَّة المرأة المسلسلة Andromeda **يتوقع لها** أن تقابل عن كثب درب التبانة بعد نحو ثلاثة بلايين سنة، وهذا الحادث سيزيح معظم النجوم في القرص عن مداراتها النظامية" ==

بُعده ستون ألف سنة نورية، وهناك سديم سعته مثل سعة سديم المرأة المسلسلة يبلغ نحو عشرين مليون سنة نورية- وقد علمنا أن المسافة بيننا وبين الشمس لا تبلغ في السير إلا مدة ثمان دقائق وثمان ثوان- فكيف يكون ذلك البعد الشاسع وقد سار النور فيه عشرين مليون سنة؟ وكيف تكون مقادير الكواكب البعيدة عنا؟.

إن شمسنا بالنسبة لتلك الكواكب ذرة صغيرة.

وقد /[440] قسموا **أقدار الكواكب** إلى عشرين قسما على حسب **التقسيم الحديث**:

والعين ترى ستة أقدار فقط، ويبلغ ما تراه العين ستة آلاف نجم. وترى العين بالمنظار المعظم الذي بلورته من بوصتين إلى ثلاثمائة ألف نجمة، أي إلى القدر السابع عشر.

ونجوم القدر الأول 14، والثاني 27، والثالث 73، والرابع 189، ثم 650 ثم 2200 ثم 6660 ثم 22550 ثم 65000، وهكذا إلى القدر العشرين فإنه ستة وسبعون مليونا (76000000).

/[441] ومجموع هذه الكواكب 224 مليون كوكب، وهناك كواكب أخرى - لا يحصرها العد- لم يمكن تمييزها وستظهر بعد حين.

وقد قام أخيرا[1786] بعض الفلكيين[1787] بإحصاء مدهش- سلم صحته أشهر علماء الفلك في هذا العصر- وبيّن فيه **عظم المسافات** التي تفصل بيننا وبين السُّدُم الحلزونية:

فالسديم [أندروميد][1788] يبعد عنا مسافة يقطعها النور في مليون ونصف مليون سنة - وسرعة النور ثلاثمائة ألف كيلومترا في الثانية كما هو/[442] معلوم-، وهو عظيم جدا بحيث لا يقطعه النور من أحد طرفيه

= = ملاذات للحياة في كون عدائي: مقال لكونزاليس وبراون لي وارد بمجلة "مجلة العلوم" المجلد 19 ص62: غشت- شتنبر 2003.

[1786] صدر هذه العبارة في الجواهر في تفسير القرآن 88/4 بقوله : "هذا ولأذكر لك آخر ما وصل إليه الناس عند طبع هذا الكتاب إذ جاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم الأحد 8 أغسطس سنة 1926 ما يأتي بالحرف الواحد".

[1787] وهو "العلامة كنوت لندمرك" كما في المرجع السابق 89/4.

[1788] في المخطوط: أندردميد، وانظر ص257 والموسوعة الحديثة 9/1.

إلى الطرف الآخر بأقل من ستين ألف سنة، مما يدل على أن حجم هذا السديم لا ينقص كثيرا عن حجم المجرة.

وهناك سديم آخر يعرف باسم "ن ج ت 4486" يبعد عنا مسافة ثمانية ملايين سنة نورية، أي أن النور يحتاج إلى هذه المدة لكي يصل إلينا منه، وإذا انقرض هذا السديم اليوم فإننا لانعرف انقراضه؛ ولا ينقطع نوره عنا /[443] إلا بعد ثمانية ملايين سنة.

وقد أثبتوا[1789] أن السّديم المعروف باسم "ن ج ت 4594" يبعد عن أرضنا مسافة 56 مليون سنة نورية، أي أننا إذا نظرنا إليه اليوم بالنظارات الكبيرة نراه كما كان قبل 56 مليون سنة.

وهذه السدم العظيمة لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة إلى الكون الذي لا يتناهى، هـ بخ[1790].

وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾[1791] ما نصه:

وأنت تعلم أيها القارئ /[444] مما تقدم كيف كانت الأرض دائرة حول الشمس ولها أخوات يسرن معها حولها وبينهن مسافات معلومة مرسومة والشمس جاذبة لهذه السيارات، وهذه الأرض والسيارات مركبة من معادن وصخور وموادّ ملتهبة كالتي تتركب منها الشمس، والشمس تزن سبعمائة مرة مجموع الكواكب التي تدور حولها، وهي مقدار وزن الأرض 324 ألف مرة.

وهناك في السماء عوالم تسمى السدم - جمع سديم- /[445] أشبه بسحاب غير ظاهر التكوين، وله مركز أشد وضوحا مما حوله، فهذه السدم تملأ فراغا وتصنع فيه حركات دورية وهي لم تزل في حالة التكوين؛ فهذا يفيد أن الشمس وما حولها قد كانت على هذه الحال قديما.

وقد وجدوا من هذه السدم 60 ألفا، وقد وجدوا حركة ذلك السديم

[1789] أي "العلامة لندمرك" كما في الجواهر في تفسير القرآن 89/4.

[1790] الجواهر في تفسير القرآن : سورة الأنعام، المقصد الثالث، اللطيفة الثالثة 88/4 و89 بتصرف يسير.

[1791] الأعراف 185، وفي المرجع السابق 251/4: "كل ما جاء في هذه السورة مقدمة لهذه الآيات، أي قوله تعالى: (أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) لخ".

وتكونه شيئا فشيئا وهو دائر حول المركز أشبه بحال سائل في الإناء كزيت مثلا أدرناه، فإنه /[446] ينقسم إلى دوائر وحلقات تدور حول المركز كما تدور السيارات حول الشمس، هـ بخ[1792].

وقال في قوله تعالى: (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)[1793] ما نص المراد منه:

الكواكب على قسمين- ثوابت وسيارات-:

أما **الثوا بت** فهي أكثر، التي نراها في السماء كل ليلة، وهي تبلغ مئات الملايين بالمناظير المكبِّرة، وقد قسمها **الأقدمون** إلى عدة صور، والمنقول عن بطليموس أن تلك الصور 48، منها 21 في الشمال، /[447] و15 في الجنوب، و12 في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل.

ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على 1029 نجمة عند القدماء، منها 361 للصور الشمالية، و318 للصور الجنوبية، و350 للصور المِنطَقِية.

والإثنتا عشرة صورة المنطقية هي المنازل المعروفة (أي البروج)[1794]:

وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

والإحدى والعشرون الشمالية منها:

/[448] الدب الأصغر- أو بنات نعش الصغرى-، والدب الأكبر- أو بنات نعش الكبرى-[1795]، والثعبان والملتهب والعوّاء والجاثي على ركبتيه

[1792] الجواهر في تفسير القرآن : سورة الأعراف، القسم التاسع، اللطيفة الثانية 258/4. وانظر الموسوعة الحديثة 8/1.

[1793] الأنعام 91.

[1794] هي من إضافة المؤلف في الهامش بعبارة "صح".
وتسمى أيضا "فلك - أو منطقة- البروج الذي اشتُق اسمه اللاتيني (زودْيَاك) من اللغة اليونانية معناه: طريق الحيوانات، يتكون من اثنتي عشرة كوكبة ...، وتتلاحق هذه الكواكب بفاصل منتظم إلى حد ما بحيث نشاهد تعاقبها في السماء بمعدل كوكبة في الشهر بَدْءا بكوكبة الحمَل التي تظهر يوم 21 مارس، وانتهاء بكوكبة الحوت" الموسوعة الحديثة 16/1.

[1795] هذه الجملة الاعتراضية من إضافة المؤلف.
"وأشهرها كوكبة الدب الأكبر وهي مكونة من سبعة نجوم؛ أربع منها تمثل المركبة والثلاثة الأخرى متراصّة على شكل عريش. أما كوكبة الدب الأصغر فتشمل بدورها سبعة نجوم تمثل مركبة= =

والمرأة المسلسلة، لخ.

والخمس عشرة صورة الجنوبية[1796] منها:

قيطس والجبار ونهر الأردن والأرنب والكلب الأصغر والكلب الأكبر والسفينة والشجاع والكأس والغراب والمجمرة وسنطورس، لخ.

وقد جعلوا هذه النجوم أقدارا، فأضوؤها القدر الأول ويليه القدر الثاني.

و**المتأخرون** حافظوا على هذا التقسيم، ولكنهم /[449] رأوا أن النجوم أكثر حتى جعلوها ستة آلاف نجمة لذوي الأبصار الحادة، ومئات الملايين بالآلات الراسمة، ومن هذه الثوابت ما ياتي:

فالأول النجوم المتغيرة: فلا يحفظ ضوءها شدة واحدة، وهذا التغير فيها إما لمدة معلومة أم لا[1797].

والثاني النجوم الوقتية الجديدة: فقد تظهر نجوم في محالّ من السماء - لم يُر فيها نجوم من قبل- ثم تختفي[1798]، مثل النجمة المشهورة التي رصدوها سنة 1572 /[450] في وسط ذات الكرسي، فكانت أضوأ كوكب في السماء ثم أخذت تنقص تدريجا ثم اختفت بعد 17 شهرا.

والثالث النجوم التي ظهرت ثم بقيت مثل نجمة ظهرت في صورة الإكليل الشمالي سنة 1866، ظهرت كلؤلؤة ثم ضعفت ولا تزال إلى الآن، ولكن ترى بالمناظير.

= = صغيرة وتُعرَف آخرُ نجمة في عريشها بالنجم القطبي ... تدلنا على جهة الشمال" الموسوعة الحديثة 16/1.

[1796] "ونذكر منها على سبيل المثال كوكبة الجبار المستعملة كذلك في الاستدلال عن الاتجاه، وكوكبة العيّوف (أو الظلمان) وكوكبة الكلب ثم كوكبة صليب الجنوب" المرجع السابق.

[1797] "نجوم متغيرة النورانية ...، تتضاعف نورانية النجمة بانتظام ثم تبدأ في التقلص...، وتُعرف هذه النجوم بالنجوم المتغيرة المتذبذبة، ولا يُعرَف لحد الآن السببُ الحقيقي لاهتزازها" الموسوعة الحديثة 15/1.

[1798] "... ومرد هذه الظاهرة إلى انفجار كوكب أو ولوج كتلة نجمية في سديم ...، ويرجع الاشتعال المباغت لنجمة جديدة إلى نوع من الاضطرابات الحاصلة داخل النجمة ذاتها" الموسوعة الحديثة 13/1.

والرابع النجوم التي اختفت ولم ترجع.

والخامس النجوم المزدوجة: إذ بعض النجوم التي نراها واحدة بالعين تكون في الواقع نجمتين[1799]، وقد عدّوا منها /[451] 700 مجموعة إلى الآن.

والسادس النجوم المضاعفة: بأن تكون النجمة واحدة بنظر العين ولكنها تكون ثلاث أو أربع شموس بالمنظار، ومنها نجمة من الجبار مركبة من ست شموس.

والسابع القِنْوانُ والسِّدامُ:

فالقنوان جمع قنو، مثل صورة الثريا الموضوعة في صورة الثور، وهي مركبة من ثمانين نجما، وست منها ترى بالعين.

والسِّدامُ جمع سَديم، وهو الضباب الرقيق، وعند /[452] الفلكيين[1800]: نجوم صغيرة القدر جدا متقاربة حتى ترى كأنها سحابة أوضباب أو قطعة نيرة سحابية لا تحل إلى نجوم مفردة بالنظارات القوية، وملخص هذا النوع ثلاثة أقسام:

فإن أمكن حله بالنظارات سمي مجموعة كوكبية مثل "قنو توكان"، وهذا في قسم السماء الجنوبي، ويرى دائما بالعين العادية، وإن أمكن حل البعض منها فإنها ترى على هيئة شكل منتظم كثيرا أو قليلا، /[453] وإن لم يمكن حلها أصلا فشكلها الذي يرى يكون غير منتظم.

والثامن طريق التبانة[1801] أو المجَرّة- وهما مترادفان- وهي منطقة

[1799] "ويمكن القول: إن 80% بالمئة من نجوم المجرة نجوم مزدوجة، وهي نجوم تسري مثنى مثنى، وتدور النجمة الصغيرة حول النجمة التي تكبُرها حجما، وغالبا ما يقترب عنصرا النظام المزدوج من بعضهما إلى درجة تشويههما معا بفعل قوى الجاذبية ..." المرجع السابق.

[1800] انظر حديث الفلكيين عن السدم في الموسوعة الحديثة 8/1، وقد سبق في هامش ص258.

[1801] "ويقسم الفلكيون عادة درب التبانة إلى أربع مناطق متراكبة: الهالة، الانتفاخ، القرص السميك، والقرص الرقيق.

وتدور النجوم في كل من هذه المناطق حول مركز المجرة تماما كدوران الكواكب في نظامنا الشمسي حول الشمس: وتميل الهالة والقرص السميك إلى احتواء النجوم الهرمة والفقيرة بالفلزات ...، هذا وإن للنجوم الموجودة في الانتفاخ نطاقا واسعا من الفلزية ...، والقرص الرقيق هو موطن الشمس ..." ملاذات للحياة في كون عدائي: مقال لكونزاليس وبراون لي ووارد بمجلة "مجلة العلوم" المجلد 19 ص57: غشت- ستنبر 2003.

ضيقة بيضاء يراها الناس جميعا في الليالي الصافية، تقسم الكرة السماوية إلى قسمين متساويين تقريبا، ولا تقل النجوم التي فيها عن 18 مليون نجمة.

ولبُعدِ هذه[1802] النجوم ترى كأنها لبن أو تبن، هذه هي النجوم الثابتة.

أما **السيارا ت:**

فإنها قليلة /[454] جدا، والفرق بينها وبين الثوابت: أن الأولى ضوؤها هادئ ساكن، وأن الثانية متلألئة الضوء.

وتظهر كأنها نقط مضيئة، قطرها الظاهر صغير جدا بحيث لا يمكن قياسه، ولبعض السيارات أشكال كأشكال القمر[1803].

وقد لاحظ الناس **قديما** أن بعض النجوم لها حال خاصة:

مثلا يرون في ليلة ما أن كوكبا من هذه الكواكب ظهر بجوار نجم ثابت، وفي الليلة الثانية يرون أنه قد تأخر قليلا إلى المشرق، وهكذا /[455] كل ليلة، ولا زالوا يراقبون كوكبا فكوكبا حتى عرفوا هذه الكواكب على هذا الوصف:

وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وأضافوا إلى هذه الخمسة القمر والشمس.

ولما رأى **علماء العصر** الحاضر أن الشمس مركز العالم - أي مداره- وأن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض تدور حول الشمس - بعكس ما كان يظنه الأقدمون أن الأرض مركز العالم والشمس والقمر وغيرهما يدرن حولها-، فلما عرف المتأخرون ذلك /[456] لم يعتبروا الشمس ولا القمر من السيارات، بل جعلوا الأرض سيارا كأخواتها الخمس المذكورات وزادوا عليها ما كشف سنة 1781 وهو "أورانوس"، وما كشف سنة 1846 وهو "نَبتون"؛ فتكون السيارات إذا ثمانا، والأرض منها[1804].

وكل هذه السيارات تتم دورتها حول الشمس في أزمان غير متساوية

[1802] مكررة في المخطوط.

[1803] "والكواكب السيارة عبارة عن أجسام سماوية منطفئة، ونحن نتمكن من رؤيتها لأنها تعكس نور الشمس، وتُعرَف قدرتُها العاكسة ب"البياض"، ويرجع أصلها إلى العلاقة الموجودة بين الضوء المُنعكس وبين النور المُلتَقط من الشمس" الموسوعة الحديثة 25/1. وانظر أيضا هامش ص245.

[1804] انظر الموسوعة الحديثة 25/1 و28.

وغير متغيرة.

وقد وجدوا أنه كما أن للأرض قمرا فللمريخ قمران، وللمشتري ولأورانوس لكل منهما أربعة أقمار، /[457] ولزحل ثمانية، ولنبتون واحد كالأرض.

وترى للزهرة ابتعادا عن الشمس بعد غروبها، ولا تزال تبتعد ليلة فليلة بحركة تسمى طردية إلى أن تبلغ 48 درجة تقريبا يراها جميع الناس مساء، وكان يسميها الأقدمون "نجمة الليل"، ثم تكرّ راجعة بحسب مرأى العين حتى تختفي تحت أشعة الشمس، وبعد أيام قليلة تظهر قبل شروق الشمس وتسمى "نجمة الصبح"، وهذه تسمى حركة تقهقرية؛ /[458] لأنها من الشرق إلى الغرب حتى تبلغ 48 درجة، ثم تصير حركتها طردية ثانيا - أعني من المغرب إلى المشرق-، وتدخل تحت الشمس.

وهذا كله بحسب الظاهر، وإلا فإن الحقيقة أن لا رجوع ولا وقوف وإنما ذلك بحسب النظر الظاهري الذي يحصل بسبب دوران الكوكب في مداره، كما هو معروف في محله بالبرهان.

وهذه الظواهر التي تراها بعينك للزهرة تراها أيضا لعطارد الذي هو وهي سياران سفليان، /[459] وإنما يتباعد هو 23 درجة فقط، ومدة الدورة الاقترانية للزهرة 584 يوما، ولعطارد 116 يوما، وأما المريخ فإنه يبتعد إلى 180 درجة، فله ولسائر الكواكب العليا اجتماع واستقبال كالقمر، وأما الزهرة وعطارد فليس لهما إلا الاجتماع، أما الاستقبال فهو مستحيل؛ إذ الاستقبال لا يكون إلا بالمقابلة على بُعد 180 درجة، وهذان لا يبتعدان إلا إلى 23 درجة لأحدهما، و48 للثاني، فكيف يكون /[460] استقبال كاستقبال القمر؟، وللمريخ حركة طردية وتقهقرية بحساب أوسع مما تقدم[1805].

[1805] "والنهار هو الزمان الذي تستغرقه [أي الكواكب السيارة] أثناء القيام بدورة كاملة حول نفسها، وبطبيعة الحال فإن لكل "نهار" مدته الزمانية الخاصة به: فنهار الأرض مثلا يستغرق 24 ساعة، ونهار عطارد يعادل 88 يوما أرضيا، أما نهار المشتري فيعادل عشرة أيام من الأيام الأرضية. أما السنة فهي الزمان الذي يلزم كل كوكب لإنجاز دورة حول الشمس؛ وهكذا فالسنة الأرضية تستغرق 365 يوما، وسنة المشتري تعادل اثنتي عشرة سنة أرضية، بينما تعادل سنة المريخ 687 يوما. وتقوم الكواكب السيارة بإنجاز حركتين أساسيتين؛ حيث تدور حول محورها وحول الشمس ..." الموسوعة الحديثة 25/1.

هذا بيان وصف ا لسيارات[1806]:

عطارد:

أقرب السيارات إلى الشمس، [يُتِمّ][1807] دورته في 88 يوما تقريبا، وترى الشمس فيه أكبر سبع مرات بما ترى من الأرض، وشدة ضوئها وحرارتها تكون أكبر سبع مرات أيضا منهما على الأرض، وله أشكال كأشكال القمر - أي يكون هلالا ثم بدرا-.

/[461] **الزهرة:**

الشمس ترى فيها أكبر مما ترى في الأرض مرتين تقريبا، وكذا الحرارة والضوء. وحجم عطارد صغير جدا، أما حجم الزهرة فإنه يقرب من حجم الأرض. وأيام دورتها 225 يوما تقريبا.

الأرض:

محيط الأرض يبلغ 40 مليون مطر، ونصف قطر خط الاستواء (أمطار [6387400] [1808])، أعلى الجبال المعروفة لا يزيد علوه عن سطح الماء 9000 مترا، وهو جزء من سبعمائة (700) /[462] جزء من نصف قطر الأرض.

وإذا رسم على كرة - قطرها مِطْر- لايزيد ارتفاع أعلى الجبال كجبال هملايا عن السطح العمومي بأكثر من مليمطر ونصف، والعمق المتوسط للبحار 600 مطر، ونهاية عمق البحار عشرة آلاف (10000) مطر[1809]، والسطح الكلي للأرض يبلغ 509 مليون كيلومطر مربعا، ومياه البحار تشغل منه ثلاثمائة مليون وثلاثة وثمانين مليون (383000000) كيلومطر

[1806] انظر الحديث عن هذه السيارات - وكذا الكوكب التابع "بُلوتون" الذي يفلت من نيبتون- في الهوامش السابقة ابتداء من ص 243، أما ما يتعلق بالأرض فانظر الحديث عنها بصور موضّحة في الموسوعة الحديثة 28/1 و39- 51.

[1807] ساقطة من المخطوط ، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 73/4.

[1808] في المخطوط: 400 378 6، والتصويب من المرجع السابق والموسوعة الحديثة 40/1.

[1809] "وقد توصل العلماء بفضل السابرات الرَّجعية إلى رسم خرائط مفصلة لقيعان المحيطات وقياس أقصى أعماقها ...، فالمحيط الهادي هو أكبر المحيطات ... ويصل معدل عمق قاعه إلى 4000 متر ...، ويبلغ معدل عمق المحيط الأطلسي 3300 م؛ وهو بذلك المحيط الأقل عمقا. أما المحيط الهندي فهو أصغر المحيطات ..." الموسوعة الحديثة 60/5.

مربعا[1810]، واليابسة مائة وستة وعشرون /[463] مليون (126000000) مطر مربعا، وحجم الأرض يزيد على ألف مليار كيلو مطر مكعب، وسمك الجو قدره ثمانية وأربعون ألف مطر، ومدة دورة الأرض حول الشمس 365 يوما -أي سَهْص- و256 جزءا من ألف جزء من اليوم، وبُعد الأرض عن الشمس يساوي 92 مليون ميل تقريبا، ويقطع الضوء المسافة المذكورة في ثمان دقائق وثواني (18)، والقطار السريع في 350 سنة تقريبا، وقلة[1811] المدفع في 12 سنة تقريبا.

/[[464] **المريخ:**

السيار الذي يلي الزهراء بالنسبة للشمس هو الأرض، وقد تقدم الكلام عليها، والذي يليها هو المريخ، وبُعده المتوسط عن الشمس قدْرَ بُعدِ الأرض عنها ونصف مرة، ومقداره 225 مليون كيلومطرا. ويرى قرص المريخ من الأرض ذا أشكال، ولا يظهر وقت البدر كامل الاستنارة[1812] بل يشبه قرص القمر قبل أو بعد البدر بيومين أو ثلاثة.

وحجم المريخ يبلغ نحو سدس /[465] حجم الأرض (147)، ويظن أن فيه بخارا وغازات وسحبا وقطبين يخيّم عليهما الثلج ويتراكم ويمتد شتاء هناك، ويقل امتداده في صيف المريخ، فهو في هذا كالأرض.

وقد كشف قمراه عام 1877 وهما "فوبوس" و"ديموس"، وأولهما أقرب إليه من ثانيهما. وسنة المريخ "686"[1813] و"980" جزء من ألف جزء من اليوم.

المشتري وأبعاده:

هو أكبر جميع السيارات، وحجمه قدر حجم الأرض 1300 مرة، وقطره يساوي /[466] مائة ألف وأربعين ألف كيلومطر، فهو قدر خط

[1810] وفي الموسوعة الحديثة 57/5: "تغطي المياه البحرية نسبة 70% من مساحة الكرة الأرضية، أي ما يعادل 361 مليون كيلمتر مربع"، وفي الصفحة السابقة منها: "ويكاد العلماء يجزمون بأن الأرض هي الكوكب الوحيد في النظام الشمسي الذي يتوفر على مثل هذه الكمية الهائلة من الماء، وحسب ما توصل إليه العلماء حاليا فإن الماء لا يشكل في الكواكب الأخرى سوى كميات محدودة جدا إنْ لم يكن منعدما بها".

[1811] وقلة كل شيء: رأسه وأعلاه. وقلة السيف: قبيعته. انظر اللسان: قلل.

[1812] في الجواهر في تفسير القرآن 73/4: الاستدارة.

[1813] أي يوما.

الاستواء الأرضي 11 مرة، وبُعده عن الشمس في المتوسط 770 مليون كيلومطرا. وسنة المشتري تعادل 12 سنة من السنين الأرضية. وله جو يظن أنه سميك جدا، وفيه كتل سحابية تحملها رياح كما في الأرض وهي منتظمة[1814]. وقد بلغت أقماره المكتشفة لحد الآن تسعة أقمار، وآخرها كشف قبيل سنة 1920.

/[467] **زحل:**

امتاز زحل بأن له حلقات منفصلة عن الكرة، وتدور حوله في خط استوائه. والبُعد المتوسط لزحل عن الشمس قدْر بُعدِ الأرض عنها تسع مرات ونصف - أعني 1400 مليون كيلومطر تقريبا-، ويقطع مداره في 10759 يوما - أعني في 29 سنة ونصف تقريبا-.

وقدر حجم زحل قدر حجم الأرض الذي عرفته: 718 مرة، وقطره 9299 بأخذ نصف قطر الأرض وحده. وفصوله متشابهة /[468] لفصول أرضنا، وكل فصل من فصوله تزيد مدته على سبع سنين من السنين الأرضية. وله ثلاث حلقات سمكها رقيق جدا، وعروضها غير متساوية، والوسطى أكثر إضاءة من زحل، وله أقمار عشرة[1815].

أورانوس:

كشفه "هرشل"[1816] عام 1781، وحجمه قدر حجم الأرض 69 مرة، وبُعده المتوسط عن الشمس 675 مليون فرسخ، ودورته 84 سنة /[469] تقريبا، أو أيام 30687، وله أربعة أقمار.

نبتون:

هو لا يتم دورته حول الشمس في أقل [من][1817] 125 سنة تقريبا، ولا

[1814] في المرجع السابق 74/4 : وهي منتظمة انتظامها.

[1815] "وهي ثمانية، وقد سماها العلماء بأسماء ...، هذا ما تلقيناه من أستاذنا المرحوم حسن أفندي حسني، ثم كشف بعد ذلك قمران، أحدهما سنة 1898، والثاني سنة 1904، كشفهما عالم أمريكي ..." المرجع السابق 74/4 و75.
وكما سبق التعليق عليه في ص 243: "... إلا أنه في 2 سبتمبر 1979 تأكد العلماء من وجود الكوكب التابع الحادي عشر، وذلك بفضل المركبة الأمريكية بيونير 2" الموسوعة الحديثة 34/1.

[1816] هو وليام هرشل فلندي إنجليزي من أصل ألماني، ولد سنة 1738م وتوفي سنة 1822م. انظر المنجد في الأعلام ص727.

[1817] ساقطة من المخطوط ، والصواب إثباتها.

يمكن أن يرى بالعين المجردة، وقطره يساوي 380 إذا أخذ قطر الأرض وحده، وحجمه قدر حجم الأرض: 55 مرة. وله قمر واحد يُتمّ دورته حوله في خمسة أيام وإحدى وعشرين ساعة.

سيارات صغيرة:

هناك منطقة بين المريخ والمشتري رأوا فيها كواكب صغيرة جدا، /[470] كأنها كانت كوكبا - مثل المشتري أو نحوه- ثم تحَطَّم، وهذه شظاياه وقطعه، فهي تدور في مداره بين الكوكبين[1818].

وهناك **ذوات الأذناب** المسماة عند القدماء ب"**ذوات الشعور**"، وهي عدد عظيم من الكواكب التي تتحرك حول الشمس ولها أذناب كأنها سحابات مستضيئات[1819]، وقد شوهدت نجوم ذات ذنبين بل أكثر، وذات الأذناب تزيد على 800، وبزيادة الكشف الحديث يحتمل أن تعدّ بالملايين في المستقبل؛ /[471] قال بعضهم[1820]: إن عدد ذوات الأذناب كعدد سمك البحار.

ومن ذوات الأذناب ما علم أن مدة دورتها حول الشمس تعدّ بألوف السنين أو بمئات الألوف منها، ومنها ما يؤمل رجوعه عن قريب.

[1818] انظر الموسوعة الحديثة 31/1 ومما ورد فيها مايلي: "وقد قدِّر عددها بحوالي 100000 كوكبا على الأقل، وهي في أغلب الحالات صغيرة الحجم: فكوكب "سيريس" وهو أكبرها كتلة يتوفر على نصف قطر يبلغ 325 كلم، إلا أن الكواكب الأخرى لا يتعدى نصف قطرها كيلمترين. وأشكال هذه الكواكب الصغيرة غير منتظمة، وهي تسافر مجتمعة في كوكبات متعددة ...".

[1819] "في العصور القديمة كانت المذنبات (الأنجم ذوات ذنَب) تعتبر من دلائل الشؤم، وهي عبارة عن أجسام سماوية غريبة ذات تحركات مدارية إهليلجية حول الشمس. والمذنبات الموسمية تظهر في أزمنة متفاوتة، بينما المذنبات غير الموسمية تغيب بصفة نهائية، وفي هذه الحالة يكون مدارُها مُكافئا.

وتوجد بمركز المذنَّب نواة مضيئة ...، وتحيط بهذه النواة طبقة متلألئة تُعرف بالذيل تمتد على شكل ذنب قد يصل طوله 300 مليون ويتخذ أشكالا غريبة ..." الموسوعة الحديثة 14/1.

وتوجد "آلاف المليارات من المذنبات" اكتشاف النظام الشمسي: مقال لأندري براهتش بمجلة Pour la science الفرنسية، أكتوبر 2002 ص43.

"... ومن ناحية أخرى فإن لتهديد المذنبات أثرا كبيرا في البيئة المجرية، ويُعتقد بأن المذنبات تستقر في حوضين - لمدة طويلة- هما حزام كويبر Kuiper (الذي تقع بدايته وراء كوكب نبتون مباشرة)، وسحابة أورت Oort (التي تمتد إلى نصف المسافة التي تفصل الشمس عن أقرب نجم)" ملاذات للحياة في كون عدائي: مقال لكونزاليس وبراون لي وارد بمجلة "مجلة العلوم" المجلد 19 ص59: غشت- شتنبر 2003.

[1820] وهو كبلر، كما في الجواهر في تفسير القرآن 75/4.

ومن المعروفة جدا المذنب المسمى "**هالي**" ومدة دورتها 76 سنة تقريبا حول الشمس، - أقول: وقد ظهر في مارس عام 1911-[1821].

ومنها ذات الذنب "**انك**" ومدتها 3 سنين و310 أيام.

وهناك /[472] ذوات أذناب قال الفلكيون برجوعها ولم ترجع.

وقد ظهرت في الجيل التاسع عشر ذوات أذناب لامعة لمعانا شديدا، وأشهرها التي ظهرت سنة 1811، وقد أثرت أثرا غريبا، وهي لا ترجع إلا بعد ثلاثة آلاف سنة.

وذات الذنب التي ظهرت سنة 1845 هي ألمع جميع ما رؤي من ذوات الأذناب حتى إن قلبها وجزءا من ذنبها كان يُرى في النهار وهي قريبة من الناظر إليها. وضوء /[473] ذوات الأذناب من انعكاس ضوء الشمس.

الشهب: يرى الناس في أكثر الليالي ما يشبه شعلا نارية تمرّ بسرعة في الجو ترسم منحنيا مستضيئا، وتختفي بسرعة بعد بضع ثوان، وتسمى "نجوما ساقطة وشهبا"، وما هي إلا أجسام صغيرة جدا تجري حول الشمس كما تجري ذوات الأذناب والسيارات الكبيرة والصغيرة، فمتى قابلت الجو /[474] الأرضي سخنت بمقابلة الهواء لها حتى تصير لامعة من الاحتراق، ويُرى وراءها ذيل مضيء ناشئ من احتراقها، ويُرى ثواني أو دقائق ثم يختفي، وقد تكثر تلك الأجسام في بعض الليالي مثل العاشر من شهر أغسطس ونحوه.

و**الكرات النارية** كالشهب غير أن حركتها بطيئة، وتحدث فرقعة بالقرب من الأرض، وما وقع منها على الأرض يسمى "الحجارة الجوية"، والكرات النارية قليلة.

/[475] فهذا بعض ملكوت السماوات والأرض، فانظر إلى هذا الكون الشاسع وهذه السيارات الجميلة والأقمار الباهرة والأبعاد الكبيرة والأنوار الساحرة وذوات الأذناب التي لا ترجع والتي ترجع بعد آلاف السنين، وكيف كانت شمسنا[1822] لها هذه الحاشية العظيمة المختلفة الأقدار

[1821] هذه الجملة الاعتراضية من إضافة المؤلف.

[1822] في المخطوط الفتحة على حرف السين، والنون بدون نقطة.

والأبعاد والأشكال والأزياء والملابس والأعمال:

فمن زحل والمشتري العظيمي الحجم إلى شهب لا تتجاوز الواحدة منها قدر بلاطة - أي زليجة-[1823]، /[476] كل هذه تجري حول شمسنا كما تجري أرضنا[1824].

وأما **القمر:**

فسطحه يساوي واحدا من 14 من سطح الأرض تقريبا، وحجمه يساوي واحدا من خمسين من حجمها تقريبا، والبُعْدُ المتوسط لمركز القمر عن مركز الأرض يساوي نصف قطر خط الاستواء الأرضي 6273[1825] مرة. وللقمر اثنان وعشرون جبلا يزيد ارتفاعها عن 4800 مطر[1826]، وهو ارتفاع[1827] الجبل الأبيض، وقد سماها العلماء بأسماء وقاسوها بالأمطار، /[477] مثل ارتفاع جبل "دورفيل" وهو 7603 أمطار.

وتلك الجبال صفتها بركانية بالكلية، ولها من أعلاها فوهات مستديرة، قطرها يبلغ 15 فرسخا، وعمق التجاويف يزيد على الارتفاع الخارجي، وقد يصل الفرق إلى 7000 أو 8000 مطر.

وليس للقمر جو و ماء على سطحه، وعرفوا هذا بكسوف النجوم التي تمرّ خلف الحافة المظلمة بقرص القمر، فإنها تنطفئ بغتة، فلا يحصل فيها نقص تدريجي بسبب /[478] غاز يحيط به. وإذا انتفى هذا فلا يكون هناك بحار ولا نوع من السوائل، وكيف يكون هناك ماء! والماء لا يحفظه من الانطلاق في الجو على هيئة بخار مرة واحدة إلا ضغط الجو الهوائي، فإذا لم يكن جو ذهب الماء حالا؛ فإذن لا يمكن أن يكون هناك نبات ولا حيوان، فالغالب على الظن أن القمر غير مسكون[1828].

وأما **الشمس:**

فنصف قطرها 692000 كيلومطر، وسطحها قدر سطح الأرض

1823 هذا الشرح من إضافة المؤلف.

1824 "وبهذا انتهى الكلام على لفظ "كوكب" المذكور في الآية" الجواهر في تفسير القرآن 76/4.

1825 في المرجع السابق : 273 60.

1826 في المخطوط : مطرا، وهو خطأ.

1827 في المخطوط: ارتباع.

1828 انظر الحديث عن القمر بصور موضّحة في الموسوعة الحديثة 52/1- 56.

فيما تقدم 11800، /[479] وحجمها قدر حجم الأرض 1280000 مرة، وبُعدُها عن الأرض تقدّم[1829]، وضوء الشمس أشد من ضوء 15000 شمعة، وهو قدر ضوء البدر 300000 أو 800000: أي يلزم ثلاثمائة ألف بدر أو ثمانمائة ألف بدر في السماء لإحداث نهار مضيء كنهار الشمس في وقت صحو.

هذا عجب عجاب، إن مسألة الأنوار ذات حكمة عالية ترينا اختلافا باهرا، فبينما نرى الكواكب في السماء وهي تبلغ ستة آلاف أو أقل أو أكثر ترى بالعين /[480] المجردة، وكل منها له نور ومع ذلك لا تضيء لنا الطرق لضعف ضوئها الواصل إلى أرضنا:

فالنجمة الواحدة ضوؤها جزء من ستة آلاف جزء من المجموع، وهذا كله ليس شيئا مذكورا بالنسبة للبدر الذي نوره جزء من [ثمانمائة ألف][1830] جزء من نور الشمس، ونور الشمس جزء من ثمانية آلاف جزء من نور السماك الرامح، والسماك الرامح وراءه كواكب أضوأ منه.

وهذا غاية العجب أن يكون ضوء /[481] الكواكب الواصل إلينا جزءا من[1831] مئات الآلاف من ضوء البدر، وهو جزء من مئات الآلاف من ضوء الشمس، وهو جزء من آلاف من ضوء كوكب آخر يبعد عنا مائتي سنة بسير النور، وهوالسماك الرامح، فاختلاف الأنوار المشاهدة يفوق التصوّر: فإن نسبة البدر إلى السماك الرامح جزء من ستة آلاف وأربعمائة مليون من ضوء السماك الرامح.

وأما نسبة ضوء الشمس إلى أضواء الكواكب على حسب /[482] منظرها من الأرض، فإن أضوأها وألمعها كالشعرى اليمانية، يحتاج ضوؤها الواصل إلينا إلى مقدار عشرة آلاف مليون مرة حتى يصل ذلك كله إلى أن يكون كضوء الشمس.

وأوسط الكواكب - كالعيوق- يحتاج ضوؤه إلى مضاعفته ستا وخمسين ألف مليون مرة، فلو أن هناك 56 ألف مليون نجمة في ليلة واحدة لصار الليل نهارا.

[1829] أي في ص 277 في وصف الكواكب السيارات، وبُعدها يساوي 92 مليون ميل تقريبا.

[1830] في المخطوط : ثمانية آلاف، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 77/4.

[1831] مكرر في المخطوط.

وأضعف الكواكب قد قيس نوره فوُجدَ أنه /[483] لو جُمِعَ نورُ 500 ألف مليون من أمثاله يساوي نور شمسنا[1832].

هذه هي المباحث التي أبرزها الله على يد **علماء العصر**، والتي بها عرفنا جمال الله وبدائع صنعه وغرائب حكمته.

واختلاف هذه الأضواء بهذه الدرجات يدل على أن العقل والعلم شبيهان بالنور المذكور، فلا عجب إذا اختلفت العقول اختلاف الكواكب:

فمن الناس من عقله كالعيوق الذي هو أضوأ من نجوم ضعيفة، ومنهم من عقله /[484] كالشعرى، ومنهم من عقله كالقمر، ومنهم من هو كالشمس. وإذا عرفت ذلك تفهم كيف يشبِّه النبي صلى الله عليه وسلم بالشمس، وذلك لعموم تعليمه، ولا فضل لعالم إلا بقدر ما أثر في الناس فنفعهم بعلمه.

هذا بعض ملكوت السماوات والأرض الذي يورث اليقين، ﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾[1833]، ومنتهى العلم إلى الله العلي العظيم، هـ بخ[1834].

وقال في صدر سورة الأنعام لدى قوله تعالى: (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض)[1835] /[485] ما نصه بخ:

إن النجوم الجميلات المحيطة بنا تبلغ مئات الملايين، وكل واحد منها غالبا أكبر من شمسنا بآلاف الآلاف، ولكل كوكب سيارات مثل أرضنا.

وأصل هذا العالم كله مادة لطيفة جدا لا تؤثر فيها المؤثرات من حر أو برد، وهي المسماة ب"الأثير".

وأصل هذه العوالم[1836] من مبتدإ أمرها كانت لطيفة بالحالة الأثيرية

[1832] انظر الحديث عن الشمس بصور موضّحة في الموسوعة الحديثة 18/1- 23. وفي 10/1 منه مايلي: "ويستعمل العلماء وحدة "السنة الضوئية" للحديث عن بُعْد النجوم والمسافة الفاصلة بينها وبين الأرض أو فيما بينها ...، وقد قدَّر الفلكيون كذلك الحجم الحقيقي للنجوم اعتمادا على نورانيتها وعلى المسافة التي تفصلها عن الأرض ...".

[1833] يوسف 76. وانظر معناها هذا في تفسير الطبري 26/13.

[1834] الجواهر في تفسير القرآن : سورة الأنعام، المقصد الثاني، اللطيفة الثالثة 71/4- 79 بتصرف يسير.

[1835] الآية 1.

وما يقرب منها، ثم حصل تجاذب /[486] وتدافع فتكونت شموس كثيرة، وتلك الشموس هي التي نراها، وهذه الشموس دارت مئات الملايين حول نفسها وهي في حالها النورية الشفافية، ثم أخذت تتقلص شيئا فشيئا، وأخذ بعضها ينفصل عنها من عند خط الاستواء فيها بسبب سرعة الدوران؛ فتكونت السيارات كالأرض والمريخ والمشتري:

فالأرض إذن تكونت بعد الشمس، وعلى هذا تكون السماوات- وهي الأجرام /[487] الأثيرية- والشموسُ التي تجري فيها مخلوقة قبل الأرضين؛ لأن الأرضين ما هي إلا تلك الكرات المنفصلة بعد تكوّن الشموس التي خُلقت من الأثير أو فيه[1837].

ولما انفصلت الأرض عن الشمس كانت حارة حرارة شديدة بمقدار 3300 درجة من الحرارة، والشمس أحرّ منها، ولما انفصلت الأرض عن الشمس كانت كروية تدور حول الشمس، وأخذت حرارتها تتناقص بالنسبة لصغر حجمها، وأخذت تبرد وتربي لها قشرة في /[488] ملايين السنين، فتكونت 26 طبقة، كل طبقة متميزة عن الأخرى، وهذه الطبقات في ستة عصور تقدم ذكرها[1838].

وقطر الأرض نحو 13 ألف كيلومطر، وقد علمت أن هناك شموسا تعد بالملايين، وكل شمس حولها أرضون، أي سيارات كسيارات شمسنا، ومن السيارات ما أصبح له قشرة كقشرة أرضنا، ومنها ما لا يزال دخانا ونارا منتشرة جدا، وأقل ما يكون حول كل شمس من الأرضين لا يقل عن ثلاث.

/[489] فإذا تصورنا ذلك وقلنا: إن بقية السيارات حولهن لا يزال متقدا فإننا على الأقل نتصور أن هناك ثلاثمائة مليون أرض باعتبار أن الشموس مائة مليون، والتحقيق أنها مئات ملايين، فلنقف في العد للأرضين عند ثلاثمائة مليون، ولنقل إن فيها سكانا؛ لأنه ليس يعقل أن تكون خالية ويكون لها قشرة كقشرة أرضنا، وهذه القشرة قد تكون رقيقة وقد تكون

1836 فصل الشيخ طنطاوي قبل هذه الفقرة الحديث عن أحوال المادة الست، قال في أواخره : = =
= = "فهذه الأحوال الست هي آخر ما وصل له العلم الحديث في المادة، فألطفها الشفاف الذي هو أقرب إلى الأرواح ثم الأثير ثم المشعّ ثم الغاز ثم السائل ثم الصلب" الجواهر في تفسير القرآن 11/4.

1837 "فهذا هو السبب في ذكر الأرض بعد السماوات" المرجع السابق.

1838 "وهي : العصر الأصلي والانتقالي والثانوي والثالثي والطوفاني واللاحق للطوفاني وهو الحالي ..." المرجع السابق 12/4.

سميكة، فإن كانت رقيقة /[490]- كأرضنا أيام أن كانت حرارتها مرتفعة- فإن اضطرابها وغليانها يمنع سعادة سكانها ويقلل راحتهم، وإذا كانت سميكة كانوا أقرب إلى الراحة والطمأنينة والسعادة.

هل كشف العلم عالم جهنم؟

أفلا نقول: إن الأرض كلها نار وإن سكانها إذا كانوا على حال فيه نيران تلظّى يكونون أشقياء، وإذا كانوا في حال أصلح يكونون سعداء، وإن السعادة والشقاوة نسبية، /[491] وإن العوالم التي تكون نورية جميلة - غير هذه الأرضين- مشرقة حقيقة تكون هي الجنة، وتلك التي امتلأت نارا هي جهنم، أي أنهما تشبهانهما!.

فحرارة الشمس لا يعرف منتهى درجاتها، وحرارة الأرض 3333 درجة، وأقصى درجات البرودة 273 تحت الصفر:

فالحرارة والبرودة: بالمد والجزر فيهما نرى شموسا وأرضين ومعادن وأنهارا وجنات وأعنابا وإنسانا وحيوانا. هذا أول العالم وآخره، هـ بخ[1839].

وقال في سورة الأنفال /[492] لدى قوله تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ[1840] التقيتم في أعينكم قليلا﴾[1841] ما نصه:

هذا مبني على سياسة تقليل الكثير وتكثير القليل، ألا ترى مناظر النجوم والشمس والقمر كيف قللها الله تعالى في أعيننا:

الشمس جرم صغير والقمر في أعيننا والكواكب الثابتة والسيارات

[1839] الجواهر في تفسير القرآن : سورة الأنعام، المقصد الأول 10/4- 14 بتصرف يسير.

[1840] في المخطوط : إذا، وهو خطأ.

[1841] الأنفال 45. وفي تفسير الطبري 13/10: "إذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلا، وإذ يريهم الله المومنين - إذا لقوهم- في أعينهم قليلا وهم كثير عددهم، ويقلل المومنين في أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المومنين شوكتهم".

قال القرطبي في تفسيره 16/8: "كان هذا في ابتداء القتال حتى قال أبو جهل في ذلك اليوم: إنما هم أكلة جزور؛ خذوهم أخذا واربطوهم بالحبال. فلما أخذوا في القتال عظم المسلمون في أعينهم فكثروا، كما قال: (يرونهم مثليهم رأي العين)" آل عمران 13.

صغيرة جدا، نراها مقدار الليمونة تتلألأ في جو السماء وحقيقتها غير ذلك، وأنها أجسام هائلة عظيمة حتى إن أرضنا بالنسبة /[493] للشمس جزء من أكثر من ألف ألف جزء من الشمس، والثوابت التي نراها صغيرة هي أجسام أكبر من شمسنا بما لا حد له، حتى إن كوكب السماك الرامح يبلغ نوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس، وهناك ما هو أعظم وأعظم، فلو أن الله عز وجل جعل أعيننا تنظر إلى الشمس وإلى تلك الكواكب نظرا يجلي حقائقها على ما هي عليه، لعميت الأبصار في لمح البصر أو أقرب.

وإذا كانت شمسنا الصغيرة /[494] لا نطيق أن نحدق فيها على الأرض وبيننا وبينها نحو 365 سنة بسير القُطر البخارية في أرضنا، و12 سنة بسير قلة المدفع، فكيف بنا إذا رأيناها كأنها أمامنا؟ فهل يبقى لنا بصر أو يبقى لنا وجود؟.

وإذا كان هذا في شمسنا الضعيفة فما بالك بالشموس الأخرى التي نسميها كواكب ثوابت! فإذا رأينا النجوم ضعيفة الضوء على حسب القانون المعلوم من أنه كلما طال البعد صغر الجسم، /[495] فذلك ليسعدنا بالنظر إليها فندرسها ونعلم سيرها، وبهذا نسافر في البر والبحر بأنواع التجارة، فإخفاء الحقائق وكتمانها لمنفعة الناس، هـ بخ[1842].

وقال أيضا لدى قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[1843] ما نص المراد منه:

فصل في الخلاف[1844] في الأفلاك ومسألة دوران الشمس حول الأرض أو العكس:

[1842] الجواهر في تفسير القرآن : سورة الأنفال، القسم الخامس، اللطيفة الثانية 80/5 و81 بتصرف يسير.

[1843] الآية 5. وفي تفسير الطبري 86/11: "(وقدره منازل) فوَحَّده وقد ذكر الشمس والقمر؛ فإن في ذلك وجهين: أحدهما أن تكون الهاء في قوله: (وقدره) للقمر خاصة؛ لأن بالأهلة يُعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، والآخر: أن يكون اكتفِي بذكر أحدهما عن الآخر كما قال في موضع آخر: (والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه) [التوبة 62] ...، وقوله: (لتعلموا عدد السنين والحساب) يقول: وقدر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين: دخول ما يدخل منها وانقضاء ما يستقبل منها، وحسابها: يقول: وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها"، والوجهان في ضمير الهاء جوزهما الزجاج في معاني القرآن وإعرابه 7/3.

[1844] أي "بين الأوائل والأواخر" الجواهر في تفسير القرآن 22/6.

وموضوعُ أبحاثهم دائر على محورين:

الأول: القوانين الحسابية التي بها يُعرَف /[496] الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول والانتقالات وغير ذلك مما تتوقف عليه أحوالنا المعاشية وعباداتنا وحجنا وصومنا وإفطارنا وغير ذلك، وهو فن التقويم المسمى "علم الفلك"[1845]، ولا خلاف فيها إلا في أمور جزئية.

الثاني: البحث عن العالم بأسره، وهو علم هيئة الدنيا، وهو فن يبحث فيه عن الأرض مع غيرها من أجزاء العالم، والعالم هو سائر المحدثات، فهو صنعة عظيمة /[497] تكلّ العقول عن الإحاطة بعلم ما احتوى عليه من المخلوقات، وعن الأبعاد بين الكواكب ومقادير أجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه، وعن السيارات والثوابت، وعن الشمس: أهي التي تدور حول الأرض أم الأرض هي التي تدور حولها؟ وعن حقيقة السماوات وغير ذلك.

وهذا هو الفن الذي حَمِيَ فيه وطيس الخلاف بين الأوائل والأواخر، وعلماء هذا الفن مُقِرّون بأن أدلتهم ظنية، غاية الأمر: أن بعضها أقرب إلى الظن من الآخر، /[498] ويشهد له أنهم كانوا مطبقين على تقدير بُعد الزهراء عن الشمس وعلى مقدار جرمها، ثم في سنة [1293][1846] أرسلوا العارفين إلى الجهات وحرّروها، فعرفوا أن جميع حساب السابقين خطأ محض وأنها أقل من ذلك كله بعدا وجرما، ومن الجائز ظهور الخطإ في هذا التقدير[1847] أيضا في وقت آخر[1848].

وحيث كانت **مسائل هذا الفن ظنية** اختلفوا في أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الإجماع على أن ذلك /[499] من آثار تقابل الشمس والأرض:

فقد كان علماء الهيئة في غابر الأزمنة - على ما وصل إلينا- يدرسون

[1845] "وهذه القوانين ليس فيها بين المتقدمين والمتأخرين كبير خلاف، بل هي متقاربة، ولا خلاف إلا في أمور جزئية لا تهدم أصلا من الأصول ولا توجب خطأ في مقول" المرجع السابق.

[1846] في المخطوط : 1793، والتصويب من المرجع السابق.

[1847] في المرجع السابق 23/6: التحرير.

[1848] وهذا من الأدلة القوية لمعارضي التفسير العلمي للقرآن الكريم: ذلك أننا نحكّم الأحكام الظنية البشرية في النص القطعي الرباني.

في مدارسهم ويعلمون تلامذتهم هذه الهيئة الجديدة المعروفة الآن:

فقد كان "فيثاغورَسْ"[1849] الفيلسوف الشهير يعلم تلامذته في مدرسة "كروتونيا" من بلاد إيطاليا على طريقة حركة الأرض، وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة عام معتقدين أن هذا المرئي الذي نسميه سماء أو فلكا هو فضاء واسع، وزرقته ناشئة من اكتناف الأشعة للأجزاء الأرضية، /[500] وأن الكواكب الثابتة في ذلك الفراغ عبارة عن شموس كشمسنا هذه، وكل شمس حولها سيارات كسيارات شمسنا، وأقمار كقمرنا، وذوات أذناب كما حول شمسنا، وكل واحد من هذه السيارات والأقمار وغيرها عالم مثل كرة أرضنا، ومن جملة هاتيك الشموس هذه الشمس المشهورة ولها دوائر مخصوصة[1850] وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات، ومن جملة السيارات الدائرة حولها هذه /[501] الأرضُ التي نحن عليها، والقمر ملتزم لها ويدور عليها ومعها على الشمس، وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض إلى حيث لا يحيط به النظر ولا يدركه الفكر (وما يعلم جنود ربك إلا هو)[1851]، فالسماوات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكبيرة.

فلما شاعت هذه الطريقة في زماننا هذا وأراد العلماء تطبيقها على ما ثبت عندهم من ظواهر الشريعة من كون السماوات سبعة، /[502] قالوا: معلوم أن الكواكب الثابتة سبع طبقات:

فما كان منها يرى في غاية الظهور والإضاءة فهو الطبقة الأولى، ويقال لها: المرتبة الأولى والقدر الأول، وما كان أبعدَ منها غيرَ كثير وأقلّ في الظهور والإضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية، وهكذا إلى الطبقة السادسة، كل طبقة تُرى كواكبُها أبعدَ عن التي قبلها وأقلّ منها ظهورا واستنارة، والطبقة السابعة هي التي خَفِيَت كواكبُها، فلا ترى إلا بالمنظرة /[503] المعظمة، فهذه الطبقات هي طباق السماء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1852] قالوا: السماء الدنيا

[1849] هو فيلسوف ورياضي، عاش في القرن السادس قبل الميلاد. انظر المنجد في الأعلام ص535.

[1850] في الجواهر في تفسير القرآن 23/6: ولها دائرة مخصوصة بها.

[1851] المدثر 31.

[1852] فصلت 11، وفي "الملك" 5: (ولقد زينا...).

عبارة عن الدوائر الشمسية التي نحن فيها المزيّنة بما احتوت عليه من السيارة وسيارة السيارة وذوات الأذناب وغيرها من متعلقاتها، إلى نحو ذلك من التأويلات التي شرحها علماؤهم[1853].

ثم إن هذه الطريقة - كما قدّمنا- هي التي كانت سارية في أنحاء المعمورة بين علمائها مستفيضة بين خاصتها وعامتها، /[504] حتى جاء بطليموس[1854] قبل الميلاد بمائة وأربعين سنة فاختار القول بسكون الأرض ودورة الشمس عليها، وبنى مذهبه على ذلك، فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت في البلاد.

ولما جاء الإسلام[1855] وترجمت الكتب اليونانية إلى اللغة العربيــة[1856]

1853 في الجواهر في تفسير القرآن 23/6 : "وكم ورد عليهم من اعتراض، وكم أجابوا عنه. وقد رأيت في بعض رسائل العلامة المرحوم عبد الله باشا فكري أن تلك المباحث مستوفاة التفصيل في كتاب: أسرار الملك والملكوت، وشرحه الموسوم ب: أفكار الجبروت، والشرح المذكور في دار السلطة السنية، وهو باللغة التركية ومتنه بالعربية".
وقد فسر علماء التفسير المصابيح بالكواكب المنيرة المضيئة كما في تفسير الطبري 99/24 وتفسير القرطبي 225/15 وتفسير ابن كثير 101/4، في حين فسرها في زاد المسير 246/7 بقوله: "وهي النجوم، والمصابيح: السرج؛ فسمي الكوكب مصباحا لإضاءته".
واختلف في السماء: "قيل: إن في كل سماء كواكب تضيء، وقيل: بل الكواكب مختلفة بالسماء الدنيا" كما في تفسير القرطبي السابق، قال الفخر الرازي: "والحق أنه لا سبيل إلى معرفة صفات السماوات إلا بالخبر" التفسير الكبير: النوع السادس - الأنبياء 33- 167/22.

1854 هو كلوديوس بطليموس فلكي وجغرافي يوناني. انظر المنجد في اللغة والأعلام ص135.

1855 أقول: حَصْرُ مجيء الإسلام ببعثة الرسول الكريم مجانب للحقيقة، والصواب أن نقول مثلا: ولما جاءت آخر شرائع الإسلام؛ لأن الله تعالى أوحى بالإسلام بدءا بآدم ومرورا بموسى وعيسىعليهم السلام إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى.

1856 إن مسألة الترجمة وما يترتب عنها من نتائج لا يمكن الحديث عنها إلا من خلال السياق العام للأمة المستقبِلة لمختلف ألوان الترجمات :
فما دام وضع الأمة قويا محصنا علما وأخلاقا فإنها تستقبل المترجَمَ الوافد عليها استقبال الناقد المتفحص: فالسيرافي - شارح كتاب سيبويه- "ناظر متى بن يونس لمّا تفاخر بالمنطق اليوناني وأن العرب لم ينتجوا منطقا كالمنطق اليوناني، رد عليه السيرافي وقال: جهلت؛ فليس المنطق إلا نحوا إلا أنه مسلوخ من العقل، وليس النحو إلا منطقا إلا أنه مسلوخ من اللغة، وسأسألك عن حرف الواو وأدلك على أسراره واستخداماته ...، إلى آخر كلامه. فأين منطق أرسطو من النحو العربي؟" [حداثة أم حداثيون: إعداد وائل عبد الغني، مجلة البيان عدد 191 ص39]، ولابن تيمية كتاب: نقض المنطق. أما إن كان وضع الأمة غير ذلك والهزيمة الفكرية والعقدية ضاربة بجذورها جميع أركان المجتمع ف"الانفتاح" يصبح انبطاحا وتبعية وتقليدا بليدا وأعمى.

نقلها الفارابي - من فلاسفة الإسلام- في مؤلفاته العربية أوائل القرن الرابع من الهجرة، وتبعه ابن سينا وغيره فمن جاء بعده.

و**هُجرت** /[505] الطريقة المتقدمة التي كان عليها "فيثاغورس"، وقد قال هؤلاء العلماء: إن السماوات أجسام متراكبة بعضها فوق بعض كطبقات "البصلة" متماسكة[1857] ولا تقبل الخرق ولا الالتئام، وليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا لون لها، ولا توصف بلين ولا مَلاسَة ولا خشونة ولا خفة ولا ثقل، وبالجملة فهي أجرام أثيرية شريفة مخالفة للأجرام[1858] العنصرية الأرضية في جميع أوصافها، وهي التي تدور الحركة اليومية /[506] والكواكب تتحرك معها قسرا، وللسيارات حركة أخرى مخالفة لحركة السماوات: أي أن السماوات تدور من المشرق إلى المغرب وتلك الكواكب معها، ثم الكواكب لها حركة أخرى تدور بها من المغرب إلى المشرق كنملة على دولاب تسير متجهة إلى غير جهة حركته، وبهذه الحركة المخالفة تكونت الفصول والسنون وانتظمت أحوال العالم، ودُوّن ذلك في كتب /[507] المتقدمين.

ولما شاعت هذه الطريقة بين علماء الإسلام أخذ بعضهم في تطبيقها على الآيات القرآنية[1859] والأحاديث النبوية، وسكت عن ذلك فريق، وفريق كفّر القائل بذلك المذهب، ثم برهن محققوهم - كالغزالي(ت 505) وغيره- على أن هذه لا تصادم الدين وأن من اعتقد ذلك فقد جنى عليه وضل سواء السبيل وأضل الناس؛ فإن الدين لا ينفي ولا يثبت، وكما أن من يقول: إن الله خلق البصلة ست طبقات أو سبعا أو ثمانيا /[508] وإنها كروية أو مثلثة أو مربعة، لا نكفره، كذلك لا نكفر من يبحث في العلويات؛ إذ كلها من مخلوقاته عز وجل، ولم تذكر إلا للاستدلال على صانعها، والدلالة واضحة على كل حال وعلى أي شكل.

وكثير من علماء الكلام كانوا يناضلون الفلاسفة ويخطئونهم ويضللون فهمهم حتى قال الفخر الرازي(ت 606):

إن الأقرب للقرآن أن تكون الكواكب سابحة في السماء كما يسبح

هذا وقد اتخذت مسألة الترجمة اليوم أشكالا وعناوين أخرى أشد ذكاء ودهاء وإغراء مما سبق، من أمثال: حوار الديانات والمعاصرة والانفتاح الإعلامي والحداثة والعولمة وما إلى ذلك.

[1857] في الجواهر في تفسير القرآن 24/6 : متماسة.

[1858] في المرجع السابق : للأجسام.

[1859] في المخطوط: القرآن، وهو خطأ.

السمك في البحر.

وأدحض[1860] حجتهم في قولهم: /[509] إن الخرق والالتئام مستحيل على الفَلَكِ، واستدل بقوله تعالى: (كلّ في فلك يَسْبَحونَ)[1861].

وكان بعضهم يعرف الطريقة المستفيضة الآن ويقارن بين الطريقتين ويميل إلى هذه الطريقة، ثم نبغ ببلاد "لهستان" رجل يقال له "كوبّر نيكوس"[1862] تمهّر في العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة 1500 إلى سنة 1530 من الميلاد - وهي سنة 937 من الهجرة-، /[510] فرجع إلى الطريقة التي كان عليها فيثاغورس المؤسسة على حركة الأرض، وقرر أن الشمس مركز وأن الأرض والسيارات تدور حولها:

فأوّلا عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل،

[1860] "الدَّحْض: الزّلق، والإدحاض: الإزلاق، ... ودَحَضها وأدْحضها: أزلقها" لسان العرب: دحض.

[1861] الأنبياء 33، وفي يس 39: (وكل ...).

قال الفخر الرازي: "المسألة الرابعة: اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة:

فإنه **إما** أن يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد.

وإما أن يكون الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه أيضا: إما مخالفا لجهة حركته أو موافقا لجهته، إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة.

وإما أن يكون الفلك متحركا والكوكب ساكنا.

أما الرأي الأول فقالت الفلاسفة: إنه باطل؛ لأنه يوجب خرق الأفلاك؛ وهو محال.

وأما الرأي الثاني: فحركة الكواكب إن فرضت مخالفة لحركة الفلك فذاك أيضا يوجب الخرق، وإن كانت حركتها إلى جهة الفلك: فإن كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق، وإن استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق أيضا لازم؛ لأن الكواكب تتحرك بالعرض بسبب حركة الفلك؛ فتبقى حركته الذاتية زائدة فيلزم الخرق.

فلم يبق إلا **القسم الثالث** وهو أن يكون الكوكب مغروزا في الفلك واقفا فيه والفلك يتحرك؛ فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك.

واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك، وهو باطل، بل الحق أن الأقسام الثلاثة ممكنة؛ والله تعالى قادر على كل الممكنات، والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء" التفسير الكبير: النوع السادس – الأنبياء 33- 22/167 و168.

[1862] يقال له : "كوبّر نيك" واسمه أنطوان، فلكي بولوني، برهن عن دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس، ولد سنة 1473م وتوفي عام 1543م. انظر المنجد في اللغة والأعلام ص 596 والموسوعة الحديثة 28/1.

وأيّدَ هذه الطريقة بأدلة وأشهَرَ ذلك[1863]، فحُكِمَ عليه في رومة[1864] بالإلحاد، ومع ذلك شاع هذا المذهب فنسب إليه.

ثم قام بعده جماعات في جهات متعددة وأزمان مختلفة[1865] وعوّلوا على هيئته وسَمّوْها ب"**الهيئة الجديدة**"، /[511] وسموا التي قبلها بالقديمة.

وأنت ترى من هذا أنها في الحقيقة هي القديمة وأن تسميتها "جديدة" - بحسب ما شاع وظنه كثير من الناس- خطأ محض وجهل بتاريخ علم الهيئة.

والطريقتان مذكورتان مستفيضتان في الكتب الإسلامية، وقد ذكرهما العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد المتوفى عام 756[1866] من الهجرة في كتابه المسمى بـ"المواقف"، وأورد على طريقة دوران الأرض اعتراضات ثلاثة ثم كرّ على تلك الاعتراضات /[512] بالنقض والرد، وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة 816[1867] في شرحه، وكان الفراغ من تأليفه سنة 807، فليراجعه من أراد.

وليتأمل البصير كيف كان علماء الإسلام يدرسون الطريقتين ويعرفونهما حق معرفتهما قبل أن يظهر "كوبّر نيكوس" الذي ينسب الناس إليه اليوم اختراع الطريقة الجديدة - أي التي كانت قديمة-، /[513] ويدّعي البعض أن ما نقلوه من أفواه أساتذتهم - تقليدا لهم- مخترع من عندهم لم يسبقهم به أحد، وهكذا نسبة كثير من المسائل إليهم مع أنهم في الحقيقة ناقلون عن غيرهم ويدّعون أنهم هم السابقون.

[1863] أي "في كتاب له، عنوانه : حركات الأجرام السماوية" الجواهر في تفسير القرآن 24/6.

[1864] أي "في مجمع كنيسة رومة" كما في المرجع السابق.

[1865] "في أنحاء أوروبا" المرجع السابق.

[1866] مستدركة في الهامش، وفي المتن: 786.

وهو عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي فقيه شافعي متكلم، له شرح على مختصر ابن الحاجب. انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 179/2.

[1867] هو أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني الحسيني الحنفي، يعرف بالسيد الشريف، من مؤلفاته: شرح المواقف للعضد الإيجي، وحاشية على الكشاف، ولد سنة 740 وتوفي عام 816. انظر طبقات المفسرين للداودي 432/1.

ولما كانت الكواكب والأفلاك لا نحتاج منها إلا إلى القوانين الحسابية أظهرها الله لنا بالبراهين القاطعة، والخلاف فيها يسير جدا، أما معرفة أجرام السماء وسكانها وهل الأرض التي تدور أم الشمس؟ فجَهْلنا به /[514] وعِلمُنا سيان، لا يتوقف عليه أمر من أمور معاشنا؛ لما ثبت بالبرهان أن الحساب لا يختلف سواء اعتبرنا الأرض هي الدائرة أم الشمس.

ومن عجيب الأحكام أن **أدلته ظنية، فعظم الخلاف** بين الطائفتين بالإثبات والنفي، وكأن الله أراد أن يرينا أن أقرب شيء إلينا جهلناه، ويالله العجب كيف نجهل حالنا مع أرضنا - أنحن مقيمون أم ظاعنون، ومستقرون أم متحركون!- وذلك مصداق قوله تعالى: (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) إلى (معلوم)[1868].

/[515] فإن قيل: هل القرآن ينافي هذا المذهب - على فرض أنه يقيني-؟

قلنا: القرآن كلام الحكيم العليم المعجز، ليس القصد منه أن نشغل أذهاننا بتطبيقه على كل مذهب يحدث في العالم[1869]، ولم تذكر العلويات فيه والكائنات الأرضية إلا ليُعْرَفَ كمال الصانع بالصنعة، أما كون الصنعة دائرة أو ساكنة: فذلك ليس محل بحثه، وكم حاول العلماء تطبيقه على الهيأة القديمة مع أن كثيرا من ظواهر القرآن[1870] كان يخالفها، حتى جاء الاكتشاف /[516] الجديد فأبطل المذهب السابق، وظهر أن ذلك التطبيق على المذهب القديم لم يصادف محله، على أن علماء الإسلام كانوا يضللون الفلاسفة السابقين ويخالفون مشاربهم حتى وافقوا الرأي الجديد قبل علماء الإفرنج.

فقد شُمَّ من كلام العضد في "المواقف" أنه يعتمد القول بدوران الأرض[1871]، على أننا لو نظرنا في القرآن لوجدنا ما يشير إلى الطريقة

[1868] الحجر 21.

[1869] "وعقول الناس تتفاوت، ولو طبقناه على هذا المذهب هل نأمن أن تحدث مذاهب أخرى فوجب أن يطبق عليها أيضا؟" الجواهر في تفسير القرآن 25/6.

[1870] في المرجع السابق: الألفاظ.

[1871] "وهذا كان قبل أن يعرفها الإفرنج" المرجع السابق.

الجديدة - وإن لم يذكر في كتب المتقدمين-:

منها قوله /[517] تعالى: (صُنْعَ الله الذي أتقن كلّ شيء) بعد قوله: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب)[1872].

ومنها أنه قال: (وهو الذي مَدَّ الارض وجعل فيها رواسيَ وأنهارا ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين، يُغشي[1873] الليْلَ النّهارَ)[1874]: فذِكرُ الليل والنهار بعد ذِكر الأرض يشير إلى أنها من آثار الأرض، ويقوّي ذلك أنه قال: (يغشي الليل النهار)، /[518] فجعل الليل الذي هو ظلمة الأرض يُغْشَى به النهارُ الذي هو ضوء الشمس، ففيه تلميح إلى أن الأرض هي التي تُحدِث ذلك بفعل الله تعالى.

ومنها: (والشمس وضحاها) إلى (يغشاها)[1875]: فجعل النهار - الذي هو في مقابلة وجه الأرض للشمس- مجليا لها، والليل - الذي هو الظلمة الأصلية للأرض- مغشيا لها، فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس وهو الليل والنهار الذي هو من آثار الأرض[1876].

[1872] النمل 90.

[1873] "يُغَشّي : شعبة [أي عن عاصم] وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، يُغْشِي: الباقون" [أي نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم] القراءات العشر المتواترة ص249.

[1874] الرعد 3، "وقوله: (يغشي الليل النهار) يقول: يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته، والنهار الليل بضيائه" تفسير الطبري 96/13، "وقال أبو علي: إنما لم يقل: يغشي النهار الليل؛ لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: (سرابيل تقيكم الحر) [النحل 81]، وانتصب "الليلَ" و"النهارَ" لأن كل واحد منهما مفعول به" زاد المسير في علم التفسير: الأعراف 53- 213/3 و214.

[1875] الشمس 1- 4.

[1876] "وهذان الوجهان ذكرهما العلامة الشيخ محمد بيرم التونسي" الجواهر في تفسير القرآن 26/6.

و"قوله تعالى: (والنهار إذا جلاها) في المكنى عنها قولان: أحدهما أنها الشمس، قاله مجاهد؛ فيكون المعنى: والنهار إذا بيّن الشمس؛ لأنها تتبين إذا انبسط النهار، والثاني أنها الظلمة؛ فيكون كناية عن غير مذكور؛ لأن المعنى معروف كما تقول: أصبحت باردة وهبّت شمالا، وهذا قول الفراء واللغويين.

(والليل إذا يغشاها): أي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق" زاد المسير في علم التفسير 138/9.

زاد في فتح القدير 448/5: "... وقيل: المعنى جلى ما في الأرض من الحيوانات وغيرها بعد أن كانت مستترة في الليل، وقيل: جلى الدنيا، وقيل: جلى الأرض. (والليل إذا يغشاها) ...، وقيل: يغشى الآفاق، وقيل: الأرض، وإن لم يجر لهما ذكر؛ لأن ذلك معروف، والأول أولى".

ومنها قوله: (وكلّ في فلك يَسْبَحون) بعد ذكر /[519] الأرض والقمر والشمس[1877].

ومع ذلك كله فالقرآن لا يعارض شيئا من هذه الأشياء، على أننا لا نحتاج لتأويل القرآن إلا لليقينيات، وهذا ليس منها؛ فإن نوع بني آدم لا يمكنه أن يحيط بشيء من علم الله تعالى إلا بما شاء، بل علم مثل ذلك ربَّما أضَرَّ بمصالح الإنسان من حيث وُلوعُهُ بما هو بعيد عنه، وربما شغله عن أمور معاشه.

قال بعضهم[1878]:إن للعقل حدّا محدودا لا يتجاوزه، فإتعابه/[520] في معرفة الأجرام العلوية وماهيتها كإتعاب البصر في أن يرى ما فوق السقف من أسفله، فهب أنك أعنته بأعظم المرايا المكبِّرة فإنه لا يمكن أن يخترق السقف حتى يرى ما فوقه[1879]، هـ بخ[1880].

ثم قال في صحيفة 32 من الجزء 6 ما نصه: جمال النجوم مشوِّق لما وراءه من علم وحكمة ودراسة، فليقرأ الناس أقدار الكواكب وأبعادها وأنوارها فتصبح العقول - ونحن على الأرض- /[521] في عوالم أرقى

[1877] يس 32- 39، "... قالوا: وهذا هو المراد بقوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها) فإنه يدل على دوران الشمس على مركز آخر ويقال: إنه كوكب من كواكب الثريا، أو يقال: معنى جريانها لمستقر: أنها تجري على مركزها ومحورها، فإن ثبت هذا في الشريعة فهو خير من تلك الوساوس والخيالات السابقة، ذلك أن الجري المفهوم من (تجري): (تقدير العزيز العليم) المحيط علمه بكل معلوم. وذكر بعضهم في حكمة جريها حتى تسجد كل ليلة تحت العرش: تجدّد اكتساب النور من العرش، ويترتب عليه في عالم الطبيعة والعناصر ما يترتب" ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان للألوسي [حفيد صاحب روح المعاني] ص 124.

"وقوله: (وكل في فلك يسبحون) يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يَجْرون ..." تفسير الطبري 8/23، "(وكل): أي كل واحد من الشمس والقمر (في فلك يسبحون): الفلك مجرى الكواكب؛ سمي به لاستدارته كفلكة المغزل، وهي الخشبة المستديرة في وسطه، وفلكة الخيمة وهي الخشبة المستديرة التي توضع على رأس العمود لئلا تتمزق الخيمة، و(يسبحون): أي يسيرون فيه بانبساط، وكل من بسط في شيء فهو يسبح فيه، ومنه السباحة في الماء وهذا المجرى في السماء، ولا مانع عندنا أن يجري الكوكب بنفسه في جوف السماء وهي ساكنة لا تدور أصلا.

وتمام الكلام في التفسير، وهذه الآية من أعظم ما يتمسك به المتشرعون في علم الهيئة الجديدة والله ولي التوفيق" ما دل عليه القرآن ص125.

[1878] في الجواهر في تفسير القرآن 26/6 : "بل الأغرب أن أحد العلماء الفرنساويين المتأخرين قال ما ترجمته".

[1879] قال في المرجع السابق : "انظره في كتابنا: ميزان الجواهر".

[1880] الجواهر في تفسير القرآن : سورة يونس، القسم الأول 22/6- 26 بتصرف.

وأرقى، ويعدّون المراصد في الممالك فيشاهدون مشاهد تُنسيهم لذة العقول الصغيرة على الأرض، ويرون أن الضوء الذي يسير في الثانية الواحدة مقدار ثلاثمائة ألف كيلومطر يحتاج في وصوله إلينا من بعض الكواكب - التي نراها ليلا- إلى ثلاث سنين، بل إلى خمسين، بل إلى 100، بل إلى 1000، /[522] بل إلى 1000000 "ألف ألف"، بل إلى ستين ألف ألف كما مرّ[1881].

وأيضا يرون اختلافا في أضوائها كالاختلاف في أبعادها، فإذا جعلنا ضوء شمسنا واحدا فهناك كواكب من هذه تكون أضوأ منها مرات "10"، بل مرات "20"، بل "1000"، بل "8000" - ثمانية آلاف- كالسماك الرامح، بل أكثر بما لا نعلم، وهكذا في أقدارها بما لا حصر له، هـ[1882].

ثم قال: إن أرضنا التي نسكنها قد عرف الناس مساحتها ووزنها وبُعْدَها كما مرّ[1883]، /[523] وأنها تابعة للشمس، وهناك سيارات أخرى معروفة كما مرّ أيضا[1884]، وللسيارات أقمار وكلها للشمس تابعات، وهناك أيضا ذوات الأذناب[1885] التي يقولون[1886] إنها كعدد السمك في البحار، وكلها دائرة حول شمسنا، وما شمسنا هذه العظيمة التي هي أكبر من أرضنا بنحو ثلاثمائة ألف مرة وألف ألف مرة، إلا إحدى الشموس وهي من أصغرهن قدرا، /[524] وتلك الشموس تعد بمئات ألوف الألوف، فيقال إنها تبلغ 242 ألف كوكب شمسي كما مرّ[1887].

فهذه الشموس كلها هي المكوّنة للمجرّة، والمجرّة يراها الناس بأعينهم كل ليلة صافية الأديم كأنها سائل لبَنيّ أو كأنها تِبْن، ولذلك تسمّى عند العامة - أي في مصر -[1888] "طريق التبانة"، وعند الإنجليز "الطريق

[1881] "وقد تقدم هذا في هذا التفسير في مواضع مختلفة" المرجع السابق 34/6.

[1882] المرجع السابق 34/6 و35 بتصرف يسير.

[1883] في المرجع السابق 35/6 : "كما تقدم في سورة الأنعام".

[1884] أي في سورة الأنعام.

[1885] أي النجوم ذوات الذنب.

[1886] أي "العلماء في عصرنا" الجواهر في تفسير القرآن 6835.

[1887] "كل هذا معروف في هذا التفسير مرارا" المرجع السابق.

[1888] هذا الشرح من إضافة المؤلف.

اللبني"[1889] وعند علماء الدين "أبواب السماء".

هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة /[525] من شموسها وهي تُرَى واضحة ظاهرة في ليلة ليس فيها سحاب، يراها الإنسان بعينه معترضة السماء من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي والناس لا يعلمون عنها شيئا ولم تُعلم حقيقتها حقّ علمها إلا قريبا:

فقد كنا منذ أربعين سنة ونحن نطلب العلم في دار العلوم نتلقى عن أساتذتنا في الفلك /[526] أن الشموس التي أمكن معرفتها في تلك المجرّة لا تزيد على 18 ألف ألف شمس، أما الآن فقد عرف العلماء منها أكثر من 242 ألف ألف شمس، (بل ذكر المؤلف في صحيفة 48 من كتاب "الأرواح" أن الشموس بلغ عدها إلى ملايين 5، فانظر)[1890]، وربما كان لكل شمس سيارات وتوابع.

هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة من شموسها، وما هذه المجرّة إلا روض واحد من رياض الله التي زرعها في هذا الجو الفسيح المملوء من الأثير.

هذه[1891] هي الروضة الكوكبية التي شمسنا شجرة من /[527] أشجارها وأرضنا غصن من أغصان تلك الشجرة، ومصر- أو المغرب- ورقة من أوراق ذلك[1892] الغصن، والقاهرة - أو فاس-[1893] [ذرة][1894] من ذرات الورق، وسكانها - ونحن منهم- نعيش حول تلك الذرة الصغيرة، ونحن إلى الله ذاهبون. وكما أن القاهرة بلدة مما لا عدّ له من البلدان في الأرض، هكذا المجرة: ما هي إلا روضة واحدة من رياض لا /[528] حصر لها في هذا الجو الفسيح.

[1889] هي بالإنجليزية : Milky way، وبالفرنسية: Voie lactée، "وهي تسمية أخِذت عن أسطورة شعبية مفادها أن المجرة تكوّنت من بعض قطرات الحليب المتساقطة من فم هرقل أثناء رضاعه من جونون" الموسوعة الحديثة 8/1.

[1890] في الهامش بعبارة "صح"، وهي من إضافة المؤلف.

[1891] قال طنطاوي قبله: "فهاك ما تلقيناه عن أستاذنا المرحوم حسن أفندي حسني الذي هو أستاذنا في هذا العلم، ثم أتبعه بما عرفه العلماء في هذا العصر ...، وهذه صورة المجرة في الصحيفة التالية" الجواهر في تفسير القرآن 35/6، كما أثبت صورا لأشكال المجموعات الكوكبية في 36/6- 39.

[1892] في المخطوط: تلك ذلك.

[1893] هي من إضافة المؤلف.

[1894] كذا في الجواهر في تفسير القرآن 36/6، وفي المخطوط : ذرات.

وقد قسموا تلك الرياض البهجة في السماء إلى ثلاثة أقسام:

قسم منها يسمونها القنوان التي يمكن تحليلها بالنظارات إلى جملة نجوم، وتسمى مجموعاته كوكبية.

والقسم الثاني يسمونها القنوان التي يمكن تحليل جزء منها إلى نجوم بالنظارات.

والقسم الثالث يسمونه سِداما لا يمكن أقوى النظارات تحليله.

هذه هي الأقسام التي اصطلح عليها العلماء. /[529] والقنوان جمع قنو، فكأن النجوم في هذين القسمين قنو النخلة أو عنقود[1895] العنب.

ومن القسم الأول: جملة الثريا الموضوعة في صورة الثور، وهي مركبة من 80 نجمة تقريبا: ستة منها ترى بالعين المجردة.

والسدام- جمع سديم-: وهو في اللغة السحاب الرقيق، وفي اصطلاح الفلكيين: سحابة أو ضباب أو قطعة نيّرة سحابية لا تحل[1896] إلى نجوم مفردة بالنظارات القوية.

و**المجموعات الكوكبية:** /[530] تظهر بشكل مستدير غالبا حتى يظن في مبدإ الأمر أنها من ذوات الأذناب، ولكن عدم تغيّر شكلها وعدم تحرّكها يميِّزانها عن ذوات الأذناب، والنجوم المتكونة منها المجموعات الكوكبية تظهر في جهة المركز أكثر عددا مما في الأطراف.

وقد حسب بعضهم[1897] أن بعض هذه المجموعات التي شكلها كروي لا تشتمل على أقل من 5000 نجمة منضمّة إلى بعضها في سعة قطرها الظاهري لا يزيد على عشر قطر القمر. /[531] وأشهر هذه المجموعات قنوُ "توكان"، وهي في السماء الجنوبي، وتُرى دائما بالعين العارية، والجزء المركزي منها ذو لون أحمر برتقالي فاتح، ومثله قنو "لوكان".

القسم الثاني: السدام التي يمكن تحليل بعضها:

السدام التي ينحل بعضها تظهر غالبا على شكل منتظم قليلا أو كثيرا،

[1895] في المخطوط: عنقود، وهو خطأ.

[1896] في الجواهر في تفسير القرآن 36/6: لا تحلل.

[1897] وهو "المعلم هرشل" كما في المرجع السابق.

ولا شك في أن هذه المجموعات هي من المجموعات الكوكبية غير أنها موضوعة بعيدا جدا، أو أنها /[532] مركبة من نجوم صغيرة جدا، يمكن تحليل بعضها بالنظارات، وبعض السدام ذات الشكل المنتظم مستدير وبعضها بيضاوي وبعضها ناقص [مطاول][1898] جدا يقرب من المستقيم، وبعض السدام البيضاوية حلقي، وأحيانا ترى نجوم على نفس الحلقة.

ومن ضمن السحابات المنتظمة ما شكله مخروطي أو كشكل ذات الذنب، ويمكن أن يكون انتظام الشكل مترتبا على قوة الآلة بحيث إن الانتظام /[533] لا يكون إلا ظاهريا، فتظهر سحابة "كلب الصيد" مثلا[1899] على شكل حلقة مضاعفة في نصف دائرها، وفي وسط الحلقة توجد سحابة لامعة جدا، وخارجا عن الحلقة على بُعْد منها توجد سحابة صغيرة مستديرة.

القسم الثالث: السدام الغير المحلولة ذات الشكل الغير المنتظم:

توجد سدام لا يمكن أقوى الآلات حلها، وهي سدام الرتبة الثالثة، وهذه /[534] السحابات تظهر عموما بشكل غير منتظم، وذلك كسديم المرأة المسلسلة والسديم [الحلقي][1900] الناقص للأسد.

وهذا القسم الثالث - وهو السدام- لم يعلم منه العلماء أيام تلقينا هذا العلم[1901] إلا خمسة آلاف فقط، فهذه تُرى كأنها سحاب أو ضباب ولكنها ليست واضحة وضوح المجرّة.

أما الآن فقد قال بعضهم[1902]: إنه رأى في ألواح التصوير المتصلة بالتلسكوب /[535] الأكبر قطر مرآته 100 بوصة - نحو ألفي ألف-: أي مليوني سَديم يبلغ بُعدُها عنا 140 مليون سنة، ومعلوم أن شمسنا يصل ضوؤها لنا في 8 دقائق و18 ثانية، وهذه المسافة يقطعها القُطر في نحو 365 سنة، وقُلة المدفع في نحو 12 سنة.

فانظر كيف يكون بُعدُ تلك السدم التي لا تبعد بأقل من مائة وأربعين

[1898] كذا في المرجع السابق 37/6، وفي المخطوط : متطاول.

[1899] وهذا على "رأي هرشل" كما في الجواهر في تفسير القرآن 39/6.

[1900] في المخطوط : الخفي، والتصويب من المرجع السابق.

[1901] "منذ أربعين سنة" المرجع السابق.

[1902] وهو "الدكتور هبل" كما في المرجع السابق 39/6 و40.

مليون سنة! فتعجب.

وهذه السدم منتشرة /[536] في أبعاد شاسعة جدا، يبلغ البُعد بين الواحد والآخر منها 1800000 سنة نورية، وفي كل سديم منها مادة تكفي لتكوين مليون شمس مثل شمسنا. ومعلوم أن شمسنا نجم من نجوم المجرّة كما تقدّم، والمجرّة نفسها سديم من السدام، فانظر وتعجب:

هذه هي الرياض الواسعة، هذه هي جنات العلم والحكمة، /[537] أرضنا صغيرة وحدائقها وبلدانها وبحارها حقيرة، وشمسنا صغيرة ومجرّتنا إحدى المجرّات، والمجرات بلغ المعلوم منها اليوم نحو ألفي ألف، لا جرم أن الجنة ليست تحتنا بل هي فوقنا، إذن هي في السماء كما مرَّ لنا في سورة آل عمران[1903].

إن مثل هذا هو المقصود بقوله تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بَنيْناها وزيَّناها وما لها من فروج)[1904]:

ترقب في الليالي الصافية أديم السماء[1905] /[538] فترى قبة زرقاء جميلة المحيّا، بها مجموعات كأنها ضباب، وهذه المجموعات تبدو ضئيلة، ثم بحث العلماء عنها فوجدوها نحو مليونين؛ فعلوم السماء فتح لأبواب الجنة، والغفلة عنها فتح لأبواب جهنم.

قد رأيت صورة المجرّة وصور العوالم الأخرى[1906] غير المجرّة

[1903] انظر ما نقله من نصوص وأقوال العلماء في ذلك في الجواهر في تفسير القرآن: سورة آل عمران، الفصل الرابع 175/2.

[1904] ق 6، ومعناها في تفسير الطبري 151/26:

"أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت المنكرون قدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم إلى السماء فوقهم كيف بنيناها فسويناها سقفا محفوظا وزيناها بالنجوم، (وما لها من فروج): يعني وما لها من صدوع وفتوق".

والاستفهام في الآية "للتقريع والتوبيخ، أي كيف غفلوا عن النظر إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وجعلناها على هذه الصفة ..." كما في فتح القدير للشوكاني 72/5.

"(وما لها من فروج): أي من فتوق وشقوق، والمراد سلامتها من كل عيب وخلل، فلا ينافي القول بأن لها أبوابا" ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان للألوسي ص131.

[1905] وأدَمة الأرض: باطنها، وأديمها: وجهها، وأديم الليل: ظلمته، وأديم النهار: بياضه أو عامته، وجئتك أديمَ الضحى: أي عند ارتفاع الضحى، وأديم السماء: ما ظهر منها. انظر لسان العرب: أدم.

[1906] في الجواهر في تفسير القرآن 40/6 : وصورا لعوالم أخرى.

والعوالم التي تشابهها تزيد على مليونين، فهاك الآن آخر ما وصل إليه /[539] الإنسان من العلم فيما رأيته، فاقرأه وانتظر غيره واقرأ العلوم:

انظر إلى المجرّة تجد أنها هي التي فيها كواكب كثيرة منها شمسنا: إن المسافة التي يقاس بها البعد بيننا وبين الشمس التي هي كوكب هذه[1907] المجرّة نحو 8 دقائق و18 ثانية كما تقدم بسير النور - وقد عرفته-، وبسير قُلة المدفع، وبسير القُطُر في الأرض- فلا نعيده-، /[540] نحن لا نقيس بُعْدَ هذه المجرّة إلا تدريجا، إذا عرفت بُعدَ الشمس منها فإن بُعدَ أقربِ كوكب من كواكب هذه المجرّة - وهو "ألفا قنطورس"- يبلغ بسير النور ثلاثمائة ألف ضعفِ بُعدِ الأرض عن الشمس - أي ثلاث سنين ونصف سنة نورية-، فماذا يكون ذلك البُعدُ بالقطار أو بقلة المدفع - مع العلم بأن النور يسير في الثانية ما يسيره القطار في نحو 45 سنة وقلة /[541] المدفع في نحو سنة ونصف-؟.

ولننظر نظرة عامة في المجرّة فنقول:

يقول علماء عصرنا: لنتخذ الشمس مركزا ولنرسم حولها كرة قُطرُها ألفا سنة نورية، فهذه الكرة تشمل جميع الكواكب التي نراها بالعين المجرّدة، وإذا أوسعنا هذه الكرة حتى يصير قطرها خمسا وعشرين ألف سنة نورية شملت جميع الكواكب التي في نظام المجرّة، التي هي مرسومة أمامك[1908].

/[542] صفة المجرّة: هي تشبه حبة العدس، قطرها 50 ألف سنة نورية، والمسافة التي بين وجهيها عند مركزها عشرة آلاف سنة نورية، وخارج هذه المجرة عالمان آخران في غيوم "مجلان"، يبعدان نحو 200 ألف سنة نورية، وهناك كون آخر يبعد 700 ألف سنة نورية، ثم على بعد مليون سنة نورية تجد السديمين الكوكبين في "المرأة المسلسلة" وكوكبة /[543] المثلث، وكل منهما طوله الأطول نحو خمسين ألف سنة نورية، وهو طول قطر المجرة.

ولكن هذه المجرة وأبعادها الشاسعة عالم صغير جدا من العوالم،

[1907] فقي المرجع السابق 41/6 : من كواكب هذه.

[1908] أي في الشكل رقم : 3 في المرجع السابق 36/6.

فماذا بعدها؟

الجواب: هناك مجاميع من النجوم - وقد رأيت بعضها مرسوما /[544] أمامك في هذه الصفحات[1909]- وكل مجموعة منها فيها نجوم كنجوم المجرة، وكلها منثورة في الفضاء كأنها بساتين زرعها الله في الفضاء المتسع، أو كأنها جزائر في البحر: /[545] فجزائرنا الأرضية في البحار المائية، وهذه جزائر في البحار الأثيرية التي تظهر لنا كأنها فضاء، ويقال عنها: إنها الأكوان الجزائرية[1910].

فسديم "المرأة المسلسلة" يبعد عنا مليون سنة نورية وقطره خمسون ألف سنة نورية، وفيه ألوف الملايين من النجوم أكثرها لا تمكن رؤيته، والكواكب التي نراها فيه تزيد ألوف الأضعاف على شمسنا من حيث النور واللمعان بدليل أننا لو أقصينا الشمس /[546] عنا مسافة مليون سنة نورية لم يمكن رسمها بالمصوّر الشمسي، أما هذه النجوم التي تبعد عنا هذا البعد الشاسع فإنها ترسم. فإذا كانت شمسنا بالنسبة للكواكب التي عرفت صغيرة جدا وضوؤها ضئيل، وإذا كانت المجرة فيها مئات الملايين من الشموس وكانت المجرات الأخرى فيها كواكب مثلها أو أكثر- وهي أضوأ ثم أضوأ ثم أضوأ- أفليس معنى هذا أننا صُغُر في هذا الوجود!.

/[547] فهكذا نقول إذا صغر أهل الأرض بجانب الأرض وبحارها وجبالها، وإذا صغرت الأرض بجانب الشمس، وإذا صغرت الشمس بجانب مئات الملايين من كواكب المجرة، وإذا صغرت المجرة بجانب ما يقرب من عدد مليونين من المجرات، فما نحن في هذا العالم إلا صُغُر، وبهذا تفهم قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[1911]:

فعلمنا قليل كقِلة أرضنا بالنسبة لشمسنا، وشمسنا بالنسبة لمجرتنا، /[548] ومجرتنا بالنسبة للمجرات.

[1909] انظر المرجع السابق 36/6- 39.

[1910] في المرجع السابق 41/6 : الجزرية.

[1911] الإسراء 85، وقد حكى الطبري في تفسيره 157/15 الاختلاف في المخاطب بالآية - الناس عامة أو الذين سألوا النبي عليه السلام عن الروح - والأقوال في ذلك

وقد يئس الناس أن يعرفوا لهذه العوالم نهاية، وبذلك يفهم قوله تعالى: (ويخلق ما لا تعلمون)[1912] وقوله: (وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر)[1913]، هـ بخ[1914].

فهذا بعض ما يتعلق بالعالم العلوي الذي هو بعض مشمولات قوله تعالى: (ربِّ العالمين).

العالم ا لسفلي[1915]

وأما العالم السفلي فقال فيه:

المراد به ما في البحر من مخلوقات حية وما على الأرض من معدن ونبات /[549] وحيوان وإنسان:

فأما **عالم ا لبحر:** فقد جعل له العلماء في هذه الأيام علما مستقلا ليطلع الناس على غرائبه[1916].

[1912] النحل8، وجعل الطبري في تفسيره 83/14 هذه الآية من الغيب الموعود في اليوم الآخر حيث قال:

"وقوله: (ويخلق ما لا تعلمون) يقول تعالى ذكره: ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر".

أما أبو السعود فتحتمل الآية عنده في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 98/5 غيب الدنيا والآخرة حيث قال:

"أي يخلق في الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه، فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة، أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون، أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه...، ويجوز أن يكون هذا إخبارا بأنه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به؛ دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة".

وقريب منه عند ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير 432/4 إلا أنه أضاف قائلا:

"وقال أبو سليمان الدمشقي: في الناس من كره تفسير هذا الحرف، وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن"، وانظر أيضا تفسير البيضاوي 387/3.

[1913] المدثر 31.

[1914] الجواهر في تفسير القرآن : سورة يونس 34/6- 42 بتصرف يسير.

[1915] هذا العنوان في هامش المخطوط.

[1916] انظر الحديث عن البحر بصور موضّحة في الموسوعة الحديثة 57/5- 68 وكذا عن الأنظمة البيئية البحرية في 53/8- 74 منها.

ومما قرأناه عنهم أنهم استخرجوا من قاع البحر على بُعْدِ أميال حيوانا يعيش في الظلمات في تلك الأصقاع الغائرة، وقد وجدوا له آلة للضوء إذا حرّكها أضاءت ما حولها، وقد خلق لها في[1917] جسمها في مقابلة تلك الآلة سطح قائم بزاوية مناسبة متى أشرق النور عكسه ذلك السَّطحُ فأبصر ذلك الحيوان المسالك البحرية، /[550] فكأن ذلك الحيوان لما حُرم ضوء الشمس خُلقت له في قاع البحار شمس خاصة به يفتحها متى شاء، أمامها سطح يعكس شُعاعَها فيرى المسالك والطرق[1918].

وفي البحر سمك شفاف سمين طوله نحو ثمانية قراريط وشحمه أبيض نقي، يصيده سكان "ألاسكا" ويجففونه ثم يوقدونه من ذنبه فينير بلهب صاف شديد اللمعان.

ومن السمك نوع ببحر الصين إذا أكله الإنسان أخذ يضحك حتى يموت، /[551] وهذا السمك يختص به الوزراء والعظماء إذا حُكِمَ عليهم بالإعدام، فيشترونه سرا وبه يموتون من الضحك، وحكومة الصين تمنع بَيْعَه.

ومن عجائب البحر الدّرّ والمرجان[1919].

ثم من العالم السفلي **عالم المعادن:**

كالذهب والفضة والنحاس والحديد والخارصين والبلاتين والكبريت

[1917] في الجواهر في تفسير القرآن 14/1: على.

[1918] "تُعدّ رتبة الأسماك أهم مجموعة فقرية من حيث عدد أنواعها؛ إذ تمَّ إحصاء حوالي ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين ألف نوع موزعة في جميع الأوساط المائية العذبة منها والأجاجة والمالحة ...، وتنقسم الأسماك إلى مجموعتين كبريين وهما: مجموعة الأسماك الغضروفية أو الشلقيات، ثم مجموعة الأسماك العظمية، وتنقسم كل مجموعة بدورها إلى رتب وفصائل عديدة.
وللرعادة [نوع من الأسماك الغضروفية] جسم ذو شكل قرصاني ...، بالإضافة إلى الأعضاء الكهربائية وهي أدوات دفاعية وهجومية فعالة تخدر وتقتل الفريسة التي تلمسها، والرعادة السوداء ... قد تصل قوة تفريغها الكهربائي 220 فولتا، وأحيانا: 550 فولتا لدى الأليكتروفور الكهربائي.
... فالأسماك اللجية [نوع من الأسماك العَظمية] ... رغم كبر ونتوء عينيها فإن قدرتها البصرية ضعيفة على أبعد حد، ولتعويض هذا النقص تتوفر بعض الأنواع على خيوط طويلة توجد على طول جسمها وتنتهي أطرافها بأعضاء ضوئية هي بمثابة صنارات حقيقية تقبض بها على فريستها، ونظرا لعيشها الدائم وسط الظلام فقد طوّرت أنواع أخرى أعضاء مضيئة تشبه مصابيح المناجم، تتوفر عليها الأفراد البالغة بالخصوص وتستعملها للإغراء والاجتذاب الجنسي..." الموسوعة الحديثة 70/7 وما بعدها.

[1919] انظر التعليق عليه في هامش ص 234.

والزئبق والمغنيسيا والملح والزنك والرصاص وغيرها[1920].

[الغلاف الجوي]

ثم الآثار العلوية من حوادث الجوّ[1921] وتغيّر الهواء من النور والظلمة /[552] والحر والبرد وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض[1922]، ثم الأنهار وما يكون من الغيوم والضباب والطل والندى والأمطار والرعود والبروق والثلوج والبَرَدِ والهالات[1923].

عالم ا لنبات: ومن العالم السفلي عالم النبات، وله علم يُعرَف به اختلاف أنواعه وأشكاله وألوانه وطعومه وروائحه وأوراقه وأزهاره وثماره وبزوره[1924] وحبوبه وصموغه ولحائه وبنية تكوينه ونتاجه وتربيته لأولاده[1925].

/[553] عالم ا لحيوان:

وله علم يُعرَف به صنوفه وأنواعُه وأجناسُه وسكانُ البَرِّ منه والترابِ والهواءِ والبحر؛ كالأنعام والحشرات والطير والسمك، ومعرفة تزاوجها

1920 انظر"الأرض وطاقاتها" في الموسوعة الحديثة 21/10- 58 وفي ص38 :"المعادن من منتوجات الأرض سطحها وباطنها تشكل المواد الخام لأكبر الصناعات".

1921 "لو كانت الأرض بدون غلاف جوي لتعرضت بكيفية مباشرة لأشعة الشمس وموجاتها القصيرة، آنذاك سوف تكون بها نفس الحرارة الموجودة في القمر والمتراوحة ما بين 130 درجة مئوية و150 درجة مئوية تحت الصفر، وقد تصل النيازك الإشعاعات إلى كوكبنا دون أن يعترض طريقها أدنى حاجز" الموسوعة الحديثة 2/5.

1922 (إن في خلق السماوات والأرض واختلافِ الليل والنهار ... وتصريفِ الرّياح والسحابِ المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة 163.

1923 انظر الحديث عن الغلاف الجوي بصور موضّحة في الموسوعة الحديثة 1/5- 24.

1924 "البِزْر والبَزْر : كل حَبّ يُبزَرُ للنبات، وبَزَرَه بزْرا: بذره ...، والبزور: الحبوب الصغار مثل بزور البقول وما أشبهها، وقيل: البَزر الحَبّ عامة" اللسان: بزر.

1925 "إن علم النباتات المتفرع عن علم الأحياء يهتم بقضايا وأشكال النباتات وكل ما يتعلق بحياتها وتطورها ...، كان إلى غاية القرن السادس عشر مرتبطا بالطب وبالنباتات الصيدلية، ولم يُعتبر علما قائما بذاته ومستقلا عن باقي العلوم الأخرى إلا خلال القرن السادس عشر.
... بقيت مسألة تصنيف النباتات مدة طويلة تقريبية وسطحية ...، ويُعدّ عمل عالم الطبيعة السويدي شارل لينيي (1707- 1778) ... - حيث انكب على مسألة تصنيف المملكات الثلاث: الحيوانية والنباتية والمعدنية- نقطة الانطلاق بالنسبة لعلم النباتات الحديث ...؛ لذلك يبقى من الصعب القيام بتصنيف شامل ودقيق لكافة أنواع النباتات" الموسوعة الحديثة 2/7، وفيها الحديث عن "عالم النباتات" والتفصيل في أصنافها الثلاثة: الأشن المشققة والمشريات والكورموفيتات، وذلك بصور موضّحة 1/7- 47.

وتوالدها ومستقرها ومستودعها[1926]، ويتبع ذلك تشريح الإنسان.

علم ا لتشريح:

يعرف منه أن أعضاء الإنسان 248 عضوا، وتعرف أوردته وشراييه وأعصابه والدورة الدموية والدورة التنفسية والدورة الغذائية /[554] والدورة العقلية والحواس الخمس ونظامها، والقوى الخاصة التي في الدماغ[1927]، وتَقدَّم الإيماء إليها عند تفسير لفظ "رب" من (رب العالمين)[1928]، وهي الحس المشترك والمخيّلة والمفكرة والذاكرة والواهمة.

هذه هي بعض العلوم الطبيعية في العوالم السفلية.

وأما **العوا لم الإلهية** فلها علوم خاصة بها تبحث في أمر الملائكة كما ستراه إن شاء الله عند قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)[1929]، /[555] فسيظهر هناك إن شاء الله أن في معنى

1926 "يضم عالم الحيوانات (أو مملكة الحيوانات) جميع الكائنات الحية التي لا تتوفر على خصائص الكائنات النباتية ...، ويقوم تصنيف الحيوانات المختلفة - من أصغرها إلى أكبرها حجما، ضمن مجموعتها الكبيرة- على اشتراكها في كل من وظيفتي التغذية والتناسل... .
أما التصنيف الذي نتبناه في دراستنا هذه هو الذي يحظى حاليا بالإجماع من لدن مختلف المدارس المتخصصة ..." الموسوعة الحديثة 48/7، وفيها الحديث عن "عالم الحيوانات" والتفصيل في صِنفيْها: الحيوانات الأوليات (أي أحادية الخلية) والحيوانات عديدات الخلايا (أو التوالي)، وذلك بصور موضِّحة 48/7- 100.

1927 انظر الموسوعة الحديثة الجزأين 3 و4 في تاريخ الطب وأعضاء الجسم والعلاج.

1928 انظر المسألة التاسعة : تربية الله للعقول الكبيرة ... في الجواهر في تفسير القرآن 12/1.

1929 البقرة 29، "والملائكة: جمع ملأك على الأصل، كالشمائل جمع شمأل، والتاء لتأنيث الجمع، وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة؛ لأنهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس؛ فهم رسل الله أو كالرسل إليهم. واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ..." تفسير البيضاوي 279/1.
"قال أبو جعفر: والصواب في تأويل قوله: (إني جاعل في الأرض خليفة) أي مستخلف في الأرض خليفة ومُصيّر فيها خَلفا ...، فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله؛ لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته - إذ سألوه: ما ذاك الخليفة؟-: إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه، وأخرج منه خليفته" تفسير الطبري 448/1 و452. = =

الخلافة ما يفهم المقام من معرفة الله والملائكة، وبهذه العلوم أيضا تُعرَف الأمور العامة والمقولات وتُقسَم العلوم[1930].

هذه هي العوالم العلوية والسفلية التي تضمنها لفظ "العالمين"، والله هو المربي لها والمكمل لذواتها.

ولا يَحمَد الله حق حمده إلا من درس هذه العلوم كلها وعرف ما تفرع عنها وانتفع بها ونفع الناس بتعليمها[1931]، وحينئذ يحق له أن يقول: (الحمد لله رب العالمين) /[556]، هـ بخ[1932].

[الأدلة الشرعية على أخبار العوالم العلوية والسفلية][1933]:

فإن قيل: هذا المؤلف قد أغرق في الإخبار عن العوالم العلوية والسفلية وأتى من ذلك بما لا تطيقه العقول، وما أتى له بدليل شرعي وإنما استند في ذلك للعلوم العصرية، ومَنْ لنا بصدق أخبارها حتى نفسّر بها كلامَ ربِّ العالمين؟

أقول: إن العلوم العصرية قد ألهمها الله إلى صنع آلات مكبّرة ترى منها الأجرام كما هي، ومَن شك في صدقها فعليه بالاطلاع عليها فإنه

= = وقال البيضاوي أيضا في تفسيره 280/1 و281: "والخليفة: من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم؛ لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط، ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى: (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) [الأنعام 10]، ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) [النور 35] أرسل إليهم الملائكة، ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ...، وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول ...".

[1930] انظر المقصد السادس من سورة البقرة في الجواهر في تفسير القرآن 53/1 وما بعدها.

[1931] وهل درس الجيل الأول من الصحابة الكرام وتابعيهم كل هذه العلوم وعلموها الناس حتى صاروا حامدين الله حق حمده؟ إنه تكليف بما لا يطاق، فلو قيل: الاهتمام بهذه العلوم والتعمق فيها فرض كفاية: على الدولة أن توفر من يقوم بها، أو إنها من النوافل بالنسبة لعموم الناس، لكان الكلام علميا ومنصفا.

وانظر قوله: "وجميع هذه العلوم فرض كفاية على الأمة الإسلامية: إذا قام بها بعضهم سقط تكليف الباقين، وإذا أهملوا كلهم واحدا منها أثم الجميع" ص340.

[1932] الجواهر في تفسير القرآن 14/1 و15 بتصرف يسير.

[1933] انظر "في ديننا ما يؤيد ذلك" ص245.

/[557] يزول عنه كل إشكال وريب؛ لأنه ليس بعد العيان من بيان، وأما النصوص الشرعية وأقوال العلماء المتقدمين - الدالة على عظمة العوالم العلوية والسفلية وأنه لا حصر لعدّها ولا حدّ لقدرها يدركه البشر- (فكثيرة)[1934].

وقد نقل هذا السيد نفسه لدى قوله تعالى فيما يأتي قريبا: ﴿وَأُتُوا[1935] بِهِ مُتَشَابِهاً﴾[1936] ما نصه:

وأما ما يحتاج إلى تأمل فأوصاف الآخرة وأحوالها، ألا ترى إلى قوله تعالى: (مَثَلُ /[558] الجَنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقونَ فيها أنهارٌ مِن ماءٍ) إلى (مُصَفّى)[1937] وقوله: ﴿فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1938].

وفي الحديث: إنَّ في الجَنّةِ ما لا عَيْنٌ رَأتْ وَلا أذنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلبْ بَشَرٍ[1939]، وفيه: أُرِيتُ الجَنَّةَ فإذا أكْثَرُ أهْلِها البُلْهُ[1940].

[1934] في الهامش بعبارة "صح".

[1935] في المخطوط: وأوتوا.

[1936] البقرة 24.

[1937] محمد 16.

"يقال منه: قد أسن ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها ...، يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه؛ لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه ...، وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى: ... صفاه الله من الأقذاء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية؛ لأنه كان في شمع فصفي منه" تفسير الطبري 49/26 و50.

[1938] السجدة 17، "قال عبد الله: إن في التوراة مكتوبا: لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن وما لم يسمعه ملك مقرب، قال: ونحن نقرؤها: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)" تفسير الطبري 103/21.

[1939] في صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها 2825- 2175/4 عن سهل بن سعد مرفوعا: "فيها" بدل: "إن في الجنة"، وفيه أيضا 2824 حديث قدسي عن أبي هريرة: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين..."، وكذا في صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة 3072- 1185/3، وانظر كذلك فيه 4501 و4502- 1794/4 و7059- 2723/6.

[1940] في الكامل في ضعفاء الرجال: من اسمه أحمد 31- 191/1 عن جابر مرفوعا : "دخلت الجنة فإذا أكثر أهلها البله، قال الشيخ: وهذا حديث باطل بهذا الإسناد، مع أحاديث أخر يرويها [أي أحمد بن عيسى بن يزيد الخشاب التنيسي] عن عمرو بن أبي سلمة بواطيل"، وانظر لسان الميزان 755- 240/1 وفيض القدير: حرف الدال 522/3.

و[1941] عِلِيّون لأولي الألباب[1942].

وقال تعالى: (ولدَيْنا مَزيدٌ)[1943] وقال: (وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ)[1944] وقال: (لِلذينَ أحْسَنوا الحُسْنى وَزيادَةٌ)[1945]، /[559] والزيادة: النظر لوجهه الكريم، هـ بخ[1946].

[1941] أي وفي الحديث.

[1942] في تهذيب الكمال 5465- 117/26: "وقد روي من وجه آخر مرسلا: أخبرنا به أبو إسحاق بن الدرجي ... عن عبد العزيز بن عمر عن أبيه عمر بن عبد العزيز قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثر أهل الجنة البله،- قال أحمد بن أبي الحواري: البله عن الشر-، وأعلى عليين لأولي الألباب".
قال في الجواهر في تفسير القرآن 44/1: "وفسره علماؤنا بأن المفكرين في خلق السماوات والأرض وذوي النفوس العالية هم الذين يزهدون في الجنة الحسية، ويرغبون في جوار ربهم مع الأرواح الطاهرة الخالصة من المادة المبرأة من عيبها العارفة بنقصها ...".
أما عليون: فقد "اختلف أهل التأويل في معنى (عليين) [المطففين 18]، فقال بعضهم: هي السماء السابعة ...، وقال آخرون: هي قائمة العرش اليمنى ...، وقال آخرون: بل عنى بالعليين الجنة ...، وقال آخرون: سدرة المنتهى ...، وقال آخرون: بل عنى بالعليين: في السماء عند الله ... .
والصواب من القول في ذلك: ... أن قوله: (لفي عليين) معناه في علو وارتفاع في سماء فوق سماء وعلو فوق علو، وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة وإلى سدرة المنتهى وإلى قائمة العرش، ولا خبر يقطع العذر بأنه معني به بعض ذلك دون بعض" تفسير الطبري 101/30 وما بعدها.

[1943] ق 35، ومعناه في تفسير الطبري 173/26: "وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه، وقيل: إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه ...".

[1944] القيامة 21 و22، "اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك أنها تنظر إلى ربها ...، وقال آخرون: بل معنى ذلك أنها تنتظر الثواب من ربها ... .
وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..." تفسير الطبري 192/29 و193.

[1945] يونس 26، "اختلف أهل التأويل في معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه، فقال بعضهم: الحسنى هي الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء، والزيادة عليها: النظر إلى الله تعالى ...، وقال آخرون: الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة، والزيادة: التضعيف إلى تمام العشر ...، وقال آخرون: الحسنى حسنة مثل حسنة، والزيادة: زيادة مغفرة من الله ورضوان ...، وقال آخرون: الزيادة ما أعطوا في الدنيا ... .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ...، وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله: (وزيادة) الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيئا دون شيء، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله، فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره" تفسير الطبري 104/11- 108.

[1946] انظر المقصد الرابع من سورة البقرة في الجواهر في تفسير القرآن 43/1 و44.

وقال لدى قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرضِ﴾[1947] ما نص المراد منه:

قد أفضنا الكلام على الجنة والنار في "البقرة"[1948]، ونعيد الكلام الآن فنقول:

1- أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى أرواح الأنبياء عليهم السلام ليلة أسري به في السماوات سماء سماء: آدم في الدنيا[1949]، وعيسى ويحيى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في /[560] الخامسة، وموسى وإبراهيم في السادسة والسابعة[1950].

قال ابن حزم[1951]: فصح ضرورة أن السماوات هي الجنات[1952].

2- عن النبي[1953] صلى الله عليه وسلم قال: "البحرُ مِن جَهَنَّمَ، ﴿أَحاطَ بِهِمْ[1954] سُرادِقُها﴾"[1955].

[1947] الآية: 109 و129.

[1948] انظر المقصد الرابع منها في الجواهر في تفسير القرآن 42/1 ومابعدها.

[1949] أي في سماء الدنيا.

[1950] انظره عن أبي ذر مرفوعا في صحيح مسلم : باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات 162 وما بعدها- 145/1 وما بعدها، ومسند البزار 3892- 337/9، والمحلى لابن حزم 43- 24/1.

[1951] هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الحافظ العالم ناصر الدين، ولد بقرطبة سنة 384، كان شافعيا ثم أصبح ظاهريا، توفي سنة 456. انظر مقدمة كتابه : الفصل في الملل والأهواء والنحل.

[1952] "قال أبو محمد : ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا ...، وأخبر عليه السلام أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في السماوات سماء سماء، ولاشك في أن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة؛ فصح أن الجنات هي السماوات ...، بل قد بين تعالى أنها ليست في الأرض بقوله تعالى: (اهبطوا منها جميعا، بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة 38]، فصح يقينا بالنص أنه قد أهبط من الجنة إلى الأرض؛ فصح أنها لم تكن في الأرض البتة." الفصل في الملل والأهواء والنحل: الكلام في خلق الجنة والنار 141/4 وما بعدها.

[1953] في الجواهر في تفسير القرآن 175/2 : عن صفوان بن يعلى عن أبيه عن النبي.

[1954] في المخطوط : به.

[1955] هو في التاريخ الكبير : باب الحاء 170- 70/1 عن يعلى مرفوعا وفيه: "بهم" بدل "به"، وفي باب يعلى 3535- 414/8 منه: "...، وتلا (أحاط بهم سرادقها)..." الكهف 29.

وقال تعالى: (والبَحْرِ المَسْجورِ)[1956] أي الموقد[1957]، روي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحر نارا تسجر بها نار جهنم[1958].

3- عن ابن عباس عن كعب: (والبحر المسجور): يسجر فيكون جهنم[1959].

4- قال عبد الله بن سلام[1960]: /[561] وإن الجنة في السماء والنار في الأرض[1961].

5- قال علي بن أبي طالب ليهودي: أين جهنمُ؟ قال: في البحر. قال[1962]: ما أظنه إلا قد صَدَقَ[1963].

وعن ابن مسعود قال: الأرض يومئذ كلها نار والجنة من ورائها[1964]، وأولياء الله في ظل العرش[1965].

والسّرادق: السّور، أو الحائط من النار، أو الدخان المحيط بالكفار، كما في تفسير القرطبي 256/10.

[1956] الطور 5.

[1957] هو قول مجاهد في تفسير القرطبي 42/17.

[1958] صدره في المرجع السابق بقوله : "وقد جاء في الخبر".

[1959] علق عليه في المرجع السابق بقوله : "فهذا قول، وقال ابن عباس: المسجور الذي ذهب ماؤه، وقاله أبو العالية".

[1960] هو أبو يوسف عبد الله بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، من ولد نبي الله يوسف، روى عن رسول الله، وعنه عوف وأبو هريرة وخلق، توفي سنة 43. انظرتذكرة الحفاظ ص26 وطبقات ابن خياط ص8 والإصابة 320/2.

[1961] وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة أيضا في كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي : الباب الخامس في ذكر مكان جهنم ص45، وعلق فيه على قولة ابن سلام هذه بقوله: "خرجه ابن خزيمة وابن أبي الدنيا".

[1962] في الجواهر في تفسير القرآن 175/2 : قال عليه الصلاة والسلام.

[1963] هذا الحوار من قول سعيد بن المسيب في تفسير القرطبي 42/17.

[1964] "قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقا حتى يرشح في الأرض قدمه، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب، فقالوا: مم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟، قال: مما يرى الناس ويلقون" تفسير الطبري: [إبراهيم: 50]، 251/13، وانظر أيضا تفسير ابن كثير 564/2.
وعلق عليه في مجمع الزوائد: كتاب البعث، باب ما جاء في هول المطلع وشدة يوم القيامة 336/10 بقوله: "رواه الطبراني موقوفا، ورجاله رجال الصحيح"، وهو في المعجم الكبير: من اسمه عبد الله، خطبة ابن مسعود ومن كلامه 8771- 154/9.

6- أخبر تعالى أن أرواح الكافرين (لا تُفتَّحُ لهُمُ أبْوابُ السَّماءِ ولا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ)[1966]؛ فإذن من فتحت لهم أبواب السماء دخلوا الجنة كما قاله بعض القدماء[1967].

/[562] 7- أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن شدَّةَ الحَرِّ مِن فَيْحِ جَهَنَّمَ، وأنَّ لها نَفَسَيْنِ: نَفَساً في الشتاءِ ونَفَسًا في الصيفِ، وأنّ ذلك أشدُّ[1968] الحرِّ والبَردِ، وأنّ نارَنا أبرَدُ مِن نار جَهنمَ بِتِسْعٍ وَسِتّينَ دَرَجَةً[1969].

8- وعنه عليه السلام أن آخر أهل الجنة دخولا فيها - بعد خروجه من النار - يعطى مثل الدنيا عشر مرات[1970].

9- وقال أيضا: إن الدنيا في الآخرة كأصبع في اليم[1971].

وقال الله /[563] تعالى: ﴿[و][1972] جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ

1965 انظر "ذكر الخصال التي يرتجى لمن فعلها أو أخذ بها أن يظله الله يوم القيامة في ظل عرشه" في صحيح ابن حبان : باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم 7338- 332/16.

1966 الأعراف 39.

1967 "وقيل : المعنى لا تفتح لهم أبواب الجنة؛ لأن الجنة في السماء، ودل على ذلك قوله: (ولا يَدْخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط)، والجمل لا يلج فلا يدخلونها البتة" تفسير القرطبي 132/7.

1968 في الجواهر في تفسير القرآن 175/2 : أشد من.

1969 عن أبي هريرة مرفوعا: "إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير" صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر 512-1/199.
وفي كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة 3092- 1191/3 عن أبي هريرة أيضا مرفوعا: "ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها".

1970 عن عبد الله بن مسعود مرفوعا : "إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا: رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا-، فيقول: أتسخر مني - أو تضحك مني- وأنت الملك؟، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة" صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار 6202- 2402/5، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا 186- 173/1.

1971 عن مستورد - أخي بني فهر- مرفوعا: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار يحيى [أحد رواة الحديث] بالسبابة- في اليم فلينظر بم يرجع" صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 2858- 2193/4.

والأرضُ﴾[1973]، وقال أيضا: ﴿عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأرضِ﴾[1974].

9- عن ابن عباس(ت 63) قال: ليس في [الدنيا مما في الجنة][1975] إلا الأسْماءُ[1976].

10- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّماواتُ﴾[1977]، وقال تعالى: ﴿وفُتِّحتِ السّماءُ فكانت أبوابا﴾[1978]، وقال تعالى: ﴿يومَ تكونُ السماءُ كالمُهْلِ وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ﴾[1979]، وقال تعالى: ﴿وحُمِلتِ الأرضُ والجبالُ فدُكَّتا دَكَّةً واحِدةً، فيومَئِذٍ /[564] وَقَعَتِ الواقِعَةُ، وَانشقَّتِ

[1972] ساقطة من المخطوط.

[1973] آل عمران 133، "ذكر أن معنى ذلك: وجنة عرضها كعرض السماوات السبع والأرضين السبع إذا ضم بعضها إلى بعض ..." تفسير الطبري 91/4.

[1974] الحديد 20.

[1975] في المخطوط: الجنة مما في الدنيا، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 175/2 ، وانظر أيضا التعليق الآتي.

[1976] "وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء، وفي رواية: ليس في **الدنيا مما في الجنة** إلا الأسماء. ورواه **ابن جرير** من رواية الثوري وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به" تفسير ابن كثير- البقرة 25- 66/1، وانظر تفسير الطبري 391/1 و392 فيما ذكره عنه ابن كثير.
قال في فيض القدير: حرف اللام 373/5: "قال المنذري: ورواه عن البيهقي موقوفا بإسناد جيد".
ومعناه كما في تفسير القرطبي - الإنسان 15- 140/19: "أي ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى"، وفي تفسير ابن كثير - الرحمن 51- 297/4: "يعني أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا في التفاضل"، وقال في فيض القدير: حرف اللام 373/5: "وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر ...".

[1977] إبراهيم 50، "واختلف في قوله: (يوم تبدل الأرض)، فقال بعضهم: معنى ذلك يوم تبدل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار هذه الأرض فتصير أرضا بيضاء كالفضة ...، وقال آخرون: تبدل نارا ...، وقال آخرون: بل تبدل الأرض أرضا من فضة ...، وقال آخرون: يبدلها خبزة ...، وقال آخرون: تبدل الأرض ... .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه. وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة، وجائز أن تكون نارا، وجائز أن تكون خبزا، وجائز غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أيّ ذلك يكون؛ فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل" تفسير الطبري 249/13- 254.

[1978] النبأ 19، ومعناه كما في تفسير الطبري 8/30: "وشققت السماء فصدعت فكانت طرقا، وكانت من قبل شدادا [(وبنينا فوقكم سبعا شدادا) النبأ 12] لا فطور فيها ولا صدوع".

[1979] المعارج 8 و9، وفسر مجاهد "كالمهل: كعكر الزيت ...، كالعهن قال: كالصوف"، وعن قتادة: "كالمهل: تتحول يومئذ لونا آخر إلى الحمرة ...، كالعهن قال: كالصوف" تفسير الطبري 73/29.

السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ، وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها﴾[1980]، وقال تعالى: ﴿أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾[1981]، وقال تعالى: ﴿خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلا ما شاءَ رَبُّكَ، عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1982] هـ[1983].

ثم ذكر من كشف العلم الحادث ما يدل على أن هذه الأرض - التي نحن عليها- باطنها كله نار، وفوقنا على[1984] 60 كيلومطرا[1985] زمهرير، [وأنها][1986] ثمانية أتساع من /[565] النار، وأن الأرواح نطقت بذلك، فقال ما ملخصه:

نحن بين زمهرير فوق كثرة الهواء البالغة نحو 60 كيلومطرا، وبين نار في باطن الأرض كما تدل على ذلك البراكين النارية، وثخن الأرض لا

[1980] الحاقة 13- 16، وفسر ابن زيد قوله: "(فدكتا دكة واحدة) قال: صارت غبارا"، ومعنى واهية: "متصدعة ...، (والملك على أرجائها) يقول تعالى ذكره: والملك على أطراف السماء - حين تشقق- وحافاتها ..." تفسير الطبري 56/29 و57.

[1981] الأنبياء 30، وقال الطبري في تفسيره 18/17 و19: "ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين ...، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء. ...فقال بعضهم: ...كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ...، وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السماوات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين ...، وقال آخرون: بل عنى بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ...، وقال آخرون: إنما قيل: (ففتقناهما)؛ لأن الليل كان قبل النهار ففتق النهار ... .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ... كانتا رتقا من المطر والنبات...".

[1982] هود 108، وفي تفسير الطبري 121/12:

"وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرته عن الضحاك وهو: وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك من قدر مكثهم في النار من لدن دخولها إلى أن دخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص؛ لأن الأشهر من كلام العرب في (إلا) توجيهها إلى معنى الاستثناء وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام - أعني في قوله: (إلا ما شاء ربك)- تدل على أن معنى الاستثناء المفهوم في الكلام فيوجه إليه.

وأما قوله: (مجذوذ) فيعني عطاء غير مقطوع عنهم ...".

[1983] انظر الفصل الرابع من سورة آل عمران في الجواهر في تفسير القرآن 175/2، وفيها بعد ذكر النصوص: "هذه الآيات والأحاديث هي التي أردت جمعها لتكون أساسا لما نبني عليه من العلوم الحديثة التي كشفها علماء العصر الحاضر في أوروبا لتعجب من أمة الإسلام النائمة نوما عميقا والأمم من حولها باحثون منقبون عارفون نظام الكائنات...".

[1984] أي على بُعْدِ.

[1985] في المخطوط : كيلومطر.

[1986] في المخطوط: وأن، ولعل المعنى أن ثمانية أتساع الأرض نار.

يزيد على 90 كيلومطرا، وحرارة الأرض ترتفع درجة كلما تعمق الإنسان فيها ثلاثين مطرا، فعلى عمق 3000[1987] تكون الحرارة 100 درجة، وعلى عمق 90 كيلومطرا تكون 3000 درجة، وهي حرارة تصهر جميع المعادن /[566] والصخور.

وهذا كشف لحديث أن نارنا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم[1988]، ولقوله تعالى: ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[1989].

على أنه لا وقوف عند ما ذكر، فربما جاء المستقبل بما نجهله الآن، والقرآن يجب أن لا يقف عند كشف، ولا يقطع بأن هذا معناه.

فانظر كيف قال ابن حزم: إن الجنة قسمان:

قسم هو السماوات السبع وهي الجنات السبع، وقسم هو الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض[1990] /[567] وهو الكرسي.

والقسم الأول - وهو السبع- عرضها السماوات والأرض[1991]، وأن الأبواب الثمانية: في كل سماء [باب][1992]، وفي الكرسي باب، وأن العرش فوق أعلى الجنة - وهو محل الملائكة- وليس من الجنة في شيء، وقوله تعالى: (الذين يَحْمِلون العرش ومَنْ حَوْلهُ)[1993] بيان جليّ بأن على العرش جِرْما آخر فيه الملائكة.

وقال: إن البرهان قام على ذلك من علم الهيئة.

هذا قول ابن حزم وهو مبني على الفلك القديم، وقد ظهر بطلانه،

1987 أي متر، بمعنى ثلاث كيلومترات.

1988 انظر صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة 3092- 1191/3.

1989 التوبة 49 والعنكبوت 54.
ومعنى الآية: "وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله، محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة" تفسير الطبري 149/10.

1990 قال تعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) الحديد 21.

1991 قال جل وعلا : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض) آل عمران 133.

1992 ساقطة من المخطوط ، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 178/2.

1993 غافر 6، "يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومَن حول عرشه ممن يحف به من الملائكة ..." تفسير الطبري 43/24.

فانظر /[568] كيف طبّقه عليه!.

ولما اطلعْنا عليه أردنا أن نُطلِعَك على العلم الحديث في النار وفي الجنة، ولكن **لا تجعل ما نقوله هو نفسه معنى القرآن والحديث، بل هو احتمال** نقوله وعليك أن تترقب العلم الحديث والبحث والتنقيب.

ثم ذكر حديث روح بعض الفلكيين[1994]، ومحصّله:

أن الفضاء مسافة تفصل ما بين جرمين ولا حدّ له، فلنتصور أنفسنا طائرين بسرعة الشرارة /[569] الكهربائية التي تقطع في الثانية ألوفا من الفراسخ، فبعد ثوان نرى الأرض ككوكب صغير ثم تتوارى، وهكذا الشمس، ثم تتجلى لنا نجوم لا نراها في الأرض، ثم نقطع في هنيهة عوالم متجمعة وسيارات ساطعة وبقاعا زاهية نثر الله فيها العوالم:

وذلك في دقائق نأينا فيها عن الأرض ملايين في ملايين من الفراسخ، ورأينا ألوفا من الألوف من العوالم، ومع ذلك لم نخط خطوة واحدة في الكون، ولئن سافرنا هكذا ملايين من /[570] العصور لم نخط خطوة في طريقنا إلى جهة توجهنا من الأرض.

وأما الزمان فهو تعاقب الأشياء بلا نهاية، يتولد من تولد الأشياء وينقضي بانقضائها، وتختلف الأزمان باختلاف العوالم، وخارج هذه التعاقبات الفانية تسود الأبدية وحدها، فلو جمعنا ألوفا من القرون لاتكون إلا نقطة زهيدة في الأبدية؛ لأن الأبدية لا حدَّ لها ولا بدء لها ولا نهاية[1995].

ثم قال: فتلك المجرّات التي تميّزونها /[571] في أقاصي السّماوات إن هي إلا تجمّعات شموس: منها ما هو في بدء تكوينها، ومنها آهلة بالأحياء، ومنها ما بلغت طور الانحطاط.

[1994] في المخطوط : الفلكين.

قال في الجواهر في تفسير القرآن 178/2 و179: "في كتابي المسمى: الأرواح من تعاليم الأرواح، فقد أحضروا في أوروبا روح العلامة غاليليوس الشهير بالعلوم الفلكية على يد الوسطاء للجمعية الباريسية الروحانية في خلال سنتي 1862 و1863...".

أقول: أكذوبة تحضير الأرواح تظهر جلية حين نعلم أن شرار الجن يهزؤون بالإنس لمّا يتخذون صور وأشكال الأشخاص الغائبين - بموت أو غيره- فيوهمونهم بأن روح فلان قد حضرت، وما ذاك إلا دجل وشعبذة.

هذا والشعوذة لايخلو منها أي مجتمع من المجتمعات كافرا كان أم مؤمنا.

[1995] الجواهر في تفسير القرآن : القسم الثامن من سورة آل عمران، اللطيفة السادسة 176/2- 179 بتصرف.

وبالاختصار: كما أننا قائمون في وسط غير متناه من عوالم، هكذا نحن عائشون في دوام أزلي سابق وأبدي لاحق لوجودنا الحاضر:

إن المادة الأصلية تحوي في ذاتها العناصر الهيولية والسيالة الحيوية، فحَدَثَ مَرَّة أنه في نقطة من الفضاء وفي وسط مليارات من العوالم /[572] تكاثفت المادة الأصلية فتولد عنها مجرة - أي سحابة بيضاء نيِّرة لا يكاد يدرك قياسها-، وبقوة النواميس العامة المستقرة فيها[1996] أصابت الشكل الكروي، ثم تغيّر[1997] بقوة الحركة الدورية، وأصابت الشكل العدسي، وتَوَلدَ عن حركتها هذه الدوريةِ [قوات أخرى أخصُّها قوة الجاذبة والدافعة][1998]، وتعاظمت سرعة حركة المجرة إلى أن اقتلعت من المجرة الدائرة المحيطة بخط الاستواء، ثم انقلبت إلى كتلة قائمة بنفسها، ولكنها خاضعة /[573] لولاية المجرة الأولى، وبقي لها حركتها الاستوائية، فتغيرت إلى حركة انتقالية حول الجرم الأصلي، وأكسبتها حالتُها الجديدة حركة أخرى دورية حول مركزها الذاتي، ثم تقلع مئات من المجرات من المجرة الأصلية، وكل من هذه العوالم ينتج أجراما[1999] تدور حوله، وكل من هذه الأجرام يكون شمسا - أي مركزا- لكواكب جديدة تتفرع منه، وما الأرض إلا إحدى هذه السيارات أصبحت مهدا لخلائق ضعيفة تكلؤها عين العناية /[574] الربانية.

وقد تفرّع من السيارات قبل تجمّدِها أجرام أخرى صغيرة اقتطعت من دائرة خط الاستواء وأخذت تدور حول محورها وحول الجرم الأصلي بقوة النواميس العامة، فتولد من الأرض القمر وجمد قبلها لصغر حجمه وصار على شكل بيضي، واختلفت الأجرام المتفرعة من السيارات عددا وأحوالا، ومنها[2000] ما لم يتفرع عنه شيء كعطارد والزهرة، ومنها ما ولدت قمرا أو أكثر كالأرض والمشتري وزحل.

وأما ذوات الأذناب[2001] /[575] فليست إلا كواكب متنقلة من شموس

[1996] "وخصوصا التجاذب في الدقائق" المرجع السابق 182/2.

[1997] أي ثم تغير شكلها الكروي.

[1998] إضافة من المرجع السابق.

[1999] في المرجع السابق : أجراما ثانوية.

[2000] أي من السيارات.

[2001] أي النجوم ذوات الأذناب.

إلى شموس، وقد كشف المرصاد في المجرة المعروفة ب"درب التبانة" عن ملايين من الشموس معظمها أبهى نورا وأوسع حجما من شمسكم.

إن المجرة في الحقيقة حقل فسيح زرعت فيه زهور - شموس وكواكب- تتلألأ في أرجائها الرحيبة، فالشمس وكافة السيارات والأجرام التابعة لها زهرة واحدة من تلك الزهور المنثورة في حقل المجرة، وعدد هذه الشموس لا يقل /[576] عن الثلاثين مليونا، تبعد كل منها عن الأخرى أكثر من ثلاثة آلاف ألف ألف ألف فرسخ.

فمن هذا يستدل على سعة تلك المجرة الممتنع تصوّرها، وصغر شمسكم بالنسبة إلى باقي الشموس، ثم إن حقارة أرضكم بالنسبة لحجمها وأحوال سكانها الأدبية والعقلية[2002]، ثم إن المجرة ذاتها مع ملايين شموسها ليست شيئا بالنسبة إلى الألوف من المجرات المنتشرة /[577] في أقاصي الفضاء، وإنما تظهر أوفر سعة وسناء من سواها لإحاطتها بكم ووقوعها تحت دائرة نظركم، في حين المجرات الأخرى متوغلات في أقاصي السماوات فلا يكاد يراها مرصادكم.

فإذا علمتم أن الأرض ليست بشيء في عامة المجرات، وعامة المجرات ليست بشيء في سعة الفضاء الذي لا يتناهى سهل عليكم إدراك حقارة الأرض وعدم أهمية الحياة الجسدية.

/[578] إن الملايين من الشموس المؤلفة منها مجرتكم يحيط بأكثرها سيارات وعوالم تستمد منها النور والحياة:

فمنها نجم "سَرْيُوسَ" الذي يربو حجمه وبهاؤه على نجمكم[2003] ألوفا من المرات، والسيارات المحيطة به تفوق سيارات الشمس سناء وبهاء.

ومنها شموس توائم تختلف وظائفها الفلكية عن وظائف شمسكم، ففي السيارات المحيطة بها لا تعد السنين والأيام /[[579] كما في أرضكم، وأحوال الحياة فيها يتعذر عليكم تصورها.

ومن الشموس ما لا سيارات لها، وأحوال سكانها خير الأحوال.

[2002] في المرجع السابق 184/2 : "ثم إن حقارة - بل عدم- أرضكم ليس بالنسبة إلى حجمها وسعتها المادية فحسب، بل فوق ذلك إلى أحوال سكانها الأدبية والعقلية".

[2003] أي الشمس.

وبالجملة: إن تفننات هذه النجوم واختلاف أحوالها ووظائفها مما يقصر الإدراك البشري عن تخيُّلها، إن ما ترونه من النجوم يختص بمجرة واحدة تدعى "درب التبانة"، ولكل منها سير مخصوص مصدره قوة الجاذبية، فتسير في طرق معينة ومركزها الجرم الأصلي وهو الشمس، وهي أيضا /[580] تسير في الفضاء سابحة معها موكبها الحافل بالسيارات والأقمار والمذنبات في طريق محدود تسير فيه بصحبة شموس أخرى من طبقتها حول جرم آخر عظيم تولدت منه، غير أن حركة سيرها وسير باقي الشموس رفيقاتها لا تصيبها الأرصاد السنوية؛ لأن ذلك يستدعي عددا عظيما من الأجيال لإتمام إحدى هذه السنوات الشمسية.

ثم إن هذا الجرم العظيم /[581] الذي تدور حوله الشمس مع سائر الشموس ليس بجرم أصلي، بل يدور هو أيضا بصحبة أجرام أخرى من طبقته حول نجم آخر أعظم منه، وهكذا قل عن النجم الثاني إلى أن يحل العجز بمخيلتنا عن تصور هذه السلسلة المرتبة القائمة ما بين شموس مجرتكم التي لا يقل عددها عن الثلاثين مليونا.

وكل هذه الشموس مع سياراتها مرتبطة ببعضها في نظام واحد كمجموع دواليب[2004] آلة واحدة، /[582] فتظهر لعين الناظر إليها عن بعد كحفنة من اللآلئ الذهبية نثرتها النفحة الإلهية في الفضاء كما تنثر الريح الرمال في بلقع الصحاري، إن فلاة لا يُحدُّ قرارها تمد إلى كل جهة حول المجرة؛ لأن المجرات منثورة في الفضاء كجزر في بحر لا حد لسعته، فالمسافة بين كل المجرات تفوق قطر المجرة ذاتها بما لا حد له، ومعلوم أن قياس مجرتنا يعد بمئات ألف ألف ألف ألف ألف فرسخ، أما قياس بُعدِها /[583] عن باقي المجرات فلا يمكن لعقل أن يدركه.

وتتجلى فيما وراء هذه العوالم عوالم أخرى تتبختر في بحر الأثير وتظهر الحياة فيها تحت مجالي غريبة يستحيل تصوّرها، فالمنتقل من مجرّتكم إلى تلك المجرات يعاين ضروبا من الحياة وقوى طبيعية لم تكن قط لتخطر على ذهنه، فيدرك هنا قدرة الخالق:

رأينا ناموسا أصليا واحدا يتولى تكوين العوالم، وهو نفسه سيتولى

[2004] في المخطوط: دوالب. "والدُّولاب والدَّوْلاب: كلاهما واحد الدَّواليب، وفي المحكم: على شكل الناعورة يُستقى به الماء، فارسي معرب" لسان العرب: دلب.

أمر انحلالها؛ لأن مِنْجلَ الموتِ يحصد ذوات /[584] النسمة والمادة الجمادية أيضا بانحلال تراكيبها، فحين يقضي العالم سِنّي حياته تخمد منه نار الوجود وتفقد [عناصره][2005] قواها الأصلية وتزول منه الحياة الطبيعية بزوال القوى:

إن النواميس التي أخرجته من العدم وأحيته ودَرَّجَتْه من أجيال الصبوة إلى الهرم ستتولى أمر دثوره وإرجاع عناصره الجوهرية إلى الفناء ليتكون عوضه /[585] فيما بعد عوالم جديدة إلى ما لا نهاية له.

فأبدية الكون تُعقِب الشموسَ الشموسَ والعوالم العوالم دون أن يصيب قوى الكون أدنى كلل أو خمود، فما ترون في أقاصي السماوات من نجوم نيّرة ربّما محتها من أمد بعيد يَدُ الموت وأعقبها العدم خلقة جديدة تجهلونها بعد.

إنما البعد الشاسع بينكم وبين الأجرام القاصية الذي لا يقطعه النور إلا في ألوف الألوف من السنين يجعل أشعتها تصل اليوم إليكم، /[586] مع أنها ربما انبعثت قبل خلق الأرض بأمد مديد، ففي هذه وغيرها تظهر حقارة الإنسان وعدم دنياه، إنما سيأتي يوم فيه يبقى ذكر الأرض في ذهننا كظل بخاري بعد أن نكون قد تدرّجنا أجيالا لا عدد لها إلى العوالم العليا، وحين نتأمل في المستقبل عند بلوغنا هذا الحد لا نرى نصب أعيننا إلا تعاقبا سرمديا من العوالم، أو أبدية ثابتة لا انقضاء لها، هـ بخ[2006].

قال المؤلف المذكور[2007]:

فإذا وازنت /[587] بين العلم الحديث والقرآن والحديث وجدتَ أن العلم الحديث كشف:

أولا: أن الأرض انفصلت عن الشمس، والقمر انشق منها:

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[2008].

[2005] في المخطوط: عناصرها، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 185/2 .

[2006] المرجع السابق: القسم الثامن من سورة آل عمران، اللطيفة السادسة 182/2- 185 بتصرف.

[2007] أي الشيخ طنطاوي جوهري صاحب تفسير "الجواهر في تفسير القرآن".

[2008] الأنبياء 30.

وثانيا: أن الأرض إذا جاء أجلها تمور وتصير هباء ثم تصير عالما جديدا، وكذا بقية الكواكب:

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[2009].

وثالثا: الأرواح في الأرض تنتقل إلى عوالم أرقى سماوية:

وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أرواح الأنبياء /[588] في السماوات[2010]، وقال تعالى: (لا تُفَتَّحُ لهُمُ أبوابُ [السّماءِ])[2011].

ورابعا: الأرواح تنتقل من عالم إلى عالم سماوي على حسب استعدادها:

وقال تعالى: (وللآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأكْبَرُ تَفْضيلاً)[2012].

وخامسا: بعد الهواء برودة شديدة في الخلاء، وفي باطن الأرض حرارة:

وفي الحديث: أن شدة الحر من فيح جهنم، وأن لها نَفَسَيْنِ: نَفَسا في الشتاء ونَفَسا في الصيفِ، فهو أشدُّ ما تَجدونَهُ مِن الحرِّ وأشَدُّ ما تجدونَهُ مِن الزَّمْهَريرِ[2013].

وسادسا: نار جهنم أقوى من نارنا عشرات المرات:

2009 إبراهيم 50.

2010 انظر صحيح مسلم 162 وما بعدها- 145/1 وما بعدها، ومسند البزار 3892- 337/9.

2011 الأعراف 39، وفي المخطوط: "السماوات" وهو خطأ.

2012 الإسراء 21، وشطرها الأول هو: (انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض).

قال ابن كثير في تفسيره 37/3:

"ولتفاوُتهُم في الدار الآخرة أكبرُ من الدنيا؛ فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها، ومنهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون؛ فإن الجنة مائة درجة: ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

وفي الصحيحين: إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء [مسلم: 2830 و2831- 2177/4]، ولهذا قال تعالى: (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا).

وفي الطبراني من رواية زاذان عن سلمان مرفوعا: ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة أكبر منها، ثم قرأ: (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)" [المعجم الكبير 6101- 239/6].

2013 انظر صحيح البخاري 512- 199/1.

/[589] وفي الحديث: أنَّ نارَنا أبْرَدُ مِن نار جَهنَّمَ بتِسْعٍ وسِتّينَ دَرَجَةً[2014].

وإياك أن تظن أني أرى أن جوفَ الأرض والزمهريرَ الذي فوق الهواء هما جهنم، وإن كان ظاهر الأحاديث يوافق [ذلك][2015] والكشف الحديث يؤيده، فقد يكون ذلك يماثلها أو يكون قطعة منها؛ لأن في العوالم[2016] أراضي غير أرضنا كثيرة، [و][2017] فيها نار أشد من نار أرضنا، فربما ضمت يوم القيامة كلها فصارت نارا واحدة، وقد يكون هناك من العلم ما لم نصل إليه.

وكذلك لا تظن أني أرى أن هذه النجوم التي هي /[590] مسكونة[2018] وأن أهلها في سعادة ونعيم وأن الأرواح الأرضية ترتقي فيها بحسب استعدادها وأن الروح كلما صفت وخلصت ارتفعت إلى عالم ألطف لخ، لا تظن أني أقطع بأنها هي الجنة، وإن كانت الآيات والأحاديث تكاد تصرّح بها كقوله: (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخِياط)[2019]، وكقول عبد الله بن سلام: إن الجنة في السماء[2020].

وإنما لم أقل: هي الجنة؛ لأن الكشف /[591] لم يبيّن لنا حقيقة هل في السماء سكان؟، وهذا الكشف لم يتمّ الآن:

فإذا ثبت أن الأرواح تترقى هكذا في الدرجات، قلنا: إن هذه هي الجنة[2021]. وكل هذا لم يقم عليه دليل.

2014 انظر صحيح البخاري 3092- 1191/3.

2015 إضافة من الجواهر في تفسير القرآن 186/2.

2016 في المرجع السابق : العالم.

2017 في المخطوط: أو، والتصويب من المرجع السابق .

2018 "كما ذكرته روح غاليلي" المرجع السابق.

2019 الأعراف 39.

2020 انظر كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي: الباب الخامس ص45.

2021 "بل نقول فوق ذلك: إن تلك الدرجات ما كان منها فيه تكليف وإذلال فهو من جهنم، وما كان فيه سعادة فهو من الجنة، وكل هذا إلى الآن لم يقم عليه دليل، ثم إذا قام عليه دليل تكون تلك جنات حسية، وليست مقصودة العارفين ... كما أوضحت ذلك نقلا عن الإمام الغزالي..." الجواهر في تفسير القرآن 186/2.

وبالجملة: **فالعلم الحديث يكاد يقترب من الآيات والأحاديث**، ومحصل ما أراه أننا نعرف هذا القدر ونتربص حتى تنكشف الحقائق ولا نقطع بذلك؛ فإن العلم آخذ في الرقي (وأن إلى ربّك المُنتَهى)[2022].

ومن عجب أن البرد الشديد تحت الصفر بدرجات يحرق الأجسام كالنار كما جاء في الكشف /[592] الحديث، هـ بخ[2023].

وفي "الرماح" للولي الصالح سيدي عمر الفوطي التجاني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به ما نصه:

اعلم أن عدد الأرواح لا يوقف له على غاية؛ لأن عدد العوالم الإلهية ثمانية آلاف، عالم العرش بكل ما في جوفه عالم واحد من هذه العوالم، وفي جوفه الكرسي والفلك الأطلس وفلك الكواكب الثابتة والسماوات السبع والأرضون والجنة والنار، وكلها مملوءة بالمخلوقات، وأرض السمسمة واسعة جدا: لو وضع /[593] العرش فيها بجميع ما في جوفه لكان كحلقة ملقاة في فلاة، وهي مملوءة بما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، ثم هي كل مقدار طرفة عين يتزايد الخلق فيها تزايدا لا عدَّ له منذ خُلِقَت إلى الأبد، وأهلها لا يموتون وكل من خلق فيها بقي إلى الأبد، وفيها من أعداد عوالم المخلوقات ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وهي على هذا المهيع إلى الأبد. وكل أهلها مع الثمانية آلاف بجميع ما فيها من المخلوقات داخلون /[594] في حيطة "الفاتح لما أغلق"[2024]، هـ بخ[2025].

[2022] النجم 41.

[2023] الجواهر في تفسير القرآن: القسم الثامن من سورة آل عمران، اللطيفة السادسة 185/2 و186 بتصرف يسير.

[2024] في مصنف ابن أبي شيبة : ما جاء عن علي رضي الله عنه مما دعا مما بقي من دعائه 29520- 66/6 عن علي "كان يقول: اللهم يا داحي المدحوات ويا باني المبنيات ويا مرسي المرسيات ويا جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، ويا باسط الرحمة للمتقين اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفات تحيتك وعواطف زواكي رحمتك على محمد عبدك ورسولك **الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق وفاتح الحق بالحق** ..." وذكر دعاء طويلا، وهو في المعجم الأوسط: من اسمه مسعدة 9089- 43/9.

وأورده مختصرا أبو نعيم في كتابه: ما انتهى إلينا 18- ص54 وعلق عليه بقوله: "تفرد به نوح بن قيس".

ورواه ابن كثير - في تفسيره: [الأحزاب 56] 517/3- بطوله موقوفا على علي "من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد بن الحباب، ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن عليا رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء..." ثم أعقبه بقوله: = =

وفيها أيضا بعد ذلك ما نصه: "وانظر الملائكة العالين في عددهم [وهم لا يحصى عددهم][2026]، فإن السماوات السبع والأرضين السبع مملوءة بالملائكة، وإن أضيفت إلى ملائكة الكواكب الثابتة كانت نزرا قليلا"[2027]، هـ.

ثم قال: وكذا نسبة ملائكة الفلك الثامن إلى الأطلس على هذا المهيع، وكذا الفلك الأطلس مع الكرسي على هذا المهيع، والكرسي مع العرش على هذا المهيع.

إن حول العرش ستمائة ألف سرادق، والسرادق: /[595] السور[2028]، وبُعدُ ما بين كل سرادق وسرادق قدر مسافة السماوات والأرض: وذلك ثلاثة عشر ألف وخمسمائة سنة، وكلها مملوءة بالملائكة، ومن وراء السرادقات مائة ألف صف وسبعون ألف صف من الملائكة، وكل هؤلاء الملائكة في ملائكة السور نزر قليل.

ثم من وراء العرش سبعون حجابا محيطة به كإحاطة بيضة النعام، غلظ كل حجاب سبعون ألف عام سيرا، وسعة كل ما بين [حجاب وحجاب][2029] /[596] مسيرة سبعين ألف عام هواء، وكل ذلك الهواء مملوء بالملائكة، لا تجد فيها قدر أنملة فارغا. وبين الحجاب الأول والعرش سبعون ألف عام هواء، كله مملوء بالملائكة.

ومن وراء العرش حجاب عالم الرقا[2030]، وكل حجاب فوق حجاب

= = "هذا **مشهور من كلام علي** رضي الله عنه، وقد تكلم عليه ابن قتيبة في "مشكل الحديث"، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن **في إسناده نظرا**. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: سلامة الكندي هذا **ليس بمعروف** ولم يدرك عليا".

[2025] انظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر الفوتي : الفصل التاسع والثلاثون 84/2 و85.

[2026] إضافة من المرجع السابق 85/2.

[2027] المرجع السابق.

[2028] هو قول ابن الأعرابي في تفسير القرطبي [الكهف 29] 256/10، وفيه أيضا معاني أخرى هي أنه حائط من نار، أو عُنُق [أي قطعة] تخرج من النار فتحيط بالكفار، أو الحُجْزة التي تكون حول الفسطاط، أو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، أو البحر المحيط بالدنيا، أو أربعة جدر كثف، قال القرطبي معلقا: "وهذا يدل على أن السرادق ما يعلو الكفار من دخان أو نار، وجدره ما وصف".

[2029] كذا في الرماح 88/2، وفي المخطوط: الحجاب والحجاب.

[2030] "بتشديد الراء وتشديد القاف بعدها" الإبريز ص440.

مثل الحجب التي فوق العرش[2031].

قال العارف المتبولي[2032] رضي الله عنه:

إن كشفه انتهى إلى مشاهدة سبعمائة حجاب وراء العرش، يعني مثل الحجب السبعين في القدر والسعة، ثم عالم الرّقا /[597] كله حجب مثل ما تقدم في السبعين حجابا إلى الطوق الأخضر المحيط بكورة العالم، ووراء الطوق الأخضر حجب كثيرة، بين كل حجاب وحجاب سبعون ألف حجاب، كلها مملوءة بالملائكة، وكل ملائكة الحجب - من العرش إلى الطوق الأخضر[2033] إلى ما وراءه- كلهم عالون، هـ بخ[2034].

وقال قبل ذلك ما نصه:

فائدة في اعتبار كثرة الملائكة وأنهم أكثر جند الله تعالى:

وفي الحديث عنه عليه السلام قال: أطت السماء وحق لها أن /[598] تئِطّ، ما فيها من موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع[2035].

وروي أن بني آدم عُشرُ الجن، والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر، [وهؤلاء كلهم عشر الطير][2036]، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر، وكل هؤلاء عشر ملائكة الأرض الموكلين، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية، ثم على هذا الترتيب إلى

2031 انظر الفقرتين الأخيرتين في الإبريز ص440.

2032 هو العارف إبراهيم بن علي المتبولي، لم يكن له شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، غادر مصر بسبب معارضته السلطان، وتوفي بها سنة نيف وثمانين وثمانمائة، وقيل: 877. انظر الطبقات الكبرى للشعراني 322- 83/2 والأعلام 52/1.

2033 في الرماح 89/2: الأخير الأخضر.

2034 انظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم 88/2 و89.
ومن المعلوم بداهة أن الإخبار عن المغيبات - وخصوصا بأعداد معينة- من اختصاص المعصوم.

2035 انظر سنن الترمذي: كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا 2312- 556/4، والمستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة "هل أتى على الإنسان" 3883- 554/2، وكتاب الأهوال 8726- 623/4، وتفسير ابن كثير [الصافات 164] 26/4، والمدثر 31: 474/4.
وأطّت السماء: "صاحت وأنّت وصوّتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها ...، قال ابن الأثير: وهذا مَثل وإيذان بكثرة الملائكة كثرة لا يسعها عقل البشر، وإن لم يكن ثمّ أطيط وإنما هو تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى " فيض القدير: حرف الهمزة 536/1.

2036 إضافة من جواهر المعاني وبلوغ الأماني 281/2.

السابعة، ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل، ثم هؤلاء عشر ملائكة /[599] السرادق الواحد من سرادقات العرش[2037] التي عددها ستمائة ألف سرادق، طول السرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما بينهما فإنما تكون شيئا وقدرا صغيرا، وما من موضع قدم منها إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم، لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحفون حول العرش كقطرة في بحر، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

وقيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين /[600] ومكبرين ومن ورائهم سبعون ألفا قياما[2038] قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا اليمين على الشمال ما منهم من أحد إلا وهو يسبح بما لم يسبح به الآخر[2039].

ثم هؤلاء في ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل نزر قليل[2040].

وقيل: بين القائمتين من قوائم العرش خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام[2041].

وقيل في عظم العرش[2042]: إن له ثلاثمائة [وستة][2043] /[601]

[2037] "وقيل : إن المكلفين أربعة أصناف الإنسان والملك والجن والشياطين، وبنو آدم عشر الجن، والجن عشر حيوان البر، والكل عشر ملائكة سماء الدنيا، وكلهم عشر ملائكة السماء الثانية، وهكذا إلى ملائكة الكرسي ثم العرش" فيض القدير: حرف الهمزة 537/1.

[2038] في جواهر المعاني وبلوغ الأماني 282/2 : سبعون ألف صف قيام.

[2039] هو بعبارة "وقيل" أيضا في تفسير القرطبي [غافر 6] 192/15 بتصرف يسير.
وهو جزء من كلام طويل لوهب بن منبه في تفسير البغوي [غافر 6] 92/4، وأورده مختصرا عن وهب بن منبه في زاد المسير [غافر 6] 208/7.

[2040] من الحديث النبوي إلى هنا - باستثناء الفقرة قبل الأخيرة: "وقيل: حول العرش..."- في تفسير أبي السعود [البقرة 29] 80/1 بتصرف يسير.

[2041] "ويقال : خلق الله العرش من جوهرة خضراء، وبين القائمتين..." تفسير القرطبي [غافر 6] 192/15.

[2042] "العرش لغة : سرير الملك، وفي الشرع: سرير ذو قوائم له حملة من الملائكة فوق السماوات مثل القبة.
والدليل على أن له قوائم ما ورد: لا تخيَّروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُزي بصعقة الطور [انظر فتح الباري: كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب (ولما جاء موسى لميقاتنا) -الآية 143-، 4638- 192/9، وقد صححتُ منه ما تحته سطر]. = =

وستين قائمة، قدر كل قائمة كالدنيا ألف[2044] مرة، وبين القائمتين ستون ألف صحراء، [في كل صحراء][2045] ستون ألف عام، وفوق العرش سبعون [حجابا][2046]، في كل حجاب سبعون ألف عام، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة. وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرّقا، هـ[2047].

وفي البغية عن محيي الدين القطب مولانا عبد القادر الجيلاني[2048] رضي الله عنه وأرضاه: أن للقطب ستة عشر عالما إحاطيا: الدنيا والآخرة وما /[602] فيهما عالم واحد من هذه العوالم، هـ[2049].

وهذا القدر كاف في بيان عظم العوالم التي لله عليها الربوبية، فيعلم من ذلك مقدار استحقاقه جل وعلا[2050] للمحامد اللائقة بكمالاته التي لا نهاية لها، ويكون ثواب القائل: (الحمد لله رب العالمين) على قدر شعوره بهذه العوالم المربوبة له سبحانه.

التنبيه الخامس عشر[2051]: [فوائد مستنبطة من الفاتحة للرازي وطنطاوي]

= = ... وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أنه مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدد الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس والفلك التاسع، ورده بعضهم بما ثبت في الشرع من أن له قوائم تحمله الملائكة - على ما سمعت- ، وقد أطنب الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية في المقالة الأولى من كتاب العرش في الرد على من قال: إنه الفلك التاسع، ونصه..." ما دل عليه القرآن ص94 و95.

[2043] كذا في الرماح 67/2، وفي المخطوط: وستا.

[2044] في جواهر المعاني وبلوغ الأماني 282/2 : ستين ألف.

[2045] إضافة من الرماح 67/2 وجواهر المعاني 282/2.

[2046] في المخطوط: حجاب، وهو خطأ.

[2047] انظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم 66/2 و67، وانظر "فائدة في اعتبار كثرة الملائكة" في جواهر المعاني وبلوغ الأماني 281/2 و282.

[2048] هو أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلي، وهو ابن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ... بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، أفرده الناس بالتآليف، ولد سنة 470 وتوفي سنة 561 ودفن ببغداد. انظر الطبقات للشعراني 248- 126/1.

[2049] انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد ص140.

[2050] في المخطوط: "وعلى"، وهو خطأ.

[2051] في الهامش عنوان: "الرحمن الرحيم".
وفي هذا التنبيه لم يقتصر المؤلف على ما ورد في شأن "الرحمن الرحيم"، بل اختصر ما استنبطه الرازي وطنطاوي من فوائد من سورة الفاتحة.

قال الفخر (ت 606):

"**الرحمن**: هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد، و**الرحيم**: هو المنعم بما يتصور جنسه من العباد[2052].

/[603] والحوادث قسمان:

1- ما يظن رحمة وهو نقمة كإهمال الولد وعدم تأديبه.

2- وما يظن نقمة وهو رحمة كتأديب الولد وتعليمه وضربه على ذلك.

فكل ما في الدنيا من المحن إنما هو في الظاهر، وأما في الباطن فهو حكمة ورحمة؛ فالمقصود من التكاليف تطهير الأرواح من علائق الجسد، والمقصود من خلق النار صرف الأشرار لأعمال الأبرار، فإذا رأيت مكروها طبعا فاعلم أن تحته أسرارا خفية، وأن الحكمة اقتضت ذلك[2053].

و"الرحمن" خاص بالله، و"الرحيم" يطلق عليه وعلى غيره:

والكبير العظيم[2054] لا يطلب منه إلا الأمر الكبير، فلو اقتصر على "الرحمن" لتحير العبد فيمن يطلب منه الأمر الصغير، فقال: "الرحيم" كأنه يقول: لو اقتصرتُ على ذكر "الرحمن" لاحتشمتَ مني ولتعذر عليك سؤال الأمور اليسيرة، لكن كما علمتني "رحمان" تطلبُ مني الأمور العظيمة، فأنا أيضا "رحيم" فاطلب مني شِراك نعلك ومِلح قِدْرك[2055].

ثم إنه وصف نفسه بأنه "رحمن رحيم" /[605] وأعطى مريم رحمة واحدة فقال: (ورحمة منا)[2056] فكانت نجاة لها من توبيخ الكفار، ونحن نصفه كل يوم أربعا وثلاثين مرة بأنه رحمن وبأنه رحيم في قراءة "الفاتحة" في الصلوات، فإذا كانت رحمة واحدة سببا في النجاة لمريم، أفلا

[2052] التفسير الكبير: الفصل الثالث، الفائدة الأولى 233/1.

[2053] انظر الفائدة الأولى من الفصل الثالث في التفسير الكبير 233/1 و234.

[2054] "فإن قيل : فعلى هذا الرحمن أعظم من الرحيم، فلم ذكر الأدنى بعد ذكر الأعلى؟، والجواب لأن الكبير العظيم ..." المرجع السابق 234/1.

[2055] هي الفائدة الثانية في المرجع السابق بتصرف.

[2056] مريم 20.

يكون ذكر هذا العدد طول العمر سببا لنجاة المسلمين من النار[2057].

ثم إنه سبحانه رحمن؛ لأنه يخلق ما لا يقدر العبد عليه، ورحيم؛ لأنه يفعل ما [لا][2058] يقدر العبد على جنسه[2059].

/[606] وورد أن فتى قربت وفاته فاعتقل لسانه عن الشهادة فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن السبب، فقيل: إنه عاق لأمه، فأحضرها، فسألها العفوَ عنه فأبت، فأمر بإحضار حطب فقالت: ولم؟ فقال: لأحرقه بالنار، فقالت: لا أقدر على ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: إن لم تعفوي عنه فإنه صائر إلى النار، فعفت عنه فنطق بقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فكانت رحيمة ولم تقدر على إحراق ولدها، فكيف بالرحمن الرحيم![2060]

/[607] ولما كسرت رباعيته عليه السلام قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون[2061]. ويقول يوم القيامة: أمتي أمتي[2062].

[2057] هي الفائدة الثالثة في التفسير الكبير 234/1 و235 بتصرف.

[2058] مستدركة في متن المخطوط ومشطوب عنها. قال في التفسير الكبير 235/1: "وأنا رحيم؛ لأنك تسلم إلي طاعة ناقصة فأسلم إليك جنة خالصة".

[2059] هي الفائدة الرابعة في المرجع السابق بتصرف.

[2060] هي الفائدة الخامسة في المرجع السابق بتصرف.

[2061] في صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد 1791- 1417/3 عن أنس:
"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟؛ فأنزل الله عز وجل: (ليس لك من الأمر شيء)" [آل عمران 128].
وهذه الرواية باختلاف يسير في صحيح ابن حبان 6574- 536/14 وسنن الترمذي 3002 و3003- 226/5 و227 وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".
وفي صحيح مسلم أيضا 1792- 1417/3 عن عبد الله مرفوعا: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".
وعن ابن عباس في حديث طويل ورد قول النبي عليه السلام: "...فعرض علي عارض فقال: يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك..." الأحاديث المختارة 2- 14/10.

[2062] مما ورد في الصحيحين - واللفظ للبخاري - من حديث الشفاعة عن أنس مرفوعا:
"... فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، ... فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، ... فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ..." صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة

وهذا الكرم حاصل فيه لكونه رحمة: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2063]، فكيف بمن هو رحمان رحيم سبحانه[2064].

وقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ أي يوم البعث والجزاء؛ لأنه لابد من الفرق بين المحسن والمسيء، وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء[2065].

والحقوق قسمان: حقوق الله وهي مبنية على المسامحة، /[608] وحقوق العباد وهي التي يجب الاحتراز عنها وإلا حوسب بها، إلا أن يُرضَوا بالمسامحة فيها[2066].

وقد وجِّهت كل من قراءة "مالك" وقراءة "ملك"[2067] بتوجيهات[2068].

وعلى كل حال فالله تعالى مالكُ يوم القيامة وملك فيه، والمُلك عبارة عن القدرة، فكونه مالكا أو مَلِكا عبارة عن كونه قادرا[2069].

وقد ذكر الله عز وجل في هذه السورة من أسمائه خمسة:

الله والرب والرحمن والرحيم والملك[2070].

/[609] فكأنه يقول: خلقتك أولا فأنا إله، ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا رب، ثم عصيتَ فسترتُ عليك فأنا رحمن، ثم تبتَ فغفرتُ لك فأنا رحيم، ثم لابد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين[2071].

مع الأنبياء وغيرهم 7072- 2727/6 وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها 193- 183/1.

[2063] الأنبياء 106.

[2064] هي الفائدة السادسة في التفسير الكبير 235/1 بتصرف.

[2065] وذلك كما قال تعالى : (ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) النجم 30.

[2066] هي الفائدة الأولى من الفصل الرابع في التفسير الكبير 236/1 و237 بتصرف.

[2067] "(مالك) : عاصم، الكسائي، يعقوب، خلف في اختياره. (ملك): الباقون" القراءات العشر المتواترة ص1، والباقون هم: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو جعفر.

[2068] هي الفائدة الثانية من الفصل الرابع في التفسير الكبير 237/1- 241 بتصرف كثير، ذلك أن الرازي فصل الحديث عن حجة من قرأ (مالك) في ستة وجوه، وحجة من قرأ (ملك) في ثلاثة، وكذا عن الأحكام المتفرعة عن كونه ملكا وهي خمسة، وعن كونه مالكا وهي أربعة.

[2069] هي الفائدة الثالثة من الفصل الرابع في التفسير الكبير 241/1 بتصرف، وفيه : "الله تعالى مالك الموجودات وملكها، بمعنى أنه تعالى قادر على نقلها من الوجود إلى العدم، أو بمعنى أنه قادر على نقلها من صفة إلى صفة، وهذه القدرة ليست إلا لله تعالى ...".

[2070] في المرجع السابق 242/1 : والمالك.

وقوله: ﴿إياك نعبد﴾ معناه نعبدك ولا نعبد سواك كما تدل عليه وجوه، والعبادة هي الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير ولا يستحق ذلك غيره سبحانه لوجوه منها اتصافه بالأسماء الخمسة السابقة المستلزمة لجميع الصفات /[610] الواجبة والجائزة[2072].

وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدل على أنه لا معبود ولا مستعان سواه، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فهو يدل على التوحيد المحض، وفيه الرد على طوائف الإشراك أجمعين[2073].

وقد اشتملت الفاتحة على معنى الذكر المشهور وهو "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[2074].

/[611] وقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي صراط الأولين في تحمل مشاق العبادة، أو الطريقَ المتوسط بين طرفي التفريط والإفراط في الأخلاق والأعمال، أو ثبتنا على الإسلام[2075].

والمستقيم: أقصر خط يصل بين نقطتين بخلاف المعوج؛ فلذا أمرنا بطلبه[2076].

[2071] هي الفائدة الرابعة من الفصل الرابع في التفسير الكبير 241/1 و242 بتصرف. ==

= = وفيه أيضا الحكمة من تكرير (الرحمن الرحيم) دون الأسماء الثلاثة الأخرى، وذلك في قول الرازي:

"التقدير كأنه قيل: اذكر أني إله ورب مرة واحدة، واذكر أني رحمن رحيم مرتين؛ لتعلم أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور، ثم لما بيّن الرحمة المضاعفة فكأنه قال: لا تغتروا بذلك فإني مالك يوم الدين، ونظيره قوله تعالى: (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول)" غافر 2.

[2072] هي الفائدة الأولى من الفصل الخامس في التفسير الكبير 242/1- 244 بتصرف.

[2073] فصل الرازي الحديث عن طوائف المشركين في الفائدة الثانية من الفصل الخامس في المرجع السابق 244/1 و245.

[2074] "... فثبت أن سورة الفاتحة من أولها إلى آخرها منطبقة على ذلك الذكر، وآيات هذه السورة جارية مجرى الشرح والتفصيل للمراتب الخمس المذكورة في ذلك الذكر" المرجع السابق 246/1.

[2075] هي الفائدة الأولى من الفصل السابع في المرجع السابق 255/1- 257 بتصرف.

و﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ هم النبيئون والصديقون لخ[2077].

و"المغضوب عليهم" اليهود، و"الضالون" النصارى، وضعف هذا التفسير[2078].

وقيل: الأولون الفساق والآخرون المخطئون في الاعتقاد، وقيل غير ذلك، هـ بخ[2079].

/[612] وقال طنطاوي جوهري في "الجواهر":

قد أَبَنْتُ العوالَمَ التي تولى الله تربيتها، **والتربية يعوزها الرحمة والشدة**:

فبالرحمة تكون المكافأة بالإحسان، وبالشدة تكون المكافأة بالإساءة؛ والأم أقرب للرحمة والأب أقرب للشدة فإذا فقِدَ أحدهما ساءت التربية، فأشار سبحانه للأول بقوله: (الرحمن الرحيم)، وللثاني بقوله: (ملك يوم الدين)، فالرحمة للمحسنين الطائعين والجزاء لأعمال المسيئين.

وانظر حكومات الأرض كيف تُعِدُّ القضاة للمجرمين /[613] وأقامت جندا وجعلت لها دورا للسجن وأخرى لإكرام الأضياف، ووضعت الحدود والقوانين.

[2076] هي الفائدة الثالثة من الفصل السابع في المرجع السابق 258/1 بتصرف.

[2077] "والله تعالى قد بين في آية أخرى أن الذين أنعم عليهم من هم، فقال : (فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ...) الآية" [النساء 68] التفسير الكبير: الفصل الثامن، الفائدة الثانية 260/1.

[2078] هذا التفسير رواه "أحمد وابن حبان من حديث عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المغضوب عليهم اليهود (ولا الضالين) النصارى، هكذا أورده مختصرا، وهو عند الترمذي في حديث طويل، وأخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر، وأخرجه أحمد من طريق عبد الله بن شقيق أنه أخبره مَن سمع النبي صلى الله عليه وسلم نحوه.

وقال ابن أبي حاتم: **لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافا**.

قال السهيلي: **وشاهد ذلك** في اليهود: (فباءوا بغضب على غضب) [البقرة 89]، وفي النصارى: (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا) [المائدة 79]" فتح الباري: كتاب التفسير، باب (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) 9/9.

لذا فالحُكمُ على هذا التفسير بالضعف مجانب للصواب.

[2079] كل ما نقله المؤلف عن الفخر متصرف فيه.

ومما قاله الرازي في الآية الأخيرة: "ويحتمل أن يقال: المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون ..." التفسير الكبير: الفصل التاسع، الفائدة الأولى 261/1.

ولما كان القانون البشري يلحقه الخطأ لخلل فيه أو لضلال القضاة أو لجهلهم جعل الله الجزاء الأوفى يوم القيامة للجزاء[2080]؛ فالله مالك محيط بالخلق في الدنيا والآخرة، يثيب الطائعين ويعاقب العاصين، وبهذا تمت التربية[2081].

إن هذه الصفات التي حصرت الرحمة والمُلك في ذات الله تُحضِر قلبَ القارئ وتجعل الحمد خاصا به، /[614] فجميع المحامد التي يفوه الناس بها للمحسنين راجعة إليه؛ لأنه المحسن الحقيقي.

وفوق الحمد يختص بالعبادة فكأن العبد يقول: يا من اتصف بهذه الصفات التي يمتاز بها عمن عداه (إياك نعبد) أي نخصك بالعبادة فضلا عن الحمد.

فالنصف الأول من الفاتحة أحضر في قلب القارئ الصفات المميِّزة **للربوبية**، فلما تمثلت في ذهنه تلك العظمة صارت كأنها مشاهدة أمامه، /[615] فالتفت عن الغيبة إلى الخطاب[2082] وكأنه يشاهده ويراه، وذلك باستحضار صفاته العالية في قلبه.

وإلى هنا وصل القارئ إلى آخر درجات التقرب - وهوالخضوع- فلم يبق إلا السؤال من المتقرَّبِ إليه فقال: (وإياك نستعين) في أمورنا كلها، فكأنه قيل له: ما أهم ما نستعين فيه؟ فقال: (اهدنا الصراط المستقيم) أي دلنا بلطف.

و**الهداية أقسام**:

1- الهداية الغريزية في سائر الحيوان.

2- هداية العقلاء الأولية التي يميزون بها بين /[616] الحسن والقبيح.

3- معرفة العلوم وفهمُها والتصرف فيها.

[2080] في الجواهر في تفسير القرآن 17/1: "جعل الله الجزاء الأوفى يوم القيامة (لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)" الجاثية 21، وفيها: (ولتجزى...).

[2081] في المرجع السابق 18/1 : "وبهذا تمت التربية ونظم العالم".

[2082] أي في قوله تعالى: (إياك نعبد ...)، وهو النصف الثاني من الفاتحة.

وانظر قوله: "وسورة الفاتحة كلها آيات علوم، ولك أن تجعل القسم الثاني منها أخلاقا" في ص346.

4- الملكة الراسخة فيها[2083]، ويتبع ذلك قوة التصرف والإلهام والوحي.

والمراد هنا هذا الرابع وما قبله.

فإما أن يقال: أدمنا على الهداية، أو: زدنا[2084].

والمستقيم: المستوي، ثم أبانه[2085] بقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ﴿من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[2086].

﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم اليهود، ﴿ولا الضالين﴾ وهم النصارى.

وبيانه: أن الصراط المستقيم يراد به هنا الطريق الوسط، وهو العفة والشجاعة والحكمة والعدل[2087].

/[617] وقد فرع العلماء عن هذه الأربع فروعا تزيد على مائة، وكلها داخل في "الصراط المستقيم" وهو الوسط:

فإما إلى زيادة وهو الإفراط وإما إلى نقص وهو التفريط، والمسلمون وسط في حق سيدنا عيسى عليه السلام بين تفريط اليهود وإفراط النصارى[2088].

[2083] أي في العلوم.

[2084] أي "زدنا في مراتبها لنرتقي إلى أعلاها وننال الزلفى لديك والقربى" الجواهر في تفسير القرآن 18/1.

[2085] أي الصراط.

[2086] النساء 68، "وهم عظماء كل أمة وأشرافها، أو الذين أنعمت عليهم من الأمم وهم المسلمون" المرجع السابق.

[2087] في المرجع السابق : "وهو في علوم الأخلاق:

العفة التي هي وسط بين الوقوع في الشهوات والفسق والفجور، وبين الجمود والبخل والإمساك والشح.

والشجاعة وهي وسط بين التهور والطيش والظلم، وبين الجبن والخوف والحزن والجزع وأمثالها.

والحكمة وهي الوسط بين الجهل والغباوة والبلادة، وبين المكر والخداع والاحتيال والطيش في الآراء.

والعدل وهو المساواة بين هذه الأمور".

وورد تفسير "الصراط" لخ[2089] بهذا المعنى مرفوعا: - أي في حديث رواه الإمام أحمد[2090]، وابن حبان عن (عدي بن حاتم)[2091] كما في إرشاد الساري-[2092].

وهذا توجيهه[2093]:

وكأنه عليه السلام أراد بذلك ضرب /[618] المثل للصراط المستقيم، وإلا فهذا الوسط في الاعتقاد في مسألة المسيح يماثله مسائل كثيرة كالكرم والشجاعة والعفة والصدق كما تقدم.

واعلم أن النعم إما مال أو أصحاب أو صحة أو عقل، وكل نعمة مقدِّمة لما بعدها:

فأعلاها العقل والحكمة وأدناها المال[2094] الذي لابد منه لحفظ الثلاثة

2088 فالمسلمون "يعتقدون نبوته، أما اليهود فإنهم قد غضب الله عليهم؛ لأنهم جعلوه ابن زانية، وأما النصارى ... فقالوا: إنه إله" الجواهر في تفسير القرآن 19/1.

2089 أي تفسير الصراط والمغضوب عليهم والضالين.

2090 في مسند أحمد: حديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري 182/4 عن النواس مرفوعا: "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه:
فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم"، وانظر أيضا المستدرك على الصحيحين 245- 144/1 الذي قال فيه: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه".

2091 هي في الهامش بعبارة "صح".
وفي صحيح ابن حبان: كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن أهل الكتاب هم الذين ضلوا وغضب عليهم نعوذ بالله منهما 6246- 139/14 عن عدي بن حاتم مرفوعا: المغضوب عليهم اليهود، والضالون: النصارى".
وعدي هو أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، حضر فتح المدائن والجمل وصفين والنهروان، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وآخرين، عنه عمر بن حريث وغيره، مات بالكوفة وهو ابن مائة وثمانين سنة. انظر تهذيب التهذيب 331- 150/7.

2092 هذه الجملة الاعتراضية من إضافة المؤلف رحمه الله تعالى.
وانظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) 6/7.

2093 أي في قوله قبل قليل : وبيانه أن الصراط المستقيم... .

بعده[2095]. والمراد بالنعمة هنا أعلاها.

وقد يراد بالمُنعَم عليهم المطيعون، وبالمغضوب عليهم العصاة، وبالضالين الجهال.

/[619] واعلم أن المُنعَم عليهم هم الأنبياء وورثتهم الذين نصبوا أنفسهم لهداية الناس[2096]، وكأنهم آباء والناس أبناؤهم يقودونهم إلى الرشاد ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويتركون آثارا في الخلق، ويتحملون الآلام في سبيل إسعاد الأمم، فينالون أجرهم مرتين، فهم في الآخرة مكرمون وفي الدنيا مذكورون بالثناء والإكرام، فانظر ما جاء في

[2094] ذلك أنه أعلى ما فينا أننا نعقل بقلوبنا عن الله ورسوله الأحكام المنقذة للنفوس من مهلكاتها فنصير حكماء عقلاء. أما المال فهو وسيلة إما للتردي: (وما يغني عنه ماله إذا تردى) الليل 11، وإما للتزكي: (وسيجنبها الأتقى الذي يوتي ماله يتزكى) الليل 17 و18.

[2095] يبدأ علماء مقاصد الشريعة في الضروريات الخمس من الأعلى إلى الأدنى فيقررون: حفظ الدين، ثم حفظ النفس، ثم حفظ العقل، ثم حفظ النسل، ثم حفظ المال. وذلك بمعنى أنه - في حالة التعارض- يُضحّى بالأدنى من أجل تحصيل الأعلى.

وهذه الخمسة قسمان تعد كلها نعما، قال تعالى في القسم الأول منها: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة 4 ، وقال في القسم الثاني منها: (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لقمان 19.

[2096] "والنعمة نعمتان، نعمة مطلقة ونعمة مقيدة:

فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومَن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا) [النساء 68]، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضا هم المعنيون بقول الله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة 4] ... .

والنعمة الثانية **النعمة المقيدة** كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وتبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر ... .

النعمة المقيدة لما كانت استدراجا للكافر ومآلها إلى العذاب والشقاء، فكأنها لم تكن نعمة وإنما كانت بليّة كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك فقال تعالى:

(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول: ربي أكرمن، وإذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول: ربي أهانن، كلا) [الفجر 15- 19]:

أي ليس كل من أكرمته في الدنيا ونعّمته فيها فقد أنعمت عليه، وإنما كان ذلك ابتلاء مني له واختبارا، ولا كل من قدَرْتُ عليه رزقه فجعلته بقدْر حاجته من غير فضيلة أكون قد أهنته، بل أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب ..." اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ص2 و3.

قال الرازي في التفسير الكبير 260/1: "كل نعمة دينية سوى الإيمان فهي مشروطة بحصول الإيمان، وأما النعمة التي هي الإيمان فيمكن حصولها خاليا عن سائر النعم الدينية".

سورة "الصافات" من الثناء عليهم والتسليم[2097].

وهكذا يجب على المسلمين /[620] أن يثنوا على فضلائهم وهداتهم والساعين لهم في صلاحهم كما هو حال الأمم الأخرى مع رؤسائهم، كما قال تعالى في سورة مريم: (واذكر في الكتاب إبراهيم...) (إسماعيل...) (موسى...) (مريم...)[2098] فإن هذا أمر بذكر الفضلاء ونشر محاسنهم، فعلى المسلمين أن يفعلوا ذلك امتثالا لأمر الله عز وجل؛ لأن في ذلك خيرهم وصلاحهم العاجل والآجل، هـ بخ[2099].

التنبيه ا لسادس عشر: اشتمال الفاتحة على علوم[2100]

قال جوهري أيضا: /[621] هذه السورة تسمى فاتحة الكتاب وأم القرآن وأم الكتاب لخ[2101].

2097 "فانظر كيف ابتدأها بذكر أهل الجنة والنار وتوبيخهم فقال : (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) [الآية 19- 71]، وأقام عليهم الحجة فقال: (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) [الآية 72]، وأخذ يذكرهم بالثناء واحدا واحدا:
فذكر نوحا بالثناء ولما انتهى من القصة قال: (سلام على نوح في العالمين) [الآية 75- 81].
ثم ذكر إبراهيم وتاريخه وما لقي من المحن في قومه وختمها بقوله: (سلام على إبراهيم، كذلك نجزي المحسنين) [الآية 83- 111].
ثم ذكر موسى وهارون ونجاتهما من فرعون وقومه، ثم ختمها بقوله: (سلام على موسى وهارون، إنا كذلك نجزي المحسنين) [الآية 114- 122].
ثم ذكر إلياس وكيف كان يدعو قومه وختمها بقوله: (وتركنا عليه في الآخرين، سلام على آل ياسين، إنا كذلك نجزي المحسنين) [الآية 123- 132].
ثم ذكر لوطا ونجاته [الآية 133- 138].
ويونس [الآية 139- 148]، وختم السورة بقوله: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) [الآية 180- 182]" الجواهر في تفسير القرآن 19/1.

2098 كذا في المخطوط، أما سورة مريم ففيها ذكر الأنبياء على الشكل التالي:
في صدر السورة: (كهيعص، ذكر رحمة ربك عبده زكرياء...).
وفي الآية 15: (واذكر في الكتاب مريم...).
وفي الآية 40: (واذكر في الكتاب إبراهيم...).
وفي الآية 51: (واذكر في الكتاب موسى...).
وفي الآية 54: (واذكر في الكتاب إسماعيل...).
وفي الآية 56: (واذكر في الكتاب إدريس...).

2099 الجواهر في تفسير القرآن 17/1- 20 بتصرف.

2100 هذا العنوان في هامش المخطوط.

2101 خصص المؤلف رحمه الله تعالى الفصل الثاني من "سورة الفاتحة" لأسمائها ص171.

وربما يعجب القارئ من تسميتها بذلك؛ وذلك لأن الذي يتكرر على النفس يصير من المألوفات كالسمع والبصر والعقل والجسم الإنساني، فكما أن الجاهل لا يظن في نفسه عجائب لأنه ألفها - كالعالم في بلده والنبي في [قريته][2102]-، كذلك "الفاتحة" يقرؤها الناس وأكثرهم جاهلون.

ولا يعرف أسرارها إلا العالمون المفكرون في القرآن الدارسون للعلوم القديمة والحديثة.

/[622] فاعلم أن "الفاتحة" تشتمل على الإشارة لجل[2103] ما ورد في القرآن من العلوم وهي عشرة:

1- معرفة ذات الله، 2- ومعرفة صفاته الذاتية، 3- ومعرفة صفاته الفعلية، أي آثار قدرته، 4- ومعرفة المعاد، 5- وترك الأفعال والأخلاق القبيحة، 6- والتحلي بالأفعال والأخلاق الحميدة، 7- ومعرفة المنعم عليهم، 8- وذكر الظالمين، 9- ومجادلة الكفار، 10- وذكر حدود الأحكام.

وقد اشتملت "الفاتحة" على ثمانية منها كما قاله الغزالي (ت 505)[2104]:

فالأول ذات الله في قوله: (بسم الله).

/[623] الثاني: الصفات بذكر (الرحمن الرحيم ملك يوم الدين).

الثالث: علم الأفعال في (رب العالمين)؛ لأنه يدخل فيه جميع العلوم لأن الكل فعل الله، ومنه تربيته للعالمين، ويلحقها صناعات كثيرة، فمنها: علم "البنكامات" أي آلات قياس الزمن كالساعات، وعلم جر الأثقال[2105]،

[2102] في المخطوط: قرابته، والتصويب من الجواهر في تفسير القرآن 20/1.

[2103] كذا في المخطوط بعدما شطب عن "لجميع"، وفي المرجع السابق 21/1 : لجميع.
والمؤلف هنا رحمه الله تعالى يستدرك على الشيخ طنطاوي. والذي أراه أن الصواب مع الشيخ طنطاوي؛ لأن الفاتحة أم القرآن وجميع سور القرآن هن بنات لأم لهن هي الفاتحة، وانظر تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص61 وما بعدها حيث الحديث عن اشتمال الفاتحة على علوم القرآن.

[2104] انظر جواهر القرآن ودرره : الفصل الثاني عشر في أسرار الفاتحة ص49- 55.

[2105] "كقطر السكك الحديدية" الجواهر في تفسير القرآن 21/1.

وعلم أنباط المياه[2106]، وعلم الآلات الحربية كالمجانيق والغازات الخانقة والمدافع، وعلم المرايا المحرقة، وعلم عقود الأبنية، وشق الأنهار، وعلم المناظر لمعرفة /[624] أشكالها وأوضاعها، وعلم مراكز الأثقال، وعلم الزراعة.

فإن هذه العلوم كلها منطوية تحت تربية العالمين كأكثر العلوم؛ لأنا قد قلنا: إن العالم قسمان علوي وسفلي، ويدخل فيهما أكثر العلوم الكونية بل كلها؛ لأنها كلها أفعال الله الداخلة في تربية العالمين التي هي آثار رحمته عز وجل، ومنها علم الطب وعلم الزراعة كما تقدم[2107]، /[625] وهذان الأخيران يتبعان علوم الطبيعة، وأما ما قبلهما فعن الرياضيات تتفرع، وكلها داخلة في تربية العالمين.

واعلم أن جميع الصناعات ترجع إلى هذه الموجودات: فإذا رأيت النجار والحداد والخراط والزجاج والجوهري والصيرفي، فاعلم أن الأول تابع لعلم النبات؛ لأن عمله في الخشب، والثاني لعلم المعدن؛ لأن عمله في الحديد، والثالث في النبات كالأول، والرابع في المعدن؛ /[626] لأنه في الزجاج والزجاج رمل مخلوط ببعض المعادن، والخامس والسادس في المعادن؛ لأن الخامس في الجوهر المستخرج من الصدف والسادس في الذهب والفضة. هذا ما أردت ذكره في العلم الثالث وهو علم الأفعال، وقد دخل تحته أكثر العلوم والصناعات.

العلم الرابع: ذكر المعاد، وفيه الجنة والنار والنعيم والجحيم والثواب والعقاب، والقرآن طافح بذلك وهو هنا في قوله: (مالك يوم الدين).

/[627] العلم الخامس والسادس: (الصراط المستقيم)، وهو قسمان: الأول ترك الضلال والعصيان، والثاني التحلي بالطاعات.

العلم السابع: قصص الأنبياء والصالحين، وهو داخل في قوله: (الذين أنعمت عليهم).

العلم الثامن، قصص المغضوب عليهم والضالين.

[2106] "النبَط [بفتح النون والباء]: الماء الذي ينبط [بضم الباء وكسرها] من قعر البئر إذا حُفرت ...، واسم الماء النُّبْطة [بضم النون الثقيلة] والنبَط، والجمع أنباط ونُبوط. ونبط الماءُ ينبُط وينبِط نُبوطا: نبع. وكل ما أظهر فقد أنبط" اللسان: نبط.

[2107] انظر ص239- 308، وانظر علم الطب وعلم الزراعة ص231 وما بعدها، وكذا ص291.

هذه هي العلوم التي اشتمل عليها القرآن ودخلت في ضمن "الفاتحة" فسميت "أم القرآن".

ولم يبق إلا محاجة الكفار وعلم الأحكام الفقهية[2108]، واحتيج إليهما /[628] لحفظ العقائد ولحفظ نظام المجموع[2109]، (على أنهما قد يدخلان في الصراط المستقيم وتربية العالمين)[2110].

وجميع هذه العلوم فرض كفاية على الأمة الإسلامية، إذا قام بها بعضهم سقط تكليف الباقين، وإذا أهملوا كلهم واحدا منها أثم الجميع.

وإذا فهم هذا حق الفهم فُهم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري(ت 256) وغيره لأبي سعيد بن المعلى: "(الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"[2111]، فاعرف عظمة فاتحة الكتاب[2112]، هـ بخ[2113].

/[629]**التنبيه السابع عشر**: المقارنة بين الفاتحة وفواتح المعلقات[2114]

في المقارنة بين فاتحة الكتاب وفواتح البلغاء وأصحاب المعلقات قال

[2108] قال الغزالي في هذين العِلميْن : "وهما الفنّان اللذان يتشعب منهما علم الكلام وعلم الفقه، وبهذا يتبين أنهما واقعان في الصنف الأخير من مراتب علوم الدين، وإنما قدمهما حُبّ المال والجاه فقط" جواهر القرآن ودرره ص55.

[2109] "والأمم الإسلامية اليوم **أحوج إلى معرفة الكائنات** لمعرفة الله ولبقائهم في الدنيا ليزاحموا الأمم الغربية، **وهي أهم** من معرفة علم الفقه وعلم التوحيد" الجواهر في تفسير القرآن 22/1.

[2110] هي في الهامش بعبارة "صح"، "ثم إن خروج الفقه والتوحيد من ضمن الفاتحة هو رأي الإمام الغزالي، ولكن عسى أن يكونا ضمن الصراط المستقيم أو التربية للعالمين ولو بطريق التبعية" المرجع السابق.

[2111] انظر صحيح البخاري : كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب 4204- 1623/4، ومسند أحمد: حديث أبي سعيد بن المعلى 450/3 و211/4، وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب ذكر ما خص الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم ... 862- 38/2، وصحيح ابن حبان: باب قراءة القرآن، ذكر البيان بأن فاتحة الكتاب هي أعظم سورة في القرآن ... 777- 3/ 56 الذي علق عليه بقوله: "قال أبو حاتم رضي الله عنه: قوله صلى الله عليه وسلم: هي أعظم سورة، أراد به في الأجر، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض.
وأبو سعيد بن المعلى اسمه رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة، مات سنة أربع وسبعين".

[2112] "... سر عظمة الفاتحة، وسرها أنها سبع آيات تؤدي معنى ست آلاف آية، وهي جملة القرآن كله تقريبا" الجواهر في تفسير القرآن 22/1.

[2113] المرجع السابق: الفاتحة أم القرآن 20/1- 22 بتصرف.

[2114] هذا العنوان في هامش المخطوط.

طنطاوي جوهري:

لقد سبق الكلام على ما في "الفاتحة" من الإشارة إلى العلوم وما تضمنته من الحكمة، فلنذكر الآن نبذة مما تضمنته من **البلاغة** لتكون تذكرة وتبصرة لذي لب، وإنما قدمنا الكلام على العلوم؛ لأنها أعم وأهم وأدعى إلى رقي الأمم الإسلامية، وأدنى إلى حاجتها وأقرب إلى سعادتها الدنيوية والأخروية.

فنقول: /[630] تأمل أيها العاقل لتقارن بين "الفاتحة" وفواتح المعلقات (10) لتعرف الفرق بين كلام الوحي وكلام الشعراء (10) الذين كان لهم القِدحُ المعلى في سوق عُكاظ ومَجِنّة[2115] وذي المَجَازِ[2116]، وهم الرافعون الخافضون بمدحِهم وذمِّهم كامرئ القيس[2117] وطرفة بن العبد[2118] وزُهير

[2115] "وهي بفتح الميم وكسر الجيم وتشديد النون" فتح الباري 1770- 427/4.

[2116] "**ذو المجاز**: بفتح الميم وتخفيف الجيم وفي آخره زاي...، كانت بناحية عرفة إلى جانبها ... .
وأما **عكاظ**: فعن ابن إسحاق أنها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له: الفتق، بضم الفاء والمثناة بعدها قاف ... .
وأما **مجنة**: فعن ابن إسحاق أنها كانت بمر الظهران إلى جبل يقال له: الأصغر ... .
وذكر من أسواق العرب في الجاهلية أيضا **حباشة**: بضم المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الألف معجمة، وكانت في ديار بارق نحو قنونى: بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد الواو نون مقصورة، من مكة إلى جهة اليمن على ست مراحل.
... قال الفاكهي: ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة، وآخر ما ترك منها سوق حباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العباسي في سنة سبع وتسعين ومائة ... .
وفي حديث أبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم بمجنة وعكاظ يبلغ رسالات ربه، الحديث، أخرجه أحمد وغيره" فتح الباري: كتاب الحج، باب التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية 1770- 427/4 و428.
وانظر الحديث عن الأسواق الثلاثة أيضا في معجم البلدان: باب العين والكاف وما يليهما 142/4 بعدما بدأ بذكر سبب تسمية عكاظ في قول الليث: "سمي عكاظ عكاظا؛ لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار، أي يدعك، وعكظ فلان خصمه باللدد والحجج عكظا".

[2117] "الطبقة الأولى : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر - آكل المرار- بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كنده" طبقات فحول الشعراء لابن سلام 51/1.
وفي 52/1 و53 منه أنه قيل "للفرزدق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟ قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس".
وانظر كذلك "ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره" في الأغاني للأصفهاني 93/9 وما بعدها، وفي 94/9 منه: "ويكنى امرؤ القيس - على ما ذكره أبو عبيدة- أبا الحارث، وقال غيره: يكنى أبا وهب، وكان يقال له: الملك الضليل، وقيل له أيضا: ذو القروح". = =

ابن أبي سُلمى[2119] ولبيد بن ربيعة[2120] ومن على شاكلتهم:

إن للوحي سِمة ظاهرة وعلامة بيّنة، إنه ينحو منحى الأمور العامة ويتعالى عن /[631] الجزئيات ومحقرات المقاصد، فأما كلام الشعراء في فواتحهم:

فمنها قول أميرهم امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسِقط اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ[2121]

وقول طرفة:

لخولة أطلال بِبُرقة [ثهْـمَـدِ تلوح][2122] كباقي الوشم في ظاهر اليد

= = ولقّب بذي القروح "لأن قيصر وجه إليه بحلة مسمومة، فلما لبسها أسرع السم فيه فتثقب لحمه" المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ذكر من تعددت أسماؤه أو كناه أو ألقابه 379/2.

[2118] "الطبقة الرابعة : وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة:

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ..." طبقات فحول الشعراء 137/1.

وفي المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ذكر من لقّب ببيت شعر قاله 376/2: "ومنهم طرفة، واسمه عمرو بن العبد، سمي طرفة بقوله:

لا تعجلا بالبكاء اليوم مُطرِّفا ولا أميريكما بالدار إذ وقفا".

[2119] "الطبقة الأولى: ... وزهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى: ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمه بن لاطم بن عثمان بن مزينة" طبقات فحول الشعراء 51/1.

وفي المزهر في علوم اللغة وأنواعها: الفصل الثاني في معرفة كنية من اشتهر باسمه أو لقبه أو نسبه 362/2: "زهير بن أبس سُلمى: أبو بُجَيْر".

[2120] "الطبقة الثالثة : ... وكان لبيد بن ربيعة - أبو عُقيْل- فارسا شاعرا شجاعا، وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام، وكان مسلما رجل صدق" طبقات فحول الشعراء 135/1.

وفي الأغاني 350/15 وما بعدها: "نسب لبيد وأخباره: هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. وكان يقال لأبيه: ربيع المقترين؛ لجوده وسخائه. وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه... . ومات بها [أي بالكوفة] هناك في آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائة وخمسا وأربعين سنة، منها تسعون سنة في الجاهلية وبقيتها في الإسلام".

[2121] "... فوصف أنه بكى واستبكى على حبيبته ومنزلها الذي بسقط اللوى بين الأماكن الأربعة، وهي الدخول وحومل وتوضح والمِقراة" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

[2122] كذا في الجواهر في تفسير القرآن 23/1، وفي المخطوط: تهمد تلوح.

وفي هاته الفاتحة لقصيدة الشاعر أن خولة حبيبته "لم يبق لها إلا آثار الديار الخفية التي صارت كآثار الوشم في ظاهر اليد، وهذه الآثار في موضع وهو برقة ثهمد، وهي مكان لبني دارم" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

وقول زهير:

أمن أم أوفى دِمنة لم تكلّـــم [بِحَوْمانَةِ][2123] الدّرّاج فالمُتَثلم

وقول لبيد:

/[632] عفت الديار مَحلها فمُقامُها بمنى تأبّدَ غَوْلُها فرِجَامُها[2124]

وقول عمرو بن كلثوم[2125]:

ألا هُبِّي بصَحْنِكِ فاصْبِحينـــا ولا تُبْقي خُمورَ الأنْدَرينا[2126]

وقول عنترة[2127]:

هل غادر الشعراء مِن مُتَرَدِّم أم هل عرَفتَ الدار بعد تَوَهّمِ[2128]

[2123] كذا في الجواهر في تفسير القرآن 23/1، وفي المخطوط: حدماته.
و"أم أوفى: كنية محبوبته، والدمنة: آثار الدار وما فيها من البعر والرماد وغيرها، والحومانة: ما غلظ من الأرض [انظر اللسان: حوم]، والدراج والمتثلم: موضعان من العالية" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

[2124] وذلك بمعنى أن ديار محبوبته اندرست، "وهي بالمكان الذي يسمى منى، وقد توحش الموضعان اللذان فيها، وهما الغول والرجام" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

[2125] هو أول الأربعة من الطبقة السادسة في طبقات فحول الشعراء 151/1، وهو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ... . ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة" الأغاني: نسب عمرو بن كلثوم وخبره 54/11 وما بعدها.
وانظر مناسبة قصيدته هاته في 56/11 وما بعدها، وفي 29/19 منه قول الكلبي:
"وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة".

[2126] ذلك أنه "قال لجاريته : قومي من نومك واسقيني الخمر أول النهار بقدحك العظيم، ولا تدخري عني شيئا من خمرة القرية المسماة: الأندرين، من قرى الشام كثيرة الخمر جيدته" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

[2127] هو ضمن الطبقة السادسة في طبقات فحول الشعراء 152/1.
وفي الأغاني : ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره 244/8 وما بعدها:
"هو عنترة بن شداد، وقيل: ابن عمرو بن شداد، وقيل: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.
وله لقب يقال له: عنترة الفلحاء؛ وذلك لتشقق شفتيه ... . كان حامي لواء بني عبس"، وانظر الاختلاف في كيفية موته بعدما كبر في 252/8 و253 منه.

[2128] يقول عنترة : "ما ترك الشعراء شيئا يرقع إلا رقعوه، أي ما تركوا فنا من فنون الشعر إلا سلكوه، ثم قال: أنا لم أعرف دار محبوبتي لطول عهدي بها إلا بعد عناء شديد" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

وقول الحارث بن حلزة[2129]:

آذنَتْنا بِبَيْنِها أسمـــــــــاءُ رُبّ ثاو يُملّ منه الثـــــواءُ[2130]

وقول النابغة الذبياني[2131]:

يا دارَ مَيّة بالعلياء فالسّنـــدِ أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأمَدِ[2132]

إلى غير ذلك[2133].

[2129] "هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار" الأغاني : أخبار الحارث بن حلزة ونسبه 44/11.

وانظر مناسبة قصيدته المعلقة وكيف ارتجلها "ارتجالا: توكأ على قوسه وأنشدها، وانتظم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها" في 44/11 وما بعدها.

[2130] يقول الشاعر "في فاتحة معلقته في حضرة الملك عمرو بن هند : أعلمتنا أسماء بقرب ارتحالها فشق علينا، ومن المقيمين من يمل قربهم، ولكن أسماء ما مللناها" الجواهر في تفسير القرآن 23/1.

[2131] هو ضمن الطبقة الأولى في طبقات فحول الشعراء 51/1، "واسمه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر" الأغاني: أخبار النابغة ونسبه 5/11 وما بعدها.

وكنيته: "أبو أمامة وأبو عقرب" المزهر في علوم اللغة وأنواعها: الفصل الثاني في معرفة كنية من اشتهر باسمه أو لقبه أو نسبه 362/2.

وفي علة لقبه ورد "في المحكم: زعموا أن زيادا الذبياني قال الشعر على كبر السن فسمي نابغة، وقيل: بل سمي بذلك لقوله: وقد نبغت لنا منهم شؤون - الوافر-" المرجع السابق: الفصل الثالث في معرفة الألقاب وأسبابها 369/2.

وهو ضمن النوابغ الأربعة "فيما ذكر ابن دريد في الوشاح: نابغة بني ذبيان زياد بن معاوية، ونابغة بني جعدة ...، ونابغة بني الحارث ...، ونابغة بني شيبان ..." المرجع السابق: النوع السابع والأربعون، معرفة المتفق والمفترق 389/2.

[2132] "العلياء : المكان المرتفع، والسند: حيث يسند إلى الجبل، أي يرقى، وأقوت: خلت، والأمد: الدهر، يخاطب دار محبوبته مية متوجعا متأسفا على ارتحالها عنها وابتعادها عنه" الجواهر في تفسير القرآن 24/1.

وهي "مما يغنّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان" الأغاني: أخبار النابغة ونسبه 33/11.

[2133] اقتصر المؤلف هنا عل ذكر ثمانية شعراء، لكن في الجواهر في تفسير القرآن 24/1 فاتحة قصيدتين لشاعرين آخرين هما : الأعشى ميمون بن قيس وعبيد بن الأبرص.

قال ابن سلام: "أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيرا والنابغة" طبقات فحول الشعراء 582/1.

وانظر أيضا المزهر في علوم اللغة وأنواعها: الشعراء المشهورون 409/2 حيث ذكر السيوطي الاختلاف الشديد في من هو أشعر الناس؟ ليعلق عليه بقوله: "وهذا يدلك على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق" 408/2.

/[633] فهل خرجت فواتحهم عن آثار الديار وفراق الأحبة والتحسر والتوجع عليها وذكر السهر والرمد والخمر!؛ فداروا مدارا واحدا جميعا، وهل هذه الفواتح رفعت رأس الإنسانية أو بنت صرحا مشيدا للمجد أو ربت أمة أو سنت قانونا؟

كلا، إنما هو كلمات لم تخرج عن مداعبات غرامية وأنّات شوقية.

لقد بهر العربَ وسَحَرَهم أن سمعوا هذه "الفاتحة"، فقيل لهم: أيها الناس تبرَّكوا باسم /[634] إلهكم الرحمن الرحيم ولا تتنزّلوا إلى صغائر الأمور بمدح الملوك، واربؤوا بأنفسكم عن ذلك، فاحمدوا من رفع السماء وبسط الأرض، واطلبوا منه الهداية.

بهذا الطريق وأمثاله تعرف بلاغة القرآن وبلاغة الشعراء، فانظر في أوائل السور وأوائل قصائد الجاهلية مثلا، وهكذا نمط القرآن في المعاني والمقال ونمطُ كلام شعرائهم، وهذا هو النمط الذي جرى فيه العرب في تعظيمهم للقرآن:

/[635] ألا ترى إلى سيد من سادات قريش كيف يقول لما انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفتك به فوجده يقرأ في صلاة المغرب "حم: غافر" إلى (ذي الطول)[2134] فلم يصبه بأذى ورجع إلى قومه:

واللهِ لو كان من كلامَ العرب لعرفناه، وإنّ أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وإنه يعلو ولا يعلى عليه، لخ[2135].

وتأمل قصة سيدنا عمر بن الخطاب فإنه لما وجد عند أخته سورة

[2134] غافر 1 و2.

[2135] انظر رواياته عن عكرمة وابن عباس في شعب الإيمان: فصل في الإشارة إلى أطراف الأدلة في معرفة الله عز وجل وفي حدوث العالم 134- 156/1 وما بعدها، والقائل هو أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة، وذلك ببعض اختلاف.

وفي الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: باب حرف الخاء، باب خالد 612- 433/2 أن القائل هو خالد بن عقبة، علق عليه ابن حجر في الإصابة: حرف الخاء المعجمة 2186- 245/2 بقوله:

"قلت: لم يذكر إسناده ولا من خرجه، والمشهور في مغازي ابن إسحاق نحو هذا للوليد ابن المغيرة، ومع ذلك فلا دلالة في السياق على إسلام صاحب هذه القصة".

"سبَّح لله" إلى قوله: /[636] (إن كنتم مومنين)[2136] وسورة "طه" فقرأها إلى قوله تعالى: (له الأسماء الحسنى)[2137] (ثم إلى قوله: "وأقم الصلاة لذكري")[2138] فإنه لم يسعه إلا أن يسلم[2139].

إلى غير ذلك من القضايا التي اعترف فيها بلغاء العرب بأن بلاغة القرآن فوق طاقة البشر[2140].

فسورة الفاتحة كلها آيات علوم، ولك أن تجعل **القسم الثاني منها أخلاقا**؛ فإن الهداية وما بعدها تفيد تهذيب النفوس والله أعلم، هـ بخ[2141].

التنبيه الثامن عشر: نسخ مدح المحسنين والملوك بالفاتحة[2142]

قال السيد طنطاوي:

[2136] الحديد 1- 8.

[2137] الآيات 1- 7.

[2138] الآيات 8- 13، والعبارة في الهامش بعبارة "صح".

[2139] قصة إسلام عمر هاته في كتاب الثقات لابن حبان: ذكر صفة بدء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم 72/1 وما بعدها.

وهي عن أسلم مولى عمر في مجمع الزوائد: باب مناقب عمر بن الخطاب، باب في إسلامه 63/9 وما بعدها.

علق عليها الهيثمي بقوله: "رواه البزار [أي في مسنده: مسند عمر بن الخطاب، مما روى أسلم مولى عمر عن عمر 279- 400/1]، وفيه أسامة بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف"، وقال في رواية ابن عمر: "رواه البزار والطبراني باختصار ورجاله ثقات، إلا أن ابن إسحاق مدلس" 65/9.

[2140] "فبيِّن أن لا بيان أبينُ ولا حكمة أبلغُ ولا كلامَ أشرفُ من بيان ومنطق تحدّى به امرؤ في زمان هم فيه رؤساءُ صناعة الخطب والبلاغة وقيلِ الشعر والفصاحة والسجع والكهانة على كل خطيب منهم وبليغ، وشاعر منهم وفصيح، وكل ذي سجع وكهانة، فسَفه أحلامهم وقصَّرَ بعقولهم وتبرأ من دينهم، ودعا جميعهم إلى اتباعه ...، ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عَجَزَة، ومن القدرة عليه نَقصَة، فأقر جميعهم بالعجز ...، إلا من تجاهل منهم وتعامى واستكبر وتعاشى..." تفسير الطبري 9/1 و10.

وانظر أيضا "الكلام في الإعجاز القرآني" في الفصل في الملل والأهواء والنحل 27/3 وما بعدها، و"نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن" في المحرر الوجيز 38/1 وما بعدها، و"باب ذكر نكت في إعجاز القرآن وشرائط المعجزة وحقيقتها" في تفسير القرطبي 50/1 وما بعدها، و"المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن" في تفسير التحرير والتنوير 101/1 وما بعدها.

[2141] الجواهر في تفسير القرآن 22/1- 25 بتصرف.

وانظر "النصف الأول من الفاتحة" في ص333.

[2142] هذا العنوان في هامش المخطوط.

اعلم أن العرب كان من عادتهم أن يُنْصتوا للشعراء ويسمعوا المدائح ويُصْغوا لمَن هم في كل واد يهيمون، الذين يقولون ما لا يفعلون[2143]، وما كان أكبر سلطان[2144] الشعر عليهم، وما أقساه وأقواه وأملكه لقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ومشاعرهم، **فنسخت "الفاتحة" تلك العادات الجاهلية** من مدح المحسنين والملوك، وقرّرت اختصاص الحمد والعبادة بالله عز وجل.

/[638] ولقد كان الشاعر يقول البيت مدحا فيرفع القبيلة الوضيعة، ويقول بيتا ذما فيضع القبيلة الرفيعة.

فمن الأول قول الشاعر في بني أنف الناقة[2145]:

قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومَن يُسَوّي بأنفِ الناقة الذنَبا[2146]

ومن الثاني قول جرير[2147]:

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُمَيـــرٍ فلا كعبا بلغْتَ ولا كِلابـــا[2148]

فصار بنو أنف الناقة يفتخرون /[639] بهذه النسبة بعد هذا البيت بعد أن كانوا يستحيون منها، وكذلك بنو نُمَيْر كانوا قبل هذا البيت يتكبرون ويفخرون بنسبهم، فلما شاع البيت طأطأوا رؤوسهم وغضوا من صوتهم[2149].

[2143] (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ...) الشعراء 223- 226.

[2144] كذا في المخطوط، ولعلها: وما كان أكبرَ مِن سلطان، بمعنى أنه لم يكن شيء أكبرَ عليهم من سلطان الشعر.

[2145] "وإنما سمّي جعفر أنف الناقة؛ لأن أباه قريعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه، فبعثت جعفرا هذا أمّه ...، فأتى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها فقال: شأنك بهذا. فأدخل يده في أنفها وجرّ ما أعطاه؛ فسمّي أنف الناقة" الأغاني: خبر الحطيئة ونسبه 173/2.

[2146] هو قول الحطيئة في البيان والتبيين للجاحظ 203/3 والأغاني 173/2.

[2147] هو في الطبقة الأولى من طبقات الإسلام في طبقات فحول الشعراء: 297/2.
وهو "جرير بن عطية بن الخَطَفي - والخطفي: لقب، واسمه: حذيفة- بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد ...، ويكنى أبا حزرة، ولقب: الخطفي.
... اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض" الأغاني: نسب جرير وأخباره 5/8 وما بعدها.

[2148] انظر طبقات فحول الشعراء: ذكر جرير 379/2.

[2149] انظر البيان والتبيين 202/3 و203، وفيه: =

هكذا كانت حال العرب كما ترى في شعر حسان مادح ملوك الغسانيين[2150]، وزهير بن أبي سُلمى مادح هَرم بن سنان[2151]، والنابغة الذبياني مادح النعمان وغيرهم.

فترى النابغة يقول في [النعمان][2152]:

/[640] كأنك شمس والملوكُ كواكب إذا طلعَتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ[2153]

وزهيرا يقول [في هرم][2154]:

قد جعل المُبْتغون الخيْرَ في هَرِم والسائلون إلى أبوابه طُرُقا[2155]

ويقول في قومه:

على مكثريهم رزقُ مَن يَعْتريهم وعند المُقِلين السَّماحة والبذلُ[2156]

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلا وشيجُـــهُ وهل نَبَتتْ إلا بمَغْرسِها النّخلُ[2157]

= = "قال أبو عبيدة: ... فصار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر. ... وما علمتُ في العرب قبيلة لقِيَتْ من جميع ما هُجيَتْ به ما لقيتْ نمَيْر من بيت جرير".

2150 "... فمن الخزرج من بني النجار حسان بن ثابت ...، أشعرهم ... وهو كثير الشعر جيده ...، ومن شعره الرائع الجيد ما مدح به بني جفنة من غسان ملوك الشام ..." طبقات فحول الشعراء: شعراء القرى العربية 215/1 و218 وانظر أيضا الأغاني 329/9.

واسمه: "حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ... بن يعرب بن قحطان ...، ويكنى حسان بن ثابت أبا الوليد، وهو فحل من فحول الشعراء، وقد قيل: إنه أشعر أهل المدر، وكان أحد المعمرين من المخضرمين، عمَّر مائة وعشرين سنة: ستين في الجاهلية وستين في الإسلام" الأغاني: أخبار حسان بن ثابت ونسبه 142/4 وما بعدها.

2151 "وكان هرم غنيا يقدر على ما يعطي سائليه" الأغاني 113/11.

وفي مجمع الأمثال: فيما أوله جيم، ما على "أفعل" من هذا الباب 188/1: "أجود من هرم: هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، وقد سار بجوده المثل".

2152 كذا في الجواهر في تفسير القرآن 6/1، وفي المخطوط: هرم.

"وكان الذبياني مع النعمان [أي ابن المنذر ملك الحيرة] وفي عصره، ولم يكن له قدم" طبقات فحول الشعراء 124/1 والأغاني 9/5 و10/11 وما بعدها.

2153 انظر طبقات فحول الشعراء 121/1 والأغاني 41/11.

2154 كذا في الجواهر في تفسير القرآن 6/1، وفي المخطوط : فيه.

2155 انظر طبقات فحول الشعراء 63/1 و121.

2156 تفسير القرطبي [الحج 34] 44/12.

2157 "يريد أن الفقراء منهم كرماء، والأغنياء يعطون ما يسألون، ثم يقول : وهل الرماح الخطيّة - التي تجلب من الخط، وهو مرفأ ببلاد البحرين كانت ترد له الرماح- تنبت إلا في شجرها؟، وهل النخل ينبت إلا في منابته؟" الجواهر في تفسير القرآن 6/1.

هذا قُلّ من كُثر، فكانت محامدهم في ملوكهم، /[641] فلما جاء القرآن فاجأهم بقوله: لا تحمدوا الملوك والمحسنين ولكن احمدوا الله.

أمر العربَ بل الخلقَ كلهم أن يولوا وجوههم قِبَل الله وحده إطلاقا لنفوسهم من الأسر ولعقولهم من الغفلة، وتعويدا لهم على الحرية العقلية، وأن ينسوا الإحسان القليل الصادر من المخلوق الضعيف وأن يطلبوا الخير والمعروف من الله وحده الذي هو المربِّي لجميع العالمين من الملوك والمثرين وغيرهم.

فإذا /[642] فعلوا ذلك أصبحوا سادة العالم؛ لأنهم بنظرهم في العوالم وبحثهم في نظامها وعجائبها وما أودع فيها من حكمة ودقيقة وغنى وشرف ينالون الخير من المربي العظيم والخالق الحكيم بجدِّهم لا بالتوسل للملوك.

ولقد حقق الله ما ذكرناه؛ لأنهم في صدر الإسلام ملكوا جلَّ المعمور وفتحوه بالعلوم ونالوا من الخيرات الدينية والدنيوية فوق ما يبتغون.

/[643] وفي هذه السورة أمر الله الخلق أن يَخُصّوا الله بالحمد والعبادة، كما أمرهم في "البقرة" أن يذكروا الله كذكرهم آباءهم أو أشد ذكرا إذا قضوا مناسكهم[2158]، فرجع الأمر إلى توجيه العبادة والحمد والذكر وتحريم عبادة المخلوق والخضوع له، فتتوفر الهمم على الأعمال العظيمة عالمة أنه لا يُحمد إلا الله ولا يُعبد إلا الله ولا تُطلب الاستعانة على الأعمال إلا مِن الله ولا تُطلب الهداية /[644] إلا من الله عز وجل، هـ بخ[2159].

[2158] أي في قوله تعالى : (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) الآية 199.
قال القرطبي في تفسيره 285/2: "كانت عادة العرب إذا قضت حجها تقف عند الجمرة فتفاخر بالآباء وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك، حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبّة عظيم الجفنة كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته.
فلا يذكر غير أبيه؛ فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية، هذا قول جمهور المفسرين".

[2159] الجواهر في تفسير القرآن : نسخ العادات العربية الجاهلية 5/1- 7 بتصرف.

التنبيه التاسع عشر: حكم الفاتحة في الصلاة[2160]

قال ابن العربي (ت 543) في الأحكام ما نص المراد منه:

ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

قال الله تعالى: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نِصْفَيْنِ، لخ الحديث السابق[2161]؛ فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب[2162].

وهـذا دليـل قوي مع أنه ثبت في الصحيـح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال:

[2160] هذا العنوان في هامش المخطوط.

وأحكام قراءة الفاتحة في الصلاة مفصَّلة مشهورة في كتب الفقه والحديث والتفسير لخَّصها ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: الفصل الأول من الباب الأول من الجملة الثالثة من كتاب الصلاة 128/1 وما بعدها بقوله:

"المسألة الخامسة: اتفق العلماء على أنه لا تجوز صلاة بغير قراءة، لا عمدا ولا سهوا...، واختلفوا في القراءة الواجبة في الصلاة:

فرأى بعضهم أن الواجب من ذلك أم القرآن لمن حفظها وأن ما عداها ليس فيه توقيت، ومن هؤلاء من أوجبها في كل ركعة، ومنهم من أوجبها في أكثر الصلاة، ومنهم من أوجبها في نصف الصلاة، ومنهم من أوجبها في ركعة من الصلاة.

وبالأول قال الشافعي، وهي أشهر الروايات عن مالك، وقد روي عنه أنه إن قرأها في ركعتين من الرباعية أجزأته.

وأما من رأى أنها تجزئ في ركعة: فمنهم الحسن البصري وكثير من فقهاء البصرة.

وأما أبو حنيفة فالواجب عنده إنما هو قراءة القرآن أي آية اتفقت أن تقرأ، وحد أصحابه في ذلك ثلاث آيات قصار أو آية طويلة - مثل آية الدَّيْن-، وهذا في الركعتين الأوليين، وأما في الأخيرتين فيستحب عنده التسبيح فيهما دون القراءة، وبه قال الكوفيون.

والجمهور يستحبون القراءة فيها كلها.

والسبب في هذا الاختلاف تعارض الآثار في هذا الباب ومعارضة ظاهر الكتاب للأثر...".

[2161] أي في "الفصل الخامس في كونها آية أم لا" ص110.

وهو جزء من حديث أخرجه في الموطإ عن أبي هريرة مرفوعا: باب القراءة خلف الإمام 188- 84/1، وفي صحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة 395- 296/1، ومسند أحمد 7289- 241/2، و7823- 285/2، و9934- 460/2، وصحيح ابن خزيمة: باب فضل قراءة فاتحة الكتاب 502- 252/1، وصحيح ابن حبان: ذكر كيفية قسمة فاتحة الكتاب 776- 54/3، وذكر الخبر الدال على أن الفرض على المأموم والمنفرد قراءة فاتحة الكتاب في صلاته 1784- 84/5، وذكر الزجر عن ترك قراءة فاتحة الكتاب 1795- 96/5.

[2162] انظر ما ذهب إليه "مالك والشافعي وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم - وهو مذهب العترة-" مِن "تعَيّن فاتحة الكتاب في الصلاة وأنه لا يجزئ غيرها" في نيل الأوطار: أبواب صفة الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة 229/2 وما بعدها.

"لا صَلاةَ لِمَن لَمْ يَقْرَأ بفاتِحَةِ /[645] الكِتابِ"[2163]، وثبت عنه أنه قال: "مَن صَلى صَلاةً لَمْ يَقْرَأ فيها بفاتِحةِ الكِتابِ فهِيَ خِداجٌ"[2164] - ثلاثا-: غير تمام، هـ[2165].

ثم قال:

قال أصحاب الشافعي (ت 204): هذا يدل على أن **المأموم** يقرؤها، وإن لم يقرأها فليس له حظ في الصلاة لظاهر هذا الحديث[2166].

ولعلمائنا في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: يقرؤها إذا أسر خاصة، قاله ابن القاسم (ت 191)[2167].

[2163] مسند أحمد عن عبادة بن الصامت مرفوعا 22729- 314/5، و22746- 316/5، و22795 و22797- 321/5، وصحيح البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ... 723- 263/1، وكتاب التوحيد، باب وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملا وقال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب 2740/6، وصحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... 394- 295/1.
"والحديث يدل على تعين فاتحة الكتاب في الصلاة وأنه لا يجزئ غيرها، وإليه ذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وهو مذهب العترة..." نيل الأوطار: باب وجوب قراءة الفاتحة 229/2.

[2164] صحيح ابن حبان: باب قراءة القرآن، ذكر كيفية قسمة فاتحة الكتاب بين العبد وبين ربه 776- 54/3 عن أبي هريرة مرفوعا.
وفي الموطإ : باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة 188- 84/1، وصحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... 395- 296/1، و396- 297/1، وصحيح ابن خزيمة: جماع أبواب الأذان والإقامة، باب فضل قراءة فاتحة الكتاب... 502- 252/1، وصحيح ابن حبان 1784- 84/5: "... بأم القرآن ..." بدل "بفاتحة الكتاب".
"... وأجاب القائلون بعدم الوجوب عنه بأن الخداج معناه: النقص، وهو لا يستلزم البطلان، وردَّ بأن الأصل أن الصلاة الناقصة لا تسمى صلاة حقيقية" نيل الأوطار: باب وجوب قراءة الفاتحة 234/2.

[2165] أحكام القرآن 3/1 و4 بتصرف يسير.

[2166] انظر المجموع للنووي: كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة 272/3 و278، وفتح الوهاب بشرح منهج الطلاب للأنصاري: كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة 72/1، ونيل الأوطار: باب ما جاء في قراءة المأموم وإنصاته إذا سمع إمامه 237/2.
قال القرطبي في تفسيره 84/1:
"... وكان الشافعي بالعراق يقول في المأموم: يقرأ إذا أسر ولا يقرأ إذا جهر، كمشهور مذهب مالك.
وقال بمصر: فيما يجهر فيه الإمام بالقراءة قولان:
أحدهما أن يقرأ، والآخر يجزئه ألا يقرأ ويكتفي بقراءة الإمام، حكاه ابن المنذر".

[2167] هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي، فقيه الديار المصرية، تفقه بمالك بن أنس ونافع وغيرهما، وعنه أصبغ والحارث وآخرون، توفي سنة 191. انظر طبقات الفقهاء ص155 وتذكرة الحفاظ 356/1.

الثاني: قال أشهب[2168] (ت 204) وابن وهب[2169] (ت 197) في كتاب محمد (ت 269)[2170]: لا يقرؤها.

/[646] الثالث: قال محمد بن عبد الحكم (ت 268)[2171]: يقرؤها خلف الإمام، فإن لم يفعل أجزأه، كأنه رأى أن ذلك مستحب.

والمسألة عظيمة الخطر، **والصحيح عندي** وجوب قراءتها فيما أسر وتحريمها فيما جهر إذا سمع قراءة الإمام[2172]؛ لِما عليه من فَرْض الإنصات والاستماع لقراءته[2173].

فإن كان في مقام بعيد عنه فهو بمنزلة صلاة السر؛ لأن أمْرَ النبي صلى الله عليه وسلم بقراءتها عام في كل صلاة وحالة، وخصَّ من ذلك /[647] حالةَ الجهر بوجوب فرْض الإنصات، وبقيَ العمومُ في غير ذلك على ظاهره، هـ[2174].

وقال ابن جزي (ت 741): "قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند

[2168] هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي العامري، الفقيه المصري المالكي ذو الرأي الحسن، قيل: اسمه مسكين وأشهب لقب، روى عن مالك والليث وغيرهما، عنه الحارث بن مسكين وخلق. انظر تهذيب التهذيب 654- 314/1 والديباج المذهب 307/1 وشذرات الذهب 12/2 والفكر السامي 446/1.

[2169] هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري الفقيه، صحيح الحديث، روى عن أربعمائة عالم منهم عمرو بن الحارث ومالك وآخرين، عنه ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن والليث وآخرون، صنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير، توفي سنة 197 بمصر. انظر تهذيب التهذيب 141-65/6 والديباج المذهب 413/1 وشذرات الذهب 347/3.

[2170] هو محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري المالكي ابن المواز، كان راسخا في الفقه والفتيا، ولد سنة 180 وتوفي بدمشق عام 269. انظر سير أعلام النبلاء 6/13 والديباج المذهب 167/2.

[2171] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، سمع عددا من أصحاب مالك وصحب الشافعي وأخذ عنه، له "أحكام القرآن" و"الوثائق والشروط"، توفي سنة 268. انظر الديباج المذهب 163/2.

[2172] "قال يحيى : سمعت مالكا يقول: الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة، ويترك القراءة فيما يجهر فيه الإمام بالقراءة" الموطأ: كتاب الصلاة، باب ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر فيه 43- 86/1.

[2173] انظر قائليه وأدلتهم في نيل الأوطار: باب ما جاء في قراءة المأموم وإنصاته... 237/2.
قال ابن حجر: "واستدل من أسقطها عنه في الجهرية كالمالكية بحديث : "وإذا قرأ فأنصتوا" وهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري، ولا دلالة فيه لإمكان الجمع بين الأمرين: فينصت فيما عدا الفاتحة، أو ينصت إذا قرأ الإمام ويقرأ إذا سكت..." فتح الباري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم... 487/2.

[2174] أحكام القرآن 5/1 بتصرف يسير.

مالك(ت 179) والشافعي(ت 204)، خلافا لأبي حنيفة(ت 150)[2175].

وحجتهما قوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاةَ لمَن لمْ يَقرَأ بفاتحةِ الكتابِ"[2176]، وحجته قوله صلى الله عليه وسلم للذي عَلَّمَهُ الصلاةَ: "اِقْرَأ ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ"[2177]، هـ"[2178].

وقال الثعالبي(ت 875): وأسند أبو بكر بن الخطيب(ت 463) عن نافع عن ابن عمر(ت 73) قال: قال النبي /[648] صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كانَ لهُ إمامٌ فَقِراءَةُ الإمامِ لهُ قِراءَةٌ"، هـ من تاريخ بغداد،

[2175] "وقد قال بوجوب قراءة الفاتحة في الصلاة الحنفية، لكن بنوا على **قاعدتهم** أنها مع الوجوب ليست شرطا في صحة الصلاة؛ لأن وجوبها إنما ثبت بالسنة، والذي لا تتم الصلاة إلا به فرض، و**الفرض عندهم لا يثبت بما يزيد على القرآن** وقد قال تعالى: (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن) [المزمل 18]؛ فالفرض قراءة ما تيسر، وتعيين الفاتحة إنما ثبت بالحديث فيكون واجبا يأثم من يتركه وتجزئ الصلاة بدونه... .

واستدل من أسقطها عن المأموم مطلقا كالحنفية بحديث: "من صلى خلف إمام فقراءة الإمام له قراءة" لكنه حديث ضعيف عند الحفاظ، وقد استوعب طرقه وعلله الدارقطني وغيره" فتح الباري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم... 487/2.

هذا وقد علق الشوكاني على مذهب "الحنفية وطائفة قليلة" بقوله:

"وهذا تعويل على رأي فاسد حاصله رد كثير من السنة المطهرة بلا برهان ولا حجة نيرة، فكم موطن من المواطن يقول فيه الشارع: لا يجزئ كذا، لا يقبل كذا، لا يصح كذا، ويقول المتمسكون بهذا الرأي: يجزئ ويقبل ويصح.

ولمثل هذا حذر السلف من أهل الرأي..." نيل الأوطار: باب وجوب قراءة الفاتحة 230/2.

[2176] سبق قبل قليل في ص350.

[2177] هو عن رفاعة بن رافع مرفوعا في السنن الكبرى للنسائي: كتاب التطبيق، الرخصة في ترك الذكر في السجود 722- 241/1، والمعجم الكبير: رفاعة بن رافع الزرقي الأنصاري 4526- 38/5، وهو عن أبي هريرة مرفوعا في سنن البيهقي الكبرى: جماع أبواب صفة الصلاة، باب ما يفعل في كل ركعة وسجدة... 2597- 126/2.

وقد رد الشوكاني على الاستدلال بحديث المسيء هذا بقوله:

"والجواب عنه أنه قد ورد في حديث المسيء أيضا عند أحمد وأبي داود وابن حبان بلفظ: "ثم اقرأ بأم القرآن".

فقوله: "ما تيسر" مجمل مبين، أو مطلق مقيد، أو مبهم مفسر بذلك؛ لأن الفاتحة كانت هي المتيسرة لحفظ المسلمين لها.

وقد قيل: إن المراد ب"ما تيسر" فيما زاد على الفاتحة: جمعا بين الأدلة؛ لأن حديث الفاتحة زيادة وقعت غير معارضة، وهذا حسن.

وقيل: إن ذلك منسوخ بحديث تعيين الفاتحة" نيل الأوطار: باب وجوب قراءة الفاتحة 231/2.

[2178] كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 32/1.

ولم يذكر في سنده مطعنا[2179].

وقال ابن العربي(ت 543):

والصحيح عندي وجوبُها على المأموم فيما أسر فيه وتحريمها فيما جهر فيه إذا سمع الإمام؛ لما عليه من وجوب الإنصات والاستماع، فإن بَعُدَ عن الإمام فهو بمنزلة صلاة السر، هـ[2180].

وفي مختصر خليل(ت 776) ممزوجا بشرحنا[2181] ما نصه:

(و)خامس الفرائض: (فاتحة) /[649] لفرض أونفل بجميع حروفها وحركاتها وشداتها.

(بحركة لسان) - ولا تجزئ بالقلب[2182]-.

[2179] تاريخ بغداد 247- 337/1، وخرجه كذلك عن جابر بن عبد الله مرفوعا في 5487- 340/10 [وكذا في مسند أحمد 14684- 339/3]، وعن ابن مسعود مرفوعا في 6312- 426/11 وفيه "شيخ مجهول".

وانظر الكامل في ضعفاء الرجال 150- 322/1 حيث الرواية عن أبي سعيد الخدري مرفوعة، وفي 326- 119/2 منه حيث الرواية عن جابر مرفوعة، وكذا "عن جابر عن نافع عن ابن عمر مثله"، وفي 445- 292/2، و1617- 89/6 عن جابر مرفوعا أيضا، وفي 1885- 400/6 "عن سالم عن أبيه شك في رفعه"، وفي 1954- 10/7 و11 عن جابر وأخرى عن عبد الله بن شداد مرفوعا.

وانظر كذلك الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر 198- 162/1 وما بعدها.

قال ابن كثير في تفسيره 13/1 و14:

"رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم... ولكن في إسناده ضعف، ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه، وقد روي هذا الحديث **من طرق لا يصح شيء منها عن النبي** صلى الله عليه وسلم والله أعلم".

وفي فتح الباري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم... 487/2:

"لكنه حديث **ضعيف عند الحفاظ**، وقد استوعب طرقه وعلله الدارقطني وغيره".

[2180] انظر تفسير الثعالبي 27/1، وقد سبق قول ابن العربي قبل قليل في ص352.

[2181] هو "منن الفتاح الجليل بشرح مختصر خليل": أورده محقق كتاب "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" -30/1- ضمن أعمال الرهوني العلمية المخطوطة.

[2182] "ولم يجعلوا القارئ في الصلاة قارئا بقلبه" شرح الزرقاني على مختصر خليل 199/1.

قال ابن القاسم: "وكان مالك لا يرى ما قرأ به الرجل في الصلاة في نفسه ما لم يحرك به لسانه قراءة. قال: وكذلك بلغني عنه" المدونة الكبرى: كتاب الصلاة، ما جاء في ترك القراءة في الصلاة 65/1.

قال البغوي: "قلت: وكذلك السنة في القراءة وفي كل ذكر يأتي به خلف الإمام: أن يُسْمِع نفسه ولا يغلِبَ جارَه، قال الشعبي: إذا قرأتَ القرآن فاقرأ قراءة تُسْمِعُ أذنيك وتُفقه قلبَك؛ فإن الأذن عدل بين اللسان والقلب" شرح السنة: باب القراءة خلف الإمام 87/3.

(على إمام وفذ) دون المأموم؛ لحمل الإمام لها عنه[2183].

وأوجبها عليه الشافعي وابن العربي في السرية، فيندب له قراءتها خروجا من الخلاف (وإن لم يسمع نفسه)، وأوجب ذلك الشافعي[2184].

(و) سادسها: (قيام لها) في الفرض للقادر من إمام أو فذ استقلالا ومأموم تبعا للإمام.

وإذا كانت الفاتحة واجبة /[650] (فيجب تعلمها إن أمكن)[2185] بأن قبل التعلم واتسع الوقت ووجد معلما.

(وإلا) يمكن (ائتم) وجوبا بمن يحسنها.

فإنْ ترَكَهُ بطلت صلاته[2186] عند ابن المواز (ت 269) وسحنون

2183 "الفصل السادس : فيما حمله الإمام عن المأمومين: واتفقوا على أنه لا يحمل الإمام عن المأموم شيئا من فرائض الصلاة ما عدا القراءة، فإنهم اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال:
أحدها أن المأموم يقرأ مع الإمام فيما أسر فيه ولا يقرأ معه فيما جهر به.
والثاني أنه لا يقرأ معه أصلا.
والثالث أنه يقرأ فيما أسر أم الكتاب وغيرها، وفيما جهر أم الكتاب فقط. وبعضهم فرق في الجهر بين أن يسمع قراءة الإمام أو لا يسمع؛ فأوجب عليه القراءة إذا لم يسمع، ونهاه عنها إذا سمع.
وبالأول قال مالك إلا أنه يستحسن له القراءة فيما أسر له الإمام.
وبالثاني قال أبو حنيفة.
وبالثالث قال الشافعي.
والتفرقة بين أن يسمع أو لا يسمع هو قول أحمد بن حنبل.
والسبب في اختلافهم اختلاف الأحاديث ..." بداية المجتهد ونهاية المقتصد 157/1.

2184 "والصلاة يُطلب فيها الاحتياط خصوصا للخروج من خلاف قول الشافعي بوجوب إسماع النفس" المرجع السابق.

2185 "... فإذا جمع بين ألفاظ الحديث كان تعيّن الفاتحة هو الأصل لمن معه قرآن، فإن عجز عن تعلمها وكان معه شيء من القرآن قرأ ما تيسر، وإلا انتقل إلى الذكر.
ويحتمل الجمع أيضا أن يقال: المراد بقوله "فاقرأ ما تيسر معك من القرآن" أي بعد الفاتحة، ويؤيده حديث أبي سعيد عند أبي داود بسند قوي:
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر" فتح الباري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم... 488/2.
"قوله: إني لا أستطيع، رواه ابن ماجة بلفظ: إني لا أحسن من القرآن شيئا.
قال شارح المصابيح: اعلم أن هذه الواقعة لا تجوز أن تكون في جميع الأزمان؛ لأن من يقدر على تعلم هذه الكلمات لا محالة يقدر على تعلم الفاتحة، بل تأويله:
لا أستطيع أن أتعلم شيئا من القرآن **في هذه الساعة** وقد دخل عليَّ وقت الصلاة.
فإذا فرغ من تلك الصلاة لزمه أن يتعلم" نيل الأوطار: أبواب صفة الصلاة، باب حكم من لم يحسن فرض القراءة 248/2.

2186 الذي يظهر أنه واقعي وأقرب إلى الصواب في هذه المسألة قول القرطبي في تفسيره 89/1 :=

(ت 240)[2187] والمص[2188] (ت 776)، وصحت عند أشهب(ت 204).

(فإن لم يمكنا) - أي التعلم والائتمام- (فالمختار) عند اللخمي(ت 478)[2189] (سقوطهما)، أي الفاتحة والقيام لها.

(وندب) حينئذ (فصل بين تكبيره وركوعه)[2190].

(وهل تجب الفاتحة في كل ركعة؟) وهو قول الإمام مالك(ت 179) وجمهور /[651] العلماء[2191].

قال الدردير(ت 1201)[2192]: وهو الراجح[2193].

وشهره ابن بشير(ت 526)[2194] وعياض(ت 544)[2195] وابن

= = "فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الإمام **جهده**؛ فالإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله، و**عليه** أبدا **أن يجهد** نفسه في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد، إلى أن يَحُولَ الموتُ دون ذلك وهو بحال الاجتهاد **فيعذره الله**".

أقول: فالشارع لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يدع المرء وهُجاساتِ نفسه المثبِّطة له عن الاستزادة من الخيرات بل يحثه ويستنهض همته بأمثال قوله جل وعلا: (وقل رب زدني علما) طه 114.

[2187] هو أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان، الملقب بسحنون، سمع بعض أصحاب مالك وولي القضاء على إفريقية، توفي سنة 240. انظر سير أعلام النبلاء 63/12 والديباج المذهب 30/2.

[2188] كذا في المخطوط، والمقصود بها: المصنف، وهو الإمام خليل بن إسحاق رحمه الله تعالى صاحب المختصر.

[2189] هو أبو الحسن علي بن محمد الربعي اللخمي القيرواني، فقيه ذو حظ من الأدب، له تعليق على المدونة سماه : التبصرة، توفي سنة 478. انظر الديباج المذهب 104/2.

[2190] أي "بوقفة يسيرة" شرح الزرقاني على مختصر خليل 200/1.

[2191] "قال [أي ابن القاسم]: وسألت مرة عمن نسي أم القرآن في ركعة، قال [أي مالك]: أحَبُّ إليَّ أن يُلغِيَ تلك الركعة ويعيدها ...، قال ابن القاسم: وهو رأيي" المدونة الكبرى: كتاب الصلاة، ما جاء في ترك القراءة في الصلاة 67/1.

وانظر أدلة هذا الرأي في نيل الأوطار : باب وجوب قراءة الفاتحة 232/2 وما بعدها، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمُها قرأ ما تيسر له من غيرها 295/1 وما بعدها.

[2192] هو شيخ الإسلام أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، الشهير بالدردير، إمام في العلوم العقلية والنقلية، من مصنفاته: شرح على مختصر خليل في الفقه المالكي، توفي سنة 1201. انظر الفكر السامي 293/2 وفهرس الفهارس للكتاني 293/1.

[2193] قال الدردير: "وهو الأرجح" الشرح الكبير لأحمد الدردير على متن خليل 187/1 وهو بهامش حاشية محمد عرفة عليه.

[2194] لعله أبو العباس أحمد بن بشير الغرناطي، كانت له معرفة بعلم الكلام والحساب والفرائض. انظر الديباج المذهب 199/1.

شاس(ت 610)[2196] وغيرهما، وصححه ابن الحاجب(ت 646) وابن عبد البر(ت 463)[2197] وعبد الوهاب(ت 422)[2198].

(أو في الجل) للركعات؟ وشهره المازري(ت 536) وابن عسكر(ت 732)[2199] ورجع إليه الإمام(ت 179)[2200] وهو قول ابن راهويه(ت 238)[2201]، (وقال القرافي(ت 684)[2202]: هو ظاهر المذهب)[2203]:

في ذلك[2204] (خلاف).

وهناك أقوال أخرى أربعة روي عن الإمام(ت 179) منها ثلاثة:

الأول وجوبها في ركعة فقط، روي عن الإمام (ت179) وقاله

[2195] هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي العلامة الحافظ شيخ الإسلام، أخذ عن علماء الأندلس بعدما رحل إليها، من مؤلفاته : الشفا، وترتيب المدارك، ولد سنة 476 وتوفي عام 544. انظر سير أعلام النبلاء 212/20 والديباج المذهب 46/2.

[2196] هو أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس الجُذامي السعدي المصري، الإمام العلامة شيخ المالكية، مصنف كتاب "الجواهر الثمينة في فقه أهل المدينة"، توفي سنة 610 وقيل: 616. انظر سير أعلام النبلاء 98/22 والديباج المذهب 443/1 والفكر السامي 230/2.

[2197] هو أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي النمري، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته، صاحب التصانيف النافعة في الحديث ةالفقه وغيرها منها: "التمهيد" و"الاستيعاب" و"الكافي"، توفي سنة 463. انظر الديباج المذهب 267/2 وسير أعلام النبلاء 153/18.

[2198] هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي الإمام العلامة، صنف في المذهب "التلقين" وله كتاب المعرفة في شرح الرسالة، توفي بمصر سنة 422. انظر سير أعلام النبلاء 429/17 والديباج المذهب 26/2.

[2199] هو شهاب الدين عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، مشهور بالفقه والزهد والعبادة، من تصانيفه المفيدة : كتاب المعتمد في الفقه، وكتاب العمدة ، وكتاب الإرشاد شرحه أحمد زروق الفاسي، وله تآليف في الحديث وغيره، توفي سنة 732. انظر شذرات الذهب 102/6 والفكر السامي 238/2.

[2200] قال ابن القاسم : "كان مالك يستحب أن يعيد إذا ترك القراءة في ركعة واحدة - في خاصة نفسه- من أي الصلوات كانت ... .

ثم قال: أرجو أن تجزئه سجدتا السهو قبل السلام، وما هو عندي بالبيّن" المدونة الكبرى: كتاب الصلاة، ما جاء في ترك القراءة في الصلاة 65/1.

[2201] هو أبو يعقوب إسحاق بن راهويه الإمام الحافظ، ولد سنة 161 وتوفي عام 238. انظر تذكرة الحفاظ 433/2 وسير أعلام النبلاء 358/11.

[2202] هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء الصنهاجي المصري، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك، له مصنفات في الفقه والأصول وأصول الدين وغيرها، توفي سنة 684 ودفن بالقرافة. انظر مقدمة كتاب: ترتيب الفروق واختصارها للبقوري.

[2203] في الهامش بعبارة "صح".

[2204] أي في: هل تجب الفاتحة في كل ركعة أو في جل الركعات؟

المغيرة[2205] (ت186) والحسن(ت110)[2206].

/[652] الثاني أنها لاتجب في شيء **وهو أشذ الروايات عنه**.

وهو مذهب أبي حنيفة(ت 150)، إلا أن أبا حنيفة يشترط أن يقرأ غيرها من القرآن في جل الصلاة؛ فمن ترك عنده القراءة في صلاته فسدت صلاته[2207].

الثالث وجوبها في نصف الصلاة[2208] وهو مذهب الأوزاعي(ت 157) وحُكي عن الإمام(ت 179)[2209].

الرابع وجوبها في الجميع على الإمام والفذ والمأموم وهو مذهب الأوزاعي وأبي ثور(ت 240)[2210] وأحد قولي الشافعي[2211] والله أعلم، هـ بخ.

/[653] (وإن ترك آية منها)[2212] أو أقل أو أكثر وكان إمامـا أو فـذا

[2205] هو أبو هاشم المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي المدني، أحد فقهاء المدينة ومفتيها، روى عن أبيه ومالك وطائفة، عنه ابنه عياش وخلق، ولد سنة 124 أو 125 وتوفي سنة 186 أو 188. انظر تهذيب التهذيب 476- 236/10.

[2206] انظر تفسير القرطبي 83/1.

وهو مذهب "الحسن البصري والهادي والمؤيد بالله وداود وإسحاق ...، واحتج القائلون بوجوب الفاتحة مرة واحدة بالأحاديث المذكورة في الباب، فإن المعنى الحقيقي للصلاة هو جميعها لا بعضها، وقد عرفت الجواب عن ذلك" نيل الأوطار: باب وجوب قراءة الفاتحة 233/2.

[2207] وهذا على مذهب أبي حنيفة المفرِّق فيه بين الواجب والفرض :

فالواجب ما ثبت بالسنة: يأثم تاركه وتُجزئ الصلاة بدونه، والفرض لا يثبت بما يزيد على القرآن - والقرآن فرَضَ قراءة ما تيَسَّر -، ولا تتمّ الصلاة إلا به.

انظر فتح الباري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم 487/2.

[2208] انظر حجة "من قال بوجوبها في الأوليين فقط" في نيل الأوطار : باب وجوب قراءة الفاتحة 233/2.

[2209] انظر المدونة الكبرى : كتاب الصلاة، ما جاء في ترك القراءة في الصلاة 65/1، وبداية المجتهد 129/1.

[2210] هو أبو عبد الله إبراهيم بن خالد بن أبيّ الكلبي، أبو ثور الفقيه، حدث عن وكيع والشافعي وغيرهما، عنه أبو داود وخلق، توفي سنة 240. انظر تذكرة الحفاظ ص512 وطبقات الشافعية 127/1 وطبقات المفسرين 7/1.

[2211] انظر قول الشافعي في بداية المجتهد 129/1.

[2212] هذه المسألة من الفروع المختلف فيها في المذاهب الفقهية، انظر مثلا الأم للشافعي: الكلام في الصلاة، إمامة من لا يحسن القراءة ويزيد في القرآن 167/1، والمغني : مسألة قال: وإن أم أمي أميا وقارئا أعاد القارئ وحده 13/2 وما بعدها: = =

ولم يمكنه التلافي[2213] تمادى على صلاته و(سجد) قبل [السلام][2214].

وأعادها أبدا على المشهور إن تركها سهوا[2215].

فإن تركها عمدا:

فإن كان في الأقل:

فعلى القول بالوجوب في الكل تبطل الصلاة، وعلى القول بالوجوب في الجل فقيل: تبطل أيضا، وقيل: لا تبطل ولكن يسجد قبل السلام، وعليه أبو الحسن اللخمي(ت 478).

هذا لب ما في الزرقاني (ت 1099)[2216] وبناني(ت 1194)[2217].

/[654] وفيه أيضا بعد ذلك ما نصه:

(و)المندوب السادس عشر (إنصات مقتد): أي سكوته في الصلاة

= = حيث الخلاف في فصول تتحدث عن الصلاة خلف من لا يُعلم حاله، وعمن ترك حرفا من حروف الفاتحة، وإمامة من لا يُحسن الفاتحة، وإمامة اللحان، ومن لا يفصح ببعض الحروف.

[2213] "ولم يمكنه التلافي : بأن ركع" شرح الزرقاني على مختصر خليل 200/1.

[2214] في المخطوط : الصلاة. وانظر المرجع السابق.

[2215] "قال ابن خويز منداد البصري المالكي:
لم يختلف قول مالك أنه من نسيها في صلاة ركعة من صلاة ركعتين أن صلاته تبطل ولا تجزيه.
واختلف قوله فيمن تركها ناسيا في ركعة من صلاة رباعية أو ثلاثية:
فقال مرة: يعيد الصلاة، وقال مرة أخرى: يسجد سجدتي السهو، وهي رواية ابن عبد الحكم وغيره عن مالك ... .
قال ابن عبد البر: الصحيح من القول إلغاء تلك الركعة ويأتي بركعة بدلا منها كمن أسقط سجدة سهوا، وهو اختيار ابن القاسم" تفسير القرطبي 83/1.
قال الشوكاني: "وقد اختلف القائلون بتعيين الفاتحة في كل ركعة : هل تصح صلاة من نسيها؟ ... .
وروى ابن القاسم عن مالك أنه إن نسيها في ركعة من صلى ركعتين فسدت صلاته.
وإن نسيها في ركعة من صلى ثلاثية أو رباعية: فروي عنه أنه يعيدها ولا تجزئه، وروي عنه أنه يسجد سجدتي السهو، وروي عنه أنه يعيد تلك الركعة ويسجد للسهو بعد السلام" نيل الأوطار: باب وجوب قراءة الفاتحة 233/2.

[2216] هو الشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، من بيت علم بمصر، له تواليف مفيدة أجلها: شرحه مختصر خليل الذي نسخ ما قبله من الشروح، إلا أنه لم ينقحه من الأغلاط فاعتنى به المغاربة وتتبعوه، توفي سنة 1099. انظر الفكر السامي 283/2.

[2217] انظر شرح الزرقاني على مختصر خليل: فصل فرائض الصلاة 199/1 وما بعدها وحاشية بناني عليه المسماة: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني 199/1 وما بعدها.

الجهرية سواء سمع الإمام أو لم يسمعه، (ولو سكت إمامه) بين التكبير والفاتحة وبين الفاتحة والسورة.

وأوجب الشافعي قراءة الفاتحة حتى على المأموم لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[2218].

ويستحب للمأموم /[655] المالكي قراءتها سرا خروجا من الخلاف كما نص عليه الزرقاني(ت 1099) وغيره[2219].

(وندبت) قراءة المأموم للفاتحة والسورة (إن أسر) الإمام، وإسماعُ نفسه خروجا من خلاف الشافعي القائل: لا تكفي حركة اللسان، والله أعلم[2220]، هـ بخ.

التنبيه العشرون: [أحكام التأمين وأسراره]

قال ابن العربي: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إذا قالَ الإمامُ: (غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالينَ) /[656] فقولوا: **آمينَ**، فإنَّهُ مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[2221].

وثبت عنه أنه قال: "إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا[2222]، فإنه مَن وافقَ قولُهُ قولَ المَلائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ"[2223].

[2218] سبق تخريجه في بداية هذا التنبيه ص350.

[2219] انظر شرح الزرقاني على مختصر خليل 199/1 و210.

[2220] قال ابن حجر بعدما تحدث عن روايات حديث: "من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة": "وحمل البيهقي هذه الأحاديث على ما عدا الفاتحة، واستدل بحديث عبادة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الفجر ثم قال: لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟ فلنا: نعم، قال: فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب.
وأخرجه أبو داود بإسناد رجاله ثقات، وبهذا يجمع بين الأدلة المثبتة للقراءة والنافية لها، والله أعلم" الدراية في تخريج أحاديث الهداية 198- 164/1.

[2221] أخرجه في الموطإ: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين خلف الإمام 45- 87/1 عن أبي هريرة مرفوعا، وكذا صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب جهر المأموم بالتأمين 749- 271/1، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 410- 307/1.

[2222] "قال إمام الحرمين: ...هذا الأمر عند الجمهور للندب، وحكى ابن بزيزة عن بعض أهل العلم وجوبه على المأموم عملا بظاهر الأمر، قال : وأوجبه الظاهرية على كل مصل" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 515/2.

[2223] أخرجه في الموطإ : كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين خلف الإمام 87/1 عن أبي هريرة مرفوعا، وفيه: "... تأمينُه تأمينَ ...".

فرتّبت المغفرة من الذنب على أربع مقدمات ذكر منها ثلاثا وأمسك عن واحدة؛ لأن ما بعدها يدل عليها:

المقدمة الأولى: تأمين الإمام، الثانية: تأمين من خلفه، الثالثة: تأمين /[657] الملائكة، الرابعة: موافقة التأمين.

فعلى هذه المقدمات الأربع تترتب المغفرة، وإنما أمسك عن الثالثة اختصارا لاقتضاء الرابعة لها فصاحة، وذلك يكون في البيان للاسترشاد والإرشاد، ولا يصح ذلك مع جدل أهل العناد.

واختلف في قوله "آمين":

فقيل: هو على وزن "فاعيل" كقوله "يامين".

/[658] وقيل: "أمين" فيه على وزن "يمين".

الأولى ممدودة والثانية مقصورة، وكلاهما لغة، والقصر أفصح وأخصر[2224].

وفي تفسيرها أقوال:

قيل: اسم من أسماء الله، ولم يصح نقله ولا ثبت قوله[2225].

= = وكذا في صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 747- 270/1، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 410- 307/1.

[2224] "وآمين - مطولة الألف مخففة الميم-: لغة بني عامر" إصلاح المنطق لابن السكيت: باب ما يخفف ص179.

قال ابن حجر: "وهي بالمد والتخفيف في جميع الروايات وعن جميع القراء.

وحكى الواحدي عن حمزة والكسائي الإمالة.

وفيها ثلاث لغات أخرى شاذة: القصر ...، والتشديد مع المد، والقصر، وخطأهما جماعة من أهل اللغة" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 512/2.

[2225] "روي عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف، ورواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، **ولم يصح**" تفسير القرطبي 90/1.

وفي فتح الباري 512/2: "رواه عبد الرزاق عن أبي هريرة **بإسناد ضعيف** وعن هلال بن يساف التابعي مثله [مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب آمين 2650 و2651- 99/2]، **وأنكره جماعة**".

قال أبو إسحاق ابن قُرقُول: "وقيل:هو اسم من أسماء الله تعالى، أصله القصر فأدخلت عليه همزة النداء. = =

وقيل: معناه "اللهم استجب"، وُضِعَت موضِعَ الدعاء اختصارا[2226].

وقيل: معناه "كذلك يكون"[2227].

والأوسط أصح وأوسط.

وهذه الكلمة لم تكن لمن قبلنا خصَّنا الله بها[2228]، ففي الأثر عن ابن عباس أنه قال: ما حَسَدَكُمْ أَهْلُ /[659] الكِتابِ عَلى شَيْءٍ ما حَسَدوكُمْ عَلى قَوْلِكُمْ "آمينَ"[2229].

= = قال: وهذا **لا يصح**؛ لأنه ليس في أسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب، مع أن أسماء الله تعالى **لا تثبت إلا بقرآن أو سنة متواترة**، وقد عدم الطريقان في آمين" تهذيب الأسماء واللغات للنووي: أمن 12/3.

[2226] وهو تفسير "أكثر أهل العلم" في تفسير القرطبي 90/1.
قال في فتح الباري 512/2: "ومعناها: اللهم استجب، عند الجمهور، وقيل غير ذلك مما يرجع جميعه إلى هذا المعنى كقول من قال: معناه اللهم آمنا بخير".

[2227] "قاله الجوهري" تفسير القرطبي 90/1.

[2228] بل كانت لموسى وهارون:
انظر روايات دعاء موسى وتأمين هارون في تفسير الطبري لقوله نعالى: (قال: قد أجيبت دعوتكما ...) [يونس 89] 160/11 وما بعدها.
و"في نوادر الأصول: ... حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أعطى أمتي ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم: ... وآمين، **إلا ما كان من موسى وهارون**" تفسير القرطبي 92/1، وانظر أيضا فيض القدير: حرف الميم 440/5.

[2229] أخرجه البخاري في الأدب المفرد: باب فضل السلام 988- ص342 عن عائشة مرفوعا بلفظ: "ما حسدكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين".
وقال ابن حجر: "وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد وابن ماجة [كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب الجهر بآمين 856- 278/1] ، وصححه ابن خزيمة من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة مرفوعا" وذكره، انظر فتح الباري: كتاب الاستئذان، باب بدء السلام 5873- 4/11، وانظر صحيح ابن خزيمة: جماع أبواب الأذان والإقامة، باب ذكر حسد اليهود المؤمنين على التأمين 574- 288/1.
وهو كذلك في مسند إسحاق بن راهويه: ما يروى عن عبد الله بن عامر ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ونافع ومشيخة أهل المدينة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم 1122- 540/2.
كما أورد له المنذري - بالإضافة إلى ابن ماجة وابن خزيمة- روايتين لأحمد والطبراني قال في هذه: "رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولفظه ..." الترغيب والترهيب: كتاب الصلاة، الترغيب في التأمين خلف الإمام وفي الدعاء ... 734- 194/1.
وقال ابن كثير - في تفسيره 34/1- في رواية ابن ماجة: "وفي إسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف".
هذا **ويمكن الجمع** بين كون التأمين لمن قبلنا وأن الله خصنا به: من حيث تعلق التأمين بفاتحة الكتاب؛ قال القرطبي في تفسيره 92/1: = =

وأما **تأمين المصلي** فلا يخلو إما أن يكون إماما أو مأموما أو منفردا:

فأما **المنفرد** فإنه يؤمّن اتفاقا[2230].

وأما **المأموم** فإنه يؤمّن في صلاة السّرّ لنفسه إذا أكمل قراءته، وفي صلاة الجهر - إذا أكمل القراءة إمامُه- يُؤمّن.

/[660] وأما **الإمام** فقال مالك: لا يؤمّن[2231]، ومعنى قوله في الحديث "إذا أمَّن" أي بلغ مكان التأمين[2232].

= = "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما حسدنا أهل الكتاب؛ لأن أولها حمد لله وثناء عليه ثم خضوع له واستكانة، ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم، ثم الدعاء عليهم مع قولنا: آمين".

والسر في كل هذا أنه "يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا" كما ورد في صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا 2350/5.

2230 انظر شرح النووي على صحيح مسلم : كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 130/4.

2231 قال ابن حجر: "وخالف مالك في إحدى الروايتين عنه وهي رواية ابن القاسم فقال: لا يؤمن الإمام في الجهرية، وفي رواية عنه: لا يؤمن مطلقا" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 514/2.

أما محمد الزرقاني - وهو ابن شارح مختصر خليل عبد الباقي الزرقاني- فحكى قولا ثالثا لمالك لما قال: "الإمام يؤمّن: وبه قال مالك في رواية المدنيين والشافعي والجمهور"، وعلق على رواية ابن القاسم بقوله: "وهي المشهورة" شرح الزرقاني على موطإ مالك: ما جاء في التأمين خلف الإمام 43-259/1.

هذا والمدنيون الراوون قول مالك بتأمين الإمام "منهم عبد الملك بن الماجشون ومطرف ابن عبد الله وأبو المصعب الزهري وعبد الله بن نافع، وهو قولهم، قالوا: يقول "آمين": الإمام ومن خلفه" التمهيد لابن عبد البر 13/7.

وفي نيل الأوطار: أبواب صفة الصلاة، باب التأمين والجهر به مع القراءة 244/2 قال الشوكاني بعدما ذكر روايتي عدم تأمين الإمام عن مالك: " وكذا روي عن أبي حنيفة والكوفيين، وأحاديث الباب ترده".

وعلل "بعض المالكية كون الإمام لا يؤمّن من حيث المعنى بأنه داع؛ فناسب أن يختص المأموم بالتأمين، وهذا يجيء على قولهم: إنه لا قراءة على المأموم.

ومن أوجبها عليه فله أن يقول: كما اشتركا في القراءة فينبغي أن يشتركا في التأمين" فتح الباري 514/2.

هذا وقد جمع النووي المذاهب في قوله: "وقد **اجتمعت الأمة** على أن المنفرد يؤمّن وكذلك الإمام والمأموم في الصلاة السرية، وكذلك قال **الجمهور** في الجهرية، وقال **مالك** رحمه الله تعالى في رواية: لا يؤمّن الإمام في الجهرية، وقال **أبو حنيفة** رضي الله عنه **والكوفيون ومالك في رواية**: لا يجهر بالتأمين، وقال **الأكثرون**: يجهر" شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 130/4.

2232 "وهذا موضع اختلف فيه العلماء، فروى ابن القاسم عن مالك أن الإمام لا يقول: آمين، وإنما يقول ذلك من خلفه دونه، وهو قول ابن القاسم والمصريين من أصحاب مالك؛ وحجتهم ظاهر = =

وقال ابن حبيب[2233] (ت 238): يؤمِّن، قال ابن بكير[2234](ت 226): هو بالخيار[2235].

فإذا أمَّن الإمام فإن الشافعي قال: يؤمِّن المأموم جهرا[2236]، وأبو حنيفة وابن حبيب يقولان: يؤمِّن سرا.

والصحيح عندي تأمينُ الإمام جهرا[2237]؛ فإن ابن شهاب(ت 175) قال: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: آمين"، /[661] خرجه البخاري ومسلم وغيرهما[2238].

= = حديث ... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال: (المغضوب عليهم ولا الضالين) فقولوا: آمين" التمهيد لابن عبد البر 11/7.

وفي معنى قوله "إذا أمَّن": "قال ابن العربي: هذا بعيد لغة وشرعا" فتح الباري 514/2.

وفي نيل الإوطار 245/2: "... وجمع الجمهور بين الروايتين بأن المراد بقوله: "إذا أمَّن" أي أراد التأمين؛ ليقع تأمين الإمام والمأموم معا".

[2233] هو أبو زكريا يحيى بن حبيب الشيباني البصري، صدوق ثقة مأمون، روى عن يزيد بن زريع وغيره، عنه الجماعة سوى البخاري وآخرون، مات سنة 248 وقيل: بعد الخمسين. انظر تهذيب التهذيب 330- 172/11.

[2234] هو أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي مولاهم المصري الحافظ، وقد ينسب إلى جده "بكير"، روى عن مالك والليث وغيرهما، عنه البخاري وخلق، ولد سنة 154 وقيل: توفي سنة231. انظر تهذيب التهذيب 388- 208/11.

[2235] انظر المحرر الوجيز: القول في آمين 91/1.

"قال القرافي: وفي جهر الإمام بالتأمين ثلاثة أقوال:

المنع لابن القاسم، وروى عبد الملك الجواز، وخيَّره ابن حبيب، اهـ. والظاهر أن المراد بالمنع هنا الكراهة لا ما هو ظاهره كما فهمه من تقدم" شرح الزرقاني على مختصر خليل 211/1.

[2236] "ونص الشافعي في "الأم" على أن المأموم يؤمِّن ولو تركه الإمام عمدا أو سهوا...، والجهر للمأموم ذهب إليه الشافعي في القديم وعليه الفتوى، وقال الرافعي: قال الأكثر: في المسألة قولان أصحهما أنه يجهر" فتح الباري 517/2 و518.

[2237] "وإذا ترجح أن الإمام يؤمِّن فيجهر به في الجهرية كما ترجم به المصنف [أي في قول البخاري : باب جهر الإمام بالتأمين]، وهو قول الجمهور" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 515/2.

وبالنسبة لباقي وجوه التأمين فهي محتملة، كما في المرجع السابق ونيل الأوطار 245/2.

[2238] صحيح البخاري : كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 747- 270/1، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 410- 307/1، والموطأ: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين خلف الإمام 87/1، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام 936- 246/1.

وفي البخاري: حتى إن للمسجد للجّة من قول الناس "آمين"[2239].

وفي كتاب الترمذي: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "آمين" حتى يسمع مَن في الصّفّ، وكذلك رواه أبو داود[2240].

وروي[2241] عن وائل بن حجر[2242] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قراءة الفاتحة قال "آمين"، يَرْفَعُ بها صَوْتَهُ، هـ[2243].

/[662] وقال ابن جزي(ت 741):

"أمر بالتأمين عند ختم الفاتحة للدعاء الذي فيها.

وقولك "آمين" اسم فعل[2244] معناه: اللهم استجب.

وقيل: هو من أسماء الله[2245].

2239 "باب جهر الإمام بالتأمين : وقال عطاء: آمين دعاء. أمَّن ابن الزبير ومَن وراءه **حتى إن للمسجد للجة**. وكان أبو هريرة ينادي الإمام: لا تَفُتْني بآمين. وقال نافع: كان ابن عمر لا يدعه ويحضهم، وسمعت منه في ذلك خيرا" صحيح البخاري: كتاب الأذان 270/1.

"واللجة: قال أهل اللغة: الصوت المرتفع. وروي: للجبة - بموحدة وتخفيف الجيم- حكاه ابن التين، وهي الأصوات المختلطة، ورواه البيهقي: لرجة - بالراء بدل اللام-" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 513/2.

2240 "عن وائل بن حجر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال: آمين، ومدَّ بها صوته. ... حديث حسن" سنن الترمذي: كتاب أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في التأمين 248- 27/2.

وفي سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام 934- 246/1 "عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: آمين، حتى يسمع من يليه من الصف الأول".

2241 أي في سنن النسائي - المجتبى-: كتاب الافتتاح، باب رفع اليدين حيال الأذنين 879- 122/2، وفي المعجم الكبير للطبراني: 111- 44/22.

2242 هو الصحابي الجليل أبو هُنيْدة وائل بن حُجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي، أحد الأشراف له وفادة وصحبة ورواية، روى له الجماعة سوى البخاري، عاش إلى أيام معاوية رضي الله عنه. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1562/4 وأسد الغابة في معرفة الصحابة 435/5 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي 127/3 وسير أعلام النبلاء 572/2.

2243 انظر أحكام القرآن 6/1 و7.

2244 "آمين: صوت سمي به الفعل الذي هو: استجب، كما أن رويد وحيهل وهلم: أصوات سميت بها الأفعال التي هي: أمهل وأسرع وأقبل" الكشاف 17/1.

وقال ابن حجر: "وآمين : من أسماء الأفعال مثل "صه" للسكوت، وتفتح في الوصل؛ لأنها مبنية بالاتفاق مثل "كيف"، وإنما لم تكسر لثقل الكسرة بعد الياء" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 512/2.

2245 انظر التعليق عليه في ص362.

ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم[2246].

ويؤمِّن في الصلاة المأموم والفذ والإمام إذا أسرَّ، واختلف[2247] إذا جَهَرَ"[2248]، هـ.

وقال الثعالبي(ت 875):

"روى أبو هريرة(ت 57) وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا قالَ /[663] الإمامُ "وَلا الضّالّينَ" فقولوا "آمينَ"، فإنَّ المَلائِكَةَ في السَّماءِ تقولُ "آمينَ"، فمَنْ وافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[2249].

وخرج مسلم وأبو داود والنسائي من طريق أبي موسى عن النبي(ت 11) صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صَلَّيْتُمْ فأقيموا صُفوفَكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أحَدُكُمْ، فإذا كَبَّرَ فَكَبِّروا وَإذا قالَ: (وَلا الضّالّينَ) فقولوا: "آمينَ" يُجِبْكُمُ اللهُ"، الحديث[2250].

ومعنى /[664] "آمين" عند أكثر أهل العلم: اللهم استجب، أو: أجب يا ربِّ.

ومقتضى الآثار: أن كل داع ينبغي له في آخر دعائه أن يقول:

[2246] "والموجود في مشاهير الكتب المعتمدة أن **التشديد** وقول بعض أهل اللغة : إنه لغة، **وَهْم** قديم سببه ...؛ لأن تقديره: ولا الضالين قاصدين إليك، وذلك لا يرتبط بما قبله" التوقيف على مهمات التعاريف: باب الهمزة، فصل الميم ص95.

وانظر التعليق على أوزانها في ص361.

[2247] انظر هذا الاختلاف في فتح الباري : كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 514/2، ونيل الأوطار: أبواب صفة الصلاة، باب التأمين والجهر به مع القراءة 244/2.

[2248] كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 34/1.

[2249] الحديث عن أبي هريرة مرفوعا في الموطإ: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التأمين خلف الإمام 45- 87/1، وصحيح البخاري: كتاب الأذان، باب جهر المأموم بالتأمين 749- 271/1 وكتاب التفسير، باب (المغضوب عليهم ولا الضالين) 4205- 1623/4، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 410- 307/1.

[2250] هو جزء من خطبة رسول الله عليه السلام في كيفية الصلاة في صحيح مسلم : كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة 404- 303/1، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التشهد 972- 255/1، وسنن النسائي - المجتبى-: كتاب التطبيق، باب قوله "ربنا ولك الحمد" 1064- 196/2.

"آمين"، وكذلك كل قارئ للحمد في غير صلاة[2251]، وأما في الصلاة فيقولها المأموم والفذ، وفي الإمام في الجهر اختلاف[2252].

/[665] واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة"[2253].

فقيل: في الإجابة[2254]، وقيل: في خلوص النية[2255]، وقيل: في الوقت[2256].

والذي يترجح أن المعنى: فمن وافق في الوقت مع خلوص النية بالإقبال على الرغبة إلى الله بقلب سليم"[2257]، هـ.

وفي المختصر وشرحِه عطفا على مندوبات الصلاة:

(وتأمين فذ مطلقا [وإمام][2258] بسرّ) [لا][2259] جهر.

(ومأموم بسِرّ) مطلقا.

(أو جهر إن سمعه): أي سمِع /[666] الإمامَ يقول: (ولا الضالين)؛ لخبر: إذا سَمِعْتُمُ الإمامَ يقولُ: (وَلا الضّالّينَ) فقولوا: "آمينَ"؛ فـــإنْ وافَـــقَ

[2251] ومما احتملته بعض ألفاظ الحديث النبوي "مشروعية التأمين لكل من قرأ الفاتحة سواء كان داخل الصلاة أو خارجها ...، فيستحب التأمين إذا أمَّن القارئ مطلقا لكل من سمعه من مُصَلّ أو غيره" فتح الباري: كتاب الأذان، باب فضل التأمين 517/2.

[2252] انظر المحرر الوجيز 91/1.

[2253] سبق تخريجه في أوائل هذا التنبيه ص361.
وبالنسبة لتأمين الملائكة فيحتمل أن يكون المراد به "استغفارهم للمؤمنين" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

[2254] أي "في إجابة الدعاء" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

[2255] "وحكى القاضي عياض قولا أن معناه: وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص" شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 130/4.
وعزاه إلى ابن حبان [انظر صحيحه 1804- 108/5] في فتح الباري 516/2.

[2256] "معناه: وافقهم في وقت التأمين فأمَّن مع تأمينهم، فهذا هو الصحيح والصواب" شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 130/4.

[2257] تفسير الثعالبي: القول في "آمين" 26/1 و27.
"قال ابن المنير: الحكمة في إيثار الموافقة في القول والزمان أن يكون المأموم على يقظة للإتيان بالوظيفة في محلها؛ لأن الملائكة لا غفلة عندهم، فمن وافقهم كان متيقظا" فتح الباري 516/2.

[2258] ساقطة من المخطوط، وانظر شرح الزرقاني على مختصر خليل 211/1.

[2259] في المخطوط : أو، وهو خطأ.
وفي شرح الزرقاني على مختصر خليل 211/1: "لا جهر فلا يؤمّن".

تَأمينُهُ تَأمينَ المَلائِكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنْبِهِ وَما تَأخَّرَ[2260].

وهذا الحديث روي بطرق[2261]، وزيادة "وما تأخر" شاذة[2262].

فإن لم يسمع (ولا الضّالين):

فقيل: لا يؤمِّن، وقيل: يتحرّى ويقولها[2263].

والقول الأول هو الجاري (على) القول (الأظهر) عند أبي الوليد ابن رشد(ت 520) رحمه الله[2264].

[2260] "أي من الصغائر" المرجع السابق.
قال النووي في شرحه على صحيح مسلم 113/3: "... وإن صادفت كبيرة أو كبائر - ولم يصادف صغيرة- رَجَوْنا أن يخفف من الكبائر، والله أعلم".

[2261] سبق بعضها قبل قليل وفي أول هذا التنبيه ص361.
وانظر رواياته أيضا في شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 128/4 وما بعدها.

[2262] "وقع في أمالي الجرجاني ... عن يونس في آخر هذا الحديث: "وما تأخر" وهي زيادة شاذة ...، إلا أني وجدته في بعض النسخ من ابن ماجة ... بإثباتها، **ولا يصح** ..." فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

[2263] "نقله ابن عرفة" شرح الزرقاني على مختصر خليل 211/1 و212.
"وقال ابن عبدوس: يتحرى قدر القراءة ويقول: آمين" المحرر الوجيز 92/1.
قال الشوكاني: "وقيل: المراد بقوله: إذا قال الإمام: (ولا الضالين) فقولوا: آمين، أي إذا لم يقل الإمام: آمين.
وقيل: الأول [أي حديث: إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا] لمن قرب من الإمام، والثاني لمن تباعد عنه؛ لأن جهر الإمام بالتأمين أخفض من جهره بالقراءة" نيل الأوطار: أبواب صفة الصلاة، باب التأمين والجهر به مع القراءة 245/2.

[2264] "مسألة: قال ابن نافع عن مالك: ليس على من لم يسمع قراءة الإمام أن يقول "آمين" إذا قال الإمام (ولا الضالين).
قال محمد بن رشد: قوله: ليس ذلك عليه، يدل على أن له أن يقوله وإن لم يكن ذلك عليه؛ بأن يتحرى الوقت كما يتحرى المريض - الذي ترْمَى عنه الجمار- وقتَ الرمي عنه فيكبر. وذهب محمد بن عبدوس إلى أن ذلك عليه، وذهب يحيى بن عمر إلى أنه لا ينبغي له أن يفعل ذلك.
فهي ثلاثة أقوال، **أظهرها قول يحيى**؛ لأن المصلي ممنوع من الكلام، والتأمين كلام أبيح للمصلي أن يقوله في موضعه، فإن تحرى قد يضعه في غير موضعه" البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لابن رشد: كتاب الصلاة الثالث 455/1.
وابن رشد هو الإمام العلامة شيخ المالكية قاضي الجماعة بقرطبة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة، له المشاركة في الأصول وعلم الكلام وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، من تصانيفه: كتاب المقدمات لأوائل كتب المدونة، وكتاب الكليات في الطب، والبيان والتحصيل، ولد سنة 455 وعاش سبعين سنة، مات في ذي القعدة عام 520، وحفيده هو فيلسوف زمانه. انظر سير أعلام النبلاء 501/19 و502 وشذرات الذهب 62/4 والديباج المذهب 248/2 والفتح المبين في طبقات الأصوليين 14/2 والفكر السامي 228/2.

/[667] (و) ندب (إسرارهم به)[2265]، وقيل: يجهر به الإمام ليقتدى به في الجهرية، وقيل: يخيَّر، هـ[2266].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة مرفوعا: "إذا قال الإمام: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فقولوا: "آمين" فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه"[2267].

قال القسطلاني(ت 923):

"آمين" بالمد والقصر لغتان[2268]، ومعناها: استجب، فهي اسم فعل بني على الفتح.

وقيل: اسم من أسماء الله؛ التقدير: يا آمين، /[668] وضعف بأنه لو كان كذلك لكان مبنيا على الضم؛ لأنه منادى مفرد علم[2269]، ولأن أسماء الله تعالى توقيفية[2270].

ووجَّه الفارسي[2271] قول من جعله اسما لله تعالى على معنى أن فيه ضميرا يعود عليه تعالى؛ لأنه اسم فعل.

وقوله: "ما تقدَّمَ مِن ذنبهِ" يشمل ظاهره الصغائر والكبائر، والحق أنه عام خص منه ما يتعلق بحقوق الناس فلا يغفر بالتأمين للأدلة فيه، لكنه شامل للكبائر /[669] إلا أن يدعى خروجها بدليل آخر[2272].

2265 "أي بالتأمين" شرح الزرقاني على مختصر خليل 212/1.

2266 انظر المرجع السابق 211/1 و212.

2267 كتاب الصلاة، باب جهر المأموم بالتأمين 749- 271/1، وفيه : "... فإنه من وافق...".

2268 انظر التعليق على أوزانها في ص361 و366.

2269 في إرشاد الساري 6/7: معرفة.

2270 انظر التعليق عليه في ص362.

2271 هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، واحد زمانه في علم العربية، من تصانيفه: الحجة، والتذكرة، وتعليقة على كتاب سيبويه وغيرها، توفي ببغداد سنة 377. انظر بغية الوعاة 496/1.

2272 في شرح الزرقاني على موطإ مالك: ما جاء في التأمين خلف الإمام 43-262/1:
"ما تقدم من ذنبه: من الصغائر والكبائر على ظاهره، لكن ثبت أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر؛ فإذا كانت الفرائض لا تكفرها فأولى التأمين المستحَبّ.
وأجيب بأن المكفِّر ليس التأمين الذي هو فعل المؤمن، بل وفاق الملائكة، وليس ذلك إلى صنعه بل فضل من الله وعلامة على سعادة الموافق، قاله التاج السبكي في الأشباه والنظائر.
... **والحق** أنه عام خص منه ما يتعلق بحقوق الناس فلا يغفر بالتأمين للأدلة فيه، لكنه شامل للكبائر كما تقدم إلا أن يدعي خروجها بدليل آخر".

وزاد الجرجاني في أماليه في آخر هذا الحديث: "وما تأخر"[2273].

وعن عكرمة مما رواه عبد الرزاق قال: "صُفوفُ أهْلِ الأرْضِ عَلى صُفوفِ أهْلِ السَّماءِ، فإن وافَقَ "آمينَ" في الأرْضِ "آمينَ" في السَّماءِ غُفِرَ لِلعَبْدِ"[2274].

وقد سبق مزيد لهذا في باب جهر الإمام بالتأمين من كتاب الصلاة[2275]، هـ كلام القسطلاني[2276].

/[670] وقال الخطيب الشربيني:

والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من الفاتحة: "آمين" مفصولا عن الفاتحة بسكتة[2277]. وهو اسم الفعل الذي هو: استجب.

وعن ابن عباس رضي الله [عنهما][2278]: سألتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن معناه، فقال: اِفْعَلْ[2279].

[2273] "وهي زيادة شاذة" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

[2274] مصنف عبد الرزاق : كتاب الصلاة، باب آمين 2648- 98/2 وفيه: "... فإذا وافق ... غفر له". قال ابن حجر: "ومثله لا يقال بالرأي، فالمصير إليه أولى" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

[2275] انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 98/2 وما بعدها.

[2276] انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : كتاب التفسير، باب (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) 6/7.

[2277] "ويسن لقارئ القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة على نون (ولا الضالين): آمين؛ ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن" تفسير القرطبي: الباب الثالث في التأمين 89/1.
وقد ورد في كتب السنة الحديث عن هذه السكتة، فمثلا في صحيح ابن خزيمة من كتاب الإمامة في الصلاة وما فيها من السنن 35/3 عنوان: "باب سكوت الإمام قبل القراءة وبعد تكبيرة الافتتاح"، وفي صحيح ابن حبان من كتاب الصلاة: باب صفة الصلاة 112/5 عنوان: "ذكر ما يستحب للمرء أن يسكت سكتة أخرى عند فراغه من قراءة فاتحة الكتاب":
أخرج ابن خزيمة وابن حبان فيهما حفظ سمرة بن جندب "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتين ..."؛ قال في المستدرك على الصحيحين: ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة 780- 335/1: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".
وأنكر "ما حفظه سمرة من السكتتين عمرانُ بن حُصَيْن - كان من علماء الصحابة وكانت الملائكة تسلم عليه وهو ممن اعتزل الفتنة-، قال ...: حفظنا سكتة - أي واحدة- فكتبنا قائلة سمرة إلى أبيّ بن كعب – الأنصاري الخزرجي سيد القراء ...- فكتب أبيّ بن كعب: أنْ - بفتح الهمزة وسكون النون- حفظ سمرة، وفي رواية أبي داود: فَصَدَقَ سمرة" تحفة الأحوذي: أبواب الصلاة، باب ما جاء في السكتتين 71/2، وانظر فيه أيضا الاختلاف في المراد من السكتة.

[2278] في المخطوط : عنه.

[2279] علق عليه ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 17/1 بقوله : "أخرجه الثعلبي من رواية أبي صالح عنه **بسند واه**".

بني على الفتح كـ"أين" لالتقاء الساكنين، وجاز مد ألفه وقصره[2280].

وليس من القرآن اتفاقا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرت الإشارة إليه[2281].

/[671] ولكن يُسَنُّ ختمُ السورة به؛ لقوله صلى الله لعيه وسلم: عَلَّمَني جِبْريلُ عليهِ السّلامُ "آمينَ" عِنْدَ الفَراغِ مِنْ قِراءَةِ الفاتِحَةِ، كما رواه البيهقي وغيرُهُ[2282].

وقال صلى الله عليه وسلم: إنه كالختم على الكتاب، كما رواه أبو داود في سننه[2283].

وقال علي رضي الله عنه: "آمين" خاتَمُ رَبِّ العالمينَ، خَتَمَ بِهِ دُعاءَ عَبْدِهِ[2284]، ورواه الطبراني وغيره لكن بسند ضعيف[2285].

2280 ذكر الخطيب الشربيني هنا البيتين الشعريين - لمجنون ليلى في المد ولجبير في القصر- الواردين في كلام الخازن الآتي في ص373.
وانظر التعليق على أوزان "آمين" في ص361.

2281 وذلك في قوله: "مع المبالغة في تجريد القرآن من الأعشار وتراجم السور والتعوذ، حتى لم تكتب: آمين ...؛ لأنه يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا" السراج المنير 5/1.
قال في روح المعاني 97/1 "وليست من القرآن إجماعا؛ ولذا سن الفصل بينها وبين السورة بسكتة لطيفة.
وما قيل: إنها من السورة عند مجاهد، فمما لا ينبغي أن يلتفت إليه؛ إذ هو في غاية البطلان؛ إذ لم يكتب في الإمام ولا في غيره من المصاحف أصلا، حتى ذكر غير واحد أن **من قال: إن آمين من القرآن، كفر**".

2282 ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز 90/1 والبيضاوي في تفسيره 83/1.
وفي مصنف ابن أبي شيبة : كتاب الصلوات، ما ذكروا في "آمين" ومن كان يقولها 7961- 187/2 "عن أبي ميسرة أن جبريل عليه السلام أقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب، فلما قال: (ولا الضالين) قال: قل "آمين"، فقال: آمين".
وهذا هو الذي أورده في روح المعاني 97/1 بعد أن قال: "روى ابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في الدلائل عن أبي ميسرة ..."، وانظر أيضا الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 18/1.

2283 انظر قصته في سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام 938- 247/1، والمعجم الكبير 756- 296/22.

2284 انظر المحرر الوجيز 90/1.

2285 صدره البغوي في شرح السنة: باب فضل التأمين 63/3 بقوله: "وجاء في الأثر".
قال ابن حجر: "وروى ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا: آمين خاتم رب العالمين على عباده المومنين، وهو في الدعاء للطبراني" الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 18/1.
وقال في كشف الخفا : حرف الهمزة 18- 18/1: "آمين: خاتم رب العالمين على لسان عباده المومنين، رواه ابن عدي [انظر الكامل في ضعفاء الرجال 1916- 440/6] والطبراني في الدعاء عن أبي هريرة، ورمز في الجامع الصغير **لضعفه**".

/[672] يقوله الإمام ويجهر به في الجهريــة لما روي عن وائــل بـن حجر أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا قرأ (ولا الضالين) قال: "آمين" ورفعَ بها صَوْتَهُ[2286].

وعن الحسن: لا يقوله الإمام؛ لأنه الداعي، وعن أبي حنيفة مثله[2287]، والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيه[2288].

/[673] والمأموم يؤمِّن مع إمامه[2289]؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا قالَ الإمامُ: (ولا الضّالينَ) فقولوا: "آمينَ" فإنَّ المَلائِكةَ تقولُ: "آمينَ" وإنَّ الإمامَ يقولُ: "آمينَ"، فمَن وافقَ تأمينُهُ تأمينَ المَلائِكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ[2290]، زاد الجرجاني في أماليه: وما تأخر[2291].

وأحسنُ ما فسِّر به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق[2292] (ت 211) عن عكرمة(ت 106) قال: صُفوفُ أهْلِ الأرضِ تَلي صُفوفَ أهْلِ السَّماءِ، فإذا وافقَ تأمينُ مَن في /[674] الأرضِ تأمينَ مَنْ في السَّماءِ غُفِرَ لِلعَبْدِ[2293].

قال ابن حجر(ت 852): مثل هذا لا يُقالُ بالرّأي، فالمصير إليه أولى، هـ[2294].

2286 انظر سنن النسائي - المجتبى-: كتاب الافتتاح، باب رفع اليدين حيال الأذنين 879- 122/2 والمعجم الكبير 111- 44/22.

2287 وهو رأي للمالكية أيضا كما سبق، انظره في ص363 والتعليقات عليه.

2288 انظر شرح النووي على صحيح مسلم 130/4 وتفسير القرطبي 91/1 وفتح الباري 514/2 ونيل الأوطار 244/2.
وفي تفسير القرطبي: "إخفاء الدعاء إنما كان أفضل لما يدخله من الرياء؛ وقد قال الله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)" الأعراف 55.

2289 من قول الشربيني : "وهو اسم الفعل الذي هو: استجب" إلى هنا: في تفسير البيضاوي 83/1 و84 بتصرف يسير.
قال الشوكاني: "... وقيل: يؤخذ من الروايتين تخيير المأموم في قولها مع الإمام أو بعده، قاله الطبري" نيل الأوطار: أبواب صفة الصلاة، باب التأمين والجهر به مع الإمام 245/2.

2290 هو في مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب آمين 2644- 97/2 ، والسنن الكبرى للنسائي: كتاب افتتاح الصلاة، جهر الإمام بآمين 999- 322/1، وصحيح ابن خزيمة 575- 288/1، وصحيح ابن حبان 1804- 5/ 106 عن أبي هريرة مرفوعا.

2291 انظر فتح الباري 516/2 وقد سبق قبل قليل في ص368.

2292 هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصنعاني، روى عن أبيه وعمه ومالك وغيرهم، عنه ابن عيينة وخلق، توفي سنة 211. انظر تهذيب التهذيب 611- 278/6.

2293 انظر مصنف عبد الرزاق : باب آمين 2648- 98/2.

وقال الخازن[2295]:

السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول: "آمين" مفصولا عنها بسكتة[2296].

وهومخفف وفيه لغتان: المد والقصر[2297]:

قال مجنون[2298] في المد:

يا رب لا تسلبنِّي حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال: آمينا[2299]

وقال جبير في القصر:

2294 انظر السراج المنير للخطيب الشربيني 13/1 و14، وانظر كلام ابن حجر في فتح الباري : كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

2295 هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشافعي، كان خازن كتب خانقاه السميطاسية بدمشق، صوفي من أهل العلم، خلف كتبا في فنون مختلفة منها: تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، وشرح عمدة الأحكام، ومقبول المنقول:جمع فيه مسند الشافعي وأحمد والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني. عاش بين سنة 678 و741. انظر التفسير والمفسرون 310/1.

2296 سبق التعليق على هذه السكتة في ص370.

2297 انظر ص361 السابقة.

2298 "هو - على ما يقول من صحح نسبه وحديثه- قيس، وقيل: مهدي، والصحيح أنه قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ... . الأصمعي ... : لم يكن مجنونا بل كانت به لوثة أحدثها العشق فيه، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها: ليلى، واسمه قيس بن معاذ.
... عن أبي زياد الكلابي قال: ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة" الأغاني: أخبار مجنون بني عامر ونسبه 3/2 واختلاف الآراء حول اسم المجنون 6/2 و7.
كما تحدث في الأغاني أيضا عن "اختلاف الرواة في وجود قيس وجنونه" 4/2 وعن "خبر اتصال المجنون بليلى" 30/2.

2299 " يا رب إنك ذو منّ ومغفـــرة بيت يعافيه ليل المحبينـــــا
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا الساقطين على الأيدي المكبينا
يا رب لا تسلبنّي حبها أبـــدا ويرحم الله عبدا قال: آمينـــا
لقيس بن معاذ الملوح مجنون ليلى العامرية، اشتد وجده بها، فأخذه أبوه إلى الكعبة ليدعو الله عسى أن يشفيه، فأخذ بحلقة بابها وقال ذلك.
والدعاء لليل المحبين مجاز عقلي وهو في الحقيقة لهم، وبيَّن أن رقادهم ليس على المعتاد بقوله: الساقطين على الأيدي المكبين على الوجوه حيرة وسكرة، ثم دعا بأن يديم الله حبها، ودعا لمن يؤمِّن على دعائه بأن يقول: آمين" مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف لمحمد عليان المرزوقي: بهامش الكشاف 17/1 و18.

تباعد عني فُطْحُلٌ إذ سألته أمينَ فزاد الله ما بيننا بعدا[2300].

/[675] ومعنى "آمين": اللهم اسمع واستجب، وقال ابن عباس: معناه: كذلك يكون[2301]، وقيل: هو اسم لله[2302]، وقيل: هو خاتم الله على عباده به يدفع عنهم الآثام[2303].

ومعنى "وافقَ تأمينُهُ تأمينَهُمْ": في وقت التأمين فأمَّن مع تأمينهم.

وقيل: وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص[2304].

والقول الأول هو الصحيح[2305].

واختلفوا في هؤلاء الملائكة:

فقيل: الحفظة، وقيل: غيرهم[2306].

والمغفو هو الصغائر دون الكبائر[2307]، هـ بخ[2308].

والله أعلم.

[2300] البيت "لجبير كان قد سأل فطحلا الأسدي فأعرض عنه فدعا عليه، ويروى : تباعد مني فطحل وأبى. ... قدَّمه [أي التأمين] حرصا على طلب الإجابة ووقوع الدعاء مجابا من أول وهلة. والفاء للسببية عما قبلها، أي حيثما تباعد عني فزد ما بيننا بعدا يا الله.

وبعدا: يجوز أن يكون تمييزا، وأن يكون منقولا" مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف 18/1.

وقد اقتصر الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل 18/1 على عجزي البيتين ولم يذكر قائليْهما.

[2301] وهو قول قتادة أيضا في تفسير البغوي 42/1.

[2302] سبق التعليق على هذه المعاني في أوائل هذا التنبيه ص362.

[2303] قول الخازن هذا - من غير الشاهدين- في تفسير البغوي 42/1.

وفي فيض القدير: حرف الهمزة 59/1: "أي هو خاتم دعاء رب العالمين، بمعنى أنه يمنع الدعاء من فساد الخيبة والرد، كما أن الطابع على الكتاب يمنع فساد ظهور ما فيه على الغير، ذكره التفتازاني".

وانظر التعليق على أنها خاتم الله في ص372.

[2304] هو قول ابن حبان في صحيحه: كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، ذكر البيان بأن قول المرء في صلاته "آمين" يغفر له ما تقدم من ذنبه... 1804- 108/5، والقاضي عياض في شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 130/4.

[2305] واختاره النووي في شرحه على صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين 130/4.

[2306] "ظاهره أن المراد بالملائكة جميعهم؛ واختاره ابن بزيزة، وقيل: الحفظة منهم، وقيل: الذين يتعاقبون منهم إذا قلنا إنهم غير الحفظة.

والذي يظهر أن المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض أو في السماء" فتح الباري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين 516/2.

[2307] هذه المسألة مختلف فيها، سبق التعليق عليها قبل قليل في قوله : "ما تقدم من ذنبه" ص373.=

= = والذي تميل إليه النفس أن الرجاء في الله تعالى أن يخفف من الكبائر كما عند النووي في شرحه على صحيح مسلم 113/3، وإلا فهو عام في الصغائر والكبائر خص منه ما يتعلق بحقوق الناس كما في شرح الزرقاني على موطإ مالك 43- 262/1.

والكبائر "لا يعلمها أحد على التحقيق إلا الله، خبأها الله بلطفه في المنهيات، كما خبأ ساعة الجمعة في الساعات وليلة القدر في الليلات".

وتعديدها بتقسيمها على الجوارح بحسب ما ورد في مجموع الأخبار عنها بما يلي:

"أربعة في القلب ...، أربعة في اللسان ...، وثلاث في البطن ...، واثنان في الفرج ...، واثنان في اليدين ...، وواحدة في الرجلين ...، وواحدة في جميع البدن وهي عقوق الوالدين" قانون التأويل ص676 وما بعدها.

[2308] لباب التأويل في معاني التنزيل 18/1 بتصرف.

قسم الفهارس

فهرس الأسماء

(لا يعتد في الترتيب بالألف و"ال")

1- أسماء الأعلام

أبو الحارث 158.

أبو الدرداء 102 و149 و151 و156.

أبو السعود (محمد بن محمد) 165 170.

أبو العالية 111.

أبو العباس المرسي 264.

أبو الليث السمرقندي 248.

أبو المنذر = أبي بن كعب 252.

أبو أمامة الباهلي 100.

أبو بكر الداجوني 158.

أبو بكر الصديق 130 و136 و137 و138 و149 و173.

أبو بكر بن أبي شيبة 162.

أبو بكر بن الخطيب 429.

أبو بكر بن عياش 156 و157.

أبو بكر بن مجاهد 158.

أبو ثور 434.

أبو جعفر (تابعي شيخ نافع) 154.

أبو جعفر بن الزبير (أحمد) 167.

أبو حنيفة 125 و193 و194 و429
أبو حيان 123 و160 و166 و279.
أبو داود 6 و14 و15 و16 و366 و367 و373.
أبو رجاء 153.
أبو سعيد الخدري (سعيد بن مالك) 97.
أبو سعيد بن المعلى 416.
أبو عبد الرحمن عبد الله السلمي 153.
أبو عبيد القاسم بن سلام 125.
أبو عبيدة 279.
أبو عمرو الداني 144.
أبو عمرو بن العلاء البصري 75 و77 و117.
أبو موسى الأشعري89-151.
أبو هريرة 88 و89 و90 و92 و97 و150
أبوالشيخ ابن حيان 254.
أبي بن كعب (أبو المنذر) 100 و118.
أحمد بن الخياط الحسني 197 و270.
أحمد بن جبير الكوفي 158.
أحمد بن حنبل 100 و101 و252.
أحمد بن محمد التجاني 106 و117 و255.
أحمد بن محمد الرهوني (المؤلف) 1.
آدم بن أبي إياس 162.
إسحاق بن راهويه 162.
إسماعيل بن إسحاق المالكي 158.

إسماعيل بن عبد الله بن المهاجر 156.
إسماعيل حقي التركي 126.
الأسود (أبو عمرو) 152.
أسيد بن حضير (أبو يحيى) 98.
أشهب 428 و501.
الأعمش 156.
أم سلمة 150.
أم ورقة الشهيدة 151.
أنس بن مالك 93 و94 و124 و192.

الأوزاعي 194.

الباقلاني 139 و141 و145 و197.
البخاري 88 و97 و98 و195.
البزي (أبو الحسن أحمد) 157.
بشر الحافي 244.
بطليموس (كلوديوس) 347.
البغوي 163.
البقاعي 167.
بقي بن مخلد 120.
البكري (جلال الدين محمد بن محمد) 210.
ابن أبي إسحاق الحضرمي (عبد الله) 155.
ابن أبي جمرة (العارف أبو محمد عبد الله بن سعد الأندلسي) 105.

ابن أبي حاتم 163 و172.
ابن أبي طلحة 172.
ابن أبي محيصن (محمد) 154.
ابن أبي مليكة (عبد الله) 152.
ابن الجزري 159.
ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن) 168.
ابن الحاجب 199.
ابن الحصار (القاضي أبو المطرف عبد الرحمن) 140.
ابن الزبير (أبو بكر عبد الله) 161.
ابن العربي 166 و193 و199 و200 و211 و426.
ابن الفرس (عبد المنعم) 166.
ابن القاسم 427.
ابن المبارك 194.
ابن المسيب (سعيد) 151.
ابن المعلى = أبو سعيد.
ابن المنذر 163.
ابن المنير (أحمد بن محمد) 164.
ابن المواز (محمد) 428 و431.
ابن النحاس (أبو عبد الله محمد) 263.
ابن بشير 432.
ابن بكير 440.
ابن تيمية 164.
ابن جزي 190 و201 و428.

ابن جماعة 167.
ابن حبان 411.
ابن حبيب 440.
ابن حجر العسقلاني 118.
ابن حزم 386 و391 و391.
ابن خزيمة 196.
ابن دقيق العيد (علي بن وهب) 119.
ابن ذكوان 157.
ابن راهويه = إسحاق.
ابن رشد (أبو الوليد) 444.
ابن زكري التلمساني (أبو العباس أحمد) 159.
ابن سيدة (أبو الحسن) 278.
ابن سيرين 154.
ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو الحسن علي) 324.
ابن شاس 432.
ابن شهاب الزهري 120 و125 و152و247.
ابن عاد 166.
ابن عامر الشامي (عبد الله) 156 و157.
ابن عباس 88 و90 و95 و97 و99 و105 و113 و118 و148
ابن عبد البر 131.
ابن عبد السلام (عبد العزيز) 263.
ابن عرفة (أبو عبد الله محمد) 169.
ابن عسكر (عبد الرحمن بن محمد) 432.

ابن عصفور 134.
ابن عطية (أبو محمد عبد الحق) 112 و125 و126 و164 و247 و253.
ابن كثير (المقرئ) = عبد الله.
ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل) 165.
ابن كمال باشا 164.
ابن ماجة 99 و163.
ابن مالك 278.
ابن مردويه 163.
ابن مغفل 202.
ابن هشام (الموضّح) 278 و43.
ابن وهب 140.
بناني (أبو عبد الله محمد بن الحسن) 165 و275.
البيضاوي (أبو الخير عبد الله) 164 و169.
البيهقي و94 و116 و122 و126 و253.

الترمذي 87 و88 و89 و90 و91 و92 و97 و98 و103 و106 و112 و252 و213.
التفتزاني = السعد.

ثابت بن قيس 98.
الثعالبي (أبو زيد عبد الرحمن) 103 و111 و112 و126 و192
ثعلب (أبو العباس أحمد) 125.
الثعلبي 163.

جابر 111 و192.
جبير (شاعر) 449.
الجرجاني (السيد علي بن محمد) 368.
الجرجاني (صاحب الأمالي) 446.
جرير 423.
الجعبري (إبراهيم بن عمر) 117 و118 و133.
جندب 112.
جهم بن صفوان 220.
الجوهري (أبو نصر إسماعيل) 279.
الجويني (إمام الحرمين) 123.

الحارث بن المعلى الأنصاري (أبو سعيد) 250.
الحارث بن حلزة 420.
الحارث بن قيس 152.
الحاكم (أبو عبد الله محمد) 97 و136 و163 و252.
حذيفة 250.
حسان 424.
الحسن البصري 111 و146.
الحسين بن علي 251.
حفص 157.
حفصة 136 و150.
الحكيم (أبو عبد الله محمد الترمذي) 93.
الحليمي 120.

حمدون بن الحاج (أبو الفيض) 168.
حمزة بن حبيب الزيات 56 و57 و125 و155.
حُميد بن قيس الأعرج 154.
حنظلة الغسيل 149.

الخازن (علاء الدين أبو الحسن علي) 448.
خالد بن الوليد 245.
خبيب 121.
خزيمة بن ثابت 149.
الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد) 97.
الخطيب الشربيني 195.
خلاد 158.
خلف 157.
خليفة بن سعد 154.
خليل (الشيخ الفقيه) 204 و430 و432.
الخليل بن أحمد 177.

الدارقطني 195-203.
الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن) 92 و253.
الدردير 131.
الدوري 157.
الديلمي (شيرويه بن شهردار) 93 و94.

الذبياني (النابغة زياد بن معاوية) 420.
الذهبي (الحافظ أبو عبد الله محمد) 159.

رابعة العدوية 241.
الرازي (الفخر) 208 و271 و186 و218 و167 و168 و190.
الراغب الأصبهاني (أبو القاسم حسن بن محمد) 165.
الربيع بن خيثم 152.
روح بن عبادة 162.

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم) 165.
زر بن حبيش 153.
الزرقاني (عبد الباقي) 204 و435.
الزركشي 160.
زروق (أحمد) 212.
الزمخشري (أبو القاسم محمود) 147 و169 و262 و270.
زهير بن أبي سلمى 417.
زيد بن أرقم 87.
زيد بن أسلم 152.
زيد بن ثابت 136 و149 و151 و161.

سالم بن عبد الله 151.
سالم بن معقل مولى أبي حذيفة 149.
السبكي (تاج الدين) 199 و205 و297.

السبيعي (أبو إسحاق عمرو) 156.
السجزي (أبو نصر عبيد الله صاحب كتاب "الإبانة الكبرى" في فن الأثر) 94.
سحنون 131.
السخاوي 198.
السري السقطي 295.
السعد التفتزاني 126.
سعد بن أبي وقاص 150.
سعد بن معاذ الأنصاري 149.
سعيد بن جبير 153.
سعيد بن عبيد 150.
سفيان بن عيينة 161.
السلمي = أبو عبد الرحمن.
سليم 158.
سليمان الأعمش 155.
سليمان بن يسار 151.
السمين (أبو العباس) 166.
سُنَيْد (حسين المصيصي) 162.
سهل بن معاذ 91.
سوادة بن زياد 247.
السوسي 57.
سيبويه 179.
السيوطي 114 و118 و163.

الشاطبي (أبو القاسم) 146.
الشافعي 125 و191 و192 و193 و194 و198 و202 و427 و431 و434 و436 و440.
الشربيني = الخطيب.
شريح بن يزيد الحضرمي 156.
شعبة = أبو بكر.
شعبة بن الحجاج 162.
الشعبي 153.
الشعراني 110.
الشلوبين (أبو علي عمر بن محمد الأندلسي) 134.
شيبة بن نصاع 154.

الصفاقسي 166.
صهيب 106.

الطالب ابن الحاج (أبو عبد الله محمد) 160.
طاوس اليمني 152 و161.
الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد) 95.
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) 158 و163 و174.
طرفة بن العبد 417 و418.
طلحة بن عبيد الله 150.

طنطاوي جوهري المصري 216 و303 و322 و373 و396 و408 و417 و422.
الطيب بن كيران 170 و270 و271.
الطيبي 164.

عائشة 88 و112 و150.
عاصم الجحدري 155 و198 و200.
عاصم بن أبي النجود 154 و156 و157 و280.
عاصم بن ثابت 149.
عبادة بن الصامت 93 و150.
عبد الحق ابن عطية 166.
عبد الرحمن بن هرمز الأعرج 152.
عبد الرزاق (أبو بكر الصنعاني) 162 و446.
عبد العزيز بن مسعود الدباغ 128 و237.
عبد القادر الجيلاني 403.
عبد الله (صاحب المسند) 252.
عبد الله بن السائب الصحابي 150 و156.
عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي 252.
عبد الله بن سلام 387 و397.
عبد الله بن عبيد بن عمير 245.
عبد الله بن عمر 91 و151 و215 و429.
عبد الله بن عمرو بن العاص 90 و104.
عبد الله بن فضيلة 153.

عبد الله بن كثير المكي (المقرئ) 154 و156 و198 و199.
عبد الله بن مسعود 89 و124 و146 و149 و151 و163 و387.
عبد الملك بن عمير 253.
عبد الوهاب (القاضي) 433.
عبد بن حميد 162.
عبيد بن عمير 152.
عبيدة 152.
عثمان 88 و124 و136 و137 و138 و145 و149 و154 و387.
عدي بن حاتم 411.
عروة بن الزبير 151.
عضد الدين الإيجي عبد الرحمن بن أحمد 368 و369.
عطاء بن أبي رباح 152 و161 و247.
عطية بن قيس الكلابي 155.
عقبة بن عامر 96 و102 و103 و150.
العكبري (أبو البقاء) 166.
عكرمة 152 و161 و446 و448.
علقمة 152.
علي بن أبي طالب 91 و92 و111 و149 و151 و161 و210 و221 و286 و447 و448.
علي بن المديني 118.
عمر الفوطي التجاني 399.
عمر بن الخطاب 88 و124 و127 و136 و139 و151 و173 و202.

عمر بن عبد العزيز 151.
عمران بن حصين 103.
عمرو بن العاص 96.
عمرو بن شرحبيل 152.
عمرو بن كلثوم 419.
عمرو بن ميمون 152.
عنترة 419.
عياض 432.
عيسى بن عمر 155.

الغزالي (أبو حامد) 105 و236 و366.

الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد) 324 و366.
الفارسي (أبو علي) 444.
الفاسي (العارف أبو زيد عبد الرحمن) 270.
فضالة بن عبيد 150.
فيتاغورس 364 و366 و368.

قالون 156.
قتادة 110 و153.
القرافي 430.
القرطبي (أبو عبد الله محمد) 119 و166.
القسطلاني 210 و214 و444 و446.

القشيري 170 و213.
قصارة 270 و271.
القطب الرازي (أبو عبد الله محمد) 121.
قنبل (أبو عمر محمد) 157.
قيس بن أبي صعصعة 151.
قيس بن السكن (أبو زيد) 149.

الكرماني 167.
الكسائي (أبو الحسن علي) 155 و156 و198 و200 و280.
الكواشي (أحمد بن يوسف) 169.
كوبر نيكوس (أنطوان) 293 و294.

لبيد بن ربيعة 418 و419.
اللخمي (أبو الحسن) 360 و430 و432 و433 و435.

الماتريدي (أبو منصور) 169.
المازري 203 و433.
مالك 140 و161 و175 و191 و193 و194 و198 و202 و429 و432 و433 و439.
الماوردي 120.
المتبولي (العارف إبراهيم) 340.
مجاهد 104 و111 و161 و247.
مجمع بن جارية 160.

مجنون (قيس بن الملوح) 449.
المحاسبي (العارف أبو عبد الله الحارث) 138.
المحلي (جلال الدين) 169 و270 و274.
محمد بن الحسن 194.
محمد بن عبد الحكم 428.
محمد بن كعب القرظي 104.
محمد بن نصر المروزي 95.
امرؤ القيس 417.
امرأة عمران 176.
مسروق 152.
مسلم 87 و88 و98 و99 و100 و101 و118 و201 و440 و442
مسلم بن جندب 152.
مسلمة بن مخلد 160.
معاذ بن الحارث 161.
معاذ بن جبل 159.
المغيرة 432.
المغيرة بن أبي شهاب المخزومي 164.
مقاتل 120.
منصور بن المعتمر 156.
الموضّح = ابن هشام.

نافع بن أبي نعيم 164 و165 و166 و175 و198.

النخعي (أبو عمران إبراهيم) 153.
النسائي 97 و98 و99 و100 و101 و102 و252 و442.
النسفي 165 و169 و208.
نصر بن عاصم 163.
النعمان بن بشير 94.
النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) 424.
النواس بن سمعان 101.
النيسابوري (أبو العباس) 167 و170.

هرشل (وليام) 354.
هرم بن سنان 424.
هشام (أبو الوليد الدمشقي) 157.
هشام بن حكيم 127.
الهلالي (أبو العباس أحمد بن عبد العزيز) 269.

وائل بن حجر و448.
الواحدي (أبو الحسن علي) 118 و163 و165 و168 و170 و263.
الورتجيبي 168.
ورش 157 و198.
وكيع بن الجراح 161.

اليازغي 270 و271.
يحيى بن الحارث الذماري 156.

يحيى بن شرف 103.
يحيى بن وثاب 155.
يحيى بن يعمر 154.
يزيد بن القعقاع (أبو جعفر) 154.
يزيد بن هارون 162.
اليزيدي 157.
يعقوب بن إسحاق الحضرمي 206.
يوسف بن أسباط 105.
اليوسي 160.

2- أسماء القبائل

أسد بن خزيمة 126.
تيم الرباب 126.
ثقيف 126.
جشم بن بكر 126.
سعد بن بكر 126.
ضبة 126.
العجز 126.
قريش 126.
قيس 126.
كنانة 126.
مضر 126.

نصر بن معاوية 126.
هذيل 126.
هوازن 126.

3- أسماء البلدان

أحد 113.
البحرين 138.
بدر 113.
البصرة 138.
تبوك 114.
الحديبية 114.
سلع 113.
الشام 138.
العراق 138.
عرفات 113.
الكوفة 138.
المدينة 113 و115 و138.
مكة 114 و115.
منى 87.
اليمن 138.

4- أسماء الكتب

أ- الكتب التفسيرية

- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي: ص 31 إلى 46، و51 إلى 59، و66 إلى 88، و90 إلى93، و170 إلى 173، مع العلم أن ما نقله منه في ص 79 إلى 93 مزجه بما في كتاب: الأزهار الطيبة النشر للطالب ابن الحاج.

- أحكام القرآن لابن العربي المعافري: ص 112 و113 و121 و122، و350 إلى 352، و360 إلى 365.

- الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر: لمحمد الطالب ابن الحاج: ص 79 إلى 93، مع العلم أن ما نقله منه في ص 80 إلى 88 وص 90 إلى 93 مزجه بما في الإتقان للسيوطي.

- تفسير القاضي ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل": ص 113 و134.

- "تفسير البحر المحيط" لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، الشهير بأبي حيان (ت 754): ص 205.

- "التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب" للفخر الرازي: ص 97 و98، و109، و139 إلى 159، و161 إلى 169، و174 و175، و210 إلى 213، و215 إلى 227، و328 إلى 332.

- تفسير الطبري "جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن": ص 94.

- تفسير أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ص 19 إلى 21، و27 إلى 30، وص 96 و111 و112 و353 و354 و366 و367.

- "الجواهر في تفسير القرآن" للشيخ طنطاوي جوهري: ص 136

إلى 138، و228 إلى 323، و332 إلى 349.

- "روح البيان في تفسير القرآن" للشيخ إسماعيل حقي التركي: ص 96 إلى 98.

- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير: للخطيب محمد الشربيني: ص 114 إلى 116، و370 إلى 373.

- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي: ص 94 إلى 96، و101 و109 و110 و111 و121 و353 و366.

- لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين الخازن: من ص 373 إلى 375.

ب- الكتب الحديثية

- "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" للقسطلاني: ص 130 و134 و369 و370.

- حاشية أحمد ابن الخياط على شرح محمد بن عبد القادر الفاسي لنظم ألقاب الحديث المسمى "الطرفة" أو "الدرة" لمحمد العربي الفاسي: ص 354 إلى 360.

- "كتب الحديث وطبقات السبكي (ت 771) وغيرها": ص 124.

ج- الكتب الفقهية والأصولية

- شروح مختصر خليل وحواشيه:

شرح عبد الباقي الزرقاني (ت 1099) على مختصر خليل.

وحاشية محمد بناني (ت 1194) على شرح الزرقاني لمختصر خليل.

والشرح الكبير لأحمد الدردير (ت 1201) على متن خليل.

وشرح الرهوني: منن الفتاح الجليل بشرح مختصر خليل.

أوردها الرهوني في ص 122 و123، و354 إلى 360، و368 و369.

- جمع الجوامع لتاج الدين السبكي: ص 51.

د- الكتب الصوفية

- "الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز" - أي الدباغ (ت 1131)- لأبي العباس احمد بن المبارك اللمطي (ت 1156): ص 47 إلى 50، و60 إلى 65، و159 و160.

- "بغية المستفيد لشرح منية المريد" لمحمد العربي السائح - و"منية المريد" منظومة لأبي العباس أحمد بن بابا الشنجيطي العلوي-: ص 126 إلى 135، وص 140 و214 و327.

- "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني" لعلي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي (ت 1333) - في جزأين-: ص 22 إلى 26، و35 و140 و178 و179 و214.

- "رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم" لعمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي: ص 214، و323 إلى 327.

هـ- الكتب النحوية واللغوية

- الخلاصة: ص 181.

- "القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروزآبادي: ص 241 و243 و254.

- الكافية: ص 182. وانظر ص 151 من قسم الدراسة.

- "كنز العلوم واللغة" لمحمد فريد بن مصطفى وجدي المصري: ص 246.

- مختار الصحاح لأبي بكر الرازي: ص 8 و10 و13 و16.

- هذا مع العلم أن مما اعتمده الرهوني من مصادر أخرى تشمل الحديث عن المنحى التركيبي الإعرابي والمنحى المعجمي الدلالي، مثل تفسير البحر المحيط لأبي حيان وباقي كتب العلوم الشرعية الأخرى، وذلك للتداخل الحاصل بينها.

فهرس النقول

1- النصوص القرآنية:

سورة الفاتحة	رقم الآية	الصفحة
مالك يوم الدين	4	405-257
إياك نعبد وإياك نستعين	4	407-257

سورة البقرة

وأتوا به متشابها	24	384
ثم استوى إلى السماء فسواهن	28	321
وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل	30	231
وعلم آدم الأسماء كلها	30	197
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا	31	197
لا تاخذه سنة ولا نوم	39	228
إنه يقول إنها بقرة لا ذلول	70	231
أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض	24	108
والله ذو الفضل العظيم	105	246
وقالوا: اتخذ الله ولدا	115	129
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	124	114
وإذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن	241	108
وإلهكم إله واحد	163	235
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	184	119

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	185	232
علِم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم	187	230
والله لا يحب الفساد	203	227
الله لا إله إلا هو الحي القيوم	253	225
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات	256	243
ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا	268	110
واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله	280	117
والله بكل شيء عليم	282	230
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	284	115

سورة آل عمران

إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء	5	328
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة	18	230
ويحذركم الله نفسه	30	232
ولله ما في السماوات والأرض	109	333
وباءوا بغضب من الله	112	282
سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة	133	129
لقد سمع الله قول الذين قالوا	181	227
ويتفكرون في خلق السماوات والأرض	191	227
وقاتلوا وقتلوا	195	126

سورة النساء

إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها	58	231
وعلمك ما لم تكن تعلم	113	230
ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم	146	227
وكان الله شاكرا عليما	147	231
وكلم الله موسى تكليما	164	231
رسلا مبشرين ومنذرين	165	255
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة	175	117

سورة المائدة

اليوم أكملت لكم دينكم	4	266
له ملك السماوات والأرض	40	229
يحبهم ويحبونه	54	231
قل يا أهل الكتاب لستم على شيء	68	107
قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا	179	282

سورة الأنعام

قل سيروا في الأرض فانظروا	11	265
وهو يطعم ولا يطعم	15	227
قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله	19	220
كتب ربكم على نفسه الرحمة	55	222
قل هو القادر على أن يبعث عليكم	66	229
عالم الغيب والشهادة	73	230

تجعلونه قراطيس تبدونها	91	230
الله الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا	98	343
الله أعلم حيث يجعل رسالاته	125	231
وربك الغني ذو الرحمة	134	227
وهو يدرك الأبصار	104	233

سورة الأعراف

ألا له الخلق والأمر	54	232
وواعدنا موسى ثلاثين	142	232
وكلمه ربه	143	232
ورحمتي وسعت كل شيء	156	300
ألست بربكم؟ قالوا: بلى	172	209
أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض	185	346

سورة الأنفال

وإذ يريكموهم إذ التقيتم	45	361

سورة التوبة

حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه	6	232
ليظهره على الدين كله	33	305
إذ هما في الغار	40	266
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا	112	129
لقد جاءكم رسول من أنفسكم	129	216

سورة يونس

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا	5	302
فلما جاء السحرة قال له موسى	80	266
قل انظروا ماذا في السماوات والأرض	101	304

سورة هود

بسم الله مجراها ومرساها	41	242
فعال لما يريد	107	227

سورة يوسف

إنا أنزلناه قرآنا عربيا	2	122
وأخاف أن يأكله الذئب	13	165
ارجع إلى ربك فاسأله	50	277

سورة الرعد

وهو الذي مد الأرض	3	370

سورة إبراهيم

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	36	336

سورة الحجر

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه	31	369